الطالب قد قام بالتصويبات التي طلبت منه بمعرفتي،
المشرف
د/ سمير عبد العزيز شلبوه
د/ س ع العزيز

د/ محمد الجيب

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
الدراسات العليا

الأسماء الحسنى ومناسبتها للآيات التي ختمت بها

من أول سورة المائدة إلى آخر سورة المؤمنون

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة

إعداد الطالب
محمد مصطفى آيدين

إشراف فضيلة الدكتور
سمير عبد العزيز شلبوه

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أحمدك ربي وأشكرك، لاأحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

ثم إني أقدّم جزيل شكري، وعظيم امتناني، وعميق تقديري، لكلّ مَن بذل جهده في تعليمي، وكان له فضل عليّ في توجيهي، وإرشادي، من أساتذتي الكرام، وأخصّ منهم بالذكر فضيلة الدكتور سمير عبد العزيز شليوه، المشرف على هذه الرسالة، فلقد أولاني من حسن رعايته، وجميل صبره، وسعة صدره، وأعطاني من علمه ووقته الشيء الكثير، فقد قرأ هذه الرسالة كلمة كلمة، واستفدت كثيرا من ثاقب رأيه، وسديد توجيهاته، وحسن درايته بتفسير القرآن الكريم، فجزاه الله عني وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

كما أتقدّم بالشكر الجزيل، والتقدير الوافر لأستاذي السيد عثمان عبد الرحيم، الأستاذ في معهد اللغة العربية، على ما بذله معي من جهد موفّق، وإصلاح صائب ممّا مكّنني أن أبرز رسالتي في هذه الصورة التي أرجو أن تكون كافية وافية.

كما أنّ مما لايسعني التغافل عنه الاعتراف بالجميل والتنويه بالأمر الواقع: أني نلت مساعدة علمية عالية، وتشجيعا كبيرا، في سبيل تقدّمي علميّا، وفي كتابة هذا البحث، من أستاذي الجليل الدكتور الشريف منصور بن عون العبدلي، وأسأل الله - تعالى - أن يجزيه عني خيرا كثيرا، ويبارك في علمه، وينفعَ به الإسلام والمسلمين.

كما أتقدّم ببالغ شكري لجميع القائمين على إدارة هذه الجامعة الحبيبة - جامعة أم القرى بمكة المكرمة -، وعلى رأسها معالي مدير الجامعة الدكتور راشد الراجح، وسعادة عميد كلية الدعوة وأصول الدين فضيلة الدكتور علي بن نفيع العلياني، وسعادة وكيل الكلية الدكتور أحمد عطية الزهراني، ورئيس قسم الكتاب والسنة سعادة الدكتور أسامة عبد الله خياط، فقد يسّروا لنا مواصلة الدراسة مع ما قدّموه لنا من حسن الضيافة، وجميل الإكرام، جزاهم الله عني وعن طلبة العلم خيرَ الجزاء، ووفّق الله الجميع لِما فيه رضاه، إنه سميع الدعاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد للّه الذي له الأسماء الحسنى، والشرف الأتمّ الأسنى، والدوام الذي لايبيد ولايفنى، الذي أنزل القرآن متناسبةً سورُه وآياتُه ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(١).

وأشهد أن لاإله إلّا اللّه وحده لاشريك له، الواحدُ القهّار، الغفورُ الرحيم، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله، اصطفاه لرسالته، واختاره لبريّته، وأنزل عليه كتابه المبين الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٢)، صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فإنّ الدراساتِ القرآنيةَ ذات أهمّيَة كبيرة، لِكونها تخدم كتاب اللّه - عز وجل -، وهي شغلت قدرا كبيرا من اهتمام الباحثين المتقدّمين منهم والمتأخّرين، وأخذت منهم بحثا متواصلا، ومن ذلك تفسير القرآن الكريم، واستنباط أحكامه، وبيانُ إعجازه، وفضائله، وغير ذلك من علومه الكثيرة، وكنوزه الدقيقة.

ولكن هناك بعض الموضوعات لم تنل حظّها من الدّرس والبحث، كما نال غيرها، ومن أبرز هذه الموضوعات التي تحتاج إلى جهد الباحثين علمُ مناسبات القرآن الحكيم.

ويعدّ علمُ المناسبات أحدَ علوم القرآن، وهو موضوع ذوأهمّية، يبحث عن سرّ ترتيب القرآن الكريم، كما أنه جعل القرآن لا ينفَد كنزُه، ولا تنقضي عجائبه، وأسرار إعجازه.

(ولم يكن القرآن معجِزا من جهة فصاحته، وبلاغته فحسب، أونظمه وأسلوبه فقط، ولامن جهة إخباره بالغيب، بل هوآية بيّنة، معجزة من وجوه متعدّدة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللّفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله - تعالى -، وأسمائه الحسنى، وصفاته العُلى، وغير ذلك)(٣).

إنّ للّه - سبحانه وتعالى - أسماءً حسنى كثيرة جدّا، منها ما وردت في القرآن الكريم، والسنّة المطهّرة، ومنها ما استأثر اللّه - تعالى - بها في علم الغيب.

---

(١) سورة هود، من الآية: ١.

(٢) سورة فصّلت، الآية: ٤٢.

(٣) التفسير الكبير لابن تيمية، ١٥٤/٢، بتصرّف يسير، (تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

وبعضُ الأسماء الحسنى تتكرّر في القرآن الكريم، حسب اختلاف المقام، وتنوّع مقاصد الإرشاد والتبليغ، وخاصة في أواخر الآيات.

وإذا نظرنا في أواخر الآيات المنتهية بالأسماء الحسنى، نرى أنّ الآية تختم باسم من أسمائه - تعالى -، أو باسمين يتزاوجان بلا حرف عطف بينهما، وتلك الأسماء لها علاقة قويّة بمضامين الآيات.

يقول سيّد قطب [١] - رحمه الله تعالى -: (والتناسق ألوان ودرجات... ومنها تلك النكت البلاغية التي تنبّه لها الكثيرون، من التعقيبات المتّفقة مع السياق، كأنْ تجيء الفاصلة: ﴿...وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٢]، بعد كلام يُثبت القدرة، والفاصلة: ﴿... إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [٣]، بعد كلام في وادي العلم المستور...) [٤].

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي [٥] - رحمه الله تعالى -: (يختم الله - تعالى - الآيات بأسمائه الحسنى، ليدلّ على أن الحكم المذكور، له تعلّق بذلك الاسم الكريم.

وهذه القاعدة لطيفة نافعة، عليك بتتبّعها في جميع الآيات المختومة بها، تجدها في غاية المناسبة، وتدلّك على أنّ الشرع والأمر والخلق، كلّه صادر عن أسمائه - تعالى - وصفاته العُلى، ومرتبط بها.

وهذا باب عظيم في معرفة الله - تعالى - ومعرفة أحكامه، وهو أجلّ المعارف، وأشرف العلوم) [٦].

نعم، إنّ القرآن الكريم يُظهر نوعا من إعجازه البديع، في ذكره البليغ لأسماء الله - تعالى - الحسنى، حيث يضع كلّ اسم من الأسماء الحسنى، في مكانه اللائق به، حتى يكاد السامع يعلم أنّ هذا المكان لا يتناسب معه إلّا هذا الاسم الكريم، وأنّ اسما آخر لا يؤدّي المعنى الذي أفاده أخوه.

---

(١) هو سيّد قطب بن ابراهيم: مفكّر إسلامي مصريّ، ومن أركان الأدب الاسلامي الحديث ومن أساتذة النقد الأدبي، ولد في قرية "موشا" في مدينة "أسيوط" سنة ١٣٢٤هـ، واستشهد شنقا سنة ١٣٨٧ هـ. الأعلام للزركلي، ١٤٧/٣ (دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٤ م)، ينظر: هامش الفاصلة في القرآن لمحمد الحسناوي، ص: ٦٥ (المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦).

(٢) سورة الحديد، من الآية: ٢.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ١١٩.

(٤) التصوير الفنّي في القرآن الكريم لسيد قطب، ص: ٧٤ - ٧٥، (دار المعرفة بمصر، الطبعة الثامنة.

(٥) هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي، التميمي: مفسّر، من علماء الحنابلة من أهل نجد، ولد في عنيزة (بالقصيم) سنة ١٣٠٧هـ، وتوفّي فيها سنة ١٣٧٦هـ، وله نحو ثلاثين كتابا. (الأعلام: ٣٤٠/٣).

(٦) القواعد الحِسان لتفسير القرآن للسعدي، ص: ٥٩، (مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٠هـ ١٩٧٠م).

إنّ الأخبار تروي (١) أنّ زيد بن ثابت (٢) - رضي الله تعالى عنه - كان يكتب ما يملي عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فأملى عليه الآية التالية : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ... ﴾ (٣).

وهنا نهض صحابيّ آخر ، هو معاذ بن جبل (٤) - رضي الله عنه - فقال : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ (٣) ، فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال له معاذ - رضي الله تعالى عنه - : ممّ ضحكت يا رسول الله ؟ قال : " بها ختمت " .

وتروي كتب التفسير (٥) أنّ أعرابيّا سمع قارئا يقرأ : ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ... ﴾ (٦) ، ثمّ قال : ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٧) ، وكان الأعرابيّ لايعرف القرآن ، ولكنّه عربيّ يدرك اللغة ، وما يجب أن تكون عليه أساليبها ، فقال : إن كان هذا كلامَ الله فلا . إنّ الحكيم لايذكر الغفران عند الزلل ، لأنه إغراء عليه . وعاد القارئ إلى القرآن لينظر أكان مصيبا أم مخطئا ، فوجد نفسه على خطأ ، فالآية انتهت بقوله - تعالى - : ﴿ ... فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦) .

وهكذا كانت العرب ، تدرك مكانة الألفاظ القرآنية ، وموقعها ، وتفهم من وضْع أسماء الله - تعالى - ، في الآيات بحسب المناسبة .

ويدلّ على ذلك فهمُ الأعرابيّ الأمي أنّ مقتضى العزة والحكمة غير مقتضى المغفرة والرحمة ، وأنّ الله - تعالى - يضع كلّ اسم موضعه من كتابه ، ليدلّ على متعلّقه في خلقه .

---

(١) ينظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، ٣/٣٠٢-٣٠٣ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم) ، التعبير الفني في القرآن للدكتور بكري شيخ أمين ، ص : ٢٠٥ ، (دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) ، الفاصلة القرآنية للدكتور عبد الفتاح لاشين ، ص : ٤٤ ، (دار المريخ ، الرياض ، طبعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ، الفاصلة في القرآن للحسناوي ، ص : ٢٨٧ - ٢٨٨ ، (المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط . الثانية .

(٢) هو زيد ابن ثابت بن الضحاك الأنصاري ، كنيته : أبو سعيد ، وقيل : غير ذلك ، وكان من كتاب الوحي ، وأعلم الصحابة بالفرائض ، توفي سنة ٤٥ هـ . (أسد الغابة لابن الأثير الجزري ، ٢/ ٢٧٨-٢٧٩ ، تحقيق محمد إبراهيم البنّا ورفقائه . دار الشعب) .

(٣) سورة المؤمنون ، الآيات : ١٢ - ١٤ .

(٤) هو معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري ، وكان يكنّى أبا عبد الرحمن ، من أكابر الصاحبة ، شهد المشاهد كلّها مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - . وتوفي - رضي الله عنه - في طاعون " عمواس " سنة ١٨ هـ . (أسد الغابة لابن الأثير ، ٥/١٩٦-١٩٧) .

(٥) ينظر : الكشاف للزمخشري ، ١/٣٥٣ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ٣/٢٤ ، والقرطبي ذكر نسبة مثل هذه القصة إلى كعب الأحبار نقلا عن تفسير النقّاش . البحر المحيط ، ٢/١٢٣ ، الإتقان للسيوطي ، ٣/٣٠٢-٣٠٣ . التعبير الفني ، ص : ٢٠٥ .

(٦) سورة البقرة ، من الآية : ٢٠٩ .

(٧) سورة المائدة ، من الآية : ٣٤ .

وذلك كما قال الأصمعي[(١)]: كنت أقرأ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ...﴾[(٢)]، فقلت: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[(٣)] سهوا. ومعي أعرابيّ فقال: كلام مَن هذا؟ قلت: كلام الله. قال: ليس هذا كلامَ الله، فانتبهتُ فقرأتُ: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[(٢)]، فقال: أصبتَ، هذا كلام الله، فقلت: كيف عرّفت؟ قال: ياهذا عزّ فحكم فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لَمَا أمر بالقطع[(٤)].

كما أنّنا نلاحظ - إذا أمعنّا النظر - في هذه الآية وغيرها من الآيات التي ورد فيها اسمه - تعالى - "العزيز": أنه في الغالب يقترن اسم العزيز باسم الحكيم، وذلك لأن معنى العزيز يفيد الغلبة والقوة والامتناع، ولمّا كانت هذه الغلبةُ القوية تحتاج إلى أن يضبطها الحق والعدل والحكمة، ناسب أن يقترن الوصفُ بالعزّة بالوصف بالحكمة بيانا لذلك.

كما أن الله - تعالى - (لمّا ذكر مواريث الورثة، وقدّرها في سورة النساء، قال: ﴿... فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[(٥)]، فكونُه - تعالى - عليما حكيما يعلم ما لايعلم العباد، ويضع الأشياء مواضعها. فاخضعوا لِما قاله وفصّله، وحكم به في توزيع الأموال على مستحِقّيها الذين يستحقونها بعلم الله وحكمته. فلو وُكِل العبادُ إلى أنفسهم وقيل لهم: وزّعوها أنتم بحسب اجتهادكم لَدخلها الجهل والهوى، والغيّ والظلم. وصارت المواريث فوضى، وسببا في إراقة الدماء، وحصل من ذلك من الضرر ما الله به عليم. ولكن تولّاها هو وقسّمها بأحكم قسمة، وأوفقها للأحوال، وأقربها للنفع.

ولهذا مَن قدح في شيء من أحكامه، أو قال: لوكان كذا وكذا، فهو كافر، لأنه قادح في علم الله، وفي حكمته.

ولهذا يذكر الله - تعالى - العلم والحكمة بعد ذكر الأحكام، كما يذكرها في آيات الوعيد، لِيبيّن للعباد أنّ الشرع والجزاء مربوطان[(٦)] بحكمته غير خارج عن علمه)[(٧)].

---

(١) هو عبد الملِك بن قُريب بن أصبع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي: راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. ولد في البصرة سنة ١٢٢هـ، وتوفّي فيها سنة ٢١٦هـ. (الأعلام ١٦٢/٤).

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٣٨.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢١٨.

(٤) ينظر: التفسير الكبير للرازي، ٢٢٩/١١، البحر المحيط لأبي حيّان، ٤٨٤/٣، تفسير القرآن الحكيم لرشيد رضا، ٣٨٤/٦.

(٥) سورة النساء، من الآية: ١١.

(٦) في المطبوعة: مربوط، لعلّ ما ذكته صواب.

(٧) القواعد الحِسان للشيخ السعدي، ص: ٦٥.

هذا، وانّ في ورود هذه الأسماء الحسنى بهذه الكيفيّة المنتظِمة الخارقة في أواخر الآيات، وبذاك الانتظام اللطيف، وبذلك النظم الدقيق، والانسجام الرقيق، اثبات أن البشر لا يستطيعون أن يصنعوا هذا، أمّا المصادفة فمن المحال أن تخالطه، قال- تعالى- ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[١].

سبب اختيار الموضوع :

ولقد كان موضوع البحث عن هذه الأسماء الحسنى الواردة في آخر الآيات، ومناسبة تلك الأسماء لها، وذلك من أول سورة المائدة إلى آخر سورة المؤمنون، حيث إن هذا الجزء هو ما وقع عليه اختياري لإعداد رسالة الماجستير، إتماما لما بدئ[٢]، ولأسباب تالية :

أولا : لا أعلم إلى الآن كتابا أوبحثا عالج موضوع مناسبة الأسماء الحسنى لأواخر الآيات مستقصيا ومستقلا، وإنّما يذكر بعض المفسرين[٣] بعض المناسبات من هذا النوع عند بعض الآيات، أو يكتفون بالإشارة إلى وجود المناسبة بين الأسماء الحسنى والآيات التي ختمت بها، ويتركون المجال لغيرهم.

ثانيا : معرفة أسرار القرآن الكريم في تكرير بعض الجُمَل الخِتاميّة المشتملة على الأسماء الحسنى، مثل قوله - تعالى - :﴿ ...وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤] وقوله - تعالى - :﴿ ... وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٥]، فإنّ لهذه الأسماء الحسنى وغيرها من الأسماء الحسنى الواردة في أواخر الآيات مقاصدَ وأهدافا في ذكرها. وذلك من خير المباحث المتعلقة بكتاب الله عز وجل.

ثالثا : تعلّق الموضوع بالأسماء الحسنى التي لها أسرار وآثار، إذا عرّفها الإنسان تزيد عبوديّتَه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنّ أشرف العلوم الشرعية هو العلم بأسماء الله - تعالى -، وصفاته العُلى لتعلّقها بأشرف معلوم، وهو الله - سبحانه وتعالى -.

كلّ ذلك وغيره دفعني إلى اختيار هذا الموضوع، فتوكّلت على الله وعزمت على نفسي أن أدرس هذا الموضوع، وهدفي منه أن أساهم في خدمة كتاب الله - عزوجل -، وأبرز للمشتغلين في التفسير - من خلال الآيات التي ترد في هذا البحث - أهمّية هذا النّوع من أنواع المناسبة في القرآن الكريم. واللّهَ أسأل أن يوفقني ويلهمني رشدي. إنه قريب مجيب.

---

(١) سورة الإسراء، الآية : ٨٨.

(٢) إنّ مناسبة الأسماء الحسنى لأواخر الآيات من أول القرآن الكريم إلى آخر سورة النساء تُعدّها الأخت وِداد عبد الجبار، المعيدة في قسم الكتاب والسنة، وأمّا السور التي بعد سورة المؤمنون إلى آخر القرآن الكريم يُعدّها الأخ عبد الودود مقبول حنيف، المعيد في قسم الكتاب والسنة.

(٣) كالإمام الفخر الرازي، وأبي حيّان، والنيسابوري، والبقاعي، وأبي السعود، والآلوسي.

(٤) سورة المائدة، من الآية : ٧٤.

(٥) سورة المائدة، من الآية : ٣٨.

منهج البحث :

إنّي رأيت أنّه ينبغي قبل أن أدخل في صلب الموضوع -وهو مناسبة الأسماء الحسنى لأواخر الآيات - أن أتعرّض لمسألتين متصلتين بالموضوع ، وهما : الأسماء الحسنى ، وعلم المناسبة في القرآن الكريم ، إذ لا بدّ من معرفة ما يتعلّق بهما في تفسير الآيات المنتهية بالأسماء الحسنى .

و أن أتعرّض أيضا لبيان ألفاظ النص ، حتى يتميّز المعنى المراد للفظ الغريب ، الذي جاء ذكره في الآية ، عن سائر معانيه - إن وجدت - ، إذ أنّ فهْم النص هو العُمدة في إخراج مناسبة الأسماء الحسنى للآيات التي خُتمت بها .

و منهجي في كتابة هذا الموضوع يتلخّص فيما يلي :

١- إيراد النص القرآني المنتهي باسم من الأسماء الحسنى ، على حسب ترتيب المصحف ، فأبدأ بسورة المائدة ، وأختم بسورة المؤمنون . وقد رأيت من الخير أن أورد آية أو آيات قبل المختومة باسم من الأسماء الحسنى ، إذا كان المقام يحتاج إلى ذلك للوقوف على المعنى والمناسبة.

٢- اتّباع منهج السلف في العقائد و الأسماء والصفات .

٣- بيان غريب النص ، وذلك بالرجوع إلى كتب اللغة ، والكتب المؤلفة في غريب القرآن، والوجوه والنظائر .

٤- ذكر سبب النزول إنْ كان ، وقد اعتمدت في نقل روايات أسباب النزول على ما جاء في الصحيحين ، إلاّ أنني ذكرت مرة أو مرتين سبب النزول من غير الصحيحين .

٥ - بيان معنى النص ، وقد اتبعت فيه ما يلي :

أ - محاولة ذكر المناسبة بين الآيات بقدرالإمكان .

ب - أحاول بيان معنى الآية بما يدلّ عليه ألفاظ الآية في اللغة ، مع ملاحظتي أسباب النزول - إن كانت هناك - ، و مع أني أعتمد على خير ما يفسّر به القرآن ، و ذلك تفسير القرآن بالقرآن ، ثمّ السنةِ النبوية الصحيحة ، ثمّ أقوالِ المفسرين السابقين للآية من الصحابة والتابعين . كما أنّني لم أتعرّض لإثبات معنًى في الآية إلاّ بعد أن رجعت إلى ما أمكنني الاطّلاع عليه : من التفاسير المؤلفة كبيرها و صغيرها ، قديمها و حديثها . و لم أكتب شيئا إلاّ بعد أن يترجّح عندي صحتُه ، من تلك الأقوال التي اعتمدها المفسرون في ثنايا كتبهم . و أشير إلى المراجع في الهامش ، فإذا قلت : في الهامش : يُنْظَر ، معنى ذلك : أني اطلعت على تلك المراجع و أوردت ما قالوه بتصرف ، و في هذا لا أنسى فضل المتأخرين ، حيث استفدت من أسلوبهم و عباراتهم . و إذا ذكرت في الهامش المرجع و لم أقل: يُنْظَر ، فمعنى ذلك : أني نقلت النص أو تقيّدت به ، كما هو المتّبَع في البحوث العلمية.

جـ - وإذا جاءت الآية على قراءات مختلفة متواترة ، اكتفيت في التفسير بقراءة حفص كما في المصحف ، و لم أذكر وجوه القراءات الأخرى .

د - حرصت في بيان المناسبة أن أنظر في آيات أخرى بنفس موضوع الآية التي أقف أمامها ، وجعلت تلك الآيات أمامي بجانبها ، وكثيرا ما استخرجت المناسبة بالنظر إلى الآيات مجتمعة .

ولم أبحث عن مناسبة الأسماء المضافة الواردة في آخر الآيات ، مثل : أرحم الراحمين ، شديد العقاب ، سريع الحساب ، ربّ العالمين .

و الآياتُ التي تناولتها في هذا البحث ، هي التي جاءت الأسماء الحسنى في أواخرها ، على سبيل التذييل و التعقيب لمضامين الآيات .

وأدرجت مناسبة الأسماء الحسنى للآيات عقِب معنى النص ، خوفا من التكرار و التطويل .

هـ ـ اعتمدت الرسم العثماني في كتابة الآيات القرآنية ، و التزمت بعزو الآيات التي دعا البحث إلى الاستشهاد بها حسب الموقف إلى مواضعها بذكر اسم السورة و رقم الآية .

٦ـ خرّجت الأحاديث النبوية التي مرّت في البحث ، فإن كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بالعزو إليهما غالبا ، مع ذكر الكتاب و الباب و رقم الحديث ، وقد أزيد عليهما ، وقد أكتفي بأحدهما . وقد اعتمدت في صحيح البخاري (١) النسخةَ المطبوعة مع شرحه "فتح الباري" لابن حجر (٢) ، الذي قام بضبطه و ترقيم كتبه و أبوابه المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي (٣) وفق المعجم المفهرس لألفاظ الحديث . وفي صحيح مسلم (٤) اعتمدت النسخةَ التي قام بضبطها وتحقيقها وترقيمها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، لمطابقتها أيضا للمعجم المفهرس .

و إذا كان الحديث في غير الصحيحين عزوته إلى مظانّه ما أمكن ، مع ذكر مَن حكم عليه بصحة ، أو ضعف ، أو حُسن ما استطعت .

٧ـ ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة ، وذلك بالترجمة في المحلّ الذي مرّ فيه العلَمُ أول مرّة .

٨ ـ قمت بعمل فهارس شاملة للآيات الكريمة التي استشهدت بها أثناء البحث ، والأحاديث النبوية ، و الأعلام المترجَم لهم ، و فهرس للمراجع ، إضافة إلى فهرس الموضوعات .

وقد رتّبت البحث على مقدمة ، وتمهيد ، و فصلين ، و خاتمة .

المقدمة : تشتمل على أهمّية الموضوع ، وبيان الداعي لاختيار الموضوع ، وبيان منهج الرسالة ، وقد سبق ذكر ذلك كلّه .

التمهيد : في مبحثين ، وهما :

---

(١) هو محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري ، أبو عبد الله : حِبر الاسلام ، والحافظ لحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولد سنة ١٩٤ هـ ، وتوفي سنة ٢٥٦ هـ ، في حرنتك (من قرى سمرقند) . ينظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ، ٤٧/٩ (نشر دار صادر ، بيروت) ، الأعلام ٣٤/٦ .

(٢) هو أحمد بن علي الكناني العسقلاني ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حجر : من أئمة العلم والتاريخ ، ثم أقبل على الحديث ، و أصبح حافظ الإسلام في عصره . مولده ووفاته بالقاهرة (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ) . الأعلام : ١٧٨/١ .

(٣) محمد بن فؤاد عبد الباقي : عالم بتنسيق الأحاديث النبوية و وضع الفهارس لها ، ولآيات القرآن الكريم ، ولد في القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ ، وتوفي فيها سنة ١٣٨٨ هـ . الأعلام : ٣٣٣/٦ .

(٤) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، أبو الحسن : حافظ من أئمة المحدثين ، ولد في نيسابور سنة ٢٠٤ هـ ، و توفي فيها سنة ٢٦١ هـ . ينظر : تهذيب التهذيب : ١٢٦/١٠ ، الأعلام : ٢٢١/٧ .

المبحث الأول : في الأسماء الحسنى ، وفيه عشرة مطالب :

المطلب الأول : في بيان معنى الاسم في كلام العرب .

المطلب الثاني : في بيان معنى قوله -تعالى-:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا.. ﴾

المطلب الثالث : الأسماء الحسنى في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-.

المطلب الرابع : في معنى قوله - صلى الله عليه وسلم - :" من أحصاها دخل الجنة ".

المطلب الخامس : في بيان عدد أسماء الله - تعالى - الحسنى .

المطلب السادس : في بيان معاني الأسماء الحسنى الواردة في الرسالة .

المطلب السابع : في تحقيق صِيغ الأسماء الحسنى .

المطلب الثامن : بيان هل الأسماء الحسنى توقيفية أو اجتهادية ؟

المطلب التاسع : دلالة الأسماء الحسنى على صفات الله - عزوجل - .

المطلب العاشر : توحيد الأسماء و الصفات .

المبحث الثاني : في المناسبة في القرآن الكريم ، وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول : في تعريف المناسبة لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : في التعريف بالمناسبة في القرآن الكريم .

المطلب الثالث : أهمّية علم المناسبات في القرآن الكريم .

المطلب الرابع : أنواع المناسبات في القرآن الكريم .

المطلب الخامس : قاعدة علم المناسبة .

المطلب السادس : الفاصلة في القرآن الكريم ، وعلاقتها بما قبلها .

المطلب السابع : العلاقة بين الفاصلة القرآنية والتذييل .

الفصل الأول : في فوائد منتثرة في تفسير الآيات المختومة بالأسماء الحسنى .

الفصل الثاني : في بيان المناسبة بين أسماء الله - تعالى - الحسنى ، والآيات التي خُتمت بها . وذلك من أول سورة المائدة إلى آخر سورة المؤمنون .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصّلت إليها من خلال البحث .

وعلى الرغم من الجهد الذي بذلته في كتابة هذا الموضوع ، فإني لا أدّعي الكمال لعملي هذا فالكمال لله وحده ، ولكني أرجو أن أكون قد وُفّقت في أداء ما يجب عليّ ، كما أرجو أن أكون قد قدّمت شيئا للمكتبة القرآنية بصورة خاصة ، وللمكتبة الإسلامية بصورة عامة .

وليس لي من كلمة إلاّ أن أحمدَ الله - تعالى - كما حمدته في البدء دائماً وأبداً على تيسيره ومعونته في إكمال هذا الموضوع بجوار بيته العتيق ، الذي جعله مثابة للناس وأمنا .

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين ، والحمد لله أولا وآخرا .

١٥/٤/١٤٠٩هـ

مكة المكرمة

التمهيد

فيه مبحثان :

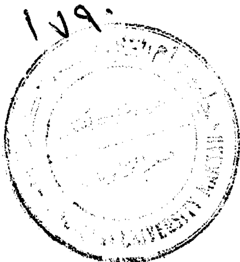
المبحث الأول : الأسماء الحسنى.

المبحث الثاني: المناسبة في القرآن الكريم.

المبحث الأوّل

الأسماء الحسنى

وفيه عشرة مطالب :



المطلب الأوّل: بيان معنى الاسم في كلام العرب:

قال أبو إسحاق(١) في اشتقاق الاسم: (معنى قولنا: اسم: هو مشتقّ من السموّ، وهو الرِّفعة، والأصل فيه سِمْوٌ بالواو، وجمعه "أسماء" مثل قِنو وأقناء، وإنّما جُعل الاسم تنويها على الدّلالة على المعنى، لأنّ المعنى تحت الاسم.

ومَن قال: إنّ اسما مأخوذ من "وَسَمْتُ" فهو غلط: لأنّه لو كان اسم من "وسمته" لكان تصغيره "وُسَيْمٌ") (٢) اهـ.

والصحيح: أنّ أصله من "السموّ" لأنّ الاسم شعار للمسمّى ورِفعةٌ له (٣).

قال الآلوسي (٤): (اشتقاق الاسم من السّموّ كالعلوّ، لأنّه لدلالته على مسمّاه يُعليه من حضيض(٥) الخفاء إلى ذروة الظهور والجلاء) (٦) اهـ.

وقال الجوهري(٧): (الاسم: كلّ شيء سمّيته بشيء فهو اسم له)(٨) اهـ.

---

(١) هو إبراهيم بن السّريّ بن السهل، أبو إسحاق الزجّاج: عالم بالنحو واللغة، ولد في بغداد سنة ٢٤١ هـ، توفي فيها سنة ٣١١هـ. الأعلام للزركلي، ٤٠/١.
(دار العلم للملايين، بيروت، ط. السادسة، ١٩٨٤م).

(٢) لسان العرب لابن منظور، ٤٠١/١٤، مادة (سمو)، (دار صدر، بيروت).

(٣) مقدّمة جامع التفاسير للراغب الأصفهاني، ص: ١١٢. (تحقيق د/أحمد حسن فرحات، دار الدعوة، الكويت، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م).

(٤) هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر محدّث، أديب، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، ولد سنة ١٢١٧ هـ، وتوفي سنة ١٢٧٠ هـ. الأعلام للزركلي، ١٧٦/٧.

(٥) الحضيض: ما سفل من الأرض، ونهاية سفح الجبل، (المعجم الوسيط، ص: ١٨١). (مطابع دار المعارف، ١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠م).

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٥٢/١. (نشر دار الفكر، بيروت سنة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م).

(٧) هو إسماعيل بن حمّاد الجوهري، أبو نصر، لغويّ من الأئمة، لا يعرَف تاريخ ميلاده، توفي سنة ٣٩٣هـ، الأعلام للزركلي، ٣١٣/١.

(٨) الصحاح، ٢٣٨٣/٦. مادة (سمو). (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط الثانية، ١٤٠٢ هـ)

وقال الراغب[١] : (الاسم ما يُعرَّف به ذاتُ الشيء)[٢].

وقال ابن تيميّة[٣] : (ما ليس له اسم فإنّه لا يُذكَر ولا يظهر ولا يعلو ذكره ، بل هو كالشيء الخفيّ الذي لا يعرَف ، ولهذا يقال : الاسم دليل على المسمّى[٤] ، وعلمٌ على المسمّى...)[٥].

وأمّا بالنسبة للاسم والمسمّى ، هل هو هو ، أو غيره ؟

هذه قضية قليلة الفائدة ، ولا تستحقّ البحث عنها بالإطناب ، حيث إنّ علماء أهل السنة والجماعة الذين قالوا بأنّ الاسم هو المسمّى ، لا ينازعون في أنّ الاسم غير المسمّى من جهة أنّ الأسماء أقوال وأنّها ليست هي المسمّيات ، فهذا لا ينازع فيه أحد من العقلاء .

لكنّهم قالوا ذلك - أي أنّ الاسم هو المسمّى - ردّا على الجهميّة[٦] والمعتزلة[٧] الذين قالوا : إنّ الاسم غير المسمّى ، ويقصدون أنّ أسماء

---

(١) هو الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) : أديب من الحكماء العلماء من أهل أُصبهان ، لا يعرف تاريخ ميلاده ، توفي سنة ٥٠٢ هـ الأعلام، ٢/٢٥٥ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، ص : ٢٤٤، (نشر دار المعرفة ، بيروت) .

(٣) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرّاني الدّمشقي، أبو العباس، تقي الدين : الإمام، شيخ الإسلام ، وله مصنفات كثيرة، وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره . ولد سنة ٦٦١هـ وتوفي سنة ٧٢٨هـ بقلعة دمشق . البداية والنهاية لابن كثير ، ١٤/١٣٥ ، (مكتبة المعارف بيروت ، ط. الثانية ١٩٧٧م) ، والأعلام، ١/١٤٤ .

(٤) قال ابن قيم الجوزية مثالا على ذلك : (واللّفظُ المؤلّف من الزاي والياء والدال عبارةٌ عن الشخص الموجود في الأعيان والأذهان ، وهو المسمّى . واللفظ الدال عليه - هو الزاي والياء والدال - هو الاسم . بدائع الفوائد، ١/١٦ ، (دار الفكر، بيروت) .

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ٦/٢٠٩ ، (توزيع إدارات البحوث العلمية، والإفتاء والدعوة والإرشاد، تصوير الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ) .

(٦) هم أتباع المبتدع الضالّ جهم بن صفوان، والذي نادى بنفي صفات الله - تعالى - . ومن قوله : لا يجوز أن يوصف الباري - تعالى - بصفة يوصف بها خلقُه ، وغيرُ ذلك من المعتقدات الفاسدة كالقول بفَناء الجنة والنار والقول بخلق القرآن . ينظر : المِلل والنّحل للشهرستاني ، ص : ٨٦-٨٨ ، (دار الفكر ، بيروت) .

(٧) هم أتباع واصل بن عطاء ، فمعتقدُهم : نفيُ الصفات عن اللّه - عز وجل - وأنّ كلامه مخلوق، ونفوا رؤيةَ الله - عز وجل - في الآخرة ، وقالوا بقدرة العبد على خلق أفعاله دون خلق الله - تعالى - لعمله . ينظر : الملل والنحل للشهرستاني ، ص : ٤٤-٤٥ .

الله -تعالى- غيره، وما كان غيره فهو مخلوق، وأنّ الله كان ولا اسمَ له حتّى خلق لنفسه أسماء، وهذا كلّه من الباطل المعلوم شرعا وعقلا(١).

قال ابن تيميّة: (فإنّ الناس قد تنازعوا في ذلك، والنزاعُ اشتهر في ذلك بعد الأئمّة، بعد أحمد(٢) وغيره).

والذي كان معروفا عند أئمّة السنّة، أحمدَ وغيره: الإنكارُ على الجهمية الذين يقولون أسماء الله مخلوقة، ويقولون: الاسم غير المسمّى، وأسماءُ الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق.

وهؤلاء هم الذين ذمّهم السلف وغلّظوا فيهم القولَ، لأنّ أسماء اللّه من كلامه، وكلامُ اللّه غيرُ مخلوقٍ، بل هو المتكلِّم به، وهو المسمِّي لنفسه بما فيه من الأسماء)(٣).

والرأى الأصحّ الذي يميل إليه القلب في هذه المسألة هو ذلك التفصيل الذي ذكره شارح العقيدة الطحاويّة(٤) فقال: (طَالَمَا غَلِط كثير من الناس في ذلك، وجهلوا الصوابَ فيه، فالاسم يراد به المسمّى تارّة، ويراد به اللّفظ الدّال عليه أخرى.

---

(١) راجع: للتفصيل في مسألة الاسم والمسمّى: مجموع الفتاوى لابن تيمية، ٦/١٨٦-١٨٩. ومعنى لا إله إلاّ الله للزركشي، ص: ١٢٧-١٤٠، حيث ذكر -رحمه الله- الأقوال الموجودة في ذلك وناقشها مناقشة علمية دقيقة. (تحقيق علي محي الدين علي القرة راغي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الثالثة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م). والبيهقي وموقفه من الإلهيات، لأحمد بن عطية الغامدي، ص: ١٣١-١٣٣، (من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط. الثانية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

(٢) هو أحمد بن محمد بن حنبل: إمام أهل السنة، قال عنه الشافعي-رحمه الله-: (أحمد إمام في ثمان خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة). توفي سنة ٢٤١هـ. ينظر: البداية والنهاية لابن كثير، ١/٣٢٥. والأعلام للزركلي، ١/٢٠٣.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ٦/١٨٥- ١٨٦.

(٤) هو علي بن علي بن محمد بن أبي العزّ الحنفي الدمشقي: فقيه، كان قاضي القضاة، بدمشق، ثمّ بالديار المصرية، توفي سنة ٧٩٢هـ. الأعلام، ٤/ ٣١٣.

فإذا قلتَ: قال اللّه كذا، أو سمع اللّه لمن حمده، ونحو ذلك، فهو المراد به المسمّى نفسه.

وإذا قلتَ: الله: اسم عربيّ، والرحمٰن: اسم عربيّ، والرحمن من أسماء الله -تعالى- ونحو ذلك، فالاسم هاهنا للمسمّى. ولا يقال غيره، لِما في لفظ الغير من الإجمال.

فإن أُريد بالمغايرة أنّ اللّفظ غيرُ المعنى فحقٌّ، وإن أريد أنّ الله -سبحانه- كان ولا اسمَ له، حتّى خَلق لِنفسه أسماء، أو حتّى سمّاه خلقُه بأسماءٍ مِن صنعهم، فهذا مِن أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله -تعالى-) [١]. اهـ.

فهذا تفصيل بعيد عن التّعقيد، ووَصَفَ القرطبي[٢] أصحاب هذا الرأي بأنّهم أهل الحقّ فقال: (والذي يذهب إليه أهل الحقّ أنّ الاسم هو المسمّى، أو صفة له تتعلّق به، وأنّه غير التّسمية)[٣]. اهـ.

والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلّا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لأبي العزّ، ١٠٢/١، (تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التّركي وشعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).

(٢) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، من كبار المفسرين، ومن الزّهاد، والورعين، توفي سنة ٦٧١ هـ. الأعلام، ٣٢٢/٥.

(٣) تفسير القرطبي المسمّى "الجامع لأحكام القرآن"، ٣٢٦/٧، (نشر دار الكتاب العربي، مصر، ط. الثالثة).

المطلب الثاني : بيان معنى قوله -تعالى- : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١] :

إنّ هذا النصّ الكريم أبان الحقائق التالية :

الأولى : إنّ الأسماء الحسنى ليست إلاّ للّه - سبحانه وتعالى -، وهي وُصفت بالحسنى لأنها تدلّ على أحسن مسمّى ، وأشرف مدلول [٢].

واللهُ - عز وجل - وصف أسماءه بالحسنى في أربع آيات من القرآن العظيم ، وهي :

أولا : قوله - تعالى - : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١].

ثانيا : قوله - تعالى - : ﴿قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ...﴾ [٣].

ثالثا : قوله - تعالى - : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [٤].

رابعا : قوله - تعالى - : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ...﴾ [٥]

إن أسماء الله - سبحانه وتعالى - ألفاظ دالّة على المعاني ، وهي (حسنة في الأسماع والقلوب ، فإنها تدلّ على توحيده ، وكرمه ، وجوده ، ورحمته وافضاله) [٦] و(كلّها مدح وثناء وتمجيد ، ولذلك كانت حسنى ، وصفاتُه كلّها صفات كمال ، ونعوته كلّها نعوت جلال ، وأفعاله كلّها حكمة ورحمة ...) [٧].

الثانية : إنّ الله - تعالى - يأمر عباده أن يدعوه بأسمائه الحسنى ، وفي ذلك دلالة على مشروعية الدعاء بالأسماء الحسنى .

أمّا كيفية دعاء الله - سبحانه وتعالى - بأسمائه ، فهي أن تقول : يا اللّه ، يا رحمن ، يا رحيم ، ياعظيم ، يا حيّ ، يا قيّوم ، وهكذا .

وما دام أُمرنا بالدعاء ، علينا أن نعرف ماهو الدعاء وماحقيقته ؟

قال الخطابي [٨] - رحمه الله تعالى - : (معنى الدعاء : استدعاء العبد ربّه - عز وجل -

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٠ .

(٢) ينظر : فتح القدير للشوكاني ، ٢/٢٦٨ ، (دار الفكر ، بيروت) .

(٣) سورة الإسراء ، من الآية : ١١٠ .

(٤) سورة طه ، الآية : ٨ .

(٥) سورة الحشر ، من الآية : ٢٤ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ٧/٣٢٦ .

(٧) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لابن القيّم ، ١/١٤٠ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣) .

(٨) هو حَمد بن محمد البستي ، أبو سليمان : فقيه محدّث ، من أهل بست (من بلاد كابل) ، وله مؤلفات كثيرة ، (٣١٩هـ - ٣٨٨هـ) ، الأعلام للزركلي ، ٢/٢٧٣ .

العناية ، واستمدادُه إيّاه المعونة .

وحقيقته : إظهار الافتقار إليه ، والتبرؤ من الحول والقوة ، وهو سِمة العبودية ، واستشعارُ الذلّة البشرية ، وفيه معنى الثناء على الله - عز وجل - ، وإضافة الجود والكرم إليه . ولذلك قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ " (١). معناه : أنه معظم العبادة ، أو أفضل العبادة) (٢).

وقال ابن القيم (٣) - رحمه الله تعالى - : (وهو - أي الدعاء - مرتبتان : إحداهما : دعاء ثناء وعبادة ، والثاني : دعاء طلب ومسألة ، فلا يثنى عليه إلاّ بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وكذلك لايُسأَل إلاّ بها ...) (٤).

وقال القاضي ابن العربي (٥) عند قوله - تعالى - : ﴿ فَادْعُوه بِهَا ﴾ : (أي : أطلبوا منه بأسمائه ، فيطلّب بكلّ اسم ما يليق به ، تقول : يا رحيم ارحمني ، يا حكيم احكم لي ، يا رزّاق ارزقني ، يا هادى اهدني ، وإن دعوت باسم عامّ قلت : يا مالك ارحمني ، يا عزيز احكُمْ لي ، يالطيف ارزقني . وإن دعوت بالاسم الأعظم قلت : يا الله ، فهو متضمن لكلّ اسم حسبما بيّنّاه في كتاب الأمد (٦) ، ولاتقل يا رزّاق اهدني إلاّ أن تريد يا رزّاق ارزقني الهدى ، وهكذا رتّب دعاءك على اعتقادك تكن من المحسنين إن شاء الله) (٧).

وهناك أدعية كثيرة مأثورة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، تؤيّد ما ذهب إليه ابن العربي ، من أنّ العبد يلتجئ إلى الله - تعالى - في كلّ وقت ، في الرخاء والبلاء ، في اليسر والعسر ، فيختار في دعائه من الأسماء الحسنى ما يناسب حاجته .

ومن ذلك : أنّ أبا بكر الصديق (٨) - رضي الله عنه - سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعاء يدعو به في صلاته ، فقال له - صلى الله عليه وسلم - : " قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، (٢٦٧/٤ و ٢٧١ و ٢٧٦) ، وأبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء ، رقم (١٤٧٩) ، والترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن ، (٢١١/٥ رقم ٢٩٦٩ و ٣٧٤/٥ رقم ٣٢٤٧) ، وفي كتاب الدعوات ، (٤٥٦/٥ رقم ٣٣٧٢) ، والحاكم في المستدرك (٤٩١/١) ، وصحّحه وأقرّه الذهبي . وقال ابن حجر في الفتح ، (٩٤/١١) في أول كتاب الدعوات : أخرجه الأربعة ، وصحّحه الترمذي والحاكم .

(٢) شأن الدعاء للخطابي ، ص : (٣ - ٥) بتصرّف يسير . (تحقيق أحمد يوسف الدقاق ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م) .

(٣) هو محمد بن أبي بكر الدمشقي ، أبو عبدالله ، شمس الدين : من أركان الإصلاح الإسلامي ، مولده و وفاته في دمشق (٦٩١ - ٧٥١ هـ) . الأعلام : ٥٦/٦ .

(٤) بدائع الفوائد ، لابن القيم ، ١٦٤/١ ، (دار الفكر ، بيروت) .

(٥) هو محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي المالكي ، أبو بكر ابن العربي : قاض ، صنّف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ ، ولد في " اشبيلية " سنة ٤٦٨هـ ، وتوفي بقرب فاس سنة ٥٤٣هـ . الأعلام : ٢٣٠/٦ .

(٦) اسم الكتاب كاملا : " الأمد الأقصى في معرفة أسماء الله الحسنى " مخطوط منه نسخة في مركز البحث العلمي ، تحت رقم (١٦٣ و ١٦٤) العقيدة ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ، ٨١٥/٢ - ٨١٦ . (دار المعرفة ، بيروت) .

(٨) هو عبدالله بن أبي قحافة التيمي القرشي ، أبو بكر : أول الخلفاء الراشدين ، وأول من آمن من الرجال . أسد الغابة لابن الأثير ، ٣٠٩/٣ (دار الشعب) .

نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً ، وَلاَيَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " (١).

على العبد أن يستمرّ على الدعاء ، وهو مطلوب منه على الدوام ، لأن حاجته باقية أبدا ، وقائمة دائما ، واللهُ - تعالى - قريب سميع مجيب : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ... ﴾ (٢).

والدعاء المأمور به في قوله - تعالى - : ﴿ فادعوه بها ﴾ يوجب للعبد المزيد من معرفة الله - تعالى - وأسمائه ، ومعانيها ، والتعلّق بها . والله الموفّق للصواب .

الثالثة : إن الله - سبحانه وتعالى - أمر عباده أيضا أن يَدَعوا أهل الزيغ والضلال الذين يُلحدون في أسمائه ، ويتركوهم له لِيجزيهم الجزاء العادل على ما كانوا يقولون ويعملون.

والإلحاد - في اللغة - : الميل والعدول عن الشيء (٣).

والإلحاد في أسماء الله - تعالى - وصفاته ، هو الميل بها عمّا جُعِلتْ له ، وهو ثلاثة أنواع :

الأوّل : إلحاد المشركين الذين عدلوا بأسماء الله - تعالى - عمّا هي عليه وسمّوا بها أوثانهم ، فزادوا ونقصوا فاشتقّوا اللات من الإله ، والعزّى من العزيز ، والمناة من المنّان .

الثاني: إلحاد الذين يسمّون الله - تعالى - بما لاتجوز تسميته به ، كتسمية النصارى له أبا .

الثالث : إلحاد الذين عطّلوا أسماء الله - تعالى - عن معانيها ، وجعلوها مجرّد أعلام فقط ، مع أن أسماءه - تعالى - أوصاف مدح وكمال (٤).

ونفيُ معاني أسماء الله - تعالى - الحسنى من أعظم الإلحاد فيها ، قال - تعالى -: ﴿ ...وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥).

والإلحاد في أسماء الله - تعالى - الحسنى ، لايقتصر على ما ذكرناه فقط ، وينسحب أيضا على كل ألوان الإلحاد في شتّى صوره ، ينسحب على الذين ينحرفون عن توحيد الله - عز وجل - ، كالذين يدّعون لله - سبحانه - ولدا ، والذين يدّعون أنه - سبحانه - إله في السماء وفي تصريف نظام الكون ، ولكنّه ليس بإله في الأرض ، وليس له - في زعمهم - أن يشرع لحياة الناس ، إنّما الناس هم الذين يشرعون لأنفسهم ... وكلّه إلحاد في الله - سبحانه - وأسمائه وصفاته (٦). والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ،كتاب صفة الصلاة ، باب الدعاء قبل السلام ٣١٧/٢، رقم ٨٣٤ . صحيح مسلم ،كتاب الذكروالدعاء ، باب استحباب خفض الصوت ، ٢٠٧٨/٤، رقم : ٢٧٠٥ .

(٢) سورة البقرة ، من الآية : ١٨٦ .

(٣) النهاية لابن الأثير ، ٢٣٦/٤، (طبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة) .

(٤) ينظر لموضوع الإلحاد في الأسماء الحسنى : أحكام القرآن لابن العربي (٨١٦/٢) ، تفسير القرطبي (٣٢٨/٧) ، تفسير ابن القيّم (ص : ٢٩ - ٣٠) ، فتح القدير للشوكاني (٢٦٨/٢) ، الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ، لعبد العزيز السلمان (ص : ٩٥).

(٥) سورة الأعراف ، من الآية : ١٨٠ .

(٦) رحلة القلب السليم من آثار رحمة الله للشيخ محمد صفوك العلي ، ص : ١٨٧ . بتصرّف .

المطلب الثالث : الأسماء الحسنى في حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - :

أخرج البخاري و مسلم بسنديهما - واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة [(١)] - رضي الله عنه - أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا - مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا - مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ " [(٢)].

وفي رواية للبخاري: " لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ [(٣)] بدلاً من قوله - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ".

وفي رواية لمسلم " مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَإِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ [(٤)].

و أما سرد الأسماء الحسنى فلم يَرِد في خبر صحيح ، بل ورد في روايات تُكُلِّم فيها ، ومنها :

١ - ما أخرجه الترمذي [(٥)] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ : هو الله الذي لا إله إلاّ هو،

الرحمن ، الرحيم ، الملِك ، القدّوس ، السّلام ، المؤمن ، المهيمن
العزيز ، الجبّار ، المتكبّر ، الخالق ، البارئ ، المصوّر ، الغفّار ،
القهّار ، الوهّاب ، الرّزّاق ، الفتّاح ، العليم ، القابض ، الباسط ،
الخافض ، الرافع ، المعزّ ، المذلّ ، السميع ، البصير ، الحَكَم،
العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور،
العليّ ، الكبير ، الحفيظ ، المُقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ،
الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث،
الشهيد ، الحقّ ، الوكيل ، القويّ ، المتين ، الوليّ ، الحميد ،
المحصي ، المبدى ، المعيد ، المحي ، المميت ، الحيّ ، القيّوم ،
الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدِر ، المقدِّم ،
المؤخِر ، الأوّل ، الآخِر ، الظاهِر ، الباطِن ، الوالي ، المتعالي ،
البَرّ ، التّوّاب ، المنتقِم ، العفوّ ، الرؤوف ، مالك الملك ،
ذو الجلال والإكرام ، المقسِط ، الجامع ، الغنيّ ، المغني ، المانع ،
الضّار ، النّافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ،
الرشيد ، الصبور [(٦)].

---

(١) هو الصحابي الجليل ، حافظ الصحابة ، واختلف في اسمه ، واسم أبيه على نحو من ثلاثين قولا . قيل : عبد الرحمن بن صخر ، وإليه ذهب الأكثرون ، وذهب جمع من النسابين إلى أنه عمرو بن عامر ، وذكر الحافظ ابن حجر أقوالا كثيرة في ذلك . وتوفي سنة ٥٩ هـ بالمدينة في آخر خلافة معاوية . (ينظر : أسد الغابة لابن الأثير، ٣١٨/٦ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ٢٦٢/١٢) .

(٢) صحيح البخاري ، مع شرحه " فتح الباري " ، كتاب الشروط ، باب مايجوز من الاشتراط والثنيا والإقرار ، ٣٥٤/٥ رقم ٢٧٣٦ . صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة ... ، باب في أسماء الله - تعالى - ، ٢٠٦٣/٤ رقم ٢٦٧٧ .

(٣) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ، كتاب التوحيد ، باب لله مائة اسم غير واحدة ، ٢١٤/١١ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ... ، باب في أسماء الله - تعالى - ، ٢٠٦٢/٤ ، رقم ٢٦٧٧ .

(٥) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي ، أبو عيسى : من أئمة الحديث وحفّاظه ولد سنة ٢٠٩ هـ ، وتوفي سنة ٢٧٩ هـ (تهذيب التهذيب ، ٣٨٧/٩ ، الأعلام ، ٣٢٢/٦) .

(٦) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، (٥٣٠/٥ - ٥٣١ رقم ٣٥٠٧) ، وأخرجه ابن حبّان في صحيحه (موارد الظمآن لزوائد ابن حبان ، للهيثمي : كتاب الأدعية ، باب الدعاء بأسماء الله - تعالى - ص : ٥٩٢ رقم ٢٣٨٤) ، وهو ساق الأسماء بتمامها مطابقة لما في رواية الترمذي . و أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب الإيمان ، باب إن لله تسعة وتسعين اسما ... ، ١٦/١ ، وسرد الأسماء مطابقة لما جاء في رواية الترمذي إلّا اسم " المقيت " وقع بلفظ " المغيث " . و البيهقي في السنن الكبرى ، ٢٧/١٠ ، وفي الأسماء والصفات ، ص : ٢٨ - ٢٩ .
كلّهم من طريق الوليد بن مسلم ، وهو أبو العباس الدمشقي ، ثقة ولكنّه كثير التدليس والتسوية ، ولد سنة ١١٩ هـ ، وتوفي في عودته من الحج سنة ١٩٥ هـ . (ينظر : تقريب التهذيب لابن حجر ٣٣٦/٢ ، وميزان الاعتدال للذهبي ، ٣٤٧/٤) .

قال الترمذي عَقِب الحديث : (هذا حديث غريب ، حدّثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح[١] ، ولا نعرفه إلّا مِن حديث صفوان بن صالح ، وهو ثقة عند أهل الحديث ، وقد رُوِي من غير وجه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا نعلم في كثير شيء من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلّا في هذا الحديث .

وقد رَوى آدمُ بن أبي إياس[٢] هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وذكر فيه الأسماء ، وليس له إسناد صحيح)[٣] . اهـ .

قال الحافظ ابن حجر : (وعليها - أي على رواية الترمذي - عوّل غالِب مَن شرح الأسماء الحسنى)[٤] .

٢ - ما أخرجه ابن ماجه[٥] من طريق عبد الملِك بن محمد الصنعاني[٦] مع اختلاف في سرد الأسماء ونقص وتقديم وتأخير[٧] .

وإذا نظرنا إلى رواية ابن ماجه نرى أنّها مخالِفة لما جاءت في رواية الترمذي ، في خمسة وعشرين اسما ، وهي :

القدّوس ، الغفّار ، القهّار ، الفتّاح ، الحَكَم ، العدْل ، الكبير ، الحفيظ ، المُقيت ، الحسيب ، الرّقيب ، الواسع ، الحميد ، المحصي ، المقتدر ، المقدّم ، المؤخّر ، البَرّ ، المنتقِم ، مالِك الملك ، ذوالجلال والإكرام ، المغني ، البديع ، الرشيد ، الصبور .

والأسماء التي جاءت في رواية ابن ماجه بدلَ هذا العددِ المذكورِ :

البارّ ، الجميل ، القاهر ، القريب ، الرّاشد ، الربّ ، المبين ، البرهان ، الشديد ، الوافي ، ذوالقوة ، القائم ، الدّائم ، الحافظ ، النّاظر ، السّامع ، المعطي ، الكافي ، الأَبَد ، العالِم ، الصادق ، المنير ، التّام ، القديم ، الوِتر .

---

(١) هو أبو عبد الملك الدمشقي ، ثقة ، وكان يدلّس تدليس التسوية قاله أبو زرعة الدمشقي ، توفي سنة ٢٣٧هـ ، تقريب التهذيب لابن حجر ، ١/ ٣٦٨ .

(٢) آدم بن أبي إياس : هو عبد الرحمن العسقلاني ، أصله خراساني ، نشأ ببغداد ، ثقة عابد ، توفي سنة ٢٢١هـ . تقريب التهذيب لابن حجر ، ١/٣٠ .

(٣) سنن الترمذي ، ٥/٥٣١ - ٥٣٢ .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ١١/٢١٦ .

(٥) هو محمد بن يزيد الربعي القزويني ، أبو عبد الله ، ابن ماجه : أحد الأئمة في علم الحديث توفي سنة ٢٧٣هـ . تهذيب التهذيب ، ٩/٥٣٠ ، والأعلام ، ٧/١٤٤ .

(٦) هو عبد الملِك بن محمد الحميري ، من أهل صَنعاء ، ليّن الحديث . ينظر : تقريب التهذيب لابن حجر ، ١/٥٢٢ ، وميزان الاعتدال للذهبي ، ٢/ ٦٦٣ .

(٧) ينظر : سنن ابن ماجه ، كتاب الدعاء ، باب أسماء الله - عز وجل - ٢/١٢٦٩ - ١٢٧٠ ، رقم ٣٨٧١ .

قال البوصيري [١] بعد سياقه لحديث الأسماء عند ابن ماجه: (لم يخرّج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء الله الحسنى من حديث أبي هريرة، ولا من غيره، سوى ابن ماجه والترمذي وابن حبان [٢] لكن طريق الترمذي بغير هذا السياق، وبزيادة ونقص وتقديم وتأخير، وطريق الترمذي أصح شيء في هذا الباب [٣]. وإسناد طريق ابن ماجه ضعيف لضعف عبد الملك بن محمد الصنعاني) [٤]. اهـ.

٣ ـ ما أخرجه الحاكم [٥] في المستدرك [٦] والبيهقي [٧] في الاعتقاد [٨] من طريق عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان [٩]، مع سرد الأسماء، وفيها اختلاف في الألفاظ و الترتيب.

---

(١) هو أحمد بن أبي بكر (عبدالرحمن ؟) البوصيري الكناني الشافعي، أبو العباس، شهاب الدين: من حفاظ الحديث، مصريّ، ولد سنة ٧٦٢هـ وتوفّي سنة ٨٤٠ هـ. الأعلام، ١٠٤/١.

(٢) هو محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم البستي، ويقال له: ابن حبّان: مؤرّخ علّامة، جغرافي، محدث ولد في بست (من بلاد سجستان)، ولا يعرف تاريخ ميلاده، وتوفي في بلده سنة ٣٥٤هـ. الأعلام ٧٨/٦

(٣) يشير بقوله (أصح شيء في هذا الباب) إلى أن ما ذكره الترمذي أرجح الأحاديث التي ذكرت فيها الأسماء، ولا يقصد بذلك الصحة بعينها. والله ـ تعالى ـ أعلم.

(٤) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، ٢٧٣/٢، (دراسة وتحقيق كمال يوسف الحوث، دار الجنان، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

(٥) هو محمد بن عبد الله النيسابوري، الشهير بالحاكم، أبو عبد الله: من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. ولد بنيسابور سنة ٣٢١هـ، وتوفي فيها سنة ٤٠٥هـ. الأعلام، ٢٢٧/٦.

(٦) المستدرك على الصحيحين، ١٧/١، قلت: أراد الحاكم بذكره هذا الحديث بهذا السند أن يجعله شاهدا لحديث الوليد بن مسلم، وأن ينفي به عن الوليد تفرُّدَه بسرد الأسماء.

وقال الحاكم: عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان ثقة وإن لم يخرجاه.

فتعقّبه الذهبي بقوله: بل ضعّفوه، وتعقبه أيضا ابن حجر في التلخيص، ١٧٢/٤، بقوله: بل هو متفق على ضعفه، وهاه البخاري وابن ماجه. اهـ كلامه.

(٧) هو أحمد بن الحسين، أبو بكر، من أئمة الحديث، فقيه، شافعي من الكبار، ولد و توفي في بيهق، ٣٨٤ - ٤٥٨هـ. الأعلام، ١١٦/١.

(٨) الاعتقاد على مذهب السلف، أهل السنة والجماعة للبيهقي، ص: ١٩.

(٩) هو عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان، أبو سهل، قال البخاري: ليس بالقوى، وقال ابن معين: ضعيف. وقال مسلم: ذاهب الحديث. ميزان الاعتدال للذهبي، ٢٢٧/٢.

وهذه بعض الروايات التي جاء فيها ذكر الأسماء الحسنى مسرودة .

قال البيهقي: (ويحتمل أن يكون التفسير[(١)] وقع من بعض الرواة ، وكذلك في حديث الوليد بن مسلم ، ولهذا الاحتمال ترك البخاري ومسلم إخراج حديث الوليد في الصحيح)[(٢)] . اهـ .

وقال ابن العربي: (ويحتمل أن يكون ذلك تفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- ويحتمل أن يكون ذلك عن غيره ، وهو الظاهر عندي)[(٣)] . اهـ .

وقال ابن حزم[(٤)]: (وقد جاءت أحاديث في إحصاء التسعة والتسعين اسما مضطربة ، لا يصح منها شيء أصلا ، فإنما تؤخذ من نص القرآن ، ومما صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-)[(٥)] . اهـ .

وقال ابن عطية[(٦)]: (ومن أسماء الله -تعالى- ما ورد في القرآن ، ومنها ما ورد في الحديث وتواتر[(٧)] ، وهذا هو الذي ينبغي أن يعتمد عليه ، وقد ورد في الترمذي حديث أبي هريرة ، ونصّ فيه تسعة وتسعين اسما ، وفي بعضها شذوذ ، وذلك الحديث ليس بالمتواتر[(٧)] وإنما المتواتر منه قول النبي -صلى الله عليه وسلم- " إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلاّ واحدا من أحصاها دخل الجنة" [(٨)])[(٩)] .

قال الغزالي[(١٠)]: (والغرض أن نبيّن أن الأسامي ليست هي التسعة والتسعين التي عددناها وشرحناها ، ولكن جرينا على العادة في شرح تلك الأسامي ، فإنها هي

---

(١) المراد بالتفسير: بيان أسماء الله الحسنى ، أو سردها .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ، ٣٢/١ .

(٣) عارضة الأحوذي ، بشرح صحيح الترمذي ، ٣٤/١٣ ، (دار الوحي المحمدي ، القاهرة) .

(٤) هو علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، أبو محمد : عالم الأندلس في عصره ، وأحد أئمة الإسلام ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ وتوفي في بادية لَبلة (من بلاد الأندلس) سنة ٤٥٦هـ الأعلام ، ٢٥٤/٤ .

(٥) المحلى لابن حزم ، ٣١/٨ ، (مكتبة دار التراث ، القاهرة ، بتحقيق أحمد محمد شاكر) .

(٦) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي ، أبو محمد : مفسر فقيه أندلسي ، عارف بالأحكام والحديث . ولد سنة ٤٨١هـ وتوفي سنة ٥٤٢هـ . الأعلام ، ٢٨٢/٣ .

(٧) لا يريد -والله أعلم- بالتواتر التواتر الاصطلاحي ، وإنما يريد به هنا الصحة ، وبالمتواتر يريد الصحيح ، وقال أبو حيان في تفسيره ، ٤٢٩/٤ : (تسميتُه هذا الحديث متواترا ليس على اصطلاح المحدثين في المتواتر ، إنما هو خبر آحاد) . اهـ كلامه .

(٨) تقدم تخريج هذا الحديث ، ص: ١٩ .

(٩) تفسير ابن عطية ، ١٥٥/٦ - ١٥٦ . ونقل ابن حجر كلامه في فتح الباري ، ٢١٥/١١ .

(١٠) هو محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد ، حجة الإسلام من أشهر علماء المسلمين ، وله مصنفات كثيرة ، مولده و وفاته في قصبة طوس بخراسان ، ٤٥٠-٥٠٥هـ الأعلام ، ٢٢/٧ .

الرواية المشهورة، وليست هذه التعديدات، والتفصيلات المروية عن أبي هريرة في الصحيحين، إنما الذي تشتمل عليه الصحاح قوله-صلى الله عليه وسلم-: "إنّ لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة"[١]. أما بيان ذلك وتفصيله، فلا)[٢]. اهـ.

وقال ابن تيمية: (إنّ التسعة والتسعين اسما لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي[٣] الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة[٤].

وحفّاظ أهل الحديث يقولون: هذه الزيادة ممّا جعله الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث، وفيها حديث ثان[٣] أضعف من هذا، رواه ابن ماجه)[٥]. اهـ.

وقال ابن كثير[٦]: (والذي عوّل عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث -أي حديث الترمذي- مدرج فيه)[٧]. اهـ.

وقال ابن حجر: (واختلف العلماء في سرد الأسماء، هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر من بعض الرواة، فمشى كثير منهم على الأول، واستدلوا به على جواز تسمية الله -تعالى- بما لم يرد في القرآن بصيغة الاسم، لأنّ كثيرا من هذه الأسماء كذلك، وذهب آخرون إلى أن التعيين مدرج لخلو أكثر الروايات عنه)[٨]. اهـ.

وأجاب ابن حجر لمن قال إنّ العلة في الحديث عند الشيخين تفرّد الوليد بن مسلم فقط فقال: (وليست العلة عند الشيخين تفرّد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه

---

(١) تقدّم تخريج هذا الحديث، ص: ١٩.

(٢) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للغزالي، ص: ١٦٥، (بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، نشر وطبع الجفان والجابي، القبرس).

(٣) الحديث الذي جاء فيه سرد الأسماء الحسنى.

(٤) هو شعيب بن أبي حمزة الأموي، مولاهم، أبو بشر الحمصي، ثقة عابد، قال ابن معين: من أثبت الناس في الزهري، توفي سنة ١٦٤هـ تقريب التهذيب لابن حجر، ١/٣٥٢.

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٢٢/٤٨٢ ينظر في نفس المرجع، ٦/٣٧٩، ٨/٩٦-٩٧.

(٦) هو إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء عماد الدين: حافظ، مؤرخ، مفسر، فقيه، ولد سنة ٧٠١هـ، وتوفي سنة ٧٧٤هـ. الأعلام، ١/٣٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير، ٢/٢٨٠، (دار المعرفة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)

(٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١١/٢١٥.

والاضطراب ، وتدليسه واحتمال الإدراج)[١]٠اهـ ٠

من كلّ ما سبق يتأكد لنا أن الأحاديث التي جاء فيها سرد الأسماء الحسنى، لا يصحّ رفعها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ،وأن تلك الزيادة مدرجة في الحديث، قد جمعها بعض الرواة ،إلاّ أن أكثر هذه الأسماء مذكورة في القرآن الكريم . والله -تعالى- أعلم بالصواب ٠

---

(١)فتح الباري لابن حجر،٢١٥/١١ ٠

المطلب الرابع : معنى قوله -صلى الله عليه وسلم- :"من أحصاها دخل الجنة " :

وأمّا معنى إحصاء أسماء الله -تعالى- ،الوارد في الحديث فهو: معرفتها وحِفظها وفهمها ، والإيمان بها ، وحسن المراعاة لها ، والمحافظة على حدودها في معاملة الله -عز وجل- ، ودعاء الله -تعالى- بها ، فإذا قال: يا رحمن ، يا رحيم ، تذكّر بقلبه الرحمة واعتقد أنها صفة من صفات الله -عز وجل- ، فيرجو رحمته ، ولا ييأس منها .وإذا قال : السميع البصير ، علم أنه يراه ويسمعه ، وأنّه -تعالى- لا تخفى عليه خافية ، فيخافه في سره وعلنه ، ويراقبه في كافه أحواله .وإذا قال: "الرزّاق " اعتقد أنّه -تعالى- المتكفّل برزقه ، يسوقه إليه في وقته ، فيثق بوعده ويعلم أنّه لا رازق له غيره ، ولا كافي له سواه (١) .. الخ .

ومعنى الإحصاء يحتمل هذا كله كما قال الخطابي (٢).

فيكون المعنى في الحديث: مَن حفظ (٣) الأسماء الحسنى ، وفهمها ، وعمل بمقتضاها ، ودعا ربّه -عز وجل- بها ، وأثنى عليه بها .معظِّما مقدِّسا دخل الجنة .

---

(١) ينظر: لمعنى الإحصاء: شأن الدعاء للخطابي ،ص: ٢٦- ٢٧ ، وغريب الحديث له ، ١/ ٧٣٠- ٧٣١ ، والأسماء والصفات للبيهقي ، ١/ ٣٠ ، وتفسير ابن عطيه ، ٦/ ١٥٦ ، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي ، ص: ٨٥ ، وتفسير القرطبي ، ٧/ ٣٢٥ ، وبدائع الفوائد لابن القيم ، ١/ ١٦٤ ، وفتح الباري لابن حجر ، ١١/ ٢٢٥- ٢٢٦ و ١٣/ ٣٧٨ ، وتحفة الذاكرين للشوكاني ،ص: ٥٣ ، وأسماء الله الحسنى للشيخ حسنين مخلوف ، ص: ٢١ .

(٢) غريب الحديث للخطابي ، ١/ ٧٣١ . (تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، من منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م) .

(٣) معنى الحِفظ جاء في رواية صريحة عند مسلم: "مَن حفظها دخل الجنة" . وهو جزء من الحديث الذي تقدّم تخريجه ، ص: ١٩ .

المطلب الخامس : بيان عدد أسماء الله - تعالى - الحسنى :

وأمّا أسماء الله -تعالى- الحسنى فلم يأت حصرُها ولا عدّها في آية من كتاب الله عز وجل - ، والذي ورد النص عليه مِن أنّ أسماء الله- تعالى - تسعةٌ وتسعون اسما كما جاء في صحيحي البخاري ومسلم: " إنّ لِلّه تسعةً وتسعين اسما -مائة إلّا واحداً - مَن أحصاها دخل الجنةَ " [1] فلا يفيد أنّها تنحصر بهذا العدد ، ولو كان المراد الحصرَ لَكانت العبارة : إنّ أسماء الله تسعة وتسعون اسما ، مَن أحصاها دخل الجنة ، أو نحو ذلك .

وذكر الإمام النووي [2] اتفاق العلماء على أنّ قول النبيّ -صلى الله عليه وسلم- لايفيد الحصر فقال : (إنّ هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه- سبحانه وتعالى - ، وليس معناه أنّه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين ، وإنّما مقصود الحديث : أنّ هذه التسعة والتسعين ، من أحصاها دخل الجنة ، فالمراد : الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء) [3].

وقد بوّب البيهقي في كتابه "الأسماء والصفات" ، فقال : (باب البيان أنّ لِلّه - جل شأنه - أسماءً أُخرَ .) [4].

ولمّا كان كتاب الله - تعالى - يشتمل على الأسماء الحسنى أكثر من العدد المذكور في الحديث ، يكون معنى الحديث - والله أعلم - : أنّ هذا العدد من شأنه أنّ مَن أحصاه دخل الجنة .

وعلى هذا فيكون قوله - صلى الله عليه وسلم - "من أحصاها دخل الجنة" جملةً مكملة لما قبلها ، وليست مستقلّة . ونظير هذا أن تقول : عندي مائة درهم أعددتها للصدقة ، فإنه لاينافي أن يكون عندك دراهم أخرى ، لم تعدها للصدقة ، أو أعددتها لغير الصدقة [5].

وقد استدل ابن حزم بظاهر الحديث على منع زيادة الأسماء الحسنى على التسعة والتسعين اسما ، فقال : (وأنّ له - عز وجل - تسعة وتسعين اسما - مائة غير واحد - وهي أسماؤه الحسنى ، مَن زاد شيئا من عند نفسه ، فقد ألحد في أسمائه ، وهي الأسماء المذكورة في القرآن

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث ، ص: ١٩ .

(٢) هو يحيى بن شرف الحزامي الحوراني ، النووي ، الشافعي ، أبو زكريا ، محيي الدين : علامة بالفقه والحديث ، ولد في "نوا" من قرى حوران بسورية ، سنة ٦٣١ هـ ، وتوفي فيها سنة ٦٧٦ هـ . الأعلام ، ١٤٩/٨ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ، ٥/١٧ .

(٤) الأسماء والصفات ، ٣٠/١ ، وانظر كتاب الاعتقاد له ، ص: ٢٠ .

(٥) ينظر : المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للغزالي ، (ص: ١٦٨ - ١٦٩) ، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي ، (ص: ٧٨) ، وشأن الدعاء للخطابي ، (ص: ٢٤) ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ، (٣٨١/٦ و ٢٢ / ٤٨٦) ، وفتح الباري لابن حجر ، (٢٢٠/١١) ، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه ، للشيخ محمد الصالح العثيمين ، (ص: ١٤) .

والسنة .. وقد صحّ أنها تسعة وتسعون اسما فقط، ولا يحلّ لأحد أن يجيز أن يكون له اسم زائد، لأنه - عليه السلام - قال: "مائة غير واحد" (١)، فلو جاز أن يكون له - تعالى - اسم زائد لكانت مائة اسم، ولو كان هذا لكان قوله - عليه السلام -: مائة غير واحد، كذبا، ومَن أجاز هذا فهو كافر.) (٢) اهـ.

وقد ردّ عليه ابن حجر فقال: (وهذا الذي قاله ليس بحجة على ما تقدّم، لأن الحصر المذكور عندهم باعتبار الوعد الحاصل لمن أحصاها، فمن ادعى على أنّ الوعد وقع لمن أحصى زائدا على ذلك أخطأ، ولا يلزم مِن ذلك أن لا يكون هناك اسم زائد.) (٣) اهـ.

إذاً، فما استُدِلّ بظاهر الحديث على أن أسماء الله - تعالى - تسعة وتسعون فقط وما رآه ابن حزم مِن أنّ الزيادة إلحاد فيها، غيرُ مسلّم، كما تبيّن آنفا.

والذي يدل على ما تقرّر من أنّ هناك أُسماء لله - عز وجل - أخرى، لم يخبرنا بها الخالق وإنّما استأثر بها في علم الغيب، ما ورد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "مَا أَصَابَ أَحَداً قَطُّ هَمٌّ وَلاَحَزَنٌ، فَقَالَ: اَللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْأَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْعَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوِاسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلاَءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي إِلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحَزَنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا". قال (٤): فقيل: يارسول الله ألا نتعلّمها؟ فقال: "بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا" (٥).

وقوله - صلى الله عليه وسلم - "استأثرتَ به في علم الغيب عندك" يدلّ على أنّ الأسماء غير محصورة فيما وردت به الروايات المشهورة. (٦)

والعلماء الذين بحثوا في الأسماء الحسنى ومعانيها قد تبيّنوا من هذه الحقيقة الحتميّة، ومن هؤلاء:

الخطّابي الذي قال بعد أن ذكر الحديث السابق: (فهو يدلّك على أنّ لله أسماءً لم ينزّلها في كتابه، حجبها عن خلقه، ولم يظهرها لهم.) (٧)

---

(١) جزء من الحديث الذي تقدم تخريجه، ص: ١٩.

(٢) المحلّى لابن حزم، ١/ ٣٠.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ٢٢١، وانظر للردّ على ابن حزم في هذه المسألة: ابن حزم وموقفه من الإلهيات، للدكتور أحمد بن ناصر، ص: ٢٠٩ - ٢١٣، (من منشورات مركز البحث العلمي، بجامعة أمّ القرى، ط الأولى ١٤٠٦ هـ).

(٤) القائل هو عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -، راوي هذا الحديث.

(٥) الحديث، أخرجه أحمد في المسند، (١/ ٣٩١ و ٤٥٢)، وابن حبان (٢٣٧٢) موارد، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٩ - ٥١٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند (٥/ ٢٦٦ - ٢٦٨ و ٦/ ١٥٣) إسناده صحيح.

(٦) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالي، ص: ١٦٦.

(٧) شأن الدعاء للخطابي، ص: ٢٥.

ويقول ابن العربي : (حلّق العلماء عليها ـ أي الأسماء الحسنى ـ ، وساروا إليها من جائر وقاصد ... والذي أدلّكم عليه أن تطلبوها في القرآن والسنة ، فإنها مخبوءة فيهما ، كما خبئت ساعة الجمعة في اليوم ، وليلة القدر في الشهر رغبة ...) [١] .

ويقول رحمه الله ـ في موضع آخر : (وقد شرحنا كلّ اسم في الأمد ـ وهو الكتاب الذي شرح فيه الأسماء الحسنى ـ على الاستيفاء ... فانتهتْ إلى ستة وأربعين ومائة) [٢] .

وقال ابن المرتضى [٣] ـ رحمه الله تعالى ـ : (.. والذي عرفت منها ـ أي الأسماء الحسنى ـ إلى الآن بالنص صريحا دون الاشتقاق في القرآن مائة وخمسة وخمسون ...) [٤] .

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : (والصواب الذي عليه جمهور العلماء أنّ قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "إنّ لله تسعةً وتسعين اسمًا مَن أحصاها دخل الجنّةَ" [٥] معناه : أنّ مَن أحصى التسعة والتسعين من أسمائه دخل الجنة ، ليس مراده أنه ليس له إلّا تسعة وتسعون اسما) [٦] ، ثم ساق الحديث السابق في دعاء الكرب .

وثبت ممّا سبق أن أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى التي مَن أحصاها دخل الجنة ، ليست شيئا معيّنا ، بل مَن أحصى تسعة وتسعين اسما من أسمائه ـ تعالى ـ الكثيرة ، دخل الجنة .

ولمّا كانت أسماء الله ـ تعالى ـ كثيرة اشتمل على بعضها كتابُ الله ـ سبحانه ـ والأحاديث الصحيحة ودلّ العقل على ثبوت مدلولاتها بأسرها في حق الله ـ تعالى ـ كان الأولى قبول عدم التعيين في الأسماء الحسنى ، وعدم حصرها على التسعة والتسعين . والله ـ تعالى ـ أعلم بالصواب .

---

(١) أحكام القرآن ، ٨٠٥/٢ .

(٢) المرجع السابق ، ٨٠٨/٢ .

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن المرتضى الحسني القاسمي ، أبو عبد الله ، عزّ الدين ، من آل الوزير : مجتهد ، باحث ، من أعيان اليمن ، ولد في هجرة الظهران (أحد جبال اليمن) سنة ٧٧٥ هـ ، وتوفي سنة ٨٤٠ هـ بصنعاء . (الأعلام : ٣٠٠/٥) .

(٤) إيثار الحق على الخلق لابن المرتضى اليمني ، ص : ١٥٩ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م) .

(٥) الحديث تقدّم تخريجه ، ص : ١٩ .

(٦) درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية ، ٣٣٢/٣ ، (تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م ، من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) .

المطلب السادس : بيان معاني الأسماء الحسنى الواردة في الرسالة :

كما تبيّن ممّا سبق أنّ للّه - تعالى - أسماء كثيرة ، ولهذه الأسماء الحسنى معانٍ لا تقف عند حدّ ، ولا يعلم بكنهها إلّا المسمَّى بها . وقد شرح العلماء [(١)] الأسماء الحسنى المرويّة أو المستخرجة من كتاب الله - تعالى - ، وسنة نبيّه - صلى الله عليه وسلم - .

ولمّا كان بحثي في مناسبة الأسماء الحسنى للآيات التي خُتمت بها ابتداء من سورة المائدة إلى آخر سورة المؤمنون ، رأيت توفية للغرض ، وإتماما للفائدة قدر استطاعتي ، أن أبيّن معاني الأسماء الحسنى التي ذُكرت في ميدان البحث ، وعددُها : سبعة وثلاثون اسما ، ولم أذكر الأسماء الحسنى الأخرى لكثرتها ، وكثرة المؤلفات فيها ، ويسر وسهولة العثور على هذه المؤلفات ، وعدم خفاء معناها على القارئ لهذه المؤلفات .

وإليك معاني سبعة وثلاثين اسما من الأسماء الحسنى :

١- اللّه :اسم لم يسمَّ به غيره - تبارك وتعالى - ، ولهذا لا يعرَّف له في كلام العرب اشتقاق ، فهو اسم جامد عند كثير من أهل العلم ، وقيل : مشتق من : أَلِه يأله إلاهة أي : عَبَدَ يعبُد عبادة ، فالله - عزوجل - المعبود بحق ، وقيل : مشتق من : أَلِهت إلى فلان أي : سكنت اليه ، فالعقول لا تسكن إلّا بذكره ، والنفوس لا تطمئن إلّا به ، والأرواح لاتفرح إلّا بمعرفته ، لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره - تعالى - :﴿ ... **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [(٢)]، وقيل : مشتق من : وله : إذا تحيّر ، لأنه - تعالى - يُتحيّر في الفكر في صفاته وعظمته [(٣)].

---

(١) إنّ العلماء الذين تناولوا شرح الأسماء الحسنى كثيرون ، منهم من أفرده بالتأليف كأبي إسحاق الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ ، في كتابه "**تفسير أسماء الله الحسنى**" مطبوع ، وأبي القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٤٠هـ ، في كتابه " **اشتقاق أسماء الله** " مطبوع ، وأبي بكر البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، في كتابه " **الأسماء والصفات** " مطبوع ، وأبي حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، في كتابه "**المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**" مطبوع ، وأبي بكر بن العربي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ ، في كتابه "**الأمد الأقصى في معرفة أسماء الله الحسنى**" مخطوط ، منه نسخة مصورة بالميكروفيلم في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، تحت رقم ١٦٣ و ١٦٤ ، وأبي عبد الله فخرالدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ ، في كتابه "**لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات**" مطبوع ، وأبي عبد الله القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ ، في كتابه "**الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله تعالى الحسنى**" مخطوط ، منه نسخة مصورة بالميكرو فيلم في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، تحت رقم ٣٠٤ ، العقيدة . ومن العلماء كثيرون ذكروا معاني الأسماء الحسنى في ثنايا كتبهم كأبي سليمان الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ ، في كتابه " **شأن الدعاء** " مطبوع ، وابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ ، في كتابه "**النهاية في غريب الحديث والأثر**" مطبوع ، ومن هؤلاء : المفسرون كالإمام الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ ، والشوكاني المتوفى ١٢٥٠هـ .

(٢) سورة الرعد ، من الآية : ٢٨ .

(٣) في رحاب أسماء الله الحسنى للدكتور محمد عجّاج الخطيب ، ص : ٣٠ (مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) . يراجع : تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ، ص : ٢٥- ٢٦ تفسير القرطبي ، ١/١٠٢ - ١٠٣ ، تفسير ابن كثير ، ١/٢٠ - ٢١ .

ولفظ الجلالة (**الله**) علَمٌ على المعبود بحقٍ دلالة جامعة لجميع معاني الأسماء الحسنى [١]، وهو أعظم أسمائه - تعالى -، حيث إن الأسماء الحسنى الأخرى تعرَّف بالإضافة إليه ، فيقال : الصبور والشكور والعزيز والجبار من أسماء الله - عز وجل -، ولا يقال : الله من من أسماء الشكور والصبور ، لأنّ "الله" (أدلّ على كنه المعاني الإلهية وأخص بها ، فكان أشهر وأظهر ، فاستغني عن التعريف بغيره ، وعرّف غيرُه بالاضافة إليه) [٢].

٢ - **البصير** : قال - تعالى - : ﴿**... وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾ [٣]، والبصير : المدرِك لكلّ مبصَر [٤]. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي : (البصير : الذى يبصر كل شيء، وإن رقّ وصغُر فيبصر دبيبَ النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء) [٥].

٣ - **التواب** : قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿**... إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [٦].

التواب : فعّال من تاب يتوب ، ومعناه : الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين [٧].

قال القرطبي : (تقول : آب وتاب وثاب وناب ، كلّ ذلك : رجع ، والتوبة : الرجوع عن الذنب ، والتوبة الشرعية : الندم على ما وقع التفريط فيه ، لرعاية حقوق الله - تعالى -، ويظهر صدق الندم على الجوارح بالإقلاع والانفكاك في كل ما يتمكّن منه ، فيَصل الرحِمَ التي قَطَعَها ، ويعيد الصلاة التي كان تركها ، ويردّ الأموال التي كان آخِذَها ، إلى غير ذلك ممّا كان اقترفه ، وخالف فيه أمر ربه واجترحه ، فهذا تفسير توبة العبد من الذنب) [٨].

وأمّا توبة الله - تعالى - على عبده فنوعان : (أحدهما : أنه يوقع في قلب عبده التوبة إليه والإنابة إليه ، فيقوم بالتوبة وشروطها من الإقلاع من المعاصي ، والندم على فعلها، والعزم على أن لا يعود إليها واستبدالها بعمل صالح . والثاني : توبتُه على عبده بقبولها وإجابتها ومحو الذنوب بها) [٩].

٤ - **الحفيظ** : قال الله - تعالى - : ﴿**... وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**﴾ [١٠]، وهو فعيل بمعنى فاعل [١١]، والحفظ - في اللغة - : الحِراسة والرعاية [١٢]. والحفيظ له معنيان في أسماء الله - تعالى - الحسنى : أنّه - تعالى - لايعزب عنه شيء في السموات ولا في الأرض [١٣]، يحفظ على عباده أعمالهم ، من خير وشر ، وطاعة ومعصية ، وعلى هذا يرجع معناه إلى العلم ، فإنّ علمه - سبحانه وتعالى - محيط بجميع أعمالهم ظاهرها وباطنها ، ويجازيهم عليها بفضله وعدله .

---

(١) ينظر : تحفة الذاكرين للشوكاني ، ص : ٥٥ (مكتبة المثنى ، القاهرة) .
(٢) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى للغزالي، ص : ٦١ (عناية بسّام عبدالوهاب الجابي ، الجفان والجابي للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .
(٣) سورة البقرة ، من الآية : ٩٦ .
(٤) تحفة الذاكرين للشوكاني ، ص : ٥٥ .
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ٦٢٢/٥، (طبعة ١٤٠٤هـ ، الرياض) .
(٦) سورة التوبة ، الآية : ١١٨ .
(٧) تفسير السعدي ، ٦٢٣/٥ .
(٨) الكتاب الأسنى للقرطبي، لوحة : ٣٧٧ أ .
(٩) الحق الواضح المبين للشيخ السعدي، ص : ٧٤، (دار ابن القيم ، الطبعة الأولى) .
(١٠) سورة سبأ، من الآية : ٢١ .
(١١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ص : ١٦ (تحقيق السيد أحمد صقر) .
(١٢) القاموس المحيط ، مادة (حفظ) ، ص : ٨٩٧ .

وثانيهما : أنّه ـ تعالى ـ الحافظ لأوليائه من جميع ما يكرهون ، ويحفظهم عن المهالك ويعصمهم عن مكائد الشياطان ، وعلى هذا يرجع معناه إلى الحراسة ، وهي ضدّ التضييع (١) .

٥ ـ **الحفيّ** : قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ ... إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾(٢) ، يقال : أحفى فلان بصاحبه ، وحفي به ، وتحفّى ، أي : بالغ في برّه ، والسؤال عن حاله (٣) . والحفيّ اسم من الأسماء الحسنى (٤) ، قال الراغب : (الحفيّ : البرّ اللطيف) (٥) . قال القرطبي : (الحفي : المبالغ في البرّ والألطاف) (٦) ، وقال ـ رحمه الله تعالى ـ في الكتاب الأسنى : (فهذا الاسم مشترك يقع على معانٍ متعدّدة ، وأكثر رجوعه إلى اسم " البرّ " ، إلّا أن فيه مبالغة في البرّ والألطاف والإكرام والإسعاف) (٧) .

٦ ـ **الحكيم** : قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ ... وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٨) ، قال الزجاج : (وأصل : حكم ، في الكلام : المنع ، وسمّي الحاكم حاكما لأنه يمنع الخصمين من التظالم) (٩) ، قال ابن الأثير (١٠) : (الحَكَم والحكيم بمعنى الحاكم ، وهو القاضي ، والحكيم : فعيل بمعنى فاعل ، أو هو الذي يُحكم الأشياء ويتقنها ، فهو فعيل بمعنى مُفعل ، وقيل : الحكيم : ذو الحكمة ، والحكمةُ عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم) (١١) .

٧ ـ **الحليم** : قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ ... والله غفور حليم ﴾(١٢) ، والحِلم ـ في اللغة ـ الأناة والعقل (١٣) . قال ابن جرير (١٤) في معنى اسمه ـ تعالى ـ : " **الحليم** " : (أنه ذو أناة ، لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم) (١٥) . وقال الخطابي : (هو ذو الصفح ، والأناة ، الذي لا يستفزّه غضب ولا يستخفه جهل جاهل ، ولا عصيان عاص ، ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم ، إنّما الحليم هو الصفوح مع القدرة ، والمتأني الذي لا يعجل بالعقوبة) (١٦) .

---

(١) ينظر : شأن الدعاء للخطابي ، ص : ٦٧ ، كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ، ١/١٢٦ ، تفسير ابن الجوزي ، ٤/١٢٠ ، الحق الواضح المبين للسعدي ، ص : ٥٩ ـ ٦٠ .

(٢) سورة مريم ، من الآية : ٤٧ .

(٣) النهاية لابن الأثير ، ١/٤٠٩ .

(٤) ينظر : الكتاب الأسنى للقرطبي ، لوحة ٣٤٦ب ، فتح الباري لابن حجر ، ١١/٢١٩ .

(٥) المفردات في غريب القرآن ، ص : ١٢٥ .

(٦) تفسير القرطبي ، ١١/١١٣ .

(٧) الكتاب الأسنى للقرطبي ، لوحة ٣٤٧ب .

(٨) سورة النساء ، من الآية : ٢٦ .

(٩) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ، ص : ٤٣ .

(١٠) هو المبارك بن محمد الجزري ، أبو السعادات ، مجدالدين : المحدث اللغوي الأصولي ، ولد في جزيرة سنة ٥٤٤ هـ ، وتوفي في الموصل سنة ٦٠٦هـ . (الأعلام : ٥/٢٧٢) .

(١١) النهاية لابن الأثير ، ١/٤١٨ ـ ٤١٩

(١٢) سورة البقرة ، من الآية : ٢٢٥ .

(١٣) القاموس المحيط ، ص : ١٤١٦ ، لسان العرب ، ١٢/١٤٦ ، مادة (حلم) .

(١٤) هو محمد بن جرير الطبري ، أبو جعفر : المؤرخ المفسر الإمام ، ولد في آمال طبرستان سنة ٢٢٤هـ وتوفي في بغداد سنة ٣١٠هـ . (الأعلام : ٦/٦٩) .

(١٥) تفسير الطبري ، ٢/٥٢٨ .

(١٦) شأن الدعاء للخطابي ، ص : ٦٣ .

٨ - الخبير : قال الله - تعالى -:﴿...وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[(١)]، والخبير: (العليم ببواطن الأمور ، وخفيتها ، من الخبرة ، وهي العلم بالخفايا الباطنة)[(٢)].

قال الغزالي: (الخبير هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة ، فلا يجري في الملك ، والملكوت شيء ، ولاتتحرّك ذرّة ، ولاتسكن ولاتضطرب نفس ولاتطمئن إلّا ويكون عنده خبرُها . وهو بمعنى العليم ، ولكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمّي خبرة ، وسمّي صاحبها خبيرا)[(٣)].

٩ - الخلّاق : قال الله - سبحانه وتعالى-:﴿...إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[(٤)]، الخلّاق: فعّال للمبالغة[(٥)]، ومعناه: الخالق خلقا بعد خلق[(٦)]، وهو اسم من مادة الخلق، والخلق: (أصله : التقدير المستقيم ، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، وليس الخلق الذي هو الإبداع إلّا لله - تعالى-)[(٧)].

١٠ - الرحيم : قال الله - تعالى-:﴿...إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[(٨)]، والرحيم اسم من أسمائه - تعالى- ، مشتق من الرحمة على وجه المبالغة ، وهذا الاسم قد يطلق على غير الله، فيقال: رجل رحيم ، بخلاف الرحمن ، فهو مختص بالله - عزوجل -[(٩)]. والرحيم اسمه - تعالى- والرحمة صفته ، تليق بعظمته وجلاله .

١١ - الرؤوف : قال الله - سبحانه وتعالى-:﴿...إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[(١٠)] والرؤوف: ذو رأفة[(١١)]، وهي أشدّ الرحمة وأبلغها[(١٢)]. قال الخطابي: (هو الرحيم العاطف برأفته على عباده)[(١٣)].

١٢ - السميع : قال الله - تعالى -:﴿...إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[(١٤)]، والسميع: المدرِك لكلّ مسموع[(١٥)]، وسمعُ الله - تعالى- نوعان: (أحدهما عام ، وهو سمعُه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة الخفية والجلية ، وإحاطته التامة بها . والثاني خاص ، وهو سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين ، فيجيبهم ويثيبهم)[(١٦)].

---

(١) سورة آل عمران ، من الآية: ١٥٣ .
(٢) أسماء الله الحسنى للشيخ حسنين مخلوف، ص: ٥١، (دار المعارف بمصر).
(٣) المقصد الأسنى للغزالي، ص: ١٠٣ .
(٤) سورة الحجر، من الآية: ٨٦ .
(٥) اشتقاق أسماء الله للزجاجي، ص: ١٦٦ (تحقيق الدكتور عبدالحسين المبارك، الطبعة الأولى)
(٦) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ، ١/٥٩ .
(٧) المفردات للراغب ، ص: ١٥٧ .
(٨) سورة الإسراء ، من الآية: ٦٦ .
(٩) ينظر: المقصد الأسنى للغزالي، ص: ٦٢ - ٦٣ ، تفسير ابن كثير، ١/٢٢ ، أسماء الله الحسنى لرجائي محمد المصري المكي، ص: ٨، (مكتبة التوعية الإسلامية، الطبعة الثانية) .
(١٠) سورة البقرة ، من الآية: ١٤٣ .
(١١) تفسير الطبري ، ٢/١٨ .
(١٢) ينظر: الفروق اللغوية، ص: ١٦١، (دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ)، لسان العرب، ٩/١١٢ .
(١٣) شأن الدعاء للخطابي ، ص: ٩١ .
(١٤) سورة البقرة ، من الآية: ١٢٧ .
(١٥) تحفة الذاكرين للشوكاني ، ص: ٥٥، نزل الأبرار للسيد محمد صديق خان ، ص: ١٣٤ .
(١٦) شرح القصيدة النونية لابن القيم، ٢/٦٨، (شرح و تحقيق الدكتور محمد خليل هراس).

١٣ - **الشهيد** : قال الله - تعالى - : ﴿...وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (١)، قال الخطابي : (هو الذي لايغيب عنه شيء ، يقال : شاهد و شهيد ، كعالم وعليم ، أي : كأنه الحاضر الشاهد الذي لايعزب عنه شيء) (٢).

وقال الغزالي : (فإذا اعتُبر العلم مطلقا فهو العليم ، وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير ، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد . وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم و شاهد منهم) (٣).

١٤ - **العزيز** : قال الله - تعالى- : ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤)، قال ابن الأثير : (هو الغالب القويّ الذي لا يغلب ، والعزةُ في الأصل : القوة والشدة والغلبة ، تقول : عزّ يعِزّ - بالكسر - : إذا صار عزيزا ، وعزّ يعَزّ - بالفتح - : إذا اشتدّ) (٥). وقيل : هو الذي لا مثيل له و لا نظير (٦).

١٥ - **العفوّ** : قال الله - سبحانه وتعالى- : ﴿...إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (٧)، قال في المصباح المنير : (عفا الله عنك ، أي : محا ذنوبك) (٨)، و العفوّ : (هو الذي يمحو السيّئات ، ويتجاوز عن المعاصي ، وهو قريب من الغفور ، ولكنه أبلغ منه ، فإنّ الغفران ينبيء عن الستر ، و العفو ينبيء عن المحو ، و المحو أبلغ من الستر) (٩).

١٦ - **العليم** : قال الله - تعالى - : ﴿...وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٠) ، والعليم أي : العالمُ ، المحيطُ علمُه بجميع الأشياء ، ظاهرها و باطنها ، ودقيقها و جليلها ، على أتمّ العلم وكماله ، والفعيلُ من أبنية المبالغة (١١).

١٧ - **العلّام** : قال الله - تعالى - على لسان عيسى - عليه الصلاة والسلام - : ﴿...تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (١٢)، والعلّام بمعنى العليم وبناء الفعّال بناء التكثير ، والعلمُ لله صفة قائمة بذاته (١٣).

---

(١) سورة النساء ، من الآية : ٧٩ .

(٢) شأن الدعاء للخطابي ، ص : ٧٥ ، ذكر مثله ابن الأثير في جامع الأصول ، ٤/١٧٩ .

(٣) المقصد الأسنى ، للغزالي ، ص : ١٢٦ .

(٤) سورة النحل ، من الآية : ٦٠ .

(٥) النهاية لابن الأثير ، ٣/٢٢٨ .

(٦) ينظر : تفسير القرطبي ، ٢/١٣١، البحر المحيط ، ٥/٥٠٥ ، لسان العرب ، ٥/٣٧٤ .

(٧) سورة النساء ، من الآية : ٤٣ .

(٨) المصباح المنير للفيّومي ، ٢/٤١٨ (المكتبة العلمية ، بيروت) .

(٩) المقصد الأسنى للغزالي ، ص : ١٤٠ .

(١٠) سورة آل عمران ، من الآية : ١٥٤ .

(١١) ينظر : شأن الدعاء للخطابي، ص : ٥٧ ، موسوعة "له الأسماء الحسنى" للشرباصي، ١/١٢٤ . مع الله في أسمائه وصفاته ، لعليّ أحمد عثمان ، ص : ٤٣ . (الدار السعودية، الطبعة الأولى) .

(١٢) سورة المائدة ، من الآية : ١١٦ .

(١٣) ينظر : شأن الدعاء للخطابي، ص : ١٠٣ ، الاعتقاد للبيهقي ، ص : ٢٩ ، (دار الكتب العلمية الطبعة الأولى) .

قال الحليمي [١]: (معناه: العالم بأصناف المعلومات على تفاوتها، فهو يعلم الموجود ويعلم ما هو كائن، وأنه إذا كان كيف يكون، ويعلم ما ليس بكائن، وأنه لو كان كيف كان) [٢]

١٨ - الغفور : قال الله - تعالى -: ﴿...إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٣]، قال الزجاج: (أصل الغفر - بسكون الفاء -: الستر والتغطية ... ومعنى الغفر في الله - سبحانه وتعالى - هو الذي يستر ذنوب عباده ويغطيهم بستره) [٤]، والغفور: (هو الذي تكثر منه المغفرة وبناء فعول: بناء المبالغة في الكثرة) [٥].

١٩ - الغنيّ : قال الله - تعالى -: ﴿...وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ...﴾ [٦]، تقول اللغة: الغِنى - كإلى -: التزويج وضد الفقر [٧]، والغنيّ: (هو الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء، وكلّ أحد يحتاج إليه، وهذا هو الغِنى المطلق، ولا يشارك اللهَ - تعالى - فيه غيره) [٨].

٢٠ - الفعّال لما يريد : قال الله - تعالى -: ﴿...إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [٩]، والفعّال اسم مبني لمبالغة الفعل، فهو يجري في ضروب من صفاته - عزوجل -، نحو جبّار وخلّاق ورزّاق [١٠]، وإنّما قال " فعّال" لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة [١١] من الإحياء والإماتة والإعزاز والإذلال..، قال الحليمي: (ومنها: الفعّال لما يريد، ومعناه: الفاعل فعلا بعد فعل كلّما أراد فعل، وليس كالمخلوق الذي إن قدر على فعل عجز عن غيره) [١٢]، وقال ابن كثير في معناه: (مهما أراد شيئا فعله، لا معقّب لحكمه، ولا يسأل عمّا يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله) [١٣].

٢١، ٢٢ - القدير والمقتدر : ورد اسمه - تعالى - " القدير" في خمسة وأربعين موضعا من كتاب الله - عز وجل -، منها قوله - تعالى -: ﴿...إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١٤] وأمّا المقتدر فورد في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله - تعالى -: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [١٥].

---

(١) هو الحسين بن الحسن البخاري الجرجاني، أبو عبد الله: فقيه شافعي، قاض، كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر، مولده بجرجان ووفاته في بخارى، (٣٣٨- ٤٠٣هـ) الأعلام ٢/٢٣٥
(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، ١/١٩٩، (دار الفكر، الطبعة الأولى).
(٣) سورة البقرة، من الآية: ١٧٣.
(٤) تفسير أسماء الله الحسنى، ص: ٣٦ - ٣٧.
(٥) شأن الدعاء للخطابي، ص: ٦٥.
(٦) سورة محمد، من الآية: ٣٨.
(٧) القاموس المحيط، مادة (غني)، ص: ١٧٠٠.
(٨) النهاية لابن الأثير، ٣/٣٩٠.
(٩) سورة هود، من الآية: ١٠٧.
(١٠) اشتقاق أسماء الله للزجاجي، ص: ١٥٢.
(١١) تفسير الشوكاني، ٥/٤١٤، أثناء تفسير الآية (١٦) من سورة البروج.
(١٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، ١/١٩٨، الأسماء والصفات للبيهقي، ١/٨١.
(١٣) تفسير ابن كثير، ٤/٥٣٠، أثناء تفسير الآية (١٦) من سورة البروج.
(١٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٠.
(١٥) سورة الكهف، من الآية: ٤٥.

قال ابن الأثير: (في أسماء الله - تعالى -: القادر والمقتدر والقدير، فالقادر اسم فاعل من قدر يقدر، والقدير فعيل منه، وهو للمبالغة، والمقتدر مفتعل من اقتدر، وهو أبلغ)(١)

قال السعدي: (القدير: كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبّرها، وبقدرته سوّاها وأحكمها، وبقدرته يحي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئا قال له "كن فيكون")(٢).

٢٣ - القريب: والقريب: نقيض البعيد(٣)، وهو "فعيل" لايكون منه غير لفظه(٤)

قال الخطابي: (القريب: معناه: أنه قريب بعلمه من خلقه، وقريب ممّن يدعوه بالإجابة كقوله - تعالى -: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ.)(٥).

وعلى هذا فالقُرب في حق الله - تعالى - نوعان(٦):

أحدهما: قُرب عام: وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء، وهو أقرب إلى الانسان من حبل الوريد، قال - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾(٧)

ثانيهما: قُرب خاص: وهو قرب بالداعين، وهوقرب يقتضي الإجابةَ للداعين، والقبولَ والإثابة للعابدين.

٢٤ - القهّار: هذا الاسم الكريم مشتق من القهر، والقهرُ - في اللغة -: الغلبة(٨)

قال في المصباح المنير: (قهره قهرا: غلبه، فهو قاهر، وقهّار: مبالغة)(٩)، فالله - عز وجل - هو القهار، قال الله - تعالى -: ﴿ ...وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾(١٠).

قال الشيخ السعدي: (**القهّار**: هو الذي قهر جميع الكائنات، وذلّت له جميع المخلوقات ودانت لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالم العُلوي والسُفلي، فلا يحدث حادث، ولا يسكن ساكن إلّا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله - تعالى - ...)(١١).

---

(١) النهاية لابن الأثير، ٢٢/٤.
(٢) تفسير السعدي، ٦٢٤/٥ - ٦٢٥.
(٣) لسان العرب، مادة (قرب)، ٦٦٢/١.
(٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ص: ١٧ - ١٨، اشتقاق أسماء الله للزجاجي، ص: ١٤٦.
(٥) سورة البقرة، من الآية: ١٨٦. شأن الدعاء للخطابي، ص: ١٠٢-١٠٣.
(٦) تفسير السعدي، ٦٣٠/٥، الحق الواضح المبين له، ص: ٦٤.
(٧) سورة ق، الآية: ١٦.
(٨) الصحاح للجوهري، مادة (قهر)، ٨٠١/٢، القاموس المحيط، مادة (قهر)، ص: ٦٠١.
(٩) المصباح المنير، ٥١٨/٢.
(١٠) سورة الرعد، من الآية: ١٦.
(١١) الحق الواضح المبين للسعدي، ص: ٧٦.

٢٥ - القويّ : قال الله - تعالى - : ﴿...إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾[(١)]، والقويّ : هو ذو القوة التامة البالغة إلى الكمال الذي لا يلحقه ضعف ، ولايستولي عليه العجز في حال من الأحوال ، وقد يكون بمعنى القادر ، لأن مَن قوي على شيء فقد قدر عليه ، ولو وُصف المخلوق بالقوة أحيانا فهي قوة محدودة ، لها نهاية ، وعن بعض الأمور قاصرة ، أمّا قوته - سبحانه وتعالى - فلا نهاية لها ، ولايحدّها حدّ ، ولا تقصر عن شيء ، ولا يعجزه شيء، فهي قوة مطلقة[(٢)].

٢٦ - الكبير : قال الله - تعالى - : ﴿ ...وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[(٣)]، والكبير : (هو الموصوف بالجلال ، وكِبر الشأن ، فصغُر دون جلاله كلّ كبير . ويقال : هو الذي كبُر عن شبه المخلوقين)[(٤)]، قال القرطبي : (الكبير : الذي كل شيء دونه)[(٥)].

٢٧ - اللطيف : قال الله - عز وجل - : ﴿...وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[(٦)]، قال الزجاج : (أصل اللطف في الكلام : خفاء المسلك ، ودقّة المذهب ، واستعماله في الكلام على وجهين يقال : فلان لطيف ، إذا وُصف بصِغر الجُرم .. ، وفلان لطيف في علمه : يراد به أنه دقيق الفِطنة .. ، وهو في وصف الله - تعالى - : يفيد أنه المحسن إلى عباده في خفاء ، وسِتر من حيث لا يعلمون ، ويسبّب لهم أسباب معيشتهم من حيث لا يحتسبون)[(٧)].

قال في النهاية : (اللطيف : الذي اجتمع له الرِفق في الفعل ، والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلى مَن قدّرها له من خلقه)[(٨)].

وقد أشار الشيخ السعدي إلى أن لِلّطيف من أسمائه الحسنى معنيين[(٩)] :

أولا : اللطيف : الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا ، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة .

ثانيا : اللطيف : الذي يلطف بعباده المؤمنين ، الذين يريد أن يتمّ عليهم إحسانه ، ويشملهم بكرمه ، ويرقيهم إلى المنازل العالية ، ويُجري على بعضهم من أصناف المِحن التي يكرهونها وتشقّ عليهم ، وهي عين صلاحهم ، والطريق إلى سعادتهم ...

---

(١) سورة هود ، من الآية : ٦٦ .
(٢) ينظر : شأن الدعاء للخطابي ، ص : ٧٧ ، تحفة الذاكرين للشوكاني ، ص : ٥٦ ، في رحاب أسماء الله الحسنى ، للدكتور محمد الخطيب ، ص : ٨٣ .
(٣) سورة سبأ ، من الآية : ٢٣ .
(٤) شأن الدعاء ، ص : ٦٦ ، قال البيهقي مثلَه في الاعتقاد ، ص : ٢٣ .
(٥) تفسير القرطبي ، ٢٨٩/٩ .
(٦) سورة الملك ، من الآية : ١٤ .
(٧) تفسير أسماء الله الحسنى ، ص : ٤٤ - ٤٥ .
(٨) النهاية لابن الأثير ، ٢٥١/٤ .
(٩) تفسير الشيخ السعدي ، ٦٢٥/٥ ، الحق الواضح المبين له ، ص : ٦١ - ٦٢ ، بتصرف يسير .

٢٨ - المتعالي: قال الله - تعالى - :﴿ **عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ** ﴾[١]، والمتعالي: (هو المتفاعل من العلوّ، والله - تعالى - عال ومتعال وعليّ)[٢]، ومعناه: هو الذي له العلوّ المطلق من جميع الوجوه، علوّ الذات، وعلوّ القدر والصفات، وعلوّ القهر[٣].

٢٩ - المجيب: قال الله - سبحانه وتعالى - :﴿ **...إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ** ﴾[٤]، والمجيب في أسماء الله - تعالى - الحسنى: هو الذي يقابل الدعاء والسؤال بالقبول والعطاء[٥]

٣٠ - المجيد: قال الله - تعالى - :﴿ **...إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ** ﴾[٦]، والمجيد: هو الموصوف بصفات المجد، والمجدُ - في اللغة - : الكرم والشرف[٧].

قال الرازي[٨]: (والمجيد فعيل من الماجد، كالعليم من العالم، والقدير من القادر، وفي المجد قولان:

أحدهما: أنه الشرف التام الكامل، قال - تعالى - :﴿ **قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ** ﴾[٩] أي: الشريف، فللّه الشرف والمجد والعلوّ والعظمة في ذاته وصفاته وأفعاله.

الثاني: أن المجد في أصل اللغة عبارة عن السعة، يقال: رجل ماجد: إذا كان سخيا مفضلا كثير الخير، قال - تعالى - :﴿ **قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ** ﴾[٩]، وَصَفَه بالمجد لكثرة فوائده، إذا عرفتَ هذا فالمجيد في وصف الله - تعالى - يدل على كثرة إحسانه وافضاله)[١٠].

٣١ - المحيط: قال الله - تعالى - :﴿ **...وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ** ﴾[١١] (والمحيط في اللغة: اسم فاعل من قولهم: أحاط فلان بالشيء فهو محيط به إذا استولى عليه، وضمّ جميع أقطاره ونواحيه، حتى لا يمكن التخلّص منه، ولا فوته)[١٢].

قال الخطابي: (المحيط: هو الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وهو الذي أحاط بكل شيء علما وأحصى كلّ شيء عددا)[١٣].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٩.
(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج، ص: ٦١.
(٣) تفسير الشيخ السعدي، ٦٢٣/٥ و ٩٣/٤.
(٤) سورة هود، من الآية: ٦١.
(٥) ينظر: شأن الدعاء للخطابي، ص: ٧٢، تفسير الشيخ السعدي، ٦٣٠/٥.
(٦) سورة هود، من الآية: ٧٣.
(٧) لسان العرب، مادة (مجد)، ٣٩٥/٣.
(٨) هو محمد بن عمر التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، ولد في الريّ سنة ٥٤٤ هـ، وتوفي في هراة سنة ٦٠٦ هـ. (الأعلام: ٣١٣/٦).
(٩) سورة ق، الآية: ١.
(١٠) شرح أسماء الله الحسنى، للرازى، ص: ٢٨٨ - ٢٨٩.
(١١) سورة الأنفال، من الآية: ٤٧.
(١٢) اشتقاق أسماء الله، للزجاجي، ص: ٤٦.
(١٣) شأن الدعاء للخطابي، ص: ١٠٢، ذكر مثلَه البيهقي في الاعتقاد، ص: ٢٩.

٣٢ ـ المولى : قال ـ تعالى ـ :﴿ ...نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾(١) قال الحليمي في معنى المولى : (إنه المأمول منه النصر والمعونة)(٢)،قال الخطابي : (والمولى : الناصر المعين)(٣).

٣٣ ـ النصير : قال الله ـ تعالى ـ :﴿ ...نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾(١) ، قال الحليمي في معنى النصير : (إنه الموثوق منه بأن لايُسلم وليّه ولايخذله)(٤)، قال الخطابي (النصير : فعيل بمعنى فاعل ،كما تقول : قدير وقادر ، وعليم وعالم)(٣).

٣٤ ـ الواحد : قال الطبري في معنى الواحد : (لا مثيل له ولا نظير)(٥)،وقال الزجاجي: (الواحد : الفرد الذي لا ثاني له من العدد ، فالله ـ عزوجل ـ الواحد الأول الأحد الذي لا ثاني له ولا شريك ولا مثل ولا نظير)(٦).

٣٥ ـ الواسع : قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ :﴿...إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٧)، والواسع هو الغنيّ ، والسعة : الغِنى(٨)، قال ابن الأثير : (هو الذي وسع غِناه كلّ فقير ورحمتُه كلّ شيء)(٩)، وقيل : الذي لاحدود لمدلول أسمائه وصفاته : واسع العلم ، واسع الرحمة ، واسع المغفرة ، واسع الجود والكرم ...(١٠).

٣٦ ـ الودود : قال الله ـ تعالى ـ :﴿ ...وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾(١١)، والودود : فعول بمعنى مفعول ، من الودّ : المحّبة ، يقال: وددت الرجل أودّه ودّاً ، إذا أحببته . فالله ـ تعالى ـ مودود : أي : محبوب في قلوب أوليائه ، أو هو فعول بمعنى فاعل ، أي : أنه يحبّ عباده الصالحين (١٢).

٣٧ ـ الوكيل : قال الله ـ تعالى ـ :﴿ ...وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾(١٣)،والوكيل فعيل بمعنى مفعول ، فالوكيل في أسمائه ـ تعالى ـ : (أنه الكفيل بأرزاق العباد ، والقائم عليهم بمصالحهم ، وحقيقتُه : أنه الذي يستقلّ بالأمر الموكول إليه ، ومن هذا قول المسلمين : ﴿...حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾(١٤)، أي : نعم الكفيل بأمورنا والقائم بها)(١٥). والله ـ تعالى ـ أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الأنفال ، من الآية : ٤٠ .
(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ، ٢٠٤/١ ، الأسماء والصفات للبيهقي ، ١٢٥/١ .
(٣) شأن الدعاء للخطابي ، ص : ١٠١ ، ذكر مثله البيهقي في الاعتقاد ، ص : ٢٩ .
(٤) المنهاج في شعب الإيمان ، ٢٠٥/١ ، الأسماء والصفات للبيهقي ، ١٢٨/١ .
(٥) تفسير الطبري ، ٦٠/٢ ، أثناء تفسير الآية (١٦٣) من سورة البقرة .
(٦) اشتقاق أسماء الله للزجاجي ، ص : ٩٠ .
(٧) سورة البقرة ، من الآية : ١١٥ .
(٨) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ١٥ .
(٩) النهاية لابن الأثير ، ١٨٤/٥ .
(١٠) موسوعة " له الأسماء الحسنى " للدكتور الشرباصي ، ٢٤٦/١ .
(١١) سورة البروج ، من الآية : ١٤ .
(١٢) النهاية لابن الأثير ، ١٦٥/٥ .
(١٣) سورة هود ، من الآية : ١٢ .
(١٤) سورة آل عمران ، من الآية : ١٧٣ .
(١٥) شأن الدعاء للخطابي ، ص : ٧٧ ، ذكر مثله ابن الأثير في جامع الأصول ، ١٧٩/٤ .

المطلب السابع : تحقيق صِيَغ الأسماء الحسنى :

يلاحظ في الأسماء الحسنى التي وردت في القرآن الكريم أنّ معظمها قد جاء على صيغة المبالغة ، مثل : غفور ، وغفّار ، وتوّاب ، ورحيم ، ورحمن ، وجبّار ، وعلّام وعليم ، وهكذا ..

والمبالغة في الاستعمال اللغوي تفيد تعدّد وقوع الحَدَث ، والمبالغةَ فيه، والخروجَ عن الحدّ المألوف ..

وأفعال الله ـ سبحانه وتعالى ـ واحدة . مغفرته ، ورحمته ، وعِلمه ، وسمعه ، وبصره كلّها على واحدة من الكمال والتمام ، لاتدخل عليها زيادة أونقص .

فكيف تُفْهَم هذه المبالغة في أسماء الله ـ سبحانه ـ، وهي في مفهومها صفات تنبئ عن أحداث وأفعال ؟[(١)].

يقول الزركشي [(٢)] ـ رحمه الله تعالى ـ : (إنّ المبالغة وقعت بحسب تعدّد المفعولات ولاشكّ أنّ تعدّدها لا يوجب للفعل زيادة ..إذ الفعل يقع على جماعة متعدّدين . وعلى هذا تقع أسماء الله ـ تعالى ـ ، كالرحمن والغفور والتواب ..)[(٣)]

وقال الزمخشري [(٤)] في سورة الحجرات [(٥)] : المبالغة في "التواب" للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده ، أولأنه ما من ذنب يقترفه المقترف إلّا كان معفوّا عنه بالتوبة أولأنه بليغ في قبول التوبة ، منزّل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه .

قال المفسرون : إن الرحمن أكثر مبالغة في الرحمة ، لأنه أكثر حروفا من الرحيم، والقاعدة اللغوية تقرّر أن " زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى"، ومرادهم من قولهم: أكثر مبالغة : هو أن اسم الرحمن أكثر دلالة على عظمة رحمته ـ سبحانه وتعالى ـ ، وليس المقصود من كلمة مبالغة : الزيادة على حقيقة الشيء [(٦)].

إذاً ، لاتفيد المبالغة في الأسماء الحسنى تكثيرَ الوصف ، وإنّما تفيد تكثير المتعلّق، إذ يستحيل ـ على سبيل المثال ـ عود المبالغة في اسمه ـ تعالى ـ "عليم" إلى نفس الوصف، لأنّ العلم بالشيء لايصحّ التفاوت فيه ، فيجب صرف المبالغة فيه إلى المتعلّق .

---

(١) إعجاز القرآن "الكتاب الثاني" لعبد الكريم الخطيب ، ص : ٢٥١ (دارالمعرفة، بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) .

(٢) هو محمد بن بهادر الزركشي ، أبو عبد الله ، بدر الدين : عالم بالفقه والحديث والتفسير وأصول الدين، تركي الأصل،مصريّ المولدوالوفاة (٧٤٥ ـ ٧٩٤ هـ). الأعلام: ٦٠/٦ .

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ، ٥٠٧/٢ ، بتصرف .

(٤) هو محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، جارالله، أبو القاسم : من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب ،كان من دعاة الاعتزال ، ولد في زمخشر سنة ٤٦٧ هـ ، وتوفي سنة ٥٣٨ هـ في الجرجانية (من قرى خوارزم) . الأعلام: ١٧٨/٧ .

(٥) الكشاف للزمخشري، ٥٦٩/٣ .

(٦) محاضرات في تفسير القرآن لنور الدين عتر ،ص: ١٢،(دار المعارف ، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٨م) .

المطلب الثامن: هل الأسماء الحسنى توقيفية أو اجتهادية؟

إنّ أسماء الله - سبحانه وتعالى - توقيفية، بمعنى أنها تعليمية يتوقّف جواز إطلاقها على إذن الشارع، فلا تثبت بالعقل، ولا مجال للاجتهاد فيها، ولا يصحّ أن يُسمّى الله - عز وجل - إلّا بما سمّى به نفسَه في كتابه، وبما وصفه به رسولُه - صلى الله عليه وسلم -.

والله - تعالى - وصف نفسه بأنه عالم وعليم وعلّام، (وله - تعالى - أن يسمّي نفسه بما اختار، وليس لأحد أن يسمّيه بما يوهم النقص)[(١)].

يقول ابن حجر - رحمه الله تعالى -: (واتفقوا على أنه لا يجوز أن يطلق عليه اسم ولا صفة، توهم نقصا، ولو ورد ذلك نصّا، فلا يقال: "ماهد" ولا "زارع" ولا "فالق" ولا نحو ذلك، وإن ثبت في قوله - تعالى -: ﴿...فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾[(٢)] ﴿...أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[(٣)] - ﴿...فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى...﴾[(٤)]، ونحوها، ولا يقال له: "ماكر" ولا "بنّاء" وإن ورد ﴿...وَمَكَرَ اللَّهُ...﴾[(٥)] ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا...﴾[(٦)])[(٧)].

وثبت ممّا سبق أن مأخذ أسماء الله - تعالى - التوقيف[(٨)]، وقد (أجمعت الأمّة على أنه لا يجوز أن يقال لِلّه - تعالى -: يا معلّم، وهذا من أقوى الدلائل على أن أسماء الله - تعالى - ليست قياسية)[(٩)].

إذاً، فالمنهج الصحيح لمعرفة توحيد الله - عز وجل - وأسمائه وصفاته هو الاعتماد على الوحي الذي أوحاه الله - تعالى - إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وأمره باتباعه[(١٠)] لأن عقولنا عاجزة عن إدراك الكمال اللائق بجلال الله - سبحانه وتعالى -. والله - تعالى - أعلم بالصواب.

---

(١) التفسير الكبير للرازي، ٢٩٩/٢٨، بتصرف يسير.
(٢) سورة الذاريات، من الآية: ٤٨.
(٣) سورة الواقعة، من الآية: ٦٤.
(٤) سورة الأنعام، من الآية: ٩٥.
(٥) سورة آل عمران، من الآية: ٥٤.
(٦) سورة الذاريات، من الآية: ٤٧.
(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ٢٢٣/١١.
(٨) ينظر لمسألة توقيفية الأسماء الحسنى: شأن الدعاء للخطابي، (ص: ١١١)، تفسير ابن عطية، (١٥٤/٦ طبعة قطر)، التفسير الكبير للرازي (١٥٢/١ و ٧٠/١٥)، وشرح أسماء الله له (ص: ٤٠)، تفسير القرطبي (٣٢٦/١)، والقواعد المثلى للشيخ محمد العثيمين (ص ١٣)
(٩) شرح أسماء الله، المسمّى "لوامع البينات شرح أسماء الله والصفات"، ص ٢٣٨.
(١٠) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى لمحمد الحَمود، ص: ٣٩ (مكتبة المعلّا، الكويت الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

المطلب التاسع : دلالة الأسماء الحسنى على صفات الله عز وجل :

إنّ أسماء الله - تعالى - فيها دلالة واضحة جلية على ما اتصف به - تعالى - من الخلق والرزق والإحياء والإماتة والقدرة والمغفرة والرحمة وغير ذلك من نعوت جلاله .

والقرآن الكريم - من أوله إلى آخره - يدعو الناس إلى النظر في صفات الله - عز وجل - وأفعاله وأسمائه دون الذات المجرّدة ، فإنّ الذات المجرّدة لا يُلحَظ معها وصفٌ ولا يشهد فيها نعت ، ولا تدلّ على كمال ولا جلال ، ولذا لاتفترق أسماء الله - تعالى - وصفاته عن ذاته [١].

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - : (أسماء الرب - تعالى - هي أسماء ونعوت ، فإنها دالّة على صفات كماله ، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية ، فالرحمن اسمه - تعالى - ووصفه ، لا تنافي اسميّته وصفيّته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعا على اسم الله - تعالى - ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غيرَ تابع ، بل ورد عَلَماً .... ، واسمه - تعالى - "الرحمن" اسم وصفة ، لاينافي أحدُهما الآخر ، وجاء استعمال القرآن بالأمرين جميعا) [٢].

إنّ الاسم من أسمائه - تبارك وتعالى - له دلالات ثلاثة ، يقول ابن تيمية : (إنّ كل اسم من أسمائه - تعالى - يدل على ذاته ، وعلى ما في الاسم من صفاته . ويدل أيضا على الصفة التي في الاسم الآخر بطريق اللزوم) [٣]. وتلك الدلالات :

١ - دلالة مطابقة : إذا فسّرنا الاسم بجميع مدلولاته .

٢ - دلالة تضمّن : إذا فسّرناه ببعض مدلوله .

٣ - دلالة التزام : إذا استدللنا به على غيره من الأسماء التي يتوقّف عليها هذا الاسم.

ومثال ذلك : " العليم" يدل على العلم والذات دلالة مطابقة ، وعلى أحدهما دلالة تضمّن ، لأنها داخلة في الضمن ، ويدل على الأسماء التي لا يوجد العلم إلّا بثبوتها كالحياة دلالة التزام ، وكذلك الأسماء الأخرى كالرحمن والقدير [٤].

وأمّا اسم " **الله** " فهو دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العُلى بالدلالات الثلاث فإنّه دالّ على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية ، مع نفي أضدادها عنه [٥]. والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : مدارج السالكين لابن القيم ، ٥١٤/١ (دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى)

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ، ٢٤/١ ، (دار الفكر ، بيروت) . بتصرف يسير .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ٣٣٤/٣ (تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ ، توزيع دار الافتاء)

(٤) ينظ لمسألة دلالة الأسماء الحسنى على الصفات : مدارج السالكين لابن القيم ، ٣٩/١ ، بدائع الفوائد له ، ١٦٨/١ ، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ، ص : ١٢٤ .

(٥) مدارج السالكين لابن القيم ، ٤١/١ .

المطلب العاشر : توحيد الأسماء والصفات :

هو أحد أقسام التوحيد[١] التي يجب على الإنسان أن يعتقدها ، ومعنى توحيد أسماء الله - تعالى - وصفاته العلى : اعتقاد العبد اعتقادا جازما بأن الله - عز وجل - متصف بجميع صفات الكمال ، ومنزّه عن جميع صفات النقص ، وأنّ له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وذلك بإثبات كل ما وصف الله - تعالى - به نفسه في القرآن الكريم ، ووصفه به رسولُه - صلى الله عليه وسلم - في السنة المطهرة .

ومنهج السلف في توحيد الأسماء والصفات ينحصر فيما يلي :

١ - إثبات كل الصفات الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة ، وعدم التهجم على الله - تعالى - بنفي ما أثبته لنفسه .

٢ - تنزيه الله - عز وجل - عن مشابهة الخلق ، واعتقاد مخالفة صفات الله - تعالى - لخلقه.

٣ - قطع الطمع عن إدراك الكيفية ، وعدم تحكيم العقل في ذلك[٢] .

وهذا هو المنهج الذى سار عليه السلف ، والذي يجب على المسلم أن يتبعه ، ويعتقد أن الله - تعالى - ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٣] ، ولا ينفي عن الله - تعالى - ما وصف به نفسه ، ولا يكيّف ، ولا يمثّل صفاته - تعالى - بصفات خلقه[٤] .

---

(١) ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام :
أولا : توحيد الربوبية ، وهو الاعتقاد الجازم بأن الله - تعالى - وحده ، هو ربّ كل شيء ، له الربوبية المطلقة على الأشياء كلّها خلقا ورزقا وإماتة وإحياء وتدبيرا إلى غير ذلك من الأمور . وهذا النوع قد أقر به اليهود والنصارى كما أقرّ به كفار قريش ، ومع ذلك حُكم عليهم بالكفر والشرك ، ولم يدخلوا به في الإسلام ، لأنهم لم يوحّدوا الله - تعالى - في ألوهيته ، قال - تعالى - في سورة يونس ، الآية ٣١ : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ .
ثانيا : توحيد الألوهية : وهو الاعتقاد الجازم بأن الله - تعالى - هو الإله الحق المختص وحده بجميع أنواع العبادات من صلاة ودعاء واستغاثة وغير ذلك . وهذا النوع هو المقصود الأول من دعوة الرسل ، قال - تعالى - في سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ .
ثالثا : توحيد الأسماء والصفات ، الذي هو مدار البحث . ينظر لأقسام التوحيد : أضواء البيان للشنقيطي ، ٤١٠/٣ ، الأجوبة المفيدة لمهمّات العقيدة للشيخ عبد الرحمن الدوسري ، ص ١٤

(٢) ينظر : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ الشنقيطي ، ص ٤٤ (الدار السلفية الكويت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م) .

(٣) سورة الشورى ، من الآية : ١١ .

(٤) ينظر : شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ، ص : ٢٢-٢٦ ، دليل المسلم في الاعتقاد للشيخ عبد الله خياط ، ص : ٦٦ .

المبحث الثاني

المناسبة في القرآن الكريم

وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول: تعريف المناسبة لغة واصطلاحا:

المناسبة في اللغة هي المشاكلة والمقاربة، وفلان يناسب فلانا، فهو نسيبه، أي: يقرب منه ويشاكله [١].

والمناسبة في الاصطلاح: علم تعرّف منه عِلَل الترتيب [٢]، وهو أعمّ من مناسبات القرآن وغيره. [٣]

وموضوعه: أجزاء الشيء المطلوب علمُ مناسبته من حيث الترتيبُ [٢].

المطلب الثاني: التعريف بالمناسبة في القرآن الكريم:

أمّا المناسبة في القرآن الكريم فهي: (عِلم تعرّف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سرّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقته المعاني لِما اقتضاه من الحال، وتتوقّف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفةَ المقصود من جميع جُمَلها، فلذلك كان هذا العلمُ في غاية النفاسة، وكانت نسبتُه من علم التفسير عِلْمَ البيان من النحو) [٤].

وقد يسمّيها بعضهم "الرباط"، أو "النِظام"، وهذا خلاف في اللفظ، والكل يدل على معنى متقارب، فإن الرباط: ما رُبط به [٥]، كما أن النظام: ما يُنظَم به [٦]، وكذلك المناسبة تعني المقاربة والمشاكلة، كما بيّناها آنفا.

يقصد بالمناسبة في القرآن الكريم: أن تكون سوره وآياتُه وكلماتُه وحدة متكاملة، ذات ترتيب من الأول إلى الآخر.

إنّ من يُمعن النظر في القرآن الكريم ويتدبّره يرى أنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، وأنّ في مجموعه سلاسةً فائقةً، وتساندا متينا، وتناسبا محكَما، وبين جُمَله، وبين أوله وآخره تعاونا قويا، وتجاوبا رفيعا، مع أن نزوله كان منجّما مفرّقا، وأجزاءً متفرّقة، باعتبار تجدّد الحوادث والحاجات، ولكنه حافَظ على كمال تناسبه بين أجزائه، كأنه نزل دفعة واحدة، وبسبب واحد، ولبيان حادثة واحدة مع أن هناك حوادث كثيرة متغايرة متعدّدة، وحالات متنوّعة.

---

(١) ينظر: الصحاح للجوهري، ٢٢٤/١، لسان العرب، ٧٥٦/١، مادة (نسب)، البرهان في علوم القرآن، ٣٥/١.
(٢) نظم الدرر، للبقاعي، ٥/١، (طبعة الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م).
(٣) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، للدكتور محمد يوسف القاسم، ص: ٣١. (الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م).
(٤) نظم الدرر للبقاعي، ٦/١.
(٥) القاموس المحيط، مادة (ربط). ص: ٨٦١.
(٦) نفس المرجع، مادة (نظم)، ص: ١٥٠٠.

المطلب الثالث : أهمية علم المناسبات في القرآن الكريم :

إن في التناسب والترابط سرّا عجيبا ، ومن هذا السر والحكمة ترى أنّ كل صاحب جمال يرى من نفسه ميلا إلى أن ينضمّ إلى مثيله ، ويأخذ بيد نظيره ، ليزداد حسنا إلى حسنه ، حتي إن الحجر مع حجريته ، إذا خرج من الباني العادي يميل ويخضع رأسه ليماسّ رأس أخيه ليتماسكا عن السقوط ، فالإنسان الذي لا يدرك سرّ التناسق والتناسبِ القرآني لَهو أكثر قساوة من الحجر ، إذ من الحجر ما يتقوسّ لمعاونة أخيه .

إنّ معرفتنا بمناسبة السور والآيات وأجزاء كلّ منهما ، ورباط المعاني في كتاب الله- عز وجل- تؤدّي بنا إلى الفهم الصحيح للمراد ، ومَن يغفل عن هذا العلم فقد يتعذّر عليه العثور على ما ترمي إليه تلك السور والآيات ، إذ أن من أساس هذا العلم الذي يظهر به حسن الكلام تجاوبَ الأجزاء والهيئات والجُمَل (١).

وقد قالوا : إن المناسبة علم شريف (٢)، يدل عليه ماقاله علماء هذا البحر الزاخر ، ومَن أراد تصديق وجود المناسبات في القرآن الكريم بأسره فليتأمل شيئا من الآيات قبل أن ينظر ما كُتب فيها ، ثمّ لينظرْ إلى ما كتب فيها ، يظهرْ له مقدار ما بذله الباحثون ، وما حصل لهم من قِبل الله - تعالى - من العون ، سواء كان ظهر لهم وجه من ذلك عند تأمله ، أو لا .

يقول الزركشي - رحمه الله تعالى - : (وقد قلّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لِدقته ، وممّن أكثر منه الإمامُ فخر الدين الرازي ، وقال في تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودّعة في الترتيبات والروابط ... وهذا النوع يهمله بعض المفسرين ، أوكثير منهم ، وفوائده غزيرة.) (٣).

إن فكرة النظام أو المناسبة في القرآن الكريم ليست فكرة غريبة ، ولا شاذة ، وإنما هي فكرة أصلية وقضية مسلمة بين العلماء ، إلاّ أنّ الشيخ العِز بن عبد السلام (٤) يرى أن المناسبة تكلّف ، لأن القرآن الكريم نزل في نيّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ، ولأسباب كثيرة ، (وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض) (٥).

---

(١) هناك رسالة مقدمة من الأخ محمد عناية الله لنيل الماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م)، عنوانها : "إمعان النظر في نظام الآي والسور" وهي تمتاز ببيان أهمية علم المناسبة من نواح مختلفة، وتمتاز أيضا بإدحاض الشُّبَه حول هذا العلم.

(٢) البرها في علوم القرآن للزركشي ، ٣٥/١، الإتقان في علوم القرآن للسيطي ، ٣٢٣/٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن ، ٣٦/١ .

(٤) هو عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء : فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ، ولد سنة ٥٧٧ هـ ، وتوفي سنة ٦٦٠ هـ بالقاهرة . (الأعلام: ٢١/٤) .

(٥) كلام العز بن عبد السلام في البرهان، ٣٧/١ ، وفي الإتقان ، ٣٢٢/٣ - ٣٢٣ .

هذا من العز - رحمه الله تعالى - أمر يقتضي النظر و البحث .

يقول الشيخ وليّ الله الملّوي (١): (قد وهم من قال: لايطلب للآي الكريمة مناسبة..) (٢)

وهناك أمران يكفيان ردًّا على ماقاله العز - رحمه الله تعالى - ، لأنّ كلًّا منّا يؤخذ من قوله ويردّ إلّا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .(أولهما: ما نراه من حسن التناسب وقوة الارتباط حقا بين الآي بعضها وبعض . وثانيهما: هو ترتيب الرسول - صلى الله عليه وسلم - للقرآن على غير الترتيب الزمني للنزول ، فقد كانت تنزل عليه الآيات ، فيأمر كَتَبَة الوحي أن يضعوها في موضعها بين ما نزل من القرآن في هذه السورة أو تلك ، فلولا أن رابطا يجمع بين هذه الآيات ببعضها وبعض ما كان ثمة سبب يدفع إلى هذا الوضع ولايقتضيه)(٣).

وتبع الشيخَ عز الدين بن عبد السلام في رأيه الامامُ الشوكاني (٤)حيث قال: (اعلم أن كثيرا من المفسرين جاءوا بعلم متكلّف وخاضوا في بحر لم يكلّفوا سباحته ، واستغرقوا أوقاتهم في فن لايعود عليهم بفائدة ، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله - سبحانه - ، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف ، فجاءوا بتكلّفات وتعسّفات يتبرّأ منها الانصاف ويتنزّه عنها كلام البلغاء فضلا عن كلام الرب - سبحانه - .) (٥).

إنّي أرى أن الشوكاني - رحمه الله تعالى - ليس معارضا للمناسبة حيث إن كتابه "فتح القدير" حافل بالمناسبات الكثيرة .

وإليك مثالين من تفسيره ليدل على ما أقول:

يقول - رحمه الله - في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ... ﴾ (٦)

(وجه اتصال هذا بما قبله: التنبيه من الله - تعالى - على أن ظلم اليهود ونقضهم المواثيق والعهود هو كظُلم ابن آدم لأخيه ، فالداء قديم والشر أصيل) (٧).

ويقول - رحمه الله - في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ...) - (٨).

(لمّا ذكر - سبحانه - المعذورين ذكر بعدهم أهل الأعذار الصحيحة المسقطة للغزو ، وبدأ بالعذر في أصل الخلقة فقال: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ... ﴾ (٨) (٩).

---

(١) هو العارف وليّ الله محمد بن أحمد الملوي المنفلوطي الشافعي . ذكر ذلك البقاعي في نظم الدرر، (٨/١) ، والسيوطي في الإتقان (٣٢٣/٣) .
(٢) البرهان في علوم القرآن،٣٧/١ ، نظم الدرر، ٨/١، الإتقان ، ٣٢٣/٣ .
(٣) الوحدة الموضوعية للدكتور رفعت فوزي عبد المطلب ، ص: ٢٨ (دار السلام ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م) .
(٤) هو محمد بن علي الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان سنة ١١٧٣ هـ ، وتوفي في صنعاء سنة ١٢٥٠م . (الأعلام: ٢٩٨/٦) .
(٥) فتح القدير للشوكاني ، ٧٢/١، (دار الفكر ،بيروت) .
(٦) سورة المائدة ، من الآية: ٢٧.
(٧) فتح القدير للشوكاني ، ٣٠/٢ .
(٨) سورة التوبة ،من الآية: ٩١ .
(٩) فتح القدير ، للشوكاني ، ٣٩٢/٢ .

وهناك أمثلة كثيرة في تفسيره تشهد لِما أقول ، وإنّما الذي ألجأ الشوكاني إلى هذا الموقف بعضُ التكلّفات التي ذكرها بعض مَن تبنّى فكرة المناسبة ولم يتعاطها على وجهها ولم يراع طبيعتها ، ولاشك أن المناسبة إن كانت عبارة عن تكلّفات ، فهو لا يخدم القرآن في قليل ولاكثير ، ولانجد له مبرّرا من كتاب منير أو فكر بصير .

إن الأمر واضح غاية الوضوح ، بيّن غاية البيان ، فالقرآن الكريم (كلّه متناسب، لا تنافر فيه ولا تباين) [١]، ولا أساس للشبهات[٢] التي تثار حول هذا العلم الذي يكشف للناظر في القرآن آفاقا وراء آفاق ، من التناسق والاتساق : (فمن نظم فصيح إلى سرد عذب، إلى معنى مترابط، إلى نسق متسلسل ...) [٣]. والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن القيم ، ص: ٨٧ - ٨٨ (دار الكتب العلمية ، بيروت).

(٢) ذكر الأخ محمد عناية الله في رسالته "إمعان النظر في نظام الآي والسور" ثلاث شبهات رئيسية ، قد تثور أو تثار حول موضوع المناسبة ، وهو درس هذه الشبهات بإمعان ودقة وردّ عليها بردود واضحة، ينظر لتلك الشبهات والردود عليها في نفس الرسالة ، ص: ٥٣- ١١٥ .

(٣) التصوير الفني في القرآن لسيد قطب ، ص: ١١٨ .

المطلب الرابع : أنواع المناسبات في القرآن الكريم :

إن استخراج المناسبات في القرآن الكريم يتبع العقل ، وهو يكون بإعمال العقل والفكر والنظر إلى السابق واللاحق ، ومن هنا حدثت اختلافات في استخراجها ، وجودتها، ولكن ترتيب القرآن وتنسيقه بالشكل الموجود في المصحف ليس متوقفا على هذا الاستخراج، لأن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - جمعوا القرآن - كما هو عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غير تقديم ولاتأخير ولازيادة ولانقص ، بل هو على الترتيب الإلهي .

وللمناسبة في القرآن الكريم أنواع كثيرة ، يشير الإمام السيوطي (١) - رحمه الله تعالى - في مقدمة كتابه " تناسق الدرر في تناسب السور " إلى أنه ألّف كتابا في تعلّقات القرآن ، وسماه "أسرار التنزيل" وهو يقول : إن كتابه هذا يشمل على بضع عشرة نوعا ، وذكر من هذه الأنواع : مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له ، ومناسبة أوائل السور لأواخرها ، ومناسبات الآيات وارتباطها وتلاحمها وتناسقها ، ومنها : بيان فواصل الآي ، ومناسبتها للآي التي ختمت بها (٢)

يرى الشيخ أبو الفضل عبد الله الغماري في كتابه " جواهر البيان في تناسب سور القرآن " أن المناسبة نوعان : أحدهما : مناسبة الآي بعضها لبعض ، ثانيهما : مناسبة السور بعضها لبعض (٣).

وقد تحدّث عن أنواع المناسبة الدكتور محمد يوسف القاسم في كتابه " الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره" وهو يرى أن أنواع المناسبة في القرآن الكريم خمسة : مناسبة أجزاء الآية الواحدة ، ومناسبة الآيات ، ومناسبة نجوم السور ، ومناسبة السور، ومناسبة الموضوعات ، وقد التزم ببيان هذه الأنواع بالأمثلة (٤).

وهذه الأنواع منها ما طبّقه الباحثون ، ومنها ما لم يمسسه أحد ، ومنها ما اعتنى به العلماء وأفردوه بالتأليف، كالإمام أبي جعفر الغرناطي (٥) حيث ألّف كتابا في مناسبات السور وسمّاه " البرهان في ترتيب سور القرآن" ومن هؤلاء الإمام البقاعي (٦) صاحب كتاب" نظم الدرر" .

ولقد رأيت أن أتحدّث في بحثي - بإذن الله تعالى - عن نوع واحد من هذه الأنواع ، وهو مناسبة الفواصل التي تشتمل على بعض الأسماء الحسنى للآيات ، وعندما اخترت هذا الجانب من أنواع المناسبات ، وقعت في حيرة حيث إنني وجدت الأسماء الحسنى الواقعة في أواخر الآيات أنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بمضامين الآيات . والله - تعالى - هو الموفّق .

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي بكر ، السيوطي ، جلال الدين : إمام حافظ مؤرخ أديب ، ولد سنة ٨٤٩ هـ ، بالقاهرة ، وتوفي فيها سنة ٩١١ هـ . (الأعلام : ٣٠١/٣) .

(٢) تناسق الدرر في تناسب السور ، للسيوطي ، ص : ٥٤ (تحقيق عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) .

(٣) جواهر البيان في تناسب سور القرآن للغماري ، ص : ١٤ - ١٦ (مكتبة القاهرة) .

(٤) ينظر للأمثلة : الإعجاز البياني للدكتور يوسف القاسم ، ص : ٢٩٨ - ٤٥٢ .

(٥) هو أحمد بن الزبير الثقفي الغرناطي ، أبو جعفر : محدث مؤرخ ، مولده ووفاته في جيان (٦٢٧ - ٧٠٨ هـ) . (الأعلام : ٨٦/١) .

(٦) هو إبراهيم بن عمر البقاعي ، أبو الحسن برهان الدين : مؤرخ أديب ، أصله من البقاع في سورية (٨٠٩ - ٨٨٥ هـ) . (الأعلام : ٥٦/١) .

المطلب الخامس : قاعدة علم المناسبة :

إن في القرآن الكريم آيات كثيرة لايكفي في فهمها معرفة مفرداتها ، وصورة أساليبها وإنّما تقتضي معرفة أشياء كثيرة [١]، منها علوم اللغة العربية والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول... الخ .

إضافة الى ذلك يستحسن أن يكون المفسّر عالما بالقواعد المتعلّقة بعلم المناسبات إذ به يستطيع أن يدرك ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض ، حتى يفهم الوجه الصحيح.

(إن المناسبة مرجعها في الآيات ونحوها ، إلى معنى رابط بينها ، وهو إمّا أن يكون عاما أو خاصا ، عقليا أوحسّيا أوخياليا ، ويكون تلازمه تلازما كالسبب والمسبّب ، والعلة والمعلول ، والنظيرين كأن تكون الجملة معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف للمشاركة في الحكم ، والضدين كمناسبة ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب ونحو ذلك) [٢].

قال الشيخ وليّ الله الملّوي : (والذي ينبغي في كل آية أن يُبحَث أوّل كلّ شيء عن كونها مكملة لما قبلها ، أو مستقلّة ، ثمّ المستقلة ، ما وجه مناسبتها لما قبلها ، وفي ذلك علم جمّ ، وهكذا في السور ، يطلَب وجهُ اتصالها بما قبلها ، وما سيقت له) [٣].

وقال البقاعي نقلا عن شيخه أبي الفضل المِشْدالي [٤] : (الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن ، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدّمات في القُرب والبُعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع ، إلى الأحكام واللوازم التابعة له ... ، فهذا هو الأمر الكلّي المهيمن على حكم الربط بين أجزاء القرآن ، وإذا فعلته تبيّن لك - إن شاء الله تعالى - وجهُ النظم مفصّلا بين كل آية وآية في كل سورة) [٥].

(وباستعمال هذه القاعدة ، يتبين الكثير من أسرار القرآن ، في التقديم أو التأخير، والإيجاز أو الإطناب ...) [٦]. والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) ذكر السيوطي في الإتقان (٤/١٨٥ - ١٨٨) العلوم التي يحتاج إليها المفسر وأوصلها إلى خمسة عشر علما .

(٢) ينظر :البرهان في علوم القرآن، ١/٣٥ ، الإتقان في علوم القرآن ، ٣/٣٢٣ .بتصرف يسير .

(٣) البرهان في علوم القرآن ، ١/٣٧ ، نظم الدرر للبقاعي ١/٨ ، الإتقان ، ٣/٣٢٣ .

(٤) هو محمد بن ابي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشدالي ، البجائي المغربي المالكي، فاضل ، ولد بعد سنة ٨٢٠ هـ ، وتوفي سنة ٨٦٥ هـ بعينتاب . (معجم المؤلفين ١١/٢٥٩).

(٥) نظم الدرر ، ١/١٨ ، ذكره السيوطي في الإتقان ، ٣/٣٢٧ - ٣٢٨ .

(٦) الإعجاز البياني للدكتور يوسف القاسم ، ص: ٢٩٩ - ٣٠٠ .

المطلب السادس : الفاصلة في القرآن الكريم وعلاقتها بما قبلها :

ليس في لغة العرب كلام يشبه القرآن الكريم في نظمه وأسلوبه ولا في معانيه وطريقة الأداء .

فهو يمتاز عن كلّ كلام سبقه أو جاء بعده ، وذلك بمجيئه على صورة آيات مفصّلة ، لها طابَعها الخاص في الاتصال والانفصال ، و في الطول و القِصر ، و فيما يظهر من الائتلاف ، والاختلاف ، قال ـ تعالى ـ :﴿كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(١).

إنّ الآية القرآنية هي الوحدة التي بني منها القرآن ، و أمّا الفواصل فهي النهايات التى تذيّل بها الآيات القرآنية .

و الفاصلة ظاهرة قرآنية واضحة المعالم في الصورة التي جاء بها القرآن ، جعلت القرآن نحوا جديدا من أنحاء الكلام العربي ، وهي في القرآن ألوان تكاد تتعدّد ألوانها بعدد آي القرآن... فكل فاصلة مقطع من البيان ، و نغم من الألحان ، وآية من آيات الإعجاز في اتصالها بالآية ، وفي انفرادها عنها ، و في توازنها ، أو استقلالها بذاتها (٢).

علاقة الفاصلة بما قبلها :

مناسبة الفاصلة لما سبقها من كلام أمرٌ لامعدَل منه ، و إلّا تزايل الكلام ، واختل نظامه قال الزركشي ـ رحمه الله ـ : (اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام و أواخره ، و إيقاعُ الشيء فيها بما يشاكله ، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور ، أولا و إلّا خرج بعض الكلام عن بعض . و فواصل القرآن لاتخرج عن ذلك ، لكن منه ما يظهر ، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب)(٣).

و تلك العلاقة الوثيقة بين الفاصلة و ما قبلها من النص القرآني تنحصر في أربعة أشياء : التمكين و التصدير و التوشيح و الإيغال (٤).

التمكين : هو أن يمهّد للفاصلة قبلها تمهيدا ، تأتي به الفاصلة ممكّنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، غير نافرة و لاقلقة ، متعلّقا معناها بمعنى الكلام كلّه تعلّقا تاما ، بحيث لو طرحت اختل المعنى و اضطرب الفهم .

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٣ .

(٢) إعجاز القرآن "الكتاب الثاني" لعبدالكريم الخطيب ، ٢/٢١٥ ـ ٢١٦ (دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٤م) .

(٣) البرهان في علوم القرآن ، ١/٧٨ .

(٤) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، (١/٧٨) ، الإتقان في علوم القرآن ، (٣/٣٠٢) ، معترك الأقران في إعجاز القرآن له ، (القسم الأول ، ص : ٣٩) ، الفاصلة القرآنية للدكتور عبد الفتاح لاثين ، (ص : ٣٩) ، الفاصلة في القرآن للشيخ محمد الحسناوي ، (ص : ٢٨٥) .

ومن أمثلة ذلك إخباره - تعالى - في غزوة الخندق عن إجلاء الأحزاب عن المدينة بما أرسل عليهم من الريح والجنود :﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾[١].

فإن الآية لو انتهت عند قوله - تعالى - :﴿... وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ..﴾ لَظنّ ظانّ أن الريح التي عصفت بالكفار والأحزاب ، في تلك الغزوة كانت هي سببَ رجوعهم، وأن ذلك أمر اتفاقي ، ليس من عند الله - تعالى - ، فأخبر - سبحانه - في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ، فقال :﴿ ..وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ ، ليُعلم المؤمنين أن تلك الريح التي هبّت ليست اتفاقا ، بل هي من إرساله - سبحانه - على أعدائه كعادته ، وأنه ينوّع النصر للمؤمنين ، ليزيدهم إيمانا ، وينصرهم مرة بالقتال كيوم بدر ، وتارة بالريح كيوم الأحزاب وتارة بالرعب كيوم بني النضير ، تعريفا لهم أن الكثرة لا تغني شيئا ، وأن النصر من عنده - سبحانه - كيوم حنين .[٢]

التصدير : وهو أن يتقدم لفظة الفاصلة بمادتها في أول صدر الآية ، أو في أثنائها ، أو في آخرها ، كقوله - تعالى - :﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾[٣].

التوشيح : وهو أن يرد في الآية معنى يشير إلى الفاصلة حتى تعرف منه قبل قراءتها، كقوله - تعالى - :﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾[٤].

فإن مَن كان حافظا لهذه السورة ، متيقّظا إلى أنّ مقاطع فواصلها النون المردفة وسمع في صدر هذه الآية :﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ..)- ، عَلم أن الفاصلة ﴿ مُّظْلِمُونَ ﴾ ، فإنّ مَن انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال [٥].

الإيغال : أن ترد الآية بمعنى تام وتأتي الفاصلة بزيادة في ذلك المعنى ،كقوله - تعالى - :﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٦].

فإن الكلام تمّ بقوله - تعالى - :﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا ﴾، ثمّ احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى ، فلمّا أتى بها أفاد معنى زائدا [٧].

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية :٢٥ .
(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، ٧٩/١ ، الفاصلة القرآنية للدكتور عبد الفتاح لاشين ، ص :٣٩ - ٤٠ ، الفاصلة في القرآن للشيخ محمد الحسناوي ، ص :٢٨٦ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية :٨ . ينظر : الفاصلة القرآنية للاشين ، ص ٤٠ .
(٤) سورة يس ، الآية :٣٧ .
(٥) ينظر :البرهان في علوم القرآن ، ٩٥/١ ،
(٦) سورة المائدة ، الآية :٥٠ .
(٧) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، ٩٦/١ ، الفاصلة في القرآن ، ص :٢٩١ .

ومن الفواصل القرآنية ما يتضح كالأمثلة السابقة، ومنها ما يدقّ، فيحتاج إلى جهد وتلطّف في استخراجه، كما في قوله - تعالى - حكاية عن عيسى - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - في شأن قومه يومَ القيامة: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(١).

فإن قوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ يوهم أن الفاصلة ينبغي أن تكون ﴿ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

ولكن إذا أنعِم النظر علِم أنه يجب أن تكون عليه التلاوة، إذ أن المحدَّث عنه هاهنا أولئك الذين ادعوا ألوهية عيسى - عليه السلام - فهم مستحقّون لأشد العذاب، فإذا نالهم الغفران فذلك لايكون إلاّ من العزيز الذي ليس فوقه أحد، يردّ عليه حُكمه .. ثمّ جاء التعقيب بوصف الحكمة إشارة إلى أنه - سبحانه - إذا غفر فغفرانه عن حكمة ...(٢).

وقد تقع فاصلتان مختلفتان في نهاتي آيتين متفقتين لفظا ومعنى، كقوله - تعالى - ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾(٣)، وقوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(٤)، فلماذا اختلفت الفاصلتان ولفظُمَا قبلَهما واحد؟ وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

وهكذا تختلف صور الفواصل في القرآن، وتشكّل ألوانا، فلا تجد منها الأذن إلاّ حسْنا مجدّدا، ولا يطعم اللسان منها إلاّ طيّباتٍ متنوّعة. والله - تعالى - أعلم بالصواب.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ٨٩/١، بتصرف يسير.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٨.

المطلب السابع : العلاقة بين الفاصلة القرآنية والتذييل :

لمّا تبين ممّا سبق أنّ الفاصلة القرآنية قد جاءت في أواخر الآيات ، وكأنّها تعقيب على الآية ، أو تلخيص لمضمونها ، أو تأكيد لمعناها ، كان من المناسب أن نتحدّث عن التذييل الذي وقف عليه علماء البلاغة وقفة تأمّل ، إذ أنهما يقعان في أواخر الكلام في غاية الدقة والتناسب للسابق ، بل هما في الأصل شيء واحد إنْ صحّ التعبير من ناحية أداء الأغراض نفسها .

والتذييل مصدر "ذيّل" للمبالغة ، وهو في اللغة : جعل الشيء ذيلا للآخر(١) ، وفي لسان العرب : (الذيل : آخر كل شيء)(٢) .

والمعنى الاصطلاحي منبثق عن هذا المعنى ، حيث قال صاحب البرهان : (اصطلاحا أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقِل في معنى الأول ، تحقيقا لدلالة منطوق الأول أو مفهومه ، ليكون معه كالدليل ، ليظهر المعنى عند من لا يفهم ، ويكمُل عند من فهمه)(٣)

ومثّلوا له بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِمَا كَفَرُوا ﴾ ، ثمّ قال ـ تعالى : ﴿ وَهَلْ نُجَـٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾(٤) .

ففي الآية الكريمة جملتان ، الأولى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِمَا كَفَرُوا ﴾ ، وقد جاء الحديث عن سبأ أصحاب سدّ مأرب حيث كان لهم جنتان ، عن يمين وشمال ، ولكنهم أعرضوا وجحدوا نعم الله فبدّلوا بجنتيهم ﴿ ... جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾(٥) ، فعاقبهم الله ـ تعالى ـ بسبب كفرهم ، هذا معنى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِمَا كَفَرُوا ﴾ ، فجاءت الجملة الثانية ، وهي قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَهَلْ نُجَـٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ تأكيدا للجملة الأولى ، فهي مشتملة على معناها .

ومثله قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ﴾(٦) ثمّ أكّد هذه الجملة بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ . والجملة الأولى دلّت بمنطوقها على زهوق الباطل ، والجملة الأخيرة تأكيد وتقرير لذلك ، وهو كلام جار مجرى المثل . وذلك أننا نجد أن جملة " إن الباطل كان زهوقا " تتردّد على ألسنة كثير من الناس حينما يرون مصرع الباطل ، يسارعون إلى القول"إن الباطل كان زهوقا" ، وليس الأمر كذلك في قوله : ﴿ وَهَلْ نُجَـٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ .

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ، ٦٨/٣ .
(٢) لسان العرب ، مادة (ذيل) ، ٢٦٠/١١ .
(٣) البرهان في علوم القرآن ، ٦٨/١ ، ينظر : الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن لابن القيم ص ١٢١
(٤) سورة سبأ ، الآية : ١٧ .
(٥) سورة سبأ ، الآية : ١٦ ، معنى (أكل خمط) : كل نبات فيه مرارة وحموضة تعافه النفس ، ومعنى (الأثل) : شجر طويل مستقيم الخشب كثير الأغصان ، والسدر : شجر النبق .
(٦) سورة الإسراء ، الآية : ٨١ .

و من هنا قسّموا التذييل إلى قسمين (١) :

١ - ضرب يخرج مخرج المثل السائر ، بأن يكون مستقلا بإفادة المراد ، فيكون جائزالاستعمال على الانفراد -كما في المثال الثاني - " إن الباطل كان زهوقا " و يصلح مثلا للعبرة والتأسّي .

٢ - ضرب لايخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بافادة المراد ، و توقّفه على ما قبله -كمافي المثال الأول - وهوقوله -تعالى - :﴿ وَهَلْ نُجَـٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾.

إن العلماء مع كونهم يعرّفون الفاصلة بـ"كلمة آخر الجملة " (٢) أوهي "كلمة آخر الآية " (٣)، فهم عند الاستشهاد للفاصلة يلحظون الجملة بكاملها و ينظرون إلى المعنى كلّه ، وعلى هذا فإن الفاصلة لاتخرج عن كونها تستمدّ تحديد معناها من موقعها في الجملة الأخيرة ، و التي تكون تذييلا ، أو في حكم التذييل . و الله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر لهذا التقسيم : جوهر الكنز لابن الأثير الحلبي المتوفى ٧٢٧هـ، ص : ٢٤٤ (تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، أنوار الربيع في أنواع البديع للسيد علي صدر الدين المدني ،ص : ٣٩ - ٤٠ (تحقيق شاكر هادى شكر ، مطبعة النعمان - النجف ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) ، الفوائد المشوق لابن القيم ، ص : ١٢١ ، معجم البلاغة العربية للكتور بدري طبانة ، ٢٨٢/١ - ٢٨٣ (من منشورات جامعة طرابلس ، كلية التربية) .

(٢) ذلك تعريف عمرو الداني المتوفّى سنة ٤٤٤هـ ، ينظر : البرهان للزركشي ، ٥٣/١ .

(٣) ذلك تعريف بدر الدين الزركشي المتوفى ٧٩٤ ، ينظر :المرجع السابق ، ٥٣/١ .

الفصل الأول

فوائد مُنتثِرة في تفسير الآيات المختومة بالأسماء الحسنى :

الفصل الأول : فوائد منتثرة في تفسير الآيات المختومة بالأسماء الحسنى :

من خصائص أواخر الآيات القرآنية تنويع ذكر الأسماء الحسنى ، بصورة تتناسب مع السياق ، وفي ذلك فوائد جليلة ، وأذكر منها تسع فوائد اخترتها حسب توفيق الله لي .

الفائدة الأولى : في عدة آيات من القرآن الكريم إذا ذكر الله -تعالى- الحكم لم يَنصّ على نفس الحكم عليه ، بل يذكر من أسمائه الحسنى ، ما إذا عُلم ذلك الاسم وعُلمت آثاره ، عُلِم أنّ ذلك الحكم من آثار ذلك الاسم ، وهذا حثّ من الله -تعالى- لعباده أن يعرفوا أسماءه حقّ المعرفة ، وأن يعلموا أنها الأصل في الخلق والأمر ، وأن الخلق والأمر من آثار أسمائه الحسنى ، وذلك مثل قوله -تعالى- :﴿...فَإِنْ فَاءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]

فيستفاد أن الفيئة يحبّها الله -تعالى-، وأنه يغفر لمن فاء ، ويرحمه ، وأن الطلاق بغيض إلى الله -تعالى-، وأمّا المُولي إذا طلّق فإن اللّه -تعالى- سيجازيه على ما فعل من السبب ، وهو الإيلاء ، والمسبَّب ، وهو ما ترتب عليه ... وهذا كثير[2].

الفائدة الثانية : من أساليب القرآن الكريم في أواخر الآيات ، أن يأتي بلفظة "كان"، لمجرّد تحقيق مضمون ما تدخل عليه دون الدلالة على المُضيّ ، مثل قوله -تعالى- ﴿ ... وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[3].

الفائدة الثالثة : إنّ القرآن الكريم يظهر أفعال الصانع ذي الجلال ، ويبسط آثاره أمام النظر ، ببياناته المعجزة ، ثمّ يستخرج عن آثاره وأفعاله تلك ، الأسماءَ الإلهية.

ومن أمثلة ذلك قوله -تعالى- :﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[4]، فيبسط الآثار في هذه الآية ويسرد أعظم الآثار الشاهدة على العلم والقدرة ، بغاياتها ونظاماتها ، كمقدّمات نتيجةٍ ومقصودٍ مهمّ ، فيستخرج اسم **العليم**..[5].

الفائدة الرابعة : من أساليب القرآن الكريم أنه يقرن الترغيب بالترهيب ، والإنذار بالتبشير ، ونرى ذلك في ختام الآيات ، مثل قوله -تعالى- ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان: ٢٢٦-٢٢٧ .

(٢) فوائد قرآنية ، للشيخ عبد الرحمن السعدي ، ص: ٤٩ - ٥٠ ، (تحقيق زهير الشاويش المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق) .

(٣) سورة النساء ، من الآية : ١٧ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٩ .

(٥) مجموعة المقالات من كلّيات رسائل النور ، للشيخ سعيد النورسي المتوفى سنة ١٣٧٩هـ من علماء تركيا ، ص: ٤٩٢ ، (ترجمها عن التركية الملا محمد زاهد زكردي ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥م)

لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1].

الفائدة الخامسة : وقد تأتي الفواصل القرآنية مشتملة على الأسماء الحسنى للحمل على المقرَّرات السابقة ، والحثّ على التمسك بها أمرا أو نهيا ، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿.. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2].

الفائدة السادسة : قد يختمُ القرآن الكريم الآية بفاصلة تكون كالتأكيد والتقرير لمضمون ما سبقها من المقاصد والأغراض بطريقة التذكير بأسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى، مثل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ...والله غفور رحيم ﴾[3].

الفائدة السابعة : من أساليب القرآن أن يختم بعض الآيات بالأسماء الحسنى للإشارة إلى ظهور تلك الأسماء في مضمون ما تقدمها من الكلام ، مثل قوله ـ تعالى ـ ﴿.. إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[4]، في بداية قصة يوسف ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ إذ أن النعم التي ذكرها الله ـ تعالى ـ في هذه الآية ، من الاجتباء وتأويل الأحاديث وإتمام النعمة على يوسف ـ عليه السلام ـ كان تحققُها بمقتضى اسمي "عليم حكيم" .

الفائدة الثامنة : إن في اقتران الاسمين الكريمين معنى دقيقا خفيًا عن الأفهام وهو حصول وصفٍ جديدٍ للّه ـ تعالى ـ من اقترانهما [5]، يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى : (صفةٌ تحصُل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر ، وذلك قدر زائد على مفردَيْهما نحو **"الغني الحميد ، العفو القدير ، الحميد المجيد "** ، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماءِ المزدوجة في القرآن ، فان **الغِنى** صفة كمال **والحمد** كذلك ، واجتماع الغِنى مع الحمد كمال آخر ، فله ثناء من غناه وثناء من حمده ، وثناء من اجتماعهما ، وكذلك **العفو القدير** ، **والحميد المجيد** ، **والعزيز الحكيم** ، فتأمله ، فإنه من أشرف المعارف)[6].

الفائدة التاسعة : قد يأتي الاسمان المقترنان في نهاية الآية للتنبيه على أن الأحكام الواردة المتعلِّقة بشئون الحياة ، وتنظيمها ، كالزواج والطلاق والميراث ، ليست أمورا دنيوية بحتة ، كما يتبادر إلى الذهن ، بل هي أحكام إلهية ، تدخل في مفهوم العبادة ، حيث إنها تؤدي إلى الثواب والعقاب ، كما في الآية التي جاءت في بيان الوراثة بالمصاهرة [7]، حيث قال ـ عز وجل ـ: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ... ﴾[8]، وانتهت هذه الآية باسمين من أسمائه ـ تعالى ـ ، وهما **"عليم حليم"** في قوله ـ تعالى ـ : ﴿... **والله عليم حليم** ﴾[8]،

وذلك لأن لاينسى الشخص الذي أخذ حصّة الميراث بطريقة غير مشروعة من غفلة الطرف الآخر، أو عجزه ، أنه واقع في حدود علم الله ـ تعالى ـ بما فعل ، كما أنه واقع في حدود عقابه ـ سبحانه ـ جزاء ما ارتكب من مخالفةٍ للحكم الإلهي ، ولكنه حليم ، لم يعاقبه مباشرة بل نبّهه إلى ذلك لكي يرجع إلى الحق ويعطي ما اغتصبه من حقوق الآخرين ، وإن لم يفعل فالعقاب له واقع [9]. والله ـ تعالى ـ أعلم بالصواب.

---

(١) سورة الأنعام ، من الآية : ١٦٥ .
(٢) سورة البقرة ، من الآية : ٢٣٣ .
(٣) سورة المائدة ، من الآية : ٧٤ .
(٤) سورة يوسف ، من الآية : ٦ .
(٥) الألوهية في القرآن ، للأستاذ الدكتور سعاد يلدريم ، ص : ٧٠ (باللغة التركية) .
(٦) بدائع الفوائد ، لابن القيم ، ١/١٦١ .
(٧) الوارثون بالمصاهرة : الزوج والزوجات .
(٨) سورة النساء ، من الآية : ١٢ .
(٩) الألوهية في القرآن للأستاذ الدكتور سعاد يلدريم ، ص : ٧٤ ـ ٧٥ . بتصرف يسير .

الفصل الثاني

المناسبة بين أسماء الله - تعالى - الحسنى، والآيات التي خُتمت بها :

من (سورة المائدة) إلى آخر (سورة المؤمنون) .

ســورة الـــمـــائـــدة

النص :

قال الله تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

الميتة : قال في القاموس المحيط : (الميتة : مالم تلحقه الذكاة) (٢) أي :الذبح ، وهي في عُرف الشرع : ما مات من بهيمة الأنعام ، حتف أنفه ، أو قتل على هيئة غير مشروعة (٣).

أهلّ لغير الله به : قال في المصباح المنير : (أهلّ المحرِم : رفع صوته بالتلبية عند الإحرام ، وكل مَن رفع صوته فقد أهل إهلالا ..) (٤).

و المراد ممّا أهلّ لِغير الله به : ما ذُكر على ذبحه غيرُ اسم الله - تعالى - من صنم أو وثن أو بشر ، كقولهم : باسم اللات والعزّى .

المنخنقة : ما مات خنقا بأن عُصر حلقه بحبل أو نحوه (٥)، قال في لسان العرب : (الانخناق انعصار الحلق) (٦).

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

(٢) القاموس المحيط ، مادة (موت) ، ص :٢٠٦ (تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، ط . الأولى ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) .

(٣) تفسير الشيخ القاسمي المسمى "محاسن التأويل" ، ٣٨/٣ (دار الفكر ، ط . الثانية ، ١٣٩٧هـ

(٤) المصباح المنير للفيومي ، ٦٣٩/٢ (المكتبة العلمية ، بيروت) .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ، ٣٣٥/٤ (مؤسسة دار العلوم ، الدوحة - قطر ، ط . الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٧ م) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ٤٨/٦ .

(٦) لسان العرب ، مادة (خنق) ، ٩٢/١٠ ، (دار صادر ، بيروت ، تصوير المكتبة الفيصلية) .

الموقوذة : التي ضُربت بعصا أو حجر حتى ماتت ٠
قال في لسان العرب :(الوقذ: شدة الضرب ،وشاة موقوذة: قُتلت بالخشب)[١].
قال في المفردات : (الموقوذة: المقتولة بالضرب)[٢].

المتردِّية :التي تسقط من عال إلى أسفلَ مثل الجبل فتموت[٣].
من التردّي: مأخوذ من الرّدَى بمعنى الهلاك[٤].

النّطيحة : المنطوحة ، فعيلة بمعنى مفعولة ،وهي التي ينطحها غيرها حتّى تموت ، يقال: نطحه -كمنعه وضربه- ينطحه :-بفتح الطاء وكسرها -:أصابه بقرنه[٥].

السّبع :المفترِس من الحيوان[٥]كالأسد والثّعلب والذّئب ونحوها ٠والمراد ممّا أكل السّبع : ما أكل منه السّبع[٧].

ذكّيتم : ذبحتم ، قال في النّهاية: (التذكية: الذبح والنحر، يقال: ذكّيت الشاة تذكية ، والاسم الذكاة ، والمذبوح ذكِيّ)[٨].

النّصب :قال في المصباح المنير: (النّصب -بضمتين -حجر نُصب وعبِد من دون الله ، وجمعه أنصابٌ ، وقيل: "النّصب جمعٌ واحِدها:"نِصاب ")[٩].

---

(١) لسان العرب ، مادة (وقذ)،٥١٩/٣ ٠

(٢) المفردات في غريب القرآن ،للراغب ، ص ٥٢٩، (دار المعرفة ، بيروت ، تحقيق محمد سيد كيلاني)٠

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ،ص ١٤٠ ،(تحقيق السيد أحمد صقر ،طبعة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م دار الكتب العلمية ، بيروت)٠

(٤) القاموس المحيط ، مادة (ردى) ،ص ١٦٦١ ٠

(٥) المرجع السابق ، مادة (نطح)،ص ٣١٣ ٠

(٦) المرجع السابق ،مادة (سبع)، ص٩٣٨ ٠

(٧) تفسير القرطبي ، ٤٩/٦ ـ ٥٠ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ٦/٣ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت) .

(٨) النّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير،١٦٤/٢ ،(تحقيق محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي ٠عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م) ٠ينظر لسان العرب مادة (ذكى) ،٢٨٨/١٤ ٠

(٩) المصباح المنير، ٦٠٧/٢ ٠

جاء في كتب معاني القرآن[1]: أنها أحجار أو أصنام نصبوها حول الكعبة، كانوا يذبحون عندها ويعظّمونها بذلك، ويصبّون عليها دماء الذبائح .

تستقسموا : تطلبوا معرفة ما قسّم لكم من أحد الأمرين، وفي اللغة : القَسم - بفتح القاف وكسرها -: الحظّ والنّصيب[2].
قال القرطبي: (إنما قيل لهذا الفعل: استقسام لأنّهم كانوا يستقسمون به الرّزق وما يريدون)[3].

بالأزلام :جمع زلم - بفتح الزاي وضمّها - وتسمّى القداح، وهي سهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية[4].

فسق : قال في اللسان: (الفسق: العصيان والترك لأمر الله -عز وجل- والخروج عن طريق الحق)[5].

يئس : من اليأس، قال في القاموس: (اليأس واليآسة: القنوط، ضد الرجاء أو قطع الأمل)[6].

اضطرّ :من الاضطرار، وهو الاحتياج إلى الشيء، وقد اضطرّه إليه أمرٌ: أحوجه وألجأه إليه، وهو من الافتعال، فجعلت التاء طاء، لأن التاء لم يحسُن لفظها مع الضاد[7].

مخمصة :مجاعة[8]، وفي لسان العرب: (الخَمْص - بسكون الميم وفتحها -

(١) ينظر: معاني القرآن، للفرّاء، ٣٠١/١، (نشر عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م). وتفسير غريب القرآن، ص ١٤٠-١٤١ . ومعاني القرآن وإعرابه، للزجّاج، ١٦٠/٢، (تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت)، ومفردات الراغب ص ٤٩٤ . وينظر تفسير القرطبي، ٥٧/٦ .

(٢) لسان العرب، ٤٧٨/١٢ .

(٣) تفسير القرطبي، ٥٨/٦ .

(٤) تفسير غريب القرآن، ص ١٤١، والقاموس المحيط، مادة (زلم)، ص ١٤٤٤ .

(٥) لسان العرب، مادة (فسق)، ٣٠٨/١٠ .

(٦) القاموس المحيط، مادة (يئس)، ص ٧٥١ .

(٧) لسان العرب، مادة (ضرر)، ٤٨٣/٤-٤٨٤ .

(٨) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ص ١٤١، والقاموس المحيط، مادة (خمص)، ص ٧٩٧ .

والمخمصة : الجوع ، وهو خلاء البطن من الطعام جوعاً،
والمخمصة : المجاعة ، وهي مصدر مثل المغضبة)[١].

متجانف لإثم : مائل إلى الإثم، من الجنف -بفتح النون- : الميل[٢].

وأما الإثم فهو الذنب[٣]. وهو ترك ما أمر الله بفعله ، وفعل
ما أمر بتركه .

غفور : اسم من الأسماء الحسنى ،وقد تقدّم معناه[٤].

رحيم : اسم من الأسماء الحسنى ،وقد تقدّم معناه[٥].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " غفور رحيم " عَقِبه :

هذه الآية الكريمة هي تفسير وتفصيل لقوله -تعالى- في الآية الأولى من هذه السورة وهو قوله -تعالى- :﴿ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[٦] حيث ذكر في هذه الآية المحرّمات التي استثناها من بهيمة الأنعام هناك ، فقال -تعالى-:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾- أي : البهيمة التي ماتت بدون تذكية مشروعة ، وقد خصت السنة المطهّرة من ذلك السمك والجراد ، ويدلّ على ذلك حديث ابن أبي أوفى[٧] -رضي الله عنهما- قال : غزونا مع النبي -صلّى اللّه عليه وسلّم- سبع غزواتٍ -أو ستا- كنّا نأكل معه الجراد[٨].

---

(١) لسان العرب مادة (خمص) ، ٣٠/٧ .

(٢) القاموس المحيط مادة (جنف)، ص ١٠٣١ .

(٣) الصحاح للجوهري ، ١٨٥٧/٥ . (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ،ط الثانية ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص :٣٤ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص :٣٢ .

(٦) سورة المائدة ، جزء من الآية الأولى ، وهي قوله -تعالى- :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾

(٧) هو عبد الله بن أبي أوفي ، علقمة بن خالد الأسلمي ، صحابي ، شهد الحديبية ، وهو آخر مَن توفي بالكوفة من الصحابة ٨٧هـ ينظر: الإستيعاب ، لابن عبد البر ، ٨٧٠/٣ (القسم الثالث) مكتبة نهضة مصر - القاهرة .

(٨) صحيح البخاري، مع شرحه فتح الباري ، كتاب الذبائح و الصيد ، باب أكل الجراد ، ٦٢٠/٩ ، رقم ٥٤٩٥ . وصحيح مسلم (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي) كتاب الصيد والذبائح ، باب إباحة الجراد ، ١٥٤٦/٣ ، رقم ١٩٥٢ .

وحديثُ جابر[١] ـ رضي الله عنه. قال: غزونا جَيْشَ[٢] الخَبَط[٣]. وأُمِّر أبو عبيدة[٤]، فجُعنا جوعا شديدا، فألقى البحر حوتا ميتا لم نَرَ مثله يقال له العنبر، فأكلنا منه نصف شهر .... فلمّا قدمنا المدينةَ ذكرنا ذلك للنّبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فقال: "كُلُوا رِزْقًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ. أَطْعِمُونَا إِنْ كان مَعَكُمْ، فَأَتاه بَعْضُهم بِعُضْوٍ فَأَكَلَهُ"[٥]. ﴿وَالدَّم﴾ أي: المسفوح السائل لقوله ـ تعالى ـ في موضع آخر ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾[٦]، ويدل أيضا على تخصيص السنة الكبدَ والطحال من ذلك الحكم حديث ابن عمر[٧] ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ: فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالسَّمَكُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ"[٨].

---

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرام الخزرجي الأنصاري السَّلمي، صحابيّ، من المكثرين في الرواية عن النّبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ غزا تسعَ عشرةَ غزوة. توفي ـ رضي الله عنه سنة ٧٠ وقيل ٧٧هـ . ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني مكتبة المثنّى ببغداد، تصوير عن الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ، بمطبعة السّعادة . ج١ ص٢١٣ .

(٢) قوله: جيش الخَبَط ـ منصوب على الاختصاص .

(٣) قال ابن الأثير في النهاية، ٧/٢ : الخبط ـ بسكون الباء ـ: ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها، واسم الورق الساقط، خَبَط ـ بالتحريك ـ . فَعَلٌ بمعنى مفعول، وهو من علف الإبل . وأما سبب التسمية بجيش الخبط، فقد جاء في رواية مسلم عن جابر، ١٥٣٦/٣، قال: فأقمنا بالسّاحل نصفَ شهر فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط. فسُمّي جيش الخبط ..

(٤) هو عامر بن عبد الله بن الجَرّاح بن هلال الفِهري القرشي: أبو عبيدة، أحد العشرة المبشّرين بالجنّة . شهد بدرا، فاتح الديار الشامية، ينظر: الإستيعاب، ٧٩٢/٢ـ ٧٩٣ .

(٥) صحيح البخاري، مع شرحه فتح الباري، كتاب المغازي، باب غزوة سيف البحر، ٧٨/٨، رقم ٤٣٦٢ . وصحيح مسلم، كتاب الصيد، باب إباحة ميّتات البحر، ١٥٣٦/٣، رقم ١٩٣٥ . واللفظ المذكور للبخاري .

(٦) سورة الأنعام، جزء من الآية، ١٤٥ .

(٧) هو عبد الله بن عمر بن الخطّاب، العدوي، أبو عبد الرّحمن، صحابي، ولد بعد البعثة بيسير . وهو أحد المكثِرين من الصحابة، وكان أشدّ الناس اتباعا للأثر . توفي في سنة ٧٣هـ. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ٣٤٠/٣، دار الشعب .

(٨) أخرجه أحمد في (مسنده)، ٩٧/٢، وابن ماجه في (سننه)، ١١٠٢/٢، رقم ٣٣١٤، في كتاب الأطعمة باب الكبد والطحال، والدار قطني، ٢٧١/٤-٢٧٢، رقم ٢٥، في باب الصّيد والذبائح والأطعمة وغير ذلك، وإسناده ضعيف لكن رواه البيهقي في السنن، ٢٥٤/١، موقوفا على ابن عمر بإسناد صحيح، وهو موقوف لفظا، مرفوع حكما، لأن قول الصّحابي "أحلّت لنا" مثل قوله "أُمِرنا بكذا ونُهينا عن كذا" .

وأمّا الدّم الذي يتبقّى في العروق بعد الذبح، فقد ذكر الطبري[1]، وابن عطيّة[2] الإجماع على أنّه مباح، وأنّه ليس من الدّم المسفوح

﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ المراد به: جميع أجزائه، لحمه وما خالطه من شحم وغيره[3]، وإنّما خصّ اللحم بالذكر، لأنّه معظمه والمقصود بالأكل.

﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ما ذكر على ذبحه غيرُ اسم الله - تعالى - من صنم أو وثن أو بشر أو نحو ذلك، فما ذبح على غير اسم الله - تعالى - فهو حرام، قال ابن كثير: (لأنّ الله - تعالى - أوجب أن تذبّح مخلوقاته على اسمه العظيم، فمتى عدل بها عن ذلك، وذكر عليها اسم غيره من صنم أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك من سائر المخلوقات، فإنّها حرام بالإجماع)[4].

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ وهي البهيمة التي تختنق، إمّا في وثاقها، وإمّا بادخال رأسها في الموضع الذي لاتقدر على التخلّص منه حتّى تموت[5].

﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ أي: وهي التي تُضرَب بحجر أو عصًا حتّى تموت من غير تذكية، وأنّ ذلك حرام في الإسلام، لأنّه تعذيب للحيوان، قال - صلّى الله عليه وسلم -: " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ[6] وإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ. ولْيُحِدَّ[7] أحدُكم شفرَته[8]، فلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ"[9].

(١) جامع البيان، للطبري، ٦٧/٦، (مصطفى البابي الحلبي، ط الثالثة، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م).

(٢) المحرّر الوجيز، ٣٣٤/٤.

(٣) ينظر: النّكت والعيون للماوردي، ٤٤٣/١، (تحقيق خضر محمد خضر، ط الكويت، ط الأولى).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٩/٢، (دار المعرفة - بيروت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

(٥) ينظر: تفسير الطبري، ٦٨/٦.

(٦) القِتلة: - بكسر القاف وسكون التاء -: الهيئة والحالة، شرح النووي على صحيح مسلم ١٠٧/١٣.

(٧) ليحِدّ: - بضم الياء -، يقال: أحدّ السكين وحدّدها واستحدّها بمعنى. وليرح ذبيحته باحداد السكين، وتعجيل امرارها. المرجع السابق، ١٠٧/١٣.

(٨) قال ابن الأثير في النّهاية: الشفرة - بسكون الفاء -: السّكّين العريضة، ٤٨٤/٢.

(٩) صحيح مسلم، ١٥٤٨/٣ رقم ١٩٥٥، كتاب الصّيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة. والمسند لأحمد بن حنبل، ١٢٣/٤، (الطبعة المصوّرة عن الطبعة الميمنيّة، سنة ١٣٠٦هـ، تصوير المكتب الاسلامي، ودار صادر، بيروت). سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، ٢٣/٤، رقم ١٤٠٩، (دار إحياء التراث العربي، بيروت). وسنن ابن ماجه، لمحمد ابن يزيد القزويني، ١٠٥٨/٢، رقم ٣١٧٠ كتاب الذبائح، باب إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح. (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه).

﴿ وَالْمُتَرَدِّيَةُ ﴾ :وهي التي تسقط من مكانٍ عال ،أو في بئر أو غير ذلك، وهي كالميتة في الحكم لا يحِلّ أكلها بدون تذكية، ﴿ وَالنَّطِيحَةُ ﴾:وهي التي ماتت بسبب نطح غيرها ، وتلك حرام أيضا إنْ لم تدرك ذكاتُها قبل موتها ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ ﴾ أي : وما افترسه السّبع وأكل بعضه ومات بجرحه، فلا يؤكل ما بقي ﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾أي : إلّا ما أدركتم ذكاتَها من المنخنقة وما عُطِف عليها ، وفيه بقيّة حياةٍ ، يضطرب اضطرابَ المذبوح ،و ذبحتموه فإنّه يحلّ ، وإلّا فلا يحلّ الأكل منه[1]، ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ أي : وما ذبح على الأحجار والأصنام المنصوبة ، وقد كانت لأهل الجاهليّة حجارة منصوبة حولَ البيت يذبحون عليها ويتقرّبون بذلك إليها[2]، ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾أي : وحرّم عليكم أيضا أنْ تطلبوا معرفة مالكم ، وما قُدّر عليكم ، عن طريق الأزلام ، وهي قِداح القِمار على هيئة السّهام ،كانوا في الجاهلية إذا أُرادوا سفرا أو غزوا ، أو تجارة أو نكاحا أو غير ذلك من معاظم الأمور يعمِدون إلى قداح ثلاثة : مكتوبٍ على أحدها أمرني ربي وعلى الآخر نهاني ، والثالث لا كتابة عليه ، فإنْ خرج الآمِر أقدم على الفعل ، وإن خرج الناهي أمسك ، وإن خرج الغُفْل أعاد ثانيا حتى يخرج الآمِر أو الناهي[3]. ﴿ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ أي : الاستقسام بالأزلام خروج عن دين الله وشرعه ، أو تناوُلُ كلّ ما ذكِر من المحرّمات خروج عن طاعة الله - تعالى -[4]. ثم أخبر - تعالى - عبادَه المؤمنين أنّ الكفار قد يئسوا من زوال دين الإسلام فقال : ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ ﴾ المراد باليوم : يوم نزول هذه الآية ، وهو يوم الجمعة عامَ حجّة الوداع

---

(١) ينظر:تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ،ص ١٣٠ ،وتفسير أبي السعود ، ٦/٣ .

(٢) ينظر:الكشاف، للزمخشري،٥٩٣/١، (نشر دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان). والمحرر الوجيز ، ٣٤٠/٤ .

(٣) ينظر : معان القرآن للفراء ، ٣٠١/١ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص ١٤١ . وتفسير الطبري ، ٧٦/٦ .

(٤) ذهب الزمخشري في تفسيره ، ٥٩٣/١ ، وأبو السعود في تفسيره ، ٦/٣ ، والآلوسي في تفسيره ، ٦٠/٦ إلى أنّ المشار إليه من قوله تعالى :﴿ ذلكم ﴾ هو الاستقسام بالأزلام. والأرجح عندي - والله أعلم - هو الثاني فهو كلّ ما ذكر من المحرّمات ،لأنّ ارتكاب شيء منها خروج عن طاعة الله ، ويؤيّد ما نقوله قوله تعالى ﴿ ولا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ الأنعام : من الآية (١٢١).وبه قال الطبري ، (٧٨/٦) .

كما رُوِيَ[١] عن عمرَ بنِ الخطّاب[٢] -رضي الله عنه- والمعنى: الآن انقطع رجاؤهم من إبطال دينكم، أو يئسوا من أَنْ يردّوكم عن دينكم كما كان ذلك قبلَ فتح مكة، إذاً ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ﴾ أي: فلا تخافوا الكفّار أن يَظهروا عليكم ويردّوكم عن دينكم، وخافوا الله -تعالى- الذي نصركم عليهم، وخذلهم. ثمّ أخبر -تعالى- عبادَه المؤمنين امتنانَه وإنعامه عليهم فقال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ بجميع عقائده وعباداته وأحكامه وآدابه حتّى لاتَحْتاجوا بعد ذلك إلى تحليل وتحريم ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ بإظهاركم على الأعداء والغلبة عليهم، قال الآلوسي: (إتمام النّعمة على المخاطبين بفتح مكّةَ ودخولها آمنين ظاهرين، وهدمِ مَنار الجاهليّة ومناسكها)[٣]. ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ أي: واخترته لكم من بين الأديان، وأعلمتكم بأنّه هو الدين المَرضيّ وحده عندي، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[٤] وقال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[٥] وفي الآية إشارة إلى تمام رسالة محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- وأنّ أجله قد اقترب. ولمّا كان بيانُ ما يَضطرّ إليه الإنسانُ من أحوال وضرورات من كمال الدّين، بيّن الله -جلّ شأنه- حكمَه فيها فقال: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ هذا الجزءُ

---

(١) أخرج الشيخان -واللّفظ للبخاري- عن طارق بن شهاب عن عمرَ بن الخطّاب أنّ رجلا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرءونها لو علينا -معشر اليهود- نزلت لاتّخذنا ذلك اليومَ عيدا. قال: أيّ آية؟ قال ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ قال عمر: قد عرفنا ذلك اليومَ والمكانَ الّذي نزلت فيه على النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وهو قائم بعرفة، يوم جمعة. (صحيح البخاري، مع شرحه فتح الباري، ١٠٥/١، رقم ٤٥، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه... صحيح مسلم، ٢٣١٣/٤، رقم ٣٠١٧، كتاب التفسير.).

(٢) هو عمربن الخطّاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص: ثاني الخلفاء الراشدين وأوّل مَن لقّب بأمير المؤمنين، توفّي سنة ٢٣هـ. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١١٤٤/٣.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، للآلوسي، (دار الفكر، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م) ٦٠/٦-٦١.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ١٩.

(٥) سورة آل عمران، من الآية: ٨٥.

من الآية يتصل بقوله -تعالى- : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ إلى قوله ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾ وقد توسّط قوله -تعالى- : ﴿ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ إلى هنا : لتأكيد التحريم لما تقدّم ذكره : لأنّ تحريم هذه الخبائث من جملة الدّين الكامل والنعمة التامة [(1)].

والمعنى : أنّ مَن وقع في مجاعة، وخاف على نفسه أن يهلك جوعاً، فاضطرّ إلى تناوُل شيء من المحرّمات المذكورة، إنقاذاً لحياته، فأكل بشرط أن يكون غيرَ مائل إلى إثم، وذلك بتجاوزه حدّ الضرورة أو بعصيان السفر، فإنّ الله -عز وجل- لا يؤاخذه لتناوله من تلك المحرّمات حالةَ الاضطرار، وجملة ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ تعليل لذلك الجواب المقدّر.

لمّا بيّن الله -تعالى- الأشياء التي يحرُم تناولُها على النّاس لصالحهم، واستثنى ممّا حرّم ما يُنقذ حياتَهم بلا غلوّ ولا مجاوزة ومع الاضطرار الشديد، أخبر عن نفسه الكريمة بصفتي المغفرة والرحمة، فمِن رحمته بعباده أنّه أباح لهم ما هو حرام أصلا عند الاضطرار والحاجة. ومن واسع مغفرته أنّه -تعالى- شمِل هذه المحظورات في الاضطرار بمغفرة الذنوب وسترها والصفح عنها، لأنّ تناول الميتة قد يكون واجبا في بعض الأحيان، وهو حين يخاف الإنسان على نفسه، ولا يجد غيرها، وقد يكون مندوبا، وقد يكون مباحا بحسب الأحوال [(2)]. يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " إنّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُه، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُه "[(3)].

وفي إخبار الله -تعالى- عن نفسه الكريمة -في هذا الختام- بأنّه "غفور رحيم"، معان تُسْتَخْرَج مِن ذكرهما مقترنين، ومنها ما يأتي :

أوّلا : رفع الإيهام الذي يطرأ على نفس المضطرّ مِن أنّ التناول من هذه المحرّمات من ميتة وغيرها عند الاضطرار فيه ذنب، فلا يجوز الإقدام عليه، ففي ذكر اسمه -تعالى- ﴿غفور﴾ أوّلا إشارة إلى أنّ تناول ما حرّمه الله -تعالى- حالةَ الاضطرار ليس ذنبا، بالنظر إلى حال المضطرّ،

---

(1) ينظر : تفسير أبي السعود، ٧/٣، وتفسير الآلوسي، ٦١/٦ .

(2) تفسير ابن كثير، ١٥/٢ .

(3) أخرجه أحمد في (مسنده)، ١٠٨/٢، من طريق قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن عمارة بن غزية، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعا . وأخرجه ابن حبان في (صحيحه)، (٢٧٤٢) و (٣٥٦٨) من طريق ابن قتيبة بن سعيد. والخطيب البغدادي في (تاريخه)، ١٠/ ٣٤٧، من طريق علي بن عبد الله المدني، عن عبد العزيز بن محمد، عن عمارة بن غزية، عن حرب بن قيس، عن نافع، عن ابن عمر، وقال الهيثمي في (المجمع) ١٦٢/٣ : رواه البزار والطبراني في (الأوسط) وإسناده حسن.

وإن كان ذنبا بالنّظر إلى غير المضطرّ ٠ثمّ إنّ تحريم التناول من تلك المحرّمات ليس تحريما أبديّا ، إذ رُوعِي فيه أيضا نافذة الضرورة ،فعندما توجد الضرورة يصبح استعمالُ تلك المحرّمات وتناولُها رخصة من الله بشرط الالتزام بما شرعه الله - تعالى - في الأخذ منها بقدر ما يحفظ حياة الإنسان من التّلف والضّياع ٠

وروحُ الرّخصة مستفادة في هذا المقام من اسمه - تعالى - ﴿ الغفور ﴾.
وأمّا اسمه - تعالى - ﴿ الرحيم ﴾ المقترن به يدلّ على أنّ تلك الرخصة في تلك الحالة إكرام ونعمة وتوسِعة من الله - تعالى - على عباده ٠

ثانيا : إنّ الإنسان بطبيعته البشريّة قد يخالف منهج الله - عز وجل - فيما أحلّ وفيما حرّم ، فيتناول - وهو غير مضطرّ - مِن تلك المحرّمات التي تقدّم ذكرُها ، و ذلك يجعله عاصِيا للّه - سبحانه وتعالى - فأخبر - تعالى - بأنّه غفور للعاصي إذا تاب ورجع إليه ، رحيم به حيث يتفضّل عليه برحمته و يَقبل توبتَه ٠

ثالثا : قد يتجاوز المضطرّ من غير قصد القدرَ الذي يحفظ حياتَه والذي حدّده الشرع [١] لإنقاذه مِن الهلاك ، وبذلك يواجه معصيةً تجعله يتطلّع إلى مغفرة ربه ، فاللّه - سبحانه وتعالى - غفور له يغفر ذنبه في تناول ما يزيد على الحاجة ، رحيم به حيث أباح له تناول قدر الحاجة [٢] والله - سبحانه وتعالى - أعلم بالصواب ٠

---

(١) في هذا التحديد خلاف لدى العلماء،ينظر : أحكام القرآن للجصّاص ،١٢٧/١ ، (دار الكتاب العربي - بيروت ،طبعة مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٣٥هـ ٠ وأحكام القرآن لابن العربي، ١ / ٥٥ - ٥٦، (تحقيق علي محمدالبجاوى ،دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت) ٠ وذلك عند تفسير الآية (١٧٣) من سورة البقرة ٠

(٢) ينظر : التفسير الكبير للرازي، ١٣/٥ ، (دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،ط الثالثة) ٠ البحر المحيط لابي حيّان ، ٤٩١/١، (نشر دار الفكر ،ط الثانية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، أثناء تفسير الآية : ١٧٣، من سورة البقرة ٠

النص :

قال الله تعالى :

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ (١)

بيان غريب النص:

نعمة الله : قال الجوهري : (النّعمة : اليد والصّنيعة والمِنّة وما أنعم به عليك)(٢).

وقال الرّاغب : (النِّعمة - بكسر النون - : الحالة الحسنة. والنَّعمة - بفتح النون - : التنعم. والنّعمة - بالكسر - للجنس، تقال للقليل والكثير، قال - تعالى - : ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ...﴾ (٣))(٤).

و قال في اللّسان : (نعمة الله - بكسر النون - : مَنّه وما أعطاه الله العبدَ ممّا لا يمكن غيرَه أن يعطيه إيّاه كالسّمع والبصر)(٥).

والمراد بها : جنس النّعم كنعمة الحياة والصّحّة والعقل والهداية للإسلام (٦).

ميثاقه : عقد الله - تعالى -.

وفي مفردات الراغب : (الميثاق : عقد مؤكد بيمين وعهد) (٧)

عليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، وتقدّم معناه(٨).

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٧ .

(٢) الصّحاح للجوهري ، مادة (نعم) ، ٥/٢٠٤١ ، (تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار ، ط الثانية ١٤٠٢ه - ١٩٨٢م).

(٣) سورة إبراهيم ، من الآية : ٣٤ ،و سورة النحل، من الآية : ١٨ .

(٤) مفردات الراغب ، ص ٤٩٩ .

(٥) لسان العرب ، مادة (نعم) ، ١٢/٥٨٠ .

(٦) ينظر : التفسير الكبير للرّازي ، ١١/١٧٨ .

(٧) مفردات الرّاغب ، ص ٥١٢ .

(٨) ينظر : لمعناه من هذا البحث ، ص : ٣٣.

معنى النص ومناسبة اسمه -تعالى- " عليم " عَقِبه :

لمّا قدّم الله -سبحانه وتعالى- ذِكرَ الأحكام -في الآيات السابقة[١]- عقّبه بذكر ما يوجِب الالتزام بها فقال : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ تذكير من الله -تعالى- لِعباده المؤمنين بِنِعَمِهِ الّتي أغدقها عليهم ، والمعنى : تذكّروا وتأمّلوا -أيّها المؤمنون- في جنس نعم الله -تعالى- عليكم مِن إعطاء نعمة الحياة والصّحة والعقل ، والهداية إلى الإسلام وغير ذلك مِن النعم التي لا يقدِر عليها إلّا اللّه -عز وجل- ، وفي الأمر بِتذكّر نعمة اللّه -تعالى- على عباده إرشاد إلى معرفة موجِبات شكره لِيَزدادوا شكرا ويزدادوا نِعَما ، قال -تعالى- : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [٢] ثم عطف على قوله ﴿ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ قولَه ﴿ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ أي : واذكروا ميثاقه و عهده الّذي أخَذَه عليكم وعاقدكم بِهِ عقدا وثيقا حينَ قلتم سمِعنا وأطَعنا . ومَن قالَ سمِعنا وأطَعنا فقد أعطَى اللّه -تعالى- عَهدا ، وهو العَهد[٣] الّذِي أشار إليه -سبحانه وتعالى- في قوله -تعالى- : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾[٤] وَيُمكِن أن يكونَ هذا المِيثّاق هو ما أخَذَه الرّسول -صلّى اللّه عليه وسلّم- على المسلِمين[٥] إذ دخَلوا في الإسلام ، فقد كانت بيعتهم لرسول اللّه

---

(١) هي من قوله تعالى في أول السورة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ... ﴾ إلى آخر الآية السادسة من سورة المائدة .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ٧ .

(٣) هو قول مجاهد من المفسّرين ، ينظر : تفسير مجاهد ، ص ١٨٧ (طبعة إسلام آباد - باكستان) .

(٤) سورة الأعراف ، من الاية : ١٧٢ .

(٥) هذا القول هو ما ذهب إليه بعض المفسّرين كالزمخشري في الكشاف ، ٥٩٦/١ ، وأبو حيّان في البحر المحيط ، ٤٤٠/٣ ، و ينظر للأقوال المذكورة في المراد بالميثاق : زاد المسير لابن الجوزي ، ٣٠٦/٢ . (المكتب الاسلامي ، ط الثانية) .

-صلّى الله عليه و سلّم- قائِمَةً على السّمع والطّاعَة في حَال اليسرِ والعسر والمنشط والمَكْرَه، مثل مبايعته -صلّى الله عليه وسلّم- مع الأنصار ليلةَ العقبة، ومبايعته مع عامّة المؤمنين في بيعة الرّضوان . وفي إضافة المِيثاق الصّادر عن الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- إلى الضمير الرّاجع إلى الله -تعالى- تكريم للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- .

لمّا تقدّم -في هذا النّص الكريم- تذكير الله -عز وجل- المؤمنين بنِعَمِه عليهم، وميثاقه الذي أخَذَه عليهم -وهما الأمران اللذان يوجبان الشكر لله -تعالى- والانقياد لأوامره ونواهيه- جاء التذييل بالتّقوى التي هي لزوم الشريعة والقيام بها، وأعظم الدواعي للقيام بالشكر على نِعَم الله -تعالى-، والوفاء بميثاقه فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بامتثالكم الشكر لله -عزّ وجلّ- إذ به تدوم النّعم، وبامتثالكم الوفاءَ بعهد الله -تعالى-، واحذروه في نقض الميثاق و تناسي النّعمة .

ثمّ أعلمهم أنّه -تعالى- يعلم ما يختلج في الصّدور من الأسرار والخواطر، فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: والمراد بذات الصدور: الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه، وهي لِكونها حالّة في القلب منتسِبة إليه وكانت ذات الصدور(١)، والجملةُ اعتراض تذييليّ وتعليل للأمر بالاتّقاء(٢)، والمعنى: خافوا الله -عز وجل- أن تتناسوا نِعمه عليكم، وتنقضوا ميثاقه الذي واثقكم به، أو تخالفوه بأن تُضمروا في أنفسكم لِقولكم: سمعنا وأطعنا عدمَ الوفاء، لأنّ الله -عز وجل- عليم بما في صدور جميع خلقه، وما النوايا والأشياء التي تنطوي عليها ضمائرهم، وتكنّه سرائرهم من خير و شر، فلا تظنوا أنّ شيئا من أسراركم يخفى عليه، فهو -تعالى- عالم بما تخفيه نفوسكم -أيها المؤمنون- من الشكر على نعمه -عز وجل- والوفاءِ بعهده الذي قطعتموه على أنفسكم لربّكم بالتزامكم بطاعته وطاعة رسوله محمد -صلّى الله عليه وسلّم-، فيجازيكم على ما قدّمتم مِن شكرٍ على نعمه وعدمه، ووفاءٍ بعهده وعدمه .

وفي ختم الآية باسمه -تعالى- " عليم " بيان لِسَعة علم الله -تعالى- ونفوذه إلى كل خفيّ، فعِلم الله -سبحانه- لا يقف عند ظواهر الأشياء، بل ينفُذ إلى كل ذرة من ذراتها، وإلى كل دقيقة من دقائقها . وفيه وعدٌ لِمَن شكر ووَفّى، ووعيدٌ لِمن لم يشكر الله -تعالى- على نعمه ونَقَضَ ميثاقه. والله أعلم بالصواب .

---

(١) ذكر المراد بذات الصدور الفخر الرازي في تفسيره، ٢٠١/٨ . ينظر: التفسير الكبير للرازي أثناء تفسير الآية (١١٩) من سورة آل عمران .

(٢) تفسير أبي السعود، ١٢/٣ .

النص :

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ [(١)]

بيان غريب النص :

قوّامين : جمع " قوّام" وهو صيغة مبالغة من "قائم" . والقِيام -كما قال الراغب-[(٢)] : على أضرُب : قيام بالشخص ، إمّا بتسخير كقوله -تعالى- : ﴿ما قطعتم من لينةٍ أو تركتموها قائمةً على أصولها ...﴾-[(٣)] أو اختيار كقوله تعلى : ﴿الذين يذكرون الله قِيَامًا[(٤)] وقعودًا وعلى جنوبهم...﴾[(٥)]. وقيامٌ للشيء : هو المراعاة للشيء والحفظ له كقوله تعالى :-(...كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط...)-[(١)] وقيام على العزم على الشيء كقوله تعالى :-(يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة...)-[(٦)] والمراد بالقيام لله -عز وجل- : مراعاة حقوق الله -تعالى- والمواظبة عليها والقيام بها حقّ القيام .

بالقسط : بالعدل[(٧)].

لا يجرمنكم : لا يحملنّكم ، مِن : جرَمه على كذا : حمله عليه، أو لا يكسبنّكم ، مِن جرم بمعنى كسب[(٨)]، غير أنه يستعمل غالبا في كسب ما لا خير فيه ، تقول : جرم ذنبا : كسبه،

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٨ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، ص ٤١٦ .

(٣) سورة الحشر ، جزء من الآية : ٥ . ومعنى " لِينة " نخلة . ينظر : كلمات القرآن "تفسير وبيان" لحسنين مخلوف ، ص ٤٢٨ ، دار الفكر) .

(٤) " قياما " جمع قائم ، وهو اسم فاعل .

(٥) سورة آل عمران ، جزء من الآية ، ١٩١ .

(٦) سورة المائدة ، من الآية : ٦ .

(٧) الصحاح ، مادة (قسط) ، ٣/١١٥٢ ، ولسان العرب ، مادة (قسط) ، ٧/٣٧٧ .

(٨) ينظر : معاني القرآن للفرّاء ، ١/٢٩٩ - ٣٠٠ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص ١٣٩ .

وأجرمته ذنبا : أكسبته ذنبا[١].

شنآن : بغض ، وهو مصدر :شنأه -كمنعه -إذا أبغضه[٢].

خبير : اسم من أسماء الله -تعالى -الحسنى ، وقد تقدّم معناه[٣].

معنى النّص ومناسبة اسمه تعالى " خبير " عَقِبَه :

لمّا ذكّر الله -سبحانه وتعالى - المؤمنين -في الآية السابقة -بالنّعمة والوفاء بالعهد عَقّبَ ذلك بما يشير إلى أنّ ما تقدّم إنّما يكون بالاستقامة فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ نداءٌ من الله -عز وجل -للمؤمنين فيه تنبيه إلى الخبر المهمّ والأمر الخيّر الذي ناداهم الله -عز وجل- من أجله ، ودعاهم إلى تنفيذه ، وهو التزام ما يأتي ﴿كُونُوا قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ هذا أمر من الله -تعالى -لِعباده المؤمنين بأن يكونوا- دائما- كثيري القِيام بحقوق الله -عز وجل -مواظِبين عليها ، مُوفين لها ، وذلك في كلّ ما يلزم المؤمنين القيامُ به من العمل بطاعة الله -عز وجل- واجتناب منهيّاته ﴿ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي : وأمرهم أيضا أن يؤدّوا الشّهادة بالعدل، من غير مراعاة لِقرابة أو صداقة ، ومن غير محاباة أو مجاملة ، ومن غير الظّلم على أصحاب حقّ ولو للأعداء ، كما في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُۥٓا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[٤] وعقّب ذلك بالنّهي عن الجَور مع مَن يُبغضونهم ، فقال : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ أي : ولا يحملنّكم بُغضُكم لِقوم ، أو بُغضُهم وعداوتُهم لكم على أن تجوروا في حكمكم عليهم و معاملتهم ، فتتركوا العدل وتعتدوا

---

(١) تفسير الزمخشري ، المسمّى " الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ، ٥٩٢/١.

(٢) ينظر : معاني القرآن للفرّاء ، ٣٠٠/١ ، وتفسير غريب القران لابن قتيبة ، ص ١٤٠ . والقاموس المحيط ، مادّة (شنأ) ، ص ٥٥ .

(٣) ينظر : من هذا البحث ص : ٣٢ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ١٣٥ .

عليهم، أو تتركوا العدل بكتمان الشّهادة لهم بحقّهم إذا كانوا أصحابَ حقّ، وأكّد - سبحانه وتعالى - ذلك بقوله : ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ أي: أنّ العدل هو[1] أقرب الطّرق الموصلة إلى تقوى اللّه -عز وجل-، وفي ذلك إشارة إلى أنّ أهل العدل أقرب الناس إلى التقوى، لأنّ مَن كان العدلُ صفةً له كان أقدر على أداء الحقوق والواجبات، وعلى ترك الظّلم واجتناب المنهيّات. ثمّ أمرهم - سبحانه - بالتّقوى على الوجه العام فقال : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فيما أمر ونهى، وفي كل ما تأتون وتذرون، واحذروا أن تجوروا في شأن عباد اللّه - تعالى - فتضيّعوا حقوقَهم، واجتنبوا أن تُميلوا ألسنتكم عن الشّهادة - بالإتيان بها على غير وجهها الذي تستحقّه - أو تُعرِضوا عنها رأسا وتتركوا إقامتها، أو تكتموها لأسباب غيرِ مبرّرة، ثم ختم - تعالى - الآيةَ بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ تعليلا للأمر بالتّقوى، أي : واتقوا اللّه - أيها المؤمنون - وصونوا أنفسكم عن إضمار العداوة والبغضاء في قلوبكم، الذي يحملكم على ترك العدل، لأنّ اللّه خبير بعملكم، لا يخفى عليه قصدكم ونيّتكم في الالتزام بالعدل أو عدمه وتأديتكم الشّهادة بالحقّ ولو على أعدائكم أو عدم تأديتها وتمسّككم بالأوامر والنواهي الموجودة في الآية، لا يغيب عن اللّه - تعالى - العليمِ بدقائق الأمور شيء ممّا يصدر منكم من قول أو عمل، فسيجازيكم يومَ القيامة بما تستحقّونه على حسب أعمالكم.

وكان هذا الختام باسمه - تعالى - ﴿ خبير ﴾ يَكشِف لنا عن وقوع الجزاء، لا مَحالة، لِيتحقّق جزاء الحكيم العدْل القائم بالقسط على مَن ائتمر بأمره، وعلى مَن عَمِل بما يخالفه. وفي ذلك وعدٌ للعاملين المتّقين ووعيدٌ للمخالفين غيرِ المتّقين.

وقد أخبر اللّه -عز وجل- في هذا الخِتام عن كونه "خبيرا" ولم يقل "عليما"، لأنّ الخبرة هي العلم بدقائق الأمور وخفاياها، فهي التي تناسب هذا المقام الذي تختلف فيه النّيّات، فالشّهادةُ يكثُر فيها الغشّ والخِداع، حتى إنّ الإنسان لَيغُشّ نفسه فيها، ويلتمس المعاذير

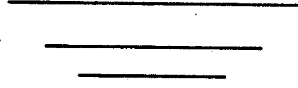
---

(١) الضمير "هو" عاد على العدل الذى دلّ عليه ﴿ اعدلوا ﴾ بالتضمن فإنّ قوله تعالى ﴿ اعدلوا ﴾ تضمّن العدل.

في كِتمان الشّهادة أوِ التّحريف فيها ، كذلك البغض وهو مُكّنُون في قلب الإنسان ، قد يحمله على كتْم الشّهادة وترك العدل .

وفي ذكر اسمه تعالى ﴿ خبير ﴾ إشارة أيضا إلى أنّ التقوى - ومحلّها القلب - المأمورَ بها في الآية أمر قد يخفى على النّاس، فلا يعرِفون مَن التّقيّ ، ولا مِقداره مِن التقوى . وإذا كان ذلك شأن الناس ، فإنّ اللّه - سبحانه وتعالى - ﴿خبير﴾ ، يعلم ما تُخفي الضمائر وما تسرّ الصدور .

وإذاً ، فينبغي للمسلمين أَن يتدبّروا الآيةَ كما أمرهم اللّه تعالى بتدبّر القرآن ، فيُقيموا العدل و الشهادة بالحقّ . واللّه - تعالى - هو الموفّق للصواب .



النص :

قال الله تعالى :

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٧) (١)

بيان غريب النص :

كفر : الكفر - بضم الكاف - :ضد الإيمان (٢) وهو - في الأصل - مأخوذ من الكَفر - بفتح الكاف - وهو ستر الشيء وتغطيته ، ومنه وصف الليل بالكافر : لستره الأشياء بظلمته ، والزارع لستره البذر في الأرض .

والكفر - عند الإطلاق - ينصرف إلى إنكار الوحدانية ، أو النبوة أو الشريعة ، أو إنكارها كلها . فهو أعمّ من الشرك ، وقد يطلق على جحد النعمة (٣).

والقرينة هي التي تبيّن المراد ، وهو هنا : ضد الإيمان .

المسيح : قال الأصمعي : (المسيح : القطعة من الفضة ، والدرهم الأطلس : مسيح ، والمسيحُ عيسى - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - ، والمسيح : الكذاب الدجال ، والمسيح : العرق) (٤).

واختلف في سبب تسمية عيسى - عليه السلام - بالمسيح ، قيل : فعيل بمعنى فاعل : للمبالغة في مسحه الأرض بالسياحة ، فلايستوطن مكانا ، أو مسحه ذا العاهة ليبرأ . أو بمعنى مفعول ، أي : ممسوح : لأن الله - تعالى - مسحه بالبركة ، أو طهّرة من الذنوب (٥).

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٧ .

(٢) الصحاح ، ٨٠٧/٢ ، لسان العرب ، ١٤٤/٥ ، مادة (كفر) .

(٣) الصحاح ، ٨٠٧/٢ - ٨٠٨ ، مادة (كفر) ، المفردات للراغب ، ص : ٤٣٣ .

(٤) الصحاح ، ٤٠٥/١ ، مادة (مسح) .

(٥) ينظر : المفردات للراغب ، ص : ٤٦٧ - ٤٦٨ ، زاد المسير لابن الجوزي ٣٨٩/١ ، تفسير ابن كثير ، ٣٧٢/١ .

وهو لقب له - عليه وعلى نبيّنا أفضل الصّلاة والسلام -.

يملِك : يقدر[1]، وجاء في اللّغة : مَلَكَه، يملِكه - من باب ضرب - مَلكا وملكا وملكا : احتوى الشّيء وقدر على الاستبداد به[2].

يهلك : من الهلاك، وله معانٍ كما ذكر أهل اللّغة، ومن معانيه : الموت[3]، كقوله تعالى : ﴿ ... إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ... ﴾[4] أي : مات.

قدير : اسم من أسماء اللّه - تعالى - الحسنى، وقد تقدّم معناه[5].

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى " قدير " عَقِبه :

ذكر اللّه - تعالى - في هذه الآية الكريمة، نوعاً من أنواع عدم الوفاء بميثاق اللّه - تعالى - فقال : ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** ﴾ اللّام في " لقد " واقعة جوابا لقسم مقدّر. والتّقدير : واللّه لقد كفر أولئك النّصارى الّذين تجاوزوا الحدّ في عيسى - عليه السّلام - حتّى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاها اللّه - تعالى - إيّاه، فنقلوه من مرتبة النّبوّة والعبوديّة إلى مرتبة البُنُوّة للّه - سبحانه - أو جعلوه إلهاً مع اللّه تعالى فقال : ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ..** ﴾[6]، وفي إضافة " المسيح " إلى " ابن مريم " دلالة على أنّ عيسى - عليه السلام - ليس ابنا للّه، ولا هو إله كما زعمه النّصارى، وفيه ردّ عليهم، وإنّما هو رسول من رُسُل اللّه - تعالى - وعبد من عباده، وأنّه ناشئ من الكلمة التي أُرسِل بها جبريلُ - عليه السلام - إلى مريم، فكأنّه خُلق بكلمة اللّه "كن" فكان، ولم يُخلَق على ما أَلِفه البشر من أب وأمّ، بل هو روح مصدرها من اللّه - تعالى -، مخلوقة من قِبله بتخليقه وتكوينه. والنصارى المحكوم عليهم بالكفر طوائف في عقيدتهم، يقول ابن كثير : (والنصارى - عليهم لعائن اللّه - من

---

(١) ينظر : التّفسير الكبير للرازي، ١١/١٩١، وتفسير القرطبي، ٦/١١٩، وفي التفسير الكبير الملك : القدرة.

(٢) لسان العرب، مادة (ملك)، ١٠/٤٩٢، والقاموس المحيط مادة (ملك)، ص ١٢٣٢.

(٣) المفردات للراغب، ص ٥٤٤، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي، ٥/٣٣٨، (المكتبة العلمية، بيروت).

(٤) سورة النساء، من الاية : ١٧٦.

(٥) ينظر : من هذا البحث، ص : ٣٤.

(٦) سورة النساء، من الاية : ١٧١.

جهلهم ليس لهم ضابط، ولا لكفرهم حدّ، بل أقوالهم وضلالهم منتشر، فمنهم مَن يعتقده[1] إلـٰهاً، ومنهم مَن يعتقده شريكا، ومنهم مَن يعتقده ولداً وهم طوائف كثيرة، لهم آراء مختلفة، وأقوالٌ غير مؤتلفة.)[2]

ثمّ أمر الله -عز وجل- نبيّه -صلّى الله عليه وسلّم- أن يردّ على هؤلاء الضالّين المتجرّئين على مقام الألوهية إبطالا لزعمهم الباطل في شأن عيسى -عليه السلام- وتوبيخاً فقال: ﴿قل﴾ يا رسولَ الله -صلّى الله عليه وسلّم- لهؤلاء النّصارى ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: فمَن يقدِر أن يمنع اللّه -تعالى- مِن شيء أراده، إذْ أنّ الأشياء كلّها تحت قهره وقدرته وسلطانه، ومِن ذلك أنْ يُميت المسيحَ ابنَ مريم وأمّه ومَن في الأرض جميعا .. لا أحدَ يقدِر على هذا، قال القرطبي: (فأعلَمَ اللّه-تعالى- أنّ المسيح لَوْ كان إلـٰها لَقَدَر على دفع ما ينزل به، أو بغيره، وقد أمات أمّه ولم يتمكّن مِن دفع الموت عنها: فلو أهلكه هو أيضا فمن يدفعه عن ذلك أو يردّه)[3]. ثمّ ذكر -تأكيداً لتنزّهه مِمّا نُسب إليه- ما يدلّ على كمال قدرته وتمام غِناه فقال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: ولِلّه -سبحانه- مُلك جميع الموجودات، والتّصرف المطلق فيها، إيجادا وإعداما، وإحياء وإماتة دون أن ينازعه منازع، أو يشاركه مشارك، وفي هـٰذه الجملة الكريمة دلالة على عظمة شأن الله -تعالى- وأنّ المخلوقات كلّها خاضعة لِمشيئة اللّه -تعالى- وقدرته.

ولمّا كانت شُبهة النّصارى في ولادة عيسى -عليه السلام- هي أنّه خُلِق مِن غير أب، وأنّه عَمِل أعمالا لا تصدر عن عامة البشر، قال -تعالى- في ردّ هذه الشّبهة الّتي تبنّاها الذين يَرفعون عيسى -عليه السلام- عن مستوى البشرية إلى مرتبة الألوهيّة: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: إنّه تعالى

---

(١) ألّف الشيخ محمد أبو زهرة كتابا بعنوان "محاضرات في النّصرانية" يبحث في الأدوار التي مرّت عليها عقائد النّصارى، وفي كتبهم وفي مجامعهم المقدسة وفرقهم.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/٦٠٤، أثناء تفسير الآية ١٧١، من سورة النساء.

(٣) تفسير القرطبي، ٦/١١٩.

يخلق ما يشاء أنّ يخلقه من أنواع الخلق بالكيفيّة الّتي يريدها -سبحانه- على حسب حكمته وإرادته. وفي هذه الجملة بيان بعض أحكام المُلك والألوهيّة على وجهٍ يزيل شبهة النّصارى. وذلك أنّ الله -تعالى- خَلق آدم من تراب ومن غير أب ولا أمّ، قال -تعالى- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

بعد أن أخبر الله -تعالى- كفر النّصارى في دعواهم أنّ المسيح ابن الله مع أنّه عبد من عباد الله ومقهور كغيره، وبعد أن ذكر الردّ عليهم بأنّه -تعالى- هو المالك لأمر الوجود كلّه، ولا يملك أحد من أمره شيئا، يستطيع به أن يمنعه عن عملٍ يريده، فقد وصف -تعالى- نفسه بالقدرة على كل شيء فقال: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وهذه الجملة تعقيب لتقرير ما تضمّنته الآية الكريمة من المعنى. فمن كان مالكا لكلّ السّموات والأرض ولكلّ ما فيهما، كان مالكا لعيسى ولمريم -عليهما السّلام-.

إذ هناك في الكون مَن هو أعظم منهما، وما عيسى وأمّه إلاّ من مخلوقاته، لأنّهما يجوعان كما يجوع النّاس، ويأكلان ممّا يأكل النّاس ولا يستطيع أحدهما أن يمنع الموت عن نفسه، فكيف يُعقَل -مع هذا- كونُ عيسى -عليه السّلام- ولدا لله، أو إلها مع الله؟ لأنّه -عليه السّلام- مخلوق مقدور عليه، معرّض للفناء، وحاشا لله أن يكون له شريك مخلوق فانٍ، وإنّما الإله الحقّ هو الله الخالق المالك الباقي القادر على كلّ شيء، مِن الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة، وهو الذي لا يعجزه شيء أراده، ولا يغلبه شيء طلبه، المقتدِر على هلاك المسيح وأمّه -عليهما السّلام- ومَن في الأرض جميعا[2].

وفي ختم الآية باسمه -تعالى- ﴿قدير﴾ ردّ على النّصارى في اعتقادهم أنّ المسيح ابن الله -تعالى الله عن ذلك-. بدعوى أنّه قد وُلِد مِن رحم امرأة، دون أن تتّصل برجل، لأنّ ميلاده -عليه السّلام- وإن كان عجيبا، خارجا عن مألوف الحياة، لا يخرج عن قدرة الله -عز وجل- التي لا يعجزها شيء، ولا يقيّدها قيد من عادة أو مألوف، بل قدرته -تعالى- مطلقة

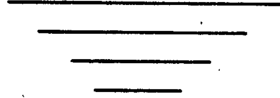
---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(٢) تفسير الطبري، ٦/١٦٤. وتفسير أبي السعود، ٣/٢٠، وتفسير المَنار، ٦/٣١٠-٣١٣، (نشر دار المعرفة- بيروت، ط الثانية، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م).

بلا حدود ولا قيود .

وفي التّعقيب باسمه -تعالى- ﴿قدير﴾ إشارة أيضا إلى إثبات ألوهية الله -عز وجل- حيث إنّ القدرة صفة ذاتية له -سبحانه وتعالى- فلا يحتاج إلى ولد، لأنّ اتخاذ الولد دليل الضعف، وأمارة الحدوث، وصفة العاجز المحتاج إلى مَن يعينه في حياته، ويخلُفه بعد مماته، واللّه -عز وجل- بريء عن ذلك كلّه، وفيه إبطال لوصف هؤلاء النصارى اللّهَ -عز وجل- المتّصفَ بالقدرة على كلّ شيء، بالعجز والضعف والحدوث - تعالى اللّه عمّا يقولون علوّاً كبيرا - .



النص : قال الله تعالى :

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾

بيان غريب النص :

فترة : الفترة - في اللغة -: الانكسار و الضعف (٢). والأصل فيها: انقطاع العمل عمّا كان عليه من الجدّ فيه، من قولهم: فتر عن عمله وفتّرته عنه (٣).

قال الراغب : (الفتور : سكون بعد حدّة، ولين بعد شدة، وضعف بعد قوة، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ...﴾ (١) أي : سكون خال عن مجيء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) (٤).

قال في النّهاية : (الفترة : ما بين الرّسولين من رُسُل الله - تعالى - من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة) (٥).

بشير : المبشّر بالخير، وهو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال - تعالى - : ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ...﴾ (٦) الآية .

قال في اللسان : (التبشير يكون بالخير والشرّ) (٧).

والغالب أن يستعمل في السرور مقيّدا بالخبر المبشّر به، وغير مقيّدٍ أيضا. ولا يستعمل في الغم والشرّ إلّا مقيّدا منصوصا على الشر المبشّر به، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٨).

---

(١) سورة المائدة، الآية : ١٩ .

(٢) الصحاح للجوهري، مادة (فتر)، ٢/ ٧٧٧، ولسان العرب، مادة (فتر)، ٥/٤٣ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٦/١٢١ .

(٤) المفردات في غريب القرآن، ص ٣٧١ .

(٥) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٣/ ٤٠٨، وينظر لسان العرب، مادة (فتر) ٥/٤٤

(٦) سورة البقرة، من الآية : ١١٩ .

(٧) لسان العرب، مادة (بشر)، ٤/٦١ .

(٨) سورة آل عمران، من الآية : ٢١ .

نذير : المنذر من الشرّ، وهو رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم-، قال -تعالى-: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[1].

قال في اللسان: (النذير: المحذر، فعيل بمعنى مفعِل)[2].

وعلى هذا، فالإنذار: اخبار، فيه تخويف كما أنّ التبشير فيه الإخبار بالسّرور غالبا.

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى "قدير" عَقِبه :

بعد أن ذكر اللّه -عزوجل- في الآية السابقة[3] فضائحَ اليهود والنصارى، حيث قالوا: نحن أبناء اللّه وأحباؤه، خاطبهم هنا بأنّه -تعالى- أرسل رسوله محمدا -صلى اللّه عليه وسلم- المبشّر به في كتبهم ليتدبّروا أمرهم في موقفهم من هذا الرسول الكريم الّذي جاءهم على فترة من الرّسل، فقال: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ أي: محمّد -صلّى اللّه عليه وسلم- وفي هذا الخطاب التفات[4] إلى وعظهم على وجه الامتنان عليهم ببعث محمد -صلى اللّه عليه وسلم- إليهم ﴿ يُبَيِّنُ لَكُمْ ﴾ شرائع اللّه -تعالى- وما اندثر[5] من أحكامه ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ أي: جاءكم بعد زمن انقطعت فيه رسالة الرسل ﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ أي: لأن لا تقولوا[6] محتجّين يوم القيامة ماجاءنا بشير يبشرنا بالثواب على الطاعة، ولا نذير ينذرنا بالعقاب على المعصية، ثمّ بيّن -سبحانه- أنّه قد أبطل معاذيرهم، وأزاح علّتهم بإرسال رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- فقال: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ وهو محمّد -عليه الصلاة والسلام- يبشر المؤمنين بالجنة ويخوّف الكافرين بالنار.

ولمّا كان حصول الفترة يوجب احتياج الخلق إلى بعثة الرسول، أخبر اللّه -تعالى- عن نفسه الكريمة بالقدرة على كل شيء في قوله:

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٩.

(٢) لسان العرب، ٥/٢٠٢.

(٣) وهي قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ...﴾ **المائدة: ١٨.**

(٤) الالتفات: هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأوّل.

(٥) اندثر: أي أصبح قديما. يقال دثر الشيء دثورا: قدُم. ينظر: المعجم الوسيط، ص ٢٧١.

(٦) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي، ٢/٣٢١، حيث ذكر وجوها أخرى في معنى ﴿أن تقولوا﴾.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ للدّلالة على شمول قدرته تعالى، وأنّه قادر على البعثة ولو انطمست آثار الوحي، وأنّه تعالى لا يعجزه أن يرسل رسله تترى، كما لا يعجزه أيضا أن يرسلهم على فترات متباعدة[١].

وفي لفظة ﴿رَسُولُنَا﴾ إضافة الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى نون العظمة الدالة على الله -تعالى-. وهذه الإضافة - مع دلالتها على تشريف الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتكريمه- تدلّ أيضا على أنّ مهمة الرسول عظيمة تحتاج إلى عزيمة، وقدرة على البلاغ والبيان، لأنّه سيبيّن لهم ما اندرس[٢] من الأحكام، وضاع من القوانين، والله -سبحانه وتعالى- وصف نفسه -في ختام هذه الآية- بالقدرة الدالة على إرساله رسولا قادرا على بيان أحكامه وشرائعه تعالى. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرّازي، ١١/١٩٥.

(٢) اندرس: أي: ذهب أثره. (المعجم الوسيط، ص ٢٧٩).

النص:

قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾(١)

بيان غريب النص:

غفور: اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، وقد تقدم معناه.(٢)

رحيم: اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، وقد تقدم معناه.(٣)

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "غفور رحيم" عقبه:

بين الله- سبحانه وتعالي- في هذا النص الكريم حُكم المحاربين المفسدين في الأرض فقال: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فمحاربةُ اللّه- تعالى- ورسولِه- صلى الله عليه وسلم- تكون بالخروج عن طاعتهما والمخالَفة لأمرهما، وحملِ السِّلاح على المؤمنين، وقتلِهم وسلْبِ أموالهم والاعتداء على حُرُماتهم، وذلك يشمل القَرصنة في البَرّ والبحروالجوّ ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ والفساد في الأرض يكون بإخافة الناس وقطعِ طرقهم.. حتّى يزول الأمن والطمأنينة للإنسانية كلّها ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ أي: يُشَدّون على أعواد الخشب ويُقتَلون ﴿أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾ وذلك بأن تُقطَع اليدُ اليُمنى والرِجل اليسرى، والعكس ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ والمقصود من الأرض: الأرض التي يكتسب فيها هؤلاء المجرمون نفوذا حراما، يُنفَوْنَ منها إلى حيث لانفوذَ لهم، ولو سجنا، وقيل: إنّ "أو" هنا للإباحة والتّخيير، أي: إن شاء الإمام قَتل، وان شاء صَلَبَ وان شاء نَفَى ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: ذلّ ومهانة ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو عذاب جهنم

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٣٣- ٣٤.

(٢) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٤.

(٣) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٢.

والترتيب الجزائي للمحاربين في النص: إذا قتلوا فقط قُتلوا حدّاً، وإذا قتلوا وأخذوا المالَ قُتلوا وصُلبوا، وإذا أخذوا المالَ فقط قُطعت أيديهم وأرجُلهم من خلاف، وإذا أخافوا الطريق ولم يَقتُلوا ولم يَأخذوا مالا نُفُوا من الأرض.(١)

لمّا بين الله- سبحانه- في الآية الأولى(٢) حكْم المحاربين المفسِدين في الأرض، الذين حُكِم عليهم بأشدّ الجزاء في الدنيا، وبعذاب جهنّم في الآخرة، استثنى من أصحاب تلك الجرائم الفظيعة مَن يتوبون منهم، فقال: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ**﴾ أي: إلّا الذين رجعوا إلى الله- تعالى- عمّا كانوا عليه من القتل والسلب وقطع الطريق مخلِصين نادمين خائفين من عذاب الله- عز وجل- طالبين عفوَه ومغفرتَه مِن قبل أنْ تتمكّنوا منهم. قال الآلوسي: (استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله تعالى.)(٣) وفي هذه الآية دلالة على أنّ توبة المحاربين -بعد القدرة عليهم- لاتنفعهم، بل لابد من أن تقام عليهم الحدودُ التي وجبت في الآية السابقة(٢). وأمّا إن تابوا قبل القدرةِ عليهم وإمساكهم فإنّ حقّ الله يُسقط عنهم بدليل ختم الآية بصفتي **المغفرة والرحمة** لله -عز وجل-. وأمّا حقوق الآدميين من قصاص وغيره، فلا تسقط بالتوبة.(٤)

لمّا بين- سبحانه- حكْمَه فيمن تاب ورجع عمّا كان عليه من المحاربة، قبل أن يؤخذ ويُقدَر عليه، أَخْبَرَ أنْ يُعلَم أنّه متّصِف بالمغفرة والرحمة فقال: ﴿**فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ**﴾ لايؤاخِذ مَن تاب مِن المحاربين السّاعِين في الأرض فسادا بذنوبه، بل يعفو عنه، ويستر عليه ما صَدر منه قبلَ التوبة ﴿**رَّحِيمٌ**﴾ به في عفوه عنه، وعدم مؤاخذته إياه.(٥)

وفي ختم الآية بإخبار الله- تعالى- عن نفسه الكريمة أنّه غفور إشارة واضحة إلى دفع وَهْمِ مَن يتوهّم أنّ المحارِب مهما يتوب فلن يقبلَ الله توبتَه، وفيه تذكير للمخطئين المذنبين أنّ باب التوبة مفتوح لهم وإنْ عظُم جُرمُهم. وفيه عدمُ المطالبةِ بشيءٍ من الجزاء السابق لِمن تاب من المحاربين قبل القدرة عليه.

وفي ذكر اسميه- تعالى- ﴿**غفور رحيم**﴾ دعوة للناس إلى التحلّي بصفات العفو والسماح، والله- تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي، ١٥١/٦.

(٢) هي قوله- تعالى-: ﴿**إِنَّمَا جَزَٰؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ..**﴾ إلى آخر الآية (٣٣) من سورة المائدة.

(٣) تفسير الآلوسي، ١٢٠/٦.

(٤) تفسير القرطبي، ١٥٨/٦.

(٥) ينظر: تفسير الطبري، ٢٢٥/٦.

النص :

قال الله تعالى : ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

نَكالا : عقوبة من الله -تعالى-، سمّيت العقوبة نكالا، لأنّها تحذّر غيرَ مَن نزلت به ارتكابَ ما أوجبها.

قال صاحب القاموس : (النّكال : ما نكلت به غيرك كائنا ما كان.

يقال : نكّل به تنكيلا : صنع به صنيعا يحذّر غيرَه)(٢).

عزيز : اسم من أسماء الله تعالى - الحسنى، وقد تقدّم معناه(٣).

حكيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه(٤).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " عزيز حكيم" عَقِبه :

بعد أن بيّن الله -سبحانه- عقوبة الذين يحاربون الله ورسوله، ودعا المؤمنين إلى التّقرّب إليه بالعمل الصالح . وبيّن سوء عاقبة الكافرين، وذلك في الآيات السابقة(٥)...

بعد أن بيّن ذلك كلّه أعقبه ببيان عقوبة السّارقين الّذين يأخذون أموال غيرهم سِرّا، لأنّ فِعل السرقة يعتبر من جملة المحاربة والسعي بالفساد، فقال تعالى :﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ أي : كلّ مَن سرق، رجُلاً كان أو امرأة، وبدأ القرآنُ بالرّجال مِن السّرّاق هنا، لأنّ الغالب وجود السّرقة فيهم، وبدأ في آية النّور بالنّساء فقال :﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...﴾(٦)، لأنّ الغالب وجود الزنا في النساء.

وقال القرطبي : (لمّا كان حبّ المال على الرجال أغلبَ، وشهوةُ الاستمتاع

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٣٨ .

(٢) القاموس المحيط، ص ١٣٧٦، مادة (نكل) .

(٣) ينظر : من هذا البحث، ص : ٣٣.

(٤) ينظر : من هذا البحث، ص : ٣١.

(٥) هي من قوله تعالى :﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ..﴾ إلى قوله :﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ الآيات (٣٥-٣٧)، من سورة المائدة .

(٦) سورة النور، من الآية : ٢ .

على النّساء أغلبَ بدأ بهما في الموضِعَين)[١]. والسّرقة هي أخذ مال غيره المحتَرَم خُفيةً مِن حِرز مِثله ولا شبهة له فيه ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أمر لِولاة أمور المسلمين الذين إليهم يرجع تنفيذ الحدود . ولا يعاقَب السارقَ هذا العقابَ ، إلاّ إذا توقّرت الشّروط[٢] التي تَتِمّ بها أركان هذه الجريمة الموجِبة للقطع . ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ أي : افعلوا ذلك بهما مجازاة لهما لِتجرّيهما على أموال النّاس ﴿نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي : عقوبة من اللّه - تعالى - وترهيبا منه و زجرا لغيرهما حتّى لا يَقترِب النّاسُ مِن هذه الجريمة القبيحة .

ثمّ ختم اللّه - تعالى - الآية بقوله : ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي : غالب ،فلا يفوته المعتدون مِن السّارق والسّارقة وغيرهما مِن أهل الجرائم الّذين أوجب اللّه - تعالى - عليهم حدودَه ﴿حَكِيمٌ﴾ في شرع عقوبة السرقة تنكيلا للمجرمين وحِفظًا للأموال ، وقضاءً على هذه الجريمة النّكراء . والجملة تقرّر مضمونَ ما قبلها .

واسمه تعالى ﴿عزيز﴾ في هذا الختام يتناسب مع ذكر عقوبة القطع حيث إنّ اللّه - سبحانه - أمر بقطع يد السارق .

ولمّا كان تنفيذ هذه العقوبة يستلزم أن تكونَ هناك قوةٌ غالبة وعدمُ العجزِ ناسَب ذلك إخبارُ اللّه - تعالى - عن نفسه الكريمة باسمه ﴿عزيز﴾ قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ...﴾ [٣]، وفي ذكره ردعٌ عن ارتكاب جريمة السرقة ، وتخويف لمن آثر الكسب عن طريق الحرام على الكسب مِن طريق الحلال ، إذ أنّ السّارق حينما يفكّر في السرقة ، إنّما يفكّر في أنّه قادر على زيادة كسبه بكسب غيره ، لِيَرتاح مِن عَناء العمل ، أو لِيأمَن على مستقبله .

وفي النتيجة يستصغر النّاسَ ، ويرى نفسَه غالبا عليهم بسبب أنّه سيُنفق عليهم بعد أن كان محتاجا إليهم ؛ ومن كان يفكّر تفكيرا سليما لا يَسرِق ، بل يرتدِع وينزجر ولا يقترِب من السّرقة بمقتضى اسمه تعالى ﴿عزيز﴾ وهو وجوب قطع يد السارق لا مَحالة .

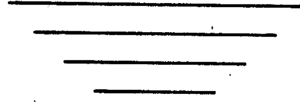
---

(١) تفسير القرطبي ، ٦/ ١٦٧ .

(٢) ينظر : لذلك كتب الفقه ، وتفاسير أحكام القرآن .

(٣) سورة فاطر ، من الآية : ٤٤ .

ثمّ ذكر اسمه ﴿ حكيم ﴾ بعد ﴿ عزيز ﴾ ليدلّ على أنّ عِزّةَ اللّهِ -تعالى- وقوّتَه غيرُ مرسَلة، بل مقيّدة بالحكمة ، إذ أنّ تشريع قطع يد السّارق مصلحة للنّاس تقتضيه الحكمة ، لأنّ اللّه -عز وجل- يضع الحدود والعقوبات بحسب الحكمة التي توافق المصلحة العامة . وحدُّ السّرقة عقوبةٌ تؤدّي إلى تقليل الجرائم ، وتأمين المجتمع ، لأنّ الإنسان إذا عوقب بارتكابه جريمة السرقة فلا يعود لتلك الجريمة مرّة ثانية . وفي ذلك حكمة مِن اللّه -تعالى- في شرعه هذا الحدّ الذي يوفّر للنّاس الأمنَ والطمأنينة ، واللّه -تعالى- يستحِقّ عليه الحمدَ والشّكرَ .



النص :

قال الله تعالى :﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

غفور : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٢).

رحيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

معنى النص و مناسبة اسميه تعالى " غفور رحيم " عَقِبه :

لمّا بيّن الله - تعالى - وجوب قطع اليد على السّارق ، أردفه ببيان أنّه يَقبل توبته إن تاب ، فقال: ﴿فَمَن تَابَ﴾ أي: من السّرقة ﴿مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾ أي: مِن بعد أن ظَلم نفسه بمعصية الله - تعالى - بأخذ أموال النّاس ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أمره بردّ المسروق إلى صاحبه إن أمكن ، أو بأن يطلب السّماح من صاحب المال ، أو ينفق ما سرقه في سبيل الله إن لم يجد صاحبه ، مع كونه يستمرّ على التّوبة والعمل الصّالح . ومن كان كذلك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ أي: يقبل توبته .

ولمّا رغّب الله - تعالى - السُّرّاق في التّوبة ، وبشّرهم بالقبول على أن تكون التّوبة صادقة ، ذيّل الآية بقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يَغفِر ذنبَ السّارق إذا تاب و أناب إليه ، ويرحمه بقبوله - تعالى - التّوبة منه . وقوله - تعالى - هذا ، في هذا الختام يفيد التعليل لقبول الله - تعالى - توبة السّارق من بعد ظلمه .

وفي ختم الآية باسميه - تعالى - ﴿غفور رحيم﴾ حثٌّ هؤلاء العصاة من السّراق على التّوبة ، وبيان أنّ الوعدَ بقبول التّوبة محقّق ، وفي ذلك تقوية رَجاء هؤلاء السّراق المذنِبين ، و جبرُ قلوبِهم . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣٩ .

(٢) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(٣) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

النص :

قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

ألم : الهمزة للاستفهام، والقصد منه التقرير. و"لم" حرف نفي وقلب، تنفي الفعلَ المضارع، وتقلّب معناه للمُضِيّ، والمعنى: قد علِمتَ.

قدير : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، وقد تقدّم معناه (٢).

معنى النص و مناسبة اسمه تعالى " قدير " عَقِبه :

هذه الآية الكريمة، مسوقة لِتقرير حقّ الله - تعالى - في أن يَشرَع ما تقدّم في السياق (٣) مِن عقاب قاطع الطّريق، والسّارق، والعفو عن التائب منهما، فقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ خطاب لِرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكلِّ مَن هو أهل للتّلقيّ و الفهم، والاستفهامُ لتقرير العلم، أي : إنّك تعلم - أيّها المخاطَب - عِلمًا يقينا ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي : له التدبيرُ التّامّ و التّصرفُ المطلقُ والسّلطان الكامل على السّموات والأرض وما فيهما، والمراد بالاستفهام، الاستشهاد بعلم المخاطَب على قدرته - تعالى - على ما سيأتي من التعذيب والمغفرة على أبلغِ وجهٍ وأتمّه. ومَنْ كان يتصرّف في ملكوته كيف يشاء ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبَه مِن المعتَدِين ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ مغفرةَ ذنبه من التّائبين.

ولمّا ذكر اللهُ - سبحانه وتعالى - ما يقتضي قدرَتَه على تعذيب مَن أراد تعذيبَه مِن خلقه على معصيته، وغفرانِ مَن أراد غفرانَه من التّائبين إليه، وَصَفَ نفسَه - في خِتام الآية - بصفة القدرة على كلّ شيء فقال : ﴿وَاللَّهُ

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٤٠ .

(٢) ينظر من هذا البحث، ص : ٣٤.

(٣) ذلك من قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا ..﴾ إلى آخر الآية (٣٤) من سورة المائدة، ثمّ من قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ..﴾ إلى آخر الآية (٣٩) من سورة المائدة .

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ،فَهو تذييل مؤكِّد لِمَا قبله، والمعنى : إنّ مَن له ملك السّموات والأرض، فهو يَقدِر على ما ذُكِر من التّعذيب والمغفرة، لأنّه تعالى لا يمنعه عمّا أراده مانِعٌ ، ولا يعترِضه في تعذيب مَن يشاء تعذيبَه ، ورحمةِ مَن يشاء رحمتَه وعفوَه عجزٌ ولا فتورٌ .

وفي ذكر اسمه -تعالى- "قدير" دفع التّوهّم لِمن يَظنّ أنّ بين العقوبة وبين العفو المُبْنيّ على التّوبة تناقضا، وفي ذكره جواب أيضا لمن يستغرب ويسأل عن تُغَيّر حال السّارِق من العِقاب إلى المغفرة بعد التّوبة مع عِظَم جُرمه، إذ أنّ اللّه -تعالى- قادر على أيّ تصرّف شاء،فله العِقاب والعفو،والتّعذيب ،والمغفرة ،حسْبما تقتضيه حكمته سبحانه . واللّه تعالى أعلم بالصّواب .

النص :

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ (١)

بيان غريب النص:

يرتد : يرجع من دين الإسلام إلى الكفر ،كما قال الراغب في مفرداته (٢).

قال في اللسان :(قد ارتد، وارتد عنه :تحول ·وفي التنزيل : ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ...﴾ (٣) والاسم : الردة ،ومنه الردة عن الإسلام ،أي الرجوع عنه ·وارتد فلان عن دينه :إذا كفر بعد إسلامه) (٤).

أذلة : جمع ذليل ،وهو الموصوف بالذل - بضم الذال وكسرها -: الهوان فهو ضد العز ·

ويطلق الذل على لين الجانب والتواضع (٥)،فهو المراد هنا، كقوله تعالى : ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (٦).

أعزة : جمع عزيز ،وهو الموصوف بالعزة · والعزة : الغلبة والقوة والشدة (٧).

لومة : اسم مرة من اللوم ،واللوم -كما قال الراغب - : عَذْلُ الإنسانِ بنسبته إلى ما فيه لوم (٨)،وذلك يكون على عمل لاينبغي ولايليق ·

واسع : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ،وله معان بحسب مايضاف

---

(١) سورة المائدة ،الآية : ٥٤ ·

(٢) مفردات الراغب ،ص : ١٩١ - ١٩٢ ·

(٣) سورة البقرة،من الآية : ٢١٧ ·

(٤) لسان العرب لابن منظور ، ١٧٣/٣ ،مادة (ردد) ·

(٥) ينظر :القاموس المحيط ،ص:١٢٩٥ ،ولسان العرب ، ١١/ ٢٥٦ - ٢٥٧ ،مادة (ذلل) ·

(٦) سورة الإسراء ،جزء من الآية : ٢٤ ·

(٧) ينظر : لسان العرب ،مادة (عزز)،٣٧٤/٥·

(٨)المفردات للراغب ،ص ٤٥٦·

إليه كما تقدّم[1]. ومعناه هنا: واسع الفضل واللّطف.

وقيل: إنّ المراد به في هذه الآية الكريمة تامّ القدرة، وكامل القدرة[2].

عليم: اسم من أسماء اللّه -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه[3].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " واسع عليم " عقبه :

لمّا نهى اللّه -عز وجل- فيما سلف[4] عن موالاة اليهود والنّصارى، وبيّن أنّ موالاتهم تقتضي الارتداد عن الدّين، وأوضح عاقبة الموالين من المنافقين، ذكر حال المرتدّين مطلقا فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾ أي: مَن يرجع منكم عن دين الإسلام إلى الكفر بعد أن كان عليه من الإيمان والعمل به، فلن يضرّ اللّه -تعالى- شيئا، ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ ﴾ أي: بأناسٍ مخلصين صادقين ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ فمن محبّة اللّه -تعالى- لعبده أن يوفّقه لفعل الخيرات وترك المنكرات[5]. ومن لوازم محبّة العبد لربّه أن يتّصف بمتابعة ما جاء من عند اللّه -تعالى-، وما جاء من عند رسول اللّه -صلّى اللّه عليه وسلّم-، هذا وصفٌ أولٌ للّذين يأتي اللّه -تعالى- بهم بدل الّذين كفروا بعد الحقّ، ثمّ جاء الوصف الثاني لهم بقوله -تعالى- ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي: أنّهم يكونون أرقّاء على المؤمنين، متواضعين لهم، أشدّاء على الكفّار، متغلّبين عليهم بأنْ يبذلوا جميعَ ما عندهم من جُهد وطاقة في جهادهم حتّى يتحقّق الانتصار عليهم، قال -تعالى-: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ... ﴾[6] ثمّ وصفهم اللّه -تعالى- بوصف ثالث آخر بقوله: ﴿ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ أي: يجاهد هؤلاء القوم بأموالهم وأنفسهم وبأقوالهم وأفعالهم في سبيل نصرة

---

(١) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٨.

(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي ١٢/٢٤، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، ٦/١١٤.

(٣) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٣.

(٤) ذلك من قوله -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴾ الآيات: (٥١-٥٣) من سورة المائدة.

(٥) قال ابن قيّم الجوزيّة: إنّ محبّة العبد لربّه فوق كلّ محبّة تقدّر، ولا نسبة لسائر المَحابّ إليها، وهي حقيقة "لا إله إلّا اللّه"، وأمّا محبّة الرّبّ لأوليائه وأنبيائه ورسله صفة زائدة على رحمته وإحسانه وعطائه. فإنّ ذلك أثر المحبّة وموجبها. فإنّه -تعالى- لمّا أحبّهم كان نصيبهم من إحسانه وبرّه أتمّ نصيب. مدارج السالكين ٣/١٩، بتصرّف يسير.

(٦) سورة الفتح، من الآية: ٢٩.

الإسلام وأهله، ولا يخافون -في كلّ ما يأتون من الجهاد والطّاعات- لومًا قطُّ من أيّ لائم كائنا مَن كان، وفي هذا دلالةٌ على قوّة إيمانهم وهِمَمِهم.

ولمّا مدحهم الله -سبحانه وتعالى- بما منّ به عليهم من الأوصاف العظيمة والفضائل الجليلة، أخبر أنّ هذا مِن فضله -تعالى- عليهم وإحسانه فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة، يرجع إلى ما ذُكر من الأوصاف، من محبة الله -تعالى- لهم، ومحبتهم لله -تعالى- وتذلُّلِهم للمؤمنين، وتعاطُفِهم معهم، والشّدةِ على الكفّار والجهاد في سبيل الله -تعالى- دونَ خشية أحد من الناس ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾ أي: لطفُه وإحسانُه ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: ذلك الفضل المذكور يُعطيه الله -تعالى- مَن يشاء مِن عباده، وفي ذلك ما يدلّ على أنّ اتّصاف هؤلاء القوم بهذه الصّفات الجميلة من توفيق الله -تعالى- لهم، لا أنّهُم مستقلّون في الاتصاف بها.

ولمّا بيّن -تعالى- أنّ ما تقدّم من الأوصاف الّتي وصف بها أولئك الذين وَعد بإتيانهم بدلًا عن الكفّار خَتَمَ الآيةَ بقوله: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فهو اعتراض تذييليّ مقرّر لما قبله[1] أي: والله -سبحانه وتعالى- واسع الفضل واللّطف والكَرَم، يوفّق الإنسانَ مِن سعة فضله وكرمه وجوده لِكسب هذه الخِصال الحميدة من المحبّة، والتواضع للمؤمنين، والشدّةِ على الكفّار، والمجاهدة في سبيل الله -تعالى- وانتفاء خوف اللّوم.

فإنّ إيتاء هذه الخِصال، والتوفيقَ للعمل على تحصيلها ليس بغريب على مَن اتّصف بأنّه واسع الفضل والكرم والإحسان، فهو تعالى يوسّع على أوليائه مِن فضله، ما لا يكون لغيرهم، ولكنّه عَليمٌ بمن يَستحِقّ فضله وكرمه، فيُعطيه ويَجتبيه له، فلا اعتراض عليه[2].

وفي ختم الآية باسميه -تعالى- ﴿واسع عليم﴾ دلالة على أن تلك الأوصاف تحصل بالتفضّل لا بالاستحقاق، وفيه إشارة أيضا إلى بيان سعة فضل الله -تعالى- وسعة علمه بكلّ شيء.

---

(١) تفسير أبي السعود، ٥٢/٣، وتفسير الآلوسي، ١٦٤/٦، والواو اعتراضية لأنّ الاعتراض يكون في آخر الكلام على رأي المحقّقين، قاله ابن عاشور في تفسيره، ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ٢٤٠/١٠، (الدار التّونسية للنشر، ١٩٨٤م).

(٢) ينظر: الكشاف، ٦٢٣/١، وتفسير ابن كثير، ٧٣/٢، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، للشّيخ عبد الرّحمن السّعدي، (طبعة الرّئاسة العامّة لإدارات البحوث العلميّة الرّياض، ١٤٠٤هـ).

وإذا قلنا إنّ المراد باسمه تعالى " واسع " كامل القدرة، وباسمه تعالى " عليم " كامل العلم يكون المعنى :

لمّا أخبر اللّه -تعالى- أنّه سيجيء بأقوامٍ هذا شأنُهم وصفتُهم، أكّد ذلك باسمه تعالى " واسع " لانّ كونه تعالى واسعا يدلّ على أنّه كامل القدرة ،فلا يعجز عن هذا الموعود، وأعقبه باسمه " عليم " بمعنى كامل العلم إشارة إلى امتناع دخول الخُلْفِ في أَخبار اللّه-تعالى- ومواعيده (١). واللّه -تعالى- أعلم بالصواب .

---

(١) التفسير الكبير للرازي ، ١٢/ ٢٤ .

النص:

قال الله تعالى:

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾ (١)

بيان غريب النص:

حسبوا : ظنّوا، قال ابن منظور (٢): (حسِب الشيء كائنا ويحسِبه -بالضم والكسر- : ظنّه) (٣).

فتنة : مصدر فَتَنَ، قال الفيروز آبادي (٤): (أصل الفتنة: إدخال الذهب النار ليختبر جودته..) (٥).

ثمّ استعملت الفتنة في كلّ اختبار، وأشدّه: الفتنة في الدّين.

والمراد بها في الآية: ابتلاء واختبار بالشدائد من العقوبات. (٦)

فعموا : من العمى، وهو-كما في لسان العرب- :ذهاب البصر كلّه. (٧)

والمراد: العَمَى عن الحقّ والهُدى.

صمّوا : من الصَّمَم، وهو -كما في لسان العرب- :انسداد الأذن، وثقل السّمع (٨)

والمراد: عدم السّماع للحقّ.

بصير : اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، وقد تقدّم معناه (٩).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧١.

(٢) هو محمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدّين ابن منظور الأنصاري الافريقي المصري، الإمام اللّغوي الحجة. ولد في مصر سنة ٦٣٠هـ وتوفي فيها سنة ٧١١هـ. الأعلام، ١٠٨/٧.

(٣) لسان العرب، مادّة (حسب)، ٣١٥/١٠.

(٤) هو محمّد بن يعقوب، أبو طاهر، مجد الدّين الشّيرازي، الفيروز آبادي: من أئمّة اللّغة والأدب ولد في شيراز سنة ٧٢٩هـ وتوفي في "زبيد" سنة ٨١٧هـ. الأعلام، ١٤٦/٧.

(٥) بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، ١٦٧/٤.

(٦) تفسير الطّبري، ٣١٢/٦، وتفسير القرطبي، ٢٤٧/٦.

(٧) لسان العرب، ٩٥/١٥، مادّة (عمى)

(٨) لسان العرب، ٣٤٢/١٢، مادّة (صمّ).

(٩) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٠.

معنى النّص ومناسبة اسمه تعالى "بصير" عقبَه :

بعد أن بيّن الله -عزّ وجلّ- في الآية السّابقة[1] أخْذَه العهدَ الوثيقَ على بني إسرائيلَ بعبادته وحده، وتصديقِ نبيّه محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- عند بعثته ولكنّهم نقضوا عهْدَهم مع الله -عزّ وجلّ- فاتّبعوا آراءَهم وأهواءَهم واستكبروا حتّى كذّبوا فريقا من الأنبياء عِصيانا كما فعلوا مع عيسى-عليه وعلى نبيّنا أفضل الصّلاة والسّلام- وقتلوا فريقا كما فعلوا مع زكريّا ويحيى -عليهما السّلام- وحاولوا قتْلَ عيسى-عليه السّلام- بيّن -تعالى- في هذا النّص الكريم ظنّهم الفاسدَ الّذي أدّاهُمْ إلى ارتكاب هذه الجرائم الفظيعة فقال: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ والواو حرف عطف تعطف هذه الآيةَ على قوله تعالى ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ والمعنى: ظنّ هؤلاء اليهودُ الّذين أُخذ عليهم الميثاق بسبب اغترارهم بإمهالِ الله -تعالى- لهم ألّا يقع عليهم -في قتلهم أنبياءَهم وتكذيبهم لهم- ابتلاءٌ واختبار بالشّدائد كتسلّط الأمم القويّة عليهم بالقتل والتّخريب ﴿فَعَمُوا﴾ عن الحقّ والهدى فلم ينتفعوا بما رأوه من آيات الله -تعالى- الكونيّة ﴿وَصَمُّوا﴾ عن سماع الحقّ، فلم ينتفعوا بما سمعوه من آيات الله -تعالى- التنزيليّة، واستمرّوا على باطلهم، قال ابن كثير[2]: (وحسبوا أن لا يترتّب لهم شرّ على ما صنعوا فترتّب، وهو أنّهم عموا عن الحقّ وصمّوا، فلا يسمعون حقّا ولا يهتدون إليه)[3]. ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ثمّ قَبِل الله-تعالى- توبتَهم لمّا رجعوا إليه بالتّوبة والإنابة ﴿ثُمَّ﴾ رجعوا إلى ما كانوا فيه من الفساد والضلال، حيث ﴿عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ[4] مِنْهُمْ﴾ أي: فعَمَى كثيرٌ منهم وصمّوا مرةً أخرى، وأوغلوا[5] في الفساد. وأمّا الذين استمرّوا على التّوبة والإيمان قليل.

---

(١) هي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ الآية: ٧٠ من سورة المائدة.

(٢) بَنَى ابن كثير كلامَه -رحمه الله تعالى- على أنّ الفاء في قوله تعالى- **"فَعَمُوا"** سببيّة.

(٣) تفسير ابن كثير، ٨٣/٢.

(٤) قال الآلوسي في تفسيره، ٢٠٦/٦: (هذه لغة لبعض العرب، يعبّر عنها النحاة بـ"أكلوني البراغيث" أو هو خبر مبتدإٍ محذوف، أي: العمي والصم كثير منهم). اهـ.

(٥) أوغلوا: أي، دخلوا وبالغوا فيه. (المعجم الوسيط، ص: ١٠٤٥).

ثمّ ختم الله-تعالى- الآية بتذييل يُبطِل حُسبانهم المذكور فقال: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: واللهُ-تعالى- بصير بما يعمل بنو إسرائيلَ مِن تكذيب الرُّسُل وقتل بعض هؤلاء الرّسل، وكذلك بصير باعتقادهم الباطل أنّهم لا يقع عليهم البلاء مِن اللّه-تعالى- بسبب ما يرتكبونه مِن قبائحَ، وكذلك اللّه-عز وجلّ- بصير بِعَمَاهُمْ عن الطريق القويم وصَمَمِهم عن سماع الحقّ، وهو سبحانه يرى جميع أعمالهم، فلا يخفى عليه-تعالى-شيء منها، فيُعاقِبهم بما صنعوا مِن الآثام والمعاصي.

وفي ختم الآية باسمه تعالى "بصير" وعيد وتهديد لهؤلاء اليهود الذين اتّصفوا بقتل الأنبياء وتكذيب الرّسل، إذ يجازيهم اللّه-سبحانه وتعالى-، وفيه تذكير بأنّ اللّه-تعالى- مطّلِع على كلّ شيء، وعليم بمن يستحقّ الهداية ممّن يستحقّ الغواية من هؤلاء وغيرهم، فيَهدي ويجتبي أولياءه، ويُضِلّ ويخذُل الغاوين(١) واللّه-تعالى- أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري، ٣١١/٦-٣١٢، وتفسير القرطبي، ٢٤٧/٦-٢٤٨، وتفسير ابن كثير، ٨٣/٢.

النص :

قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[1]

بيان غريب النص :

غفور : تقدّم معناه [2].

رحيم : تقدّم معناه [3].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " غفور رحيم " عَقِبه :

تحدّث القرآن الكريم فيما سبق عن النّصارى الّذين حُكِم عليهم بالكفر بسبب عقيدتهم الفاسدة ، حيث إنّهم يدّعون أنّ اللّه -سبحانه- أحدُ آلهة ثلاثة ، ويجعلون الإله ثلاثة عناصر[4] : الأب [5] والإبن [6] وروح القدس [7] أو هو الأب ، والإبن ، والأم[8] ، وهي بمجموعها إله واحد ، أمّا اللّه -تعالى- فمنزّه عن ذلك كلّه ، لا شريك له ، كما في قوله تعالى :﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[9] ، وجاء ختم تلك الآية بقوله تعالى :﴿ ... وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[9] تهديدا لهؤلاء القائلين بالتّثليث ، وإنذارا لهم بأنّهم إن لم يرجعوا من تلك العقيدة الباطلة التي اعتنقوها إلى عقيدة التوحيد ، فإنّ اللّه -تعالى- سيأخذهم بعذاب مؤلم ، جزاءَ كفرهم القبيح .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٧٤ .

(٢) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(٣) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٤) هي عقيدة التثليث عند النصارى وهي نبتت بعد المسيح -عليه السلام- سنة ٣٢٥ ميلادية ، وأنّها دخيلة على المسيحية الحقّة والموحّدة .

(٥) لقب الأب يطلقونه على الله -تعالى- .

(٦) لقب الابن يطلقونه على عيسى -عليه السلام- .

(٧) هو جبريل -عليه السلام- .

(٨) هي مريم -عليها السلام- أمّ عيسى -عليه السلام- .

(٩) سورة المائدة ، الآية : ٧٣ .

ثمّ إنّه -تعالى- لِكمال رحمته دعاهم إلى التّوبة ، وحثّهم على الرجوع إلى الاعتقاد الحقّ فقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾(١) الهمزة للاستفهام، فيه معنى التعجيب من إصرارهم و استمرارهم على العقيدة الفاسدة ، والفاءُ في قوله ﴿أَفَلَا ﴾ لِلعطف على مقدّر يقتضيه المقام ،والمعنى :ألاَ يرجع هؤلاء النّصارى عن قولهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ...)-(٢) وقولهم الآخر -(... إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ...)- (٣) وينتهون عن تلك العقائد الزائفة والأقاويل الباطلة فلا يتوبون إلى الله -تعالى-،ويطلبون منه الغفران بتوحيده -تعالى-،وتنزيهه عمّا نسبوه إليه ؟وفي هذا النّداء الكريم، مِن ربٍّ كريم حثٌ هؤلاء الضالّين على التّوبة إلى اللّه-تعالى-، والرجوعِ إلى العقيدة الصحيحة التي فطر الله-تعالى-النّاسَ عليها.

و لمّا حثّهم الله -تعالى- على التّوبة و الرجوع إلى الطريق الحقّ بفتح باب التّوبة لهم ،أَخْبَرَ -سبحانه-عن نفسه الكريمة باسميه الكريمين " غفور رحيم " في قوله -تعالى-:﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ تأكيدا لمغفرة الله -تعالى- ورحمته لمن يلتمس المغفرة ويُحقّقها من هؤلاء النّصارى وغيرهم ،فإنّه -تعالى- يقبل توبةَ التّائبين ويغفر للمنيبين النّادمين، ويرحم المذنبين المستغفرين ،فهو-سبحانه- غفور رحيم .

---

(١) قال أبو هلال العسكري في الفرق بين الاستغفار والتوبة : "إنّ الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء والتوبة أو غيرهما من الطاعة.والتوبةُ : النّدمُ على الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة .

اهـ كلامه . الفروق اللغوية ، ص ١٩٥ (دار الكتب العلمية ، بيروت).

وقال ابن قيّم الجوزية في مدارج السالكين ، ١/٣٣٥: " فالاستغفار يتضمّن التوبةَ، والتوبةُ تتضمّن الاستغفارَ وكلٌّ منهما يدخل في مسمّى الآخَر عند الإطلاق .وأمّا عند اقتران إحدى اللّفظتين بالأخرى.فالاستغفار: طلب وِقاية شرّ ما مضى.

والتوبة : الرجوع وطلب وقاية شرّ ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله .

(٢) سورة المائدة ، من الآية : ٧٢.

(٣) سورة المائدة ،من الآية : ٧٣.

وفي ختم الآية باسميه - تعالى - ﴿ غفور رحيم ﴾ إظهارُ كرمه - تعالى - وجودِه ولطفِه ورحمته بخلقه ، حيث إنّه - تعالى - بمقتضى هذين الاسمين يَقبل التّوبة من المذنبين و يعفو عن سيّئاتهم مهما عظُم ذنبُهم ، وفي الختم بهما زيادة تعجيب من إصرار هؤلاء النّصارى وغيرِهم من أهل الضلال على العقائد الفاسدة لكونهم لا يرجعون منها ولا يستغفرون الله - تعالى - بالدعاء والتوبة ، لأنّ مغفرة الله - تعالى - مرسَلة تُصيب المذنبين المستغفِرين ، وأنّ رحمتَه - تعالى - وسِعت كلَّ شيء كما وسِعتهم أيضا .

ومِن ناحية التقديم والتأخير ، فرحمة الله - تعالى - مقدَّمة من حيث المعنى لِتشريع التّوبة والاستغفار ، والتوبةُ وقبولُها رحمة منه - تعالى - . وقَدّم المغفرةَ في الآية هنا لدفع توهّمٍ ربّما يتوهّمه بعضُهم ، وهو هل يحاسبنا اللّه - تعالى - على ما فات ، فكان تقديم المغفرة رافعا لهذاالإيهام ، وكما أنّ الموقِفَ كان موقفَ حثٍّ وإطماع في مغفرة الله - تعالى - . والله - تعالى - أعلم بالصّواب .

النص :

قال الله تعالى : ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

أ : أداة الاستفهام، معناها هنا : الإنكار والتّعجّب.

مِن دون الله : "مِن" حرف جرٍّ،جيء بها للتّأكيد،و "دون" اسم للمغاير، فهو(٢) مرادِف للكلمة "سوى" والمعنى : غير الله.

ما : شيئا، و "ما" الموصولة لغير العقلاء على الأغلب. والمراد : عيسى -عليه السلام-، أو هو وأمه. واستعملت "ما" بدلَ "مَن" لأنّ أكثر ما عُبد من دون الله -تعالى- أشياء لا تعقِل كأصنامٍ وغيرها.

السميع : اسم من أسماء اللّه -تعالى- الحسنى،وقد تقدّم معناه (٣).

العليم : اسم من أسماء اللّه -تعالى- الحسنى،وقد تقدّم معناه (٤).

معنى النص و مناسبة اسميه تعالى "السميع العليم" عَقِبه :

لَمّا بيّن اللّه -عزّ وجلّ- في الآية السابقة(٥) حقيقةَ عيسى وأمّه مريمَ -عليهما السّلام- مِن أنّهما -كسائر البشر- يأكلان لاحتياجهما إلى الأكل، وذلك يَنفي عنهما الألوهيّة، ذَكَرَ هنا -في هذه الآية- ما يَنفي صِفةَ الألوهيّةِ عنهما وهي العبادة، فقال تعالى : ﴿ قُلْ ﴾ ياأيّها الرّسول الكريم -صلّى اللّه عليه وسلّم- لهؤلاء النّصارى على سبيل إنكار واقِعِهم والتعجّبِ مِن حالهم ﴿ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي : كيف

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٧٦.

(٢) لكلمة "دون" معان أخرى كثيرة، منها : نقيض فوق، و "دون" بمعنى التحقير، راجع لذلك : لسان العرب لابن منظور، ١٣/١٦٤-١٦٥، مادة (دون).

(٣) ينظر : من هذا البحث، ص : ٣٢.

(٤) ينظر : من هذا البحث، ص : ٣٣.

(٥) هي قوله تعالى : ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ سورة المائدة، الآية : ٧٥.

تعبدون من المخلوقين الفقراء المحتاجين ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ والمراد: عيسى وأمّه[١] -عليهما السلام-، وهما لا يستطيعان مثل ما يستطيعه الله -تعالى- من إيقاع الضَّرَر في الأنفُس والأموال، ولا مِثل ما يستطيعه الله -تعالى- من إيقاع النّفع من صحة الأبدان والسّعة، لأنّ كلّ ما يستطيعه البشر من المَضارّ والمنافع، هو بتمكين الله -تعالى- لهم، وليس بقدرتهم الذّاتيّة. وهذا دليل قاطع على فساد عقيدة هؤلاء الضالّين في شأن عيسى وأمّه مريم -عليهما السلام- إذ أنّ أمرَهما مُنافٍ للرّبوبيّة، حيث إنّهما لا يستطيعان ضَرًّا ولا نفعا، وصفةُ الرّبّ أن يكون قادرا على كلّ شيء، لا يخرج مقدور عن قدرته[٢].

ولمّا بيّن الله -تعالى- في هذا النّصّ الكريم -بطلانَ عبادةِ النصارى نبيَّ اللهِ عيسى وأمَّه مريمَ -عليهما السلام-، خَتَمَ الآية بجملة تؤكّد إنكارَ حالهم، وتقرّر توبيخَهم فقال: ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

والجملة في محلّ النّصب حال من فاعل "أتعبدون"[٣]، وتعريفُ الجُزئَين وضميرُ الفصل في قوله تعالى ﴿هو السميع العليم﴾ يفيد قصر السمع والعلم على الله -تعالى- على جهة الكمال، والمعنى على هذا: كيف تعبدون مَن لا يسمع ما يُشكَى إليه من الضّرّ وطلب النفع، ولا يَعلم كيفيّةَ وقوعهما بقدرَته الذّاتيّة؟ ولا يمكن أن يكون مَن على هذا الوضع إلهاً، لأنّه لم يتّصف بصفة السمع والعلم في الأزل، حيث إنّكم -أيّها النصارى الضّالّون- تقرّون أنّ عيسى -عليه السلام- كان لا يسمع ولا يبصر حين كان جَنينا في بطن أمّه، والحالُ أنّ الله -تعالى- هو المتّصِف بصفة السمع والعلم في الأزل، وهو -تعالى- المختصُّ بالإحاطة التّامة، بجميع المسموعات والمعلومات الّتي تصدر عنكم، فهو سيجازيكم على أقوالكم الباطلة وأعمالكم السّيّئة.

---

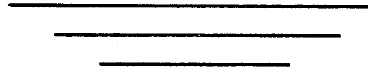
(١) هذا أحد قولي المفسّرين، وهو ما أميل إليه، لأنّ الآيات السابقة تتحدّث عن أحوال النصارى. وممّن قال به: الطبري في تفسيره، ٣١٥/٦، والزمخشري في تفسيره، ٦٣٥/١، وأبو السعود في تفسيره، ٦٨/٣، والشوكاني في تفسيره، ٦٥/٢، وذهب ابن كثير في تفسيره، ٨٥/٢، إلى أنّ المراد كلّ ما عبد من دون الله -تعالى- كالأصنام وغيرها، ويدخل في ذلك النصارى وغيرهم. وعلى كلا الرأيين فالآية تدلّ على نفي الألوهية عن عيسى وأمه وغيرهما.

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري، ٦٣٥/١.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود، ٦٨/٣.

وفي ختم الآية باسميه تعالى ﴿السميع العليم﴾ تهديد لهؤلاء النصارى حيث إنّ الله - تعالى - يَسمع كفرَهم حين يقولون إنّ الله هو المسيح ابنُ مريمَ، أو إنّ الله ثالِث ثلاثةٍ، ويعلم حالهم من عبادة غيره - سبحانه وتعالى - ، فسينالهم ما يستحقّونه من عذاب أليم .

وفي ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين المعرّفَين القاصِرين على الله - سبحانه وتعالى - تحقيق لإبطال عبادة هؤلاء عيسى - عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام - حيث إنّهم أقرّوا أنّ عيسى كان في حالٍ من الأحوال - وهي كونُه في بطن أمّه - لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم ولا ينفع ولا يضرّ، فكيف يكون إلها ؟؟ وفي ذلك نفي الألوهية عنه - عليه السلام - لأنّه - عليه السلام - لا يسمع جميع المسموعات ولا يعلم جميع المعلومات وبالتالي لا يكون إلها . والله - تعالى - أعلم بالصواب .



النص :

قال الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ [١]

بيان غريب النص :

الصيد : المَصيد [٢]، وهو مصدر بمعنى المفعول ، أي : ما يصاد من حيوان البحر ، ومن حيوان البرّ الوحشيّة ، ومن الطيور .

والمراد منه : غير صيد البحر ، لأنّ الله - تعالى - أحلّ صيد البحر وأباحه إباحة مطلقة [٣] بقوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ ... ﴾ [٤].

وأنتم حرم : جمع حرام ، ويطلق على الذكر و الأنثى ، يقال : رجل حرام وامرأة حرام ، بحج أو عمرة ، أو بالدخول في حدود الحرم ولو غير محرم [٥].

من النّعم : النّعم : المال الراعية [٦] وهو جمع لا واحد له من لفظه : وأكثر ما يقع على الإبل [٧].

والمراد هنا : الإبل والبقر و الغنم [٨].

هديا : الهدي : ما يهدى إلى الحرم ، ويذبح فيه ، من بعير أو بقر أو شاة أو غير ذلك ، تقرّبا به إلى الله - تعالى - ، وطلبا لثوابه [٩].

الكعبة : البيت الحرام [١٠].

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٥ .

(٢) القاموس المحيط ، مادة (صيد) ، ص : ٣٧٦ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي ، ٣٠٣/٦ .

(٤) سورة المائدة ، من الآية : ٩٦ .

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، ٤٥/٢-٤٦، (تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) ، وتفسير الطبري ، ٤٠/٧ ، .

(٦) المصباح المنير ، ٦١٣/٢ ، ولسان العرب ، مادة (نعم) ، ٥٨٥/١٢ .

(٧) المصباح المنير ، ٦١٣/٢ ، وينظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ١٤٦ .

(٨) نقل ذلك ابن منظور عن الأزهري ، ينظر : لسان العرب ، مادة (نعم) ، ٥٨٥/١٢ ، ذكره ابن عطية في تفسيره ، ٤١/٥ .

(٩) ينظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ٣٢ ، والمفردات للراغب ، ص : ٥٤١ .

(١٠) القاموس المحيط ، ص : ١٦٨ ، ولسان العرب ، ٧١٨/١ ، مادة (كعب) .

عَدْل ذلك : قال الفرّاء[١]: (العِدل - بكسر العين - : المِثل، وذلك أن تقول عندي عِدل غلامك، وعِدل شاتك، إذا كان غلاما يَعدِل غلاما، أو شاة تعدِل شاة، فإذا أردتَ قيمتَه من غير جنسه نصبتَ العين)[٢].
والمراد هنا : الثاني، وهو بالفتح، معناه: المعادِل للشيء والمساوي له من غير جنسه كالصوم والإطعام[٣]، وذلك يُدرَك بالعقل، وأمّا بالكسر فيُدرَك بالحسّ كالموزونات والمعدودات والمكيلات[٤].

وَبَال أمره : الوبال - في اللغة - : الثقل والمكروه[٥].
قال الراغب : (لِمراعاة الثّقل قيل للأمر الذي يُخاف ضررُه: وبالٌ)[٦].

فينتقم : فيعاقب[٧]، وفي لسان العرب: (وفي أسماء الله - تعالى - : المنتقم، هو البالغ في العقوبة لمن شاء، وهو مفتعل من نقم - من باب ضرب - : إذا بلغت به الكراهة حدّ السَّخَطِ)[٨].

عزيز : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، وقد تقدّم معناه[٩].

ذو انتقام : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، ومعناه: ذو مبالغة في العقوبة[١٠]

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "عزيز ذو انتقام" عَقِبه :

بيّن الله - عز وجل - في هذا النّص الكريم - للمؤمنين، حكْمَ الصيدِ، ومالَهم منه، وما عليهم فيه، وهم في حالة الإحرام أو في داخِل أرض الحرم، فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا ٱلصَّيْدَ ﴾ الّذي يصاد ويؤكل لحمُه، وأمّا ما لا يَحِلّ أكلُه ويعدو على النّاس مما ورد في حديث عائشة - رضي الله عنها - فلا بأس بقتله : " خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ، كُلُّهُنَّ فَاسِقٌ، يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ:

---

(١) هو يحي بن زياد الديلمي، أبو زكريا، المعروف بالفرّاء : إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة، وفنون الأدب. ولد بالكوفة سنة ١٤٤هـ وتوفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ. الأعلام للزركلي، ١٤٥/٨.

(٢) معاني القرآن، للفرّاء، ٣٢٠/١.

(٣) تفسير النسفي، ٣٠٣/١، (دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي).

(٤) المفردات للراغب، ص: ٣٢٥.

(٥) لسان العرب، ٧٢٠/١١، مادة (وبل).

(٦) المفردات في غريب القرآن، ص: ٥١١.

(٧) القاموس المحيط، ص: ١٥٠٣، مادة (نقم).

(٨) لسان العرب لابن منظور، ٥٩١/١٢، مادة (نقم)، وينظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤٢٧/٢.

(٩) ينظر: من هذا البحث، ص: ٣٣.

(١٠) الأسماء والصفات للبيهقي ١٥٤/١، وزاد المسير لابن الجوزي، ٣٥١/١.

الغُرَابُ والحِدَأَة (١) والعَقْرَبُ والفَأْرَةُ والكَلْبُ العَقُورُ(٢))" (٣).

﴿ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾ أي : وأنتم محرمون بحج أو عمرة ،ولو كنتم خارجَ الحرم، أو أنتم في أرض الحرم ولو كنتم غيرَ محرمين ﴿ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ﴾ أي: ومن قتل الصيد عامدا ، سواءٌ أقتله في الحرم أم في خارجه، قال الزمخشري : (التّعمد : أن يقتله وهو ذاكر لإحرامه ، أو عالم أنّ ما يقتله ممّا يحرُم عليه قتلُه)(٤)،﴿ فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ أي : فعلى القاتل جزاءٌ يماثل ما قَتل من النّعم، وهي الإبل والبقر و الغنم، وإن لم يوجد هذا المماثل. ثمّ بيّن تعالى الكيفيّة التي يتمّ بها تقويمُ الحيوان الذي قتل فقال ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ والضميرُ في " به " راجع إلى الجزاء المماثل للمّصيد المقتول،أي يحكم و يقضي بتعيين الجزاء المماثل للمقتول من صيد الحرم : رجلان عدلان من المسلمين ، قال السيوطي :(لَهما فِطنة يميّزان بها أشبه الأشياء بِهِ)(٥)،ويكون ذلك الجزاء المحكوم به من النّعَم ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾أي :يصل إلى الحرم المكّي، ويذبَح فيه ويوزّع على الفقراء ﴿ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ﴾ برفع " كفّارة " وتنوينها ،معطوف

---

(١) الحِدَأَة : -بكسر الحاء مهموزة -: وجمعها حِدأ كعِنَبة و عِنب : طائر .ينظر : القاموس المحيط، ص:٤٦ ، ولسان العرب مادة (حدأ)، ٥٤/١ .

(٢) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم ،١١٤/٨-١١٥: قال جمهور العلماء : ليس المراد بالكلب العقور :تخصيص هذا الكلب المعروف ، بل المراد هو كلّ عادٍ مفترس غالبا كالسَّبُعُ و النّمِر و الذئب و الفهد و نحوها .

(٣) صحيح البخاري، مع شرحه فتح الباري، ٣٤/٤ رقم ١٨٢٩ ،كتاب جزاء الصيد ، باب ما يقتل المحرم من الدواب . و في كتاب بدء الخلق ، ٣٥٥/٦ برقم ٣٣١٤ ، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغسله ... وصحيح مسلم، (بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ٨٥٧/٢ برقم ١١٩٨ ،كتاب الحج ،باب ما يندب للمحرم و غيره قتلُه من الدواب في الحِلّ و الحرم، وفيه " الحيّة " بدلا عن العقرب .

(٤) الكشاف ، ٦٤٤/١ .

(٥) تفسير الجلالين ، بهامش الجمل ، ٥٢٥/١ (طبعة عيسى البابي الحلبي) .

على " جزاء "، و" أو " للتخيير ، وقوله تعالى ﴿ طَعَامُ مَسَٰكِينَ ﴾ عطفُ بيانٍ ، لأنّ الطّعام هو الكفّارة ، والمعنى : أو عليه إطعام مساكين ما يساوي قيمةَ الهدْي مِن غالِب قُوتِ البلد ، فيَصرف لكلّ مسكين مُدّاً منه . ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾ أو ما يعادِل ذلك الطعامَ صياما ، فيصوم بدلَ كلِّ مدٍّ يوما [1] ، والله - سبحانه وتعالى - أوجب هذا الجزاء السابق على قاتِل الصّيْد متعمّدا ﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ أي : كَيْ يدرك سوءَ عاقبته ، وثِقلَ جزاءِ مخالفتِه لأوامر الله - تعالى - واستحلالِه حرمَةَ الإحرام أوالحرم ، وفي ذلك تشنيع على الاعتداء على حرمات الله - تعالى - ، وأنّ مَن فعل ذلك معرّض لبلاء شديد من اللّه - عز وجل - . ثمّ ذكر - تعالى - ما يُطَمْئِنُ بعضَ قلوب المسلمين الّذين سبق لهم قتلُ الصّيد عمدا أو خطأ قبل نزول هذا الجزاء ، فقال تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ أي : عمّا تقدّم مِن قتلِكم الصّيدَ قبلَ هذا التحريم ، فلا يعاقبكم عليه .

ولمّا نهى الله - عز وجل - في هذه الآية الكريمة المؤمنين عن قتل الصّيد ، كان يَعلم - سبحانه - أنّه سيكون منهم مَن يخالِفُ أمرَه ونهيَه ، ولِذلك حذّرهم مِن قتل الصّيد بقوله ﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾ إلى قتل الصيد ، بعد التحريم ﴿ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴾ أي : فهو [2] يعاقبه في الآخرة عِقابا لمخالفته وتجاوزه حدودَ اللّه - عز وجل - ، لأنّ الكفّارة في هذه الحالة لا تنفعه ، وفي هذا تهديد و وعيد لِمن يستحلّ حرمة قتل الصيد بالعودة إليه .

ولَمّا ذكر - تعالى - أنّه ينتقم مِمّن يقتُل الصيدَ بعد التحريم - وهو في الإحرام أو في أرض الحرم - لِكوْنه يتجاوز حدودَ اللّه - تعالى - ويُصِرّ على معاصيه ، أخبَرَ عن نفسه الكريمة باسمين عظيمين دالّين على تحقّق العقوبة والانتقام فقال : ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ أي : مَنيع في سلطانه ، لا يقهره قاهرٌ ، ولا يمنعه مِن الانتقام ممّن عصاه مانعٌ ، لانّ الخلقَ خلقُه ، والأمرَ أمرُه ، له العزّة والمنعة والغلبة ﴿ ذُو انتِقَامٍ ﴾ ذو معاقبة لمن عصاه تعالى وتجاوز حدود الإسلام ، فيعاقب مَن اعتدى على حرماته ولم يلتزم بنهي الله - تعالى - في قتل الصيد [3].

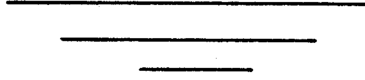
---

(١) يراجع في تفصيل ذلك إلى المراجع الفقهية ، وكتب " أحكام القرآن " ، ومنها أحكام القرآن لابن العربي ، ٢/٦٨٠- ٦٨١ .

(٢) مبتدأ مقدّر لِخبرِ ، هو " ينتقم " .

(٣) ينظر : تفسير الطبري ، ٦٣/٧ ، وتفسير ابن كثير ، ١٠٤/٢ ، وتفسير الآلوسي ، ٣٠/٧ ، بالتصرّف .

وفي ختم الآية باسمه - تعالى - "عزيز" إشارة إلى أنّ الله - تعالى - إذا أراد عقوبة مَن عاد، لا يَفلِت مِن سلطانه أحدٌ، و لذلك وُصف بأنّه ذوانتقام ، وكأنّ هذين الوصفين لله - عز وجل - بينهما تلازم ، بأن يدعَم الثاني الأولَ فيكون المعنى : إنّ الله - عز وجل - عزيز لا يغالَب ولذلك يعاقِب ، ويعاقِب لأنّه عزيز غالِبٌ ، وفي ختم الآية بهما تهديدٌ للعصاة حتى لا يفعلوا هذه المعصية ٠ والله - تعالى - أعلم بالصواب ٠



النص :

قال الله تعالى : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

جَعَلَ : جعل -من باب منع- ، والمصدر : جعلا -بفتح الجيم فيضم-
والجعل له معانٍ كثيرة في لغة العرب ، منها الخلق والإيجاد ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ... ﴾ (٢) و قوله تعالى : ﴿ ...وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣) أي : خلق وأوجد. و منها التصيير مثل قوله تعالى : ﴿ ...الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ... ﴾ (٤) أي : صيّرها (٥) .
و فِعلُ "جعل" هنا يحتمل أن يكون بمعنى "صيّر" فيتعدّى لمفعولين : أوّلهما : الكعبة ، وثانيهما : قياما .
ويحتمل أن يكون بمعنى "خلق" فيتعدّى لمفعول واحد ، وهو "الكعبة" ويكون قوله : "قياما" حال من البيت الحرام.

قياما للناس : قال الراغب : (أي : قِواما لهم يقوم به معاشُهم ومعادُهم) (٦) .
والقِيام : مصدر قام ، واسم لما يقوم به الشيء .

الشهر الحرام : أل فيه للجنس ، فيشمل الأشهر الحرم الأربعة ، وهي : شوّال و ذوالقعدة و ذوالحجة ورجب .

الهدى : اسم للذبيحة التي تهدى إلى الحرم من حيوان ، وقد تقدّم معناه (٧) .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٧ .

(٢) سورة النحل ، من الآية : ٧٢ .

(٣) سورة النحل ، من الآية : ٧٨ .

(٤) سورة البقرة ، من الآية : ٢٢ .

(٥) ينظر : لمعاني فعل "جعل" المفردات للراغب ، ص ٩٤ ، والقاموس المحيط ، ص ١٢٦٢ ، ولسان العرب ، ١١١/١١ ، مادّة (جعل) .

(٦) المفردات للراغب ، ص ٤١٧ .

(٧) ينظر : من هذا البحث ، أثناء تفسير الآية : ٩٥ ، من سورة المائدة . ص : ١٠٦ .

القلائد : جمع قِلادة ، وهي -كما قال الراغب-:الّتي تُجعَل في العنق من خيط وفضّة وغيرها [١].

والمراد : الحيوانات ذوات القلائد التي تُهدَى إلى الحرم [٢].

عليم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ،وقد تقدّم معناه [٣].

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى " عليم" عَقِبه :

لمّا حرّم الله -عز وجل- في الآية السابقة- [٤]الصّيدَ في الحرم وفي حال الإحرام ، بيّن هنا حكمة ذلك التحريم ،فقال :﴿ **جَعَلَ اللَّهُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ** ﴾ أي :خلق أو صيّر الله -تعالى- الكعبة -التي هي البيت الحرام-.

قال النّيسابوري [٥]: (وانتصب البيتُ الحرامُ على أنّه عطفُ بيانٍ على جهة المدح ، لا على جهة التوضيح ،إذ الكعبةُ أوضح من أن توضّح [٦].

﴿ **قِيَامًا لِلنَّاسِ** ﴾ أي :سببا لِقيام وصلاح أمر دِينهم ودُنياهم، وذلك أنّ الله تعالى جعل الحجّ إلى الكعبة عبادةً تقرّبهم إليه -تعالى-،وجعلها محلّ أمنٍ ، يفيض الأمن منها على كلّ كائن ، مِن انسان أو حيوانٍ أو نباتٍ . وهذا تحقيق دعوة سيّدنا إبراهيم -عليه السّلام- كما حكاه الله -تعالى- عنه في قوله- سبحانه -: ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾ [٧]وكذلك ﴿ **وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ** ﴾ أي :الأشهرَ الحُرُمَ الأربعةَ ، جعلها الله -عزّ وجلّ- قِياما للنّاس ، لأنّ العرب كانوا يتقاتلون في سائر الأشهر ،وإذا دخل الشّهر الحرام كان يزول خوفهم ويقدِرون على الأسفار والتّجارات لأمنهم على أنفسهم وأموالهم ﴿ **وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ** ﴾ أيْ :وكذلك جعل الله -تعالى- الهدي والقلائد قِياما للدّين والدّنيا ، قال النّيسابوري : (أمّا الهدي فإنّه نُسُكٌ للمُهدِي ، وقِوام لمعاش الفقراء ، وكذا القلائدُ ، فكان مَن قلّد الهدْي ،أو قلّد نفسَه مِن لِحاء شجر الحرم لم يتعرّض له أحد .) [٦]وبذلك تصبح الحرماتُ التي جعلها الله -تعالى- قياما وإصلاحا للنّاس

---

(١) المفردات في غريب القرآن ، ص٤١١.

(٢) قال القرطبي في تفسيره (٤٠/٦) : فهي- أي القلائد -كلّ ما عُلِّق على أسنِمة الهدايا وأعناقها علامة أنّه لله- سبحانه -، من نعل أو غيره ، وهي سنّة إبراهيميّة بقيت في الجاهليّة وأقرّها الاسلام . اهـ والأسنِمة :جمع سَنام - بفتح العين - وسنام البعير :أعلى ظهره . ينظر :لسان العرب ٣٠٦/١٢

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص: ٣٣ .

(٤) هي قوله تعالى:﴿ **وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ المائدة : ٩٦.

(٥) هو الحسن بن محمّد النّيسابوري، نظام الدّين :مفسّر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات ،ت ٨٥٠ . الأعلام ٢١٦/٢

(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ٣٤/٧.

(٧) سورة إبراهيم ،الآية : ٣٧.

أربعةً ، ثمّ بيّن - تعالى - الحكمة التي تختفي وراء هذه الحرمات الأربعة فقال: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى الجعل المذكور الذي هو تصيير البيت الحرام وما عُطف عليه قياما للنّاس وإصلاحا لأمورهم الدّنيويّة والأخرويّة ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: لِتعلموا - أيّها النّاس - أنّ الله - تعالى - الذي خلق لكم مصالح دنياكم وأخراكم ممّا شرعه في هذا النّص، يعلم مصالح ما في السّموات وما في الأرض .

ولمّا تقدّم عِلمُه - تعالى - بما في السّموات وما في الأرض ، وما دُمْنَا نحن قد عَلِمنا أنّ صفةَ العلم لله - عزّ وجلّ - أزليّة ولابدّ من تعميمها (١) ، اقتضى الختمُ تقريرَ علم الله - تعالى - التّامّ المطلق فقال: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، وذِكرُ هذا بعد ذِكر الخاص يدلّ على حسن الترتيب والتنسيق في أسلوب القرآن .

وختمُ الآية باسمه تعالى "عليم" مناسِب لِما ذُكر في الآية من الأشياء التي شرعها الله - تعالى - في شأن الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد ، ثمّ إنّ تلك الأشياء المتقَنَةِ المحكَمَةِ أتت مطابِقة لمصالح النّاس في الدّنيا والآخرة ، فترتّب على ذلك معرفتنا لِثبوت علمه - تعالى - في الأزل ، ولا تخفى عليه خافية ، لأنّ تدبير مصالح العباد على الوجه المذكور في الآية لا يصح ولا يتأتّى إلاّ ممّن يعلم الكائنات وأسبابَها وغايتها ، بل يعلم جميع المعلومات بأسرها (٢)

وفي تعقيب الآية باسمه تعالى "عليم" الدّالّ على إحاطة علمه بكلّ شيء وعدٌ لِمن عظّم الأشياء المذكورة في الآية مِن الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد ، ووعيدٌ لِمن لم يحترمها ولم يعظّم حرمات الله - تعالى - ، لأنّ الله - تعالى - بمقتضى اسمه هذا ، سيُجازي النّاسَ يومَ القيامة على حسب أعمالهم إنْ خيراً فخير ، وإن شرا فشرّ . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي ، ١٧١/٢ ، (مؤسسة شعبان للنّشر والتّوزيع ، بيروت) .

(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي ، ١٠١/١٢-١٠٢ ، وغرائب القرآن للنيسابوري ، ٣٤/٧ .

النص :

قال الله تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

شديد العقاب : تقول اللغة : شَدَّ يَشِدّ - بكسر الشين - شِدّة ، أي : قَوِيَ ، ورجل شديد ، أي : قويّ (٢).

قال الزجّاجي (٣) : (الشّديد (٤) في صفات الله - تعالى - على ضربين : أحدهما : أن يراد بالشديد في صفات الله - عز وجل - : أنّه شديد العقاب ، فيرجع المعنى في ذلك في الحقيقة إلى أنّ عذابه شديد ، كما قال : ﴿ ... إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٥).

وقال : ألا ترى أنّا إذا قلنا : "زيد كثير العيال" أنّ المعنى إنما هو وصف عياله بالكثرة) (٦) اهـ.

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٨ .

(٢) ينظر : لسان العرب ، ٣/٢٣٢ ، مادة (شدد) .

(٣) هو عبد الرحمن بن إسحاق النّهاوندي الزجاجي ، أبو القاسم : شيخ العربية في عصره . ولد في نهاوند ولا يعرف تاريخ ولادته ، توفي في طبريّة (من بلاد الشام) سنة ٣٣٨هـ ، نسبته إلى شيخه أبي اسحاق الزجاج . (الأعلام : ٣/٢٩٩) .

(٤) إطلاق " الشديد " من غير إضافة ، على الله - تعالى - غير صحيح ، إلّا إذا جاء بلفظ الاسم المضاف كقوله " شديد المحال " ، ينظر : الكواشف الجلية لعبد العزيز السلمان ، ص ٢٦٦ ، (ط الحادية عشرة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) .

ولم يأت في رواية سنن الترمذي المشهورة اسمُ الله - تعالى - " شديد العقاب " ، وإنّما جاء في سنن ابن ماجه بلفظ " الشديد " في كتاب الدعاء ٢/١٢٦٩ برقم ٣٨٦١ . ولكن رواية ابن ماجه ضعيفة لضعف أحد رواته ، وهو عبد الملك بن محمد الصنعاني ، (تقريب التهذيب ١/٥٢٢) . لابن حجر ، (تحقيق عبدالوهّاب عبداللّطيف ، دار المعرفة ط . الثّانيّة ، ١٣٩٥هـ) .

(٥) سورة إبراهيم ، من الآية : ٧ .

(٦) اشتقاق أسماء الله - تعالى - الحسنى للزجاجي ، ص ١٩٢ ، (مؤسسة الرسالة ، ط الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، تحقيق د . / عبد الحسين المبارك) .

قال القرطبي : (ومنها[١] : شديد العقاب -جل جلاله- وتقدّست أسماؤه ، نطق به التنزيل وأجمعت عليه الأمة[٢] .

وقال : معناه ظاهر : يعاقب الكافرين لكفرهم ، والعصاةَ لعصيانهم فيعاجل مَن شاء بعقوبته في الدنيا ،ويؤخّر عقوبة من شاء إلى الآخرة ،لا يسأل عمّا يفعل)[٣] اهـ.

غفور : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ،وقد تقدّم معناه[٤] .

رحيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه[٥] .

معنى النص و مناسبته لما تقدّم في هذه السورة الكريمة :

إنّ أكثر الآيات من هذه السورة الكريمة في بيان الحلال و الحرام كتحريم الاعتداءِ على قومٍ بسبب بُغضهم وعداوتهم ، والتّعاونُ على البرِّ والتقوى ، وتحريمِ التّعاونِ على الإثمِ والعدوانِ ، وتحريمِ الميتة وما في معناه ، وتحريمِ الخمر ، وتحريمِ الصيد للمحرِم ، وإباحةِ صيد البحر له إلى غيرِ ذلك من الأحكام . كلُّ ذلك يدلّ على أنّ الله -تعالى- لم يترك الناس سدًى كما أنّه لم يخلقهم عبثا ، فلا يليق بحكمة الله -عز وجل- وعدْلِه أن يُسوّيَ الّذين كفروا ، و الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلذا جاء التعقيب على هذه الأحكام بذكر الوعدوالوعيد

---

(١) أي : من أسماء الله -تعالى- الحسنى .

(٢) ذهب ابن الوزير إلى أنّه ليس من الأسماء الحسنى ، وقال : (.. وتركت ما كان من صفات أفعاله وأسمائه مثل " شديد العقاب " و " سريع الحساب " ونحو ذلك ، لأنّه لم يُسمِّ -تعالى- نفسَه بها ،ولا علِمتُ أحدا عدّها في أسمائه بل عُدّت في أفعاله -سبحانه وتعالى- لأنه لا فرق في المعنى بين قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ وبين قوله تعالى ﴿ إِنَّ عَذَابَ اللَّهِ لَشَدِيدٌ ﴾ فتأمّل ذلك) ،إيثار الحق على الخلق له، ص ١٦٠ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط الأولى ،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .

(٣) الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله -تعالى- الحسنى ،لمحمد بن أحمد القرطبي الأنصاري مخطوط مصوّر في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٣٠٤ ، العقيدة ، ورقم الورق غير واضح .

(٤) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٤.

(٥) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٢.

فقال : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ وافتتاح الجملة بـ"اعلموا" للاهتمام بمضمونها أي : اعلموا - أيّها النّاس - أنّ الله - تعالى - شديدُ العقاب ، يعاقِب مَن استخفّ بأحكامه ، وانتهك حرماتِ الله - تعالى - ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ أي : وأنّ الله - تعالى - غفور لمن تاب وأطاع، ورحيم به حيث لا يعاقِبه بعد التوبة .

وقدّم الوعيد بعقاب الله - تعالى - على الوعد بغفرانه ورحمته، لِيدرِك الناسُ مبلغَ خطورةِ الذّنبِ . فإنْ أَقْدَموا عليه - جهلا - سارَعوا إلى التوبة والاستغفار ، لِيكونوا أهلا لمغفرة الله - تعالى - ورحمته.

وفي ذكر " شديد العقاب " تحذير من عقاب الله - تعالى - لمن يخالف أمره . وفي ذكر " غفور رحيم " ترغيب في ثواب الله - عز وجل - ومغفرته لمن يتّبع هداه .

ولعلّ في تقديم ذكر العقاب وتأخير ذكر المغفرة والرّحمة إشارة الى أنّ العقاب قد ينتهي بالمغفرة والرّحمة، فلا يدوم، لأنّ رحمته - تعالى - غلبت غضبه،[١] كما ثبت في الحديث الصّحيح عن النبي - صلى اللّه عليه وسلّم - أنّه قال : "لَمّا قَضَى اللّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي"[٢] .

---

(١) ينظر : تفسير أبي السعود ، ٨٣/٣ ، وتفسير المنار لرشيد رضا ، ١٢٠/٧-١٢١ .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، كتاب بدء الخلق ، باب ماجاء في قول الله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ ، (٢٨٧/٦ رقم ٣١٩٤) عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - ، وهو في كتاب التّوحيد من صحيح البخاري بأرقام : (٧٤٠٤) و (٧٤٢٢) و (٧٤٥٣) و (٧٥٥٣) و (٧٥٥٤) ، وصحيح مسلم (تحقيق محمّد عبدالباقي) ٢١٠٧/٤ رقم ٢٧٥١ ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة اللّه ، وأنّها سبقت غضبه .

النص :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

غفور : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٢).

حليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٣).

سبب النزول :

وقد اختلفت الروايات في سبب نزول هذه الآية الكريمة .

روى البخاري و مسلم - واللفظ للبخاري - عن أنس بن مالك (٤) - رضي الله عنه - قال : خَطَبَ رسولُ اللهِ - صلّى الله عليه وسلّم - خُطبةً ما سمعت مِثلَها قطُّ ، قال : " لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا " قال : فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسولِ اللهِ - صلّى الله عليه وسلّم - وجوهَهم، لَهُمْ حَنِينٌ (٥). فقال رجل : مَن أَبي ، قال : أَبوك فلانٌ ، فنزلتْ هذه الآيةُ : ﴿ ... لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ... ﴾ (٦). وروى البخاري عن ابنِ عبّاس - رضي الله عنهما - قال : كان قومٌ يَسألون رسولَ اللهِ - صلّى

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٠١ .

(٢) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(٣) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٤) هو أنس بن مالك بن النضر النجاري الخزرجي الأنصاري ، أبو ثمامة أو أبو حمزة : صحابي جليل خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . وهو من المكثرين في رواية الأحاديث . توفي بالبصرة ، سنة ٩٣ . أسد الغابة لابن الأثير الجزري ، ١٥١/١ .

(٥) وجاء بالخاء المعجمة " الخنين " ، وقالوا معناه بالمعجمة : صوت البكاء ، وهو نوع من البكاء دون الانتحاب ، ذكره النووي في شرحه على مسلم ، ١١٢/١٥ .

(٦) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ، ٢٨٠/٨ ، رقم ٤٦٢١ ، كتاب التفسير ، سورة المائدة ، باب قوله تعالى ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ .. ﴾ - ، وصحيح مسلم (تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي) ١٨٣٢/٤ ، كتاب الفضائل ، باب توقير النّبيّ صلى الله عليه وترك إكثار سؤاله عمّا لا ضرورة اليه . رقم الحديث : ٢٣٥٩ .

اللّه عليه و سلّم - استهزاءً ، فيقول الرجلُ : مَن أَبي ؟ ويقول الرجل:تَضِلّ ناقتُه أين ناقتي ؟ فأنزل اللّهُ - تعالى - فيهم هذه الآيةَ :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ...﴾[١] حتّى فرَغَ من الآية كلِّها [٢].

هناك روايات أخرى في نفس المعنى، فاكتفيتُ بما ذكرت خشيةَ التطويل . قال القرطبي - رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر بعض الروايات : (ويحتمل أن تكون الآية نزلت جوابا للجميع ، فيكون السؤال قريبا بعضه من بعض) [٣]،وهو الأرجح عندي ، و مِثلُه كثير في القرآن الكريم [٤].

معنى النص و مناسبة اسميه تعالى " غفور رحيم " عَقِبه :

خاطَب اللّهُ - سبحانه وتعالى - في هذه الآية الكريمة - المؤمنين ونهاهم عن أن يسألوا عن أشياءَ لا يحتاجون إليها في الدّين ،لأنّها إنْ أُبدِيت و أُظهِرت لهم تلك الأشياءُ ربّما ساءتهم و أحزنتهم ،فقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْـَٔلُوا ﴾ نبيَّكم محمداً - صلّى الله عليه وسلّم - ﴿ عن أشياء ﴾ مِمّا لا فائدةَ لكم في السّؤال عنها كسؤال بعض المسلمين لِرسول اللّه - صلّى اللّه عليه وسلّم - عن آبائهم . أو عن دقائق التكاليف الّتي لا يطيقونها كَتحريم أمرٍ كان غير محرَّم،وحظرِ طعامٍ كان مباحا ، أو عن أمور الغيب أو الأسرار الخفية كالسؤال عن حالهم في الجنة والنار ، أو غير ذلك من أمور ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ أي : إن انكشف لكم حكمُ الشريعة فيما سألتم ، ساءكم ، و شقّ عليكم، إذ تؤمَرون بتحمّله فتُعرّضون أنفسَكم لِغضب اللّه - تعالى - بالمخالفة فيه ، وتندَمون على السؤال عمّا لا يعني ﴿ وَإِن تَسْـَٔلُوا عَنْهَا حِينَ

---

(١) سورة المائدة ، من الآية : ١٠١ .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ، ٨/ ٢٨٠ ، رقم ٤٦٢٢،كتاب التفسير ، سورة المائدة، باب قوله تعالى : ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ .

(٣) تفسير القرطبي ، ٦/ ٣٣١ ،

(٤) ذلك كما في قوله - تعالى - ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ • وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ سورة النّور ،الآيتان :٦-٧.

﴿يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ أي: وإن تسألوا رسولَ اللّه -صلّى اللّه عليه وسلّم- عن تلك الأشياء، في زمان نزول الوحي ووجود الرّسول -صلّى اللّه عليه وسلّم- بينكم، تَبَيَّنَ لكم، وفي هذا تحذيرٌ من السؤال عن أشياءَ يكون من شأن إظهارها، حرَجٌ للسّائلين، وأمّا السؤالُ لِغَرَضِ التّفقُّه أو الحُكْم فيما خَفِي مِن أمرٍ دينيٍّ فلا مانع منه، بل السؤالُ عن شيء لم يفهمْه السّامعُ كما ينبغي واجب، وفي ذلك دفعُ توهّمِ مَن يَتوهّم أنّ جميع أنواع السؤال ممنوع منه (١) ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ أي: عفا اللّه عمّا سلف مِن مسئلتكم قبلَ التّحريم، فلا تعودوا إلى مثل ذلك فيما بعد .

لَمّا تقدّم ذِكر العفو وهو عدمُ المؤاخذة عمّا كان من مسئلتهم قبل النهي، كان ذلك تمهيدا للإخبار عن اللّه -تعالى- بصفتَي المغفرة والحِلم، ولذا ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ تذييلا مقرّرا لِعفوه -سبحانه وتعالى-، أي: والله -سبحانه وتعالى- واسعُ المغفرة والحِلم، فَمِن سعة مغفرته وعظيم حلمه لم يعاقبْكم على أسئلتكم الّتي بها أغضبتم نبيّكم محمداً -صلّى اللّه عليه وسلّم- فناسَب الختمُ بهاتين الصّفتين العظيمتين، لأنّ المغفرة تصحّ بها عدم مؤاخذتهم، والحِلمَ هو عدم تعجيل عقوبتهم عَقِب أسئلتهم التي لا فائدة فيها لهم .

ومناسبة اقتران وصف الغفور بالحليم هنا، دون الرحيم، لأنّ هذه مغفرةٌ لِذنب هو مِن قَبِيل تقصيرهم في الأدب مع رسول اللّه -صلّى اللّه عليه وسلّم- حين سألوا، ولذلك ناسب وصف الحليم دون غيره من أسماء الله -تعالى- الحسنى الكثيرة، لأنّ الحليم هو الموصوف بالحلم الذي لا يغضب، ويقبل المعذرةَ . والله -تعالى- أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي، ١٠٧/١٢ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

علّام الغيوب : من أسماء الله - تعالى - الحسنى ،وقد تقدّم معناه (٢).

والغيوب جمع الغيب ، مصدر ، يسمّى به ما غاب واستتر.

قال الراغب : (واستعمل في كل غائب عن الحاسّة وعمّا يغيب عن علم الإنسان، بمعنى الغائب) (٣) .

معنى النص و مناسبة اسمه تعالى " علّام الغيوب " عَقِبه :

لمّا ذكر اللّه -عز وجل- في الآيات السّابقة (٤) بعضَ الأحكام، من إقامة الشهادة على وجهها ، و عدمِ شهادة الزور ، والأمر بتقوى اللّه -تعالى- ،عَقّبَ ذلك ببيانِ أحوال يوم القِيامة ،وذِكْرِ ما سيكون هناك مِن الخطاب والعِتاب ،حتّى تتمكّن خشيةُ اللّه -تعالى- وتقواه من نفوس المؤمنين و يعمَلوا بما كلّفهم به ،فقال -تعالى- :﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ ﴾ الخِطاب للمؤمنين ليتذكّروا و يحذروا يوم القيامة، الذي يجمع اللّه -تعالى- فيه الرسلَ ، وخصّ اللهُ -سبحانه- الرّسلَ بالذّكر مع أنّ الرسل و أُمَمَهم سيُجمَعون يومَ القيامة ،لِشرف الرّسل -عليهم السلام- وأصالتِهم، ولِكوْن أُممِهم أتباعًا لهم. وفي ذلك اليوم يوجّه -تعالى- الخطابَ لهم ﴿ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾ أي: ما الذي

---

(١) سورة المائدة ،الآية : ١٠٩ .

(٢) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٣.

(٣) المفردات للراغب ،ص : ٣٦٦ .

(٤) هي من قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ... ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ الآيات : (١٠٦-١٠٨) ،من سورة المائدة .

أجابكم به مَن أُرسلتُم إليهم حين دعوتموهم إلى توحيدي و طاعتي، أَهِيَ إجابةُ قبولٍ؟ أم إجابة ردّ وإباء؟ وفي السؤال توبيخ للأقوام الذين كذّبوا رسلَهم في حياتهم، أو بدّلوا وارتدّوا بعد مماتهم ﴿قَالُوا﴾ أي: الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بما أجابونا به، أَهُوَ موافق لقلوبهم؟ أم مخالف لها؟ فيهم المطيعُ، وفيهم العاصي، وفيهم مَن يُظهِر الإيمانَ ويضمِر الكفرَ، وكلُّ ما عرَفناه، ظاهرُ أحوالِهم حين كنّا بيْن أظهُرِهم، وأمّا أحوالُهم بعد أن توفّيتَنا - يا ربّنا - غائبةٌ عن علمنا من باب أولى .

عندما نَفَى الرّسُلُ - عليهم الصّلاة والسلام - العِلمَ عن أنفسهم بإخلاص قومهم وما يبطنون مِن إجابة إقرار وتصديق، أو إجابة إنكار وتكذيب، قالوا: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾ وحدَك ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ أي: العالمُ بما غاب وما بطن، فلذلك تعلم ما سألتَنا عنه، ليس بخافٍ عليك، تعلَم ما أجابه قومُنا وما أظهَروه لنا، ما لم نعلمه ممّا أضمروه في قلوبهم، لأنّك المحيطُ بكلّ شيء عِلماً، المتخصّصُ بعلم الغيب، وفي هذه الجملة تعليل[1] لنفيهم - عليهم الصلاة والسلام - العلمَ عن أنفسهم .

وفي اختيارهم - عليهم الصلاة والسلام - اسمَه تعالى "علّام الغيوب" تفويضٌ منهم أمرَ أقوامهم إلى العليم بكلّ شيء، والمطّلِع على كلّ شيء، والمحيط بالغائب والحاضر، وهو الله - سبحانه وتعالى -، وفيه دلالة على عجز هؤلاء الرّسل - عليهم الصلاة والسلام - وعدم قدرتهم على الإخبار بما غاب عنهم من أحوال أقوامهم، ولكنّ الله - تعالى - هو العلّام بكلّ ما غاب عن رسله - عليهم الصلاة والسلام - من أحوال أقوامهم، وسيحاسبهم بما صَدَرَ منهم من تكذيب أو تصديق .
والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) تفسير أبي السعود، ٩٣/٣ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

سبحانك : أي : تنزيها لك ،عن أن يكون معك إله آخر ،وهذا هو المراد هنا .

والتسبيح - في اللغة - : التنزيه (٢).

قال أبو السعود (٣) : (سبحان : علم للتسبيح ، وانتصابه على المصدرية ، ولا يكاد يذكر ناصبه ،وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاقُ من السّبح الذي هو الذهاب والإبعاد في الأرض ،ومن جهة النقل إلى صيغة التفعيل، ومن جهة العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له - سبحانه ...ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل..)(٤).

وأحسن ما يقال في إعرابه :أنّه اسم مصدر للتسبيح،وهو مفعول مطلق ، منصوب بفعل محذوف تقديره : اسبّح الله -تعالى- تسبيحا،أو أسبّحه سبحانا .

علّام الغيوب : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ،وقد تقدّم معناه (٥).

---

(١) سورة المائدة ،الآية : ١١٦ .

(٢) القاموس المحيط ،مادة (سبح) ، ص:٢٨٤ ، وانظر : المصباح المنير ، ٢٦٢/١ .

(٣) هو محمد بن محمد بن مصطفى العِمادي : مفسّر ، شاعر ،من علماء الترك المستعربين، وُلد بقرب القسطنطينية ،سنة ٨٩٨هـ ،وتوفي في استانبول سنة ، ٩٨٢ هـ . الأعلام للزركلي ، ٥٩/٧ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ١٠١/٣ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص:٣٣ .

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى "علّام الغيوب" عَقِبه :

بعد أن بيّن اللّه -عز وجل- ما سيجري بينه -تعالى- وبين جميع الرّسل على وجه الإجمال[(١)]، خصّص هنا شأن عيسى -عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام- بالبيان، لِما أنّ شأنه متعلّق بأهل الكتاب -اليهود والنّصارى- الذين ذكرت السورة الكريمة جناياتهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ...﴾[(٢)] فهو ما يقوله -تعالى- يوم يجمع الله الرسل، وليس ممّا قاله في الدنيا، لأنّ عبادة عيسى -عليه السلام- حدثت بعد رفعه، وذلك لِيرى الكفّارُ تبرئةَ عيسى -عليه السلام- ممّا نسبوه إليه، ويعلموا أنّهم كانوا على باطل[(٣)]، والمعنى: واذكرْ يا رسولَ اللّه -صلّى اللّه عليه وسلّم- للناس وقتَ قولِ اللّه -عز وجل- في الآخرة توبيخا للكفرة الّذين اتّخذوا عيسى وأمّه -عليهما السلام- إلهين، وتبكيتاً لهم ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: هل أنتَ -يا عيسى- دعوتَ الناسَ في الدّنيا إلى عبادتك والاعتقاد بألوهيّتك وألوهيّة أمّك ﴿قال﴾ عيسى -عليه السلام- (سُبْحَٰنَكَ) أي: أنزّهك -يا اللّهُ-، عن أن يكونَ معك إلهٌ آخرُ، فبدأ بتسبيح الله -تعالى- عند ما سمع ما لا تليق نسبتُه إلى اللّه -سبحانه وتعالى-، حيث إنّ من أدب العبوديّة أن يسبّح العبدُ ربّه إذا سمع ما لا يليق بجلاله -تعالى-، ثمّ أتْبَعَ ذلك بنفيه -عليه السلام- الألوهيةَ عن نفسه بقوله ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أي: ليس من شأني، ولا ينبغي لي أن أقول شيئا ليس من أوصافي، ولا من حقوقي، وفي ذلك إنكار أصل الألوهية عن نفسه -عليه السلام-، ثمّ ذكر -تعالى- تبرئتَه -عليه السلام- بقوله ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ أي: إن كان صَدَرَ منّي هذا القولُ، وهو "اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله" فقد علمتَه، إذ عِلمُك واسع

---

(١) ذلك في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ المائدة : ١٠٩ .

(٢) سورة المائدة، الآية : ١١٠ .

(٣) ما أثبته من أن القول: يوم القيامة، ليس في الدنيا، هو قول الجمهور من المفسرين، كالطبري ١٣٦/٧، والرازي، ١٣٤/١٢، وابن جزيّ في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ٣٤٩/١، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الرابعة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، وابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" ١١٢/٧ (الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م) .

محيط بكلّ شيء ولا يخفى عليك شيء. ولم يَقُلْ -عليه السلام- " لم أقله" بل قال : " فقد علِمتَه " ففي ذلك أدبٌ رفيع مع الله -عز وجل- ثمّ أحال الأمرَ على علمه سبحانه ، ولم يعتبر شيئا في أفعاله وأقواله -عليه السلام- غيرَ علمِ اللّه -تعالى- ، فقال ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِي ﴾ أي : تعلم سرّي وما انطوى عليه ضميري ، ثمّ بَرَّأ نفسَه -عليه السلام- عن علمِه بغيب ربّه ، وما يختصّ به سبحانه فقال ﴿ وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ أي : ولا أعلم شيئا ممّا استأثرت به من غيبك وعلمك.

ثمّ أثنى على ربّه -عز وجل- ووَصَفَه بتفرُّده بعلم الغيوب كلِّها، فقال ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ أي : إنّك عالم بجميع العلوم الغيبية وحدك ، ما كان منها وما سيكون ، لا يخفى عليك شيء منها.

ولَمّا نَفَى -عليه السلام- عن نفسِه العلمَ بالغيب ، ورَدَّه إلى عالم الغيب والشّهادة ناسَب أن يُخبِرَ -عليه السلام- عن ربّه باسمه الكريم " علاّم الغيوب " تقريرا لقوله : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ، لأنّ ما انطوت عليه النفوسُ من جملة الغيوب ، ولأنّ ما يعلمه علاّم الغيوب لا ينتهي إليه أحد . وفي ذلك تأكيد لِما بَيْن المسيح وبين الألوهية من بُعد بَعيد ... فلو أنّه كان إلها لَعلِم ما يعلم الله -تعالى- ، ولكنّه لا يعلم حتّى ما اشتملت عليه ذاته ، بل هو مخلوق في ملك الله -تعالى- ، يحيط به علما ، وبما غاب عنه[(١)].

وفي ذكر عيسى -عليه السلام- اسمَه تعالى "علاّم الغيوب" طلب تأكيد تبرئته -عليه السلام- ممّا نسبه إليه مَن ألَّهُوهُ وأُمَّه - والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان ، ٥٩/٤ ، وتفسير عبد الكريم الخطيب ، ٨٣/٧ . (دار الفكر ، بيروت)

النص :

قال الله تعالى :

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[1]

بيان غريب النص :

شهيدا : أي : شاهدا على أحوالهم، والمراد به هنا : عيسى - عليه السلام - .

الرقيب : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، معناه : الحفيظ[2]، وقال الزّجّاج : (هو الحافظ الذي لا يغيب عمّا يحفظه)[3].

توفّيتني : قال في المصباح المنير : (توفّاه الله : أماته، والوفاة : الموت)[4].
والمراد : وفاة الرفع إلى السماء لا الموت[5]، قال الله تعالى :
﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ... ﴾[6]،
أي : مستوفي مدّة إقامتك بين قومك، والتّوفّي، كما يطلق على الإماتة، كذلك يطلق على استيفاء الشيء[7].

شهيد : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، وقد تقدّم معناه[8].

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى " شهيد " عَقِبه :

في هذا النص الكريم بيّن الله - عز وجل - على لسان نبيّه عيسى - عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام - أنّه ما أمر قومَه بشيء إلّا ما أمره ربّه به - وهو مَحض التوحيد - فقال : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦ ﴾ أي : يقول عيسى - عليه السلام - : ما قلتُ لهم إلّا ما أمرتني

---

(١) سورة المائدة، الآية : ١١٧ .

(٢) تفسير الطبري، ٧/١٣٩ .

(٣) تفسير أسماء الله - تعالى - الحسنى للزجاج، ص ٥١، وشأن الدعاء للخطابي، ص ٧١، والتفسير الكبير للرازي، ١٢/١٣٦ .

(٤) المصباح المنير، ص : ٢/٦٦٧ .

(٥) التفسير الكبير للرازي، ١٢/١٣٥، وتفسير الخازن، ٢/١١٤ . (مطبعة مصطفى البابي، ط الثّانية)

(٦) سورة آل عمران، من الآية : ٥٥ .

(٧) محاسن التأويل، للشّيخ القاسمي، ٤/١٠٧ .

(٨) ينظر : من هذا البحث، ص : ٣٣ .

بإبلاغه إليهم ، وفي ذلك إشارة إلى أنّ المسيح مأمور ، يبلّغ ما أمره به ربّه ، وقد بلّغ رسالة ربّه - عز وجل - ،كما أمره بها ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي : ما أمرتهم إلاّ بعبادة الله - تعالى - ربّي وربّهم ، وذلك إقرارٌ منه - عليه السلام - بأنّه عبد مخلوق ، ومَن كان عبدا لله فليس له إلى الألوهيّة سبيل • ثمّ ذكر - عليه السلام - شهادتّه على قومه مدّة إقامته بينهم فقال ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أي : وكنتُ شاهدا عليهم ، مرشدا لهم مدّة بقائي بينهم ، وذلك وظيفتّه - عليه السلام - الثانيةُ من جانب الله - سبحانه وتعالى - ، وهي الشهادة على أعمال أمّتيه ، ثمّ أخبر - عليه السلام - أنّه بعد وفاته لا اطّلاعَ له عليهم فقال : ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ﴾ يا اللهُ ﴿الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي : الحفيظ والمطّلع عليهم دوني ، فلا يغيب عن علمك ما أحدثوه من بعدي، وفي ذلك تأكيد لبراءة عيسى - عليه السلام - ممّا تقوّله عليه أتباعُه•

لمّا قال - عليه السلام - إنّه كان شهيدا على أعمال قومه ، فشهادتُه - عليه السلام - لم تكن دائمة مستقلة ، لأنّ الشهادة التي كان يقوم بها ما دام فيهم كانت حِصّةً يسيرة من الشهادة المطلّقة التي هي شهادة الله - تعالى - على كلّ شيء ، حَصَرَ - عليه السلام - تلك الشهادة العامّة المطلقة في الله - عز وجل - فقال ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ تذييلا مقرّرا لمضمون ماقبله ، أي : إنّي عبد من عبادك ورسول من رُسُلك ، قد جعلتني شهيدا على قومي مدّة دوامي فيما بينهم ، فلا أشهد على ما وقع منهم وأنا لستُ فيهم ، وأنت شهيد عليهم على الدوام ، حين كنتُ بينهم ، وبعد أن توفيتني ، بما أنّك شهيد على كلّ شيء ، وأنت أكبر شهادة ممّن تجعلهم شهداء من خلقك ، قال - تعالى - ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ، قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ...﴾(١).

وفي ذكره - عليه السلام - اسم ربه ﴿شهيد﴾ دليل على أنّ شهادتّه - تعالى - فوق كلّ شهادة وأعمّ ، وأنّه - تعالى - هو الإله الحق ، لأنّه الذي لا يغيب عنه شيء ، فليس - سبحانه - كعيسى - عليه السلام - الذى غاب عنه ما غاب من أحوال قومه بعد وفاته ، وذلك نقيض الألوهية لاقتصار شهادته - عليه السلام - على قومه مدة بقائه بينهم(٢)• والله - تعالى - أعلم بالصواب •

---

(١) سورة الأنعام ، من الآية : ١٩ •

(٢) ينظر : تفسير أبي السعود ، ١٠٢/٣ ، وتفسير الآلوسي ، ٦٩/٧ ، وتفسير المنار لرشيد رضا ، ٢٦٧/٧ •

النـص :

قال اللـه تعالى : ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[1]

بيـان غريب النـص :

العزيز : اسم من أسماء اللـه -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه[2].

والمراد هنا : القويّ القادر على العقاب والعفو.

الحكيم : اسم من أسماء اللـه -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه[3].

معنى النـص ومناسبة اسميه تعالى " العزيز الحكيم" عَقِبه :

بعد أن أجاب عيسى- عليه وعلى نبيّنا أفضلُ الصلاة والسلام- في الآية السابقة[4] -على سؤال ربّه -عز وجل- تلك الإجابة الموفّقة ، فَوَّضَ -عليه السلام- الأمرَ كلَّه من العقاب والعفو إلى اللّه -سبحانه- في شأن قومه الّذين كذبوا على اللّه وعلى رسوله ، وجعلوا لله نِدًّا وصاحبة وولدا ، فقال -كما حكى القرآن عنه-: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ أي: إن تعاقب -يا إلهي- قومي الّذين أرسلتني إليهم ، وقمتُ بتبليغهم ما أمرتني به من توحيدك وعبادتك ، فإنّما تعاقِب بالعدل مَن يستحقّ العقاب ، فلو لا أنّهم عباد متمرِّدون ، لم تعذّبهم ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: وإن تستر سيِّئاتهم ، وتصفح عنهم ، فلا عجزَ ولا اعتراض عليك ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ أي: القويّ القادر على ما تريد من الثواب والعقاب ، ولا يفوتك مذنب ولا يمتنع من سَوْطِك مجرم ﴿الْحَكِيمُ﴾ في جميع أفعالك ، لا تريد ولا تفعل إلا ما فيه حكمة. ولا تضع العقاب والعفو إلاّ موضعهما. قال ابن كثير : (هذا الكلام يتضمّن ردّ المشيئة إلى اللـه -تعالى- ، فإنّه الفعّال لما يشاء ، الذي لا يُسأَل عمّا يفعل وهم يُسأَلون ، ويتضمّن التبرّيء من النصارى)[5].

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ١١٨ .

(٢) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٣) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٤) هي قوله تعالى : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ...﴾ إلى آخر الآية : ١١٧ من هذه السورة الكريمة .

(٥) تفسير ابن كثير ، ١٢٥/٢ .

لقد حاول العلماء في بيان التعليل والسرّ من إنتهاء هذه الآية الكريمة باسميه تعالى **" العزيز الحكيم "** من أسمائه تعالى الحسنى، حتى يكون مترابطا مع مفهوم الآية، حتى يتبيّن مَدَى الارتباط الشديد بين المعنى والاسم الحسن الذي تنتهي به الآيةُ .

وقد وَقَفَ المفسرون طويلا عند هذه الآية(١)، لأنّه يتبادر إلى الذهن أنّ الآية الكريمة ستنتهي باسميه تعالى **" الغفور الرحيم "** ولكن يقف الإنسان حائرا حينما يرى أنّه ليس كما توقّع، بل باسميه تعالى **" العزيز الحكيم "** وذلك لمعنًى دقيقٍ، من أجله قال عيسى - عليه السلام - : **" العزيز الحكيم "** .

ومن أجل إزالة الغموض والإبهام في هذا الختام الذي ظاهره مشكل نطالع ما كتبه العالمان الجليلان الزركشي وابن القيم - رحمهما الله تعالى - .

يقول الزركشي - رحمه الله - تعالى - : (إذا أُنعِم النظر عُلِم أنّه يجب أن يكون ما عليه التلاوة، لانّه لا يَغفر لمن يستحقّ العذاب إلاّ مَن ليس فوقه أحد يَردّ عليه حكمَه، فهو العزيز، لأنّ العزيز - في صفات الله - هو الغالب : من قولهم : عزّه يعُزّه عزّا، إذا غلبه، ووجب أن يُوصَفَ بالحكيم أيضا، لأنّ الحكيم من يضع الشيء في محلّه، فالله - تعالى - كذلك)(٢).

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي، ٣٧٨/٦، وتفسير الفخر الرازي، ١٣٦/١٢، والبرهان في علوم القرآن للزّركشي، ٨٩/١، ومدارج السّالكين لابن القيّم، (٤٥/١و٤٦ و ٤٥٢، ٣٩٥/٢) وتفسير ابن القيّم له، ص ٣٦ (تحقيق محمّد حامد الفقي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)، وملاك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتّعطيل في توجيه المتشابه اللّفظ من آي التّنزيل، للغرناطي، ٢٧٧/١-٢٧٨، (تحقيق د/محمود كامل أحمد، دار النّهضة العربيّة، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م)، والإتقان في علوم القرآن للسّيوطي، ٣٠٧/٣، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن له، ص٣٦، من القسم الأول (تحقيق علي محمّد البجاوى، دار الفكر العربي) والسّيوطي اعتبر هذه الآية من مشكلات الفواصل، وتفسير الآلوسي، (٧٠/٧-٧١)، وتفسير الشّوكاني، ٩٥/٢، (دار الفكر، بيروت) والفاصلة القرآنيّة للدكتور عبد الفتّاح لاشين، (دار المريخ، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م).

(٢) البرهان في علوم القرآن، ٨٩/١.

ويقول ابن القيم -رحمه الله تعالى-: (ولم يقل **"الغفور الرحيم"** وهذا من أبلغ الأدب مع الله -تعالى-. فإنّه قاله في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم إلى النار. فليس هو مقامَ استعطافٍ ولا شفاعةٍ، بل مقام براءة منهم. فلو قال: " فإنّك أنت الغفور الرحيم" لأَشْعَرَ باستعطافه ربّه على أعدائه الذين قد اشتدّ غضبه عليهم[1]. فالمقامُ مقام موافقة للربّ في غضبه على مَن غضب الربُّ عليهم. فعَدَلَ عن ذكر الصّفتين[2] اللتين يسأل بهما عطفَه ورحمتَه ومغفرته، إلى ذكر العِزّة والحكمة، المتضمِّنتين لكمال القدرة وكمال العلم.)[3].

ثمّ قال -رحمه الله تعالى-: (والمعنى: إن غفرت لهم فمغفرتك تكون من كمال القدرة والعلم، ليست عن عجز عن الانتقام منهم، ولا عن خفاء عليك بمقدار جرائمهم. وهذا، لأنّ العبدّ قد يغفر لغيره لِعجزه عن الانتقام منه، ولِجهله بمقدار إساءته إليه. والكمالُ: هو مغفرةُ القادر العالم، وهو العزيز الحكيم. وكان ذكر هاتين الصفتين[4] في هذا المقام عينُ الأدب في الخطاب)[3].

وفي ختم الآية بالعزة والحكمة لله -عز وجل- تأكيد تفويض الأمر إلى الله -تعالى- كلّيا، لأنّهما لا توجبان المغفرة، بل تقتضيان أن يفعل الله -عز وجل- ما يشاء، ويحكم ما يريد. وذِكْرُ العزيز الحكيم أليق بهذا الختام أيضا، لِعمومه، فإنّه يجمع الشرطين -إن تعذّبهم.. وإن تغفر لهم-، ولم يصلُح الغفور الرحيم، إذ لم يحتمل من العموم ما احتمله العزيز الحكيم[5]. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) وذلك كونهم جعلوا لله تعالى ندا وصاحبة وولدا.

(٢) المغفرة والرحمة.

(٣) مدارج السالكين، ٢/ ٣٩٥.

(٤) العزة والحكمة.

(٥) تفسير القرطبي، ٦/٣٧٨.

النص :

قال الله تعالى :

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٢٠) (١)

بيان غريب النص :

قدير : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٢).

معنى النص و مناسبة اسمه تعالى " قدير " عَقِبه :

ختم الله -سبحانه وتعالى- هذه السورة الكريمة بهذه الآية الدالّة على شمول ملكه لكلّ شيء في هذا الكون، فقال : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ أي : للّه -سبحانه- جميع ما في السموات وما في الأرض من خزائن المطر والنّبات والرزق و غيرها ، وهو المتصرّف فيهما بلا شريك ، وفي ذلك ردّ على النّصارى الذين يزعمون ألوهيّةَ عيسى ، حيث إنّه -عليه السلام- لا تصرّفَ له وأمّه ولا لغيرهما فيهما (٣)، فهما عَبْدَانِ مملوكان لِمن له ملك السموات والأرض وما فيهن ، داخِلانِ تحت قبضته وتصرّفه كسائر خلقه (٤). وذكر "ما" لغير العاقل دون "مَن" للعاقل غالبا ، لأنّ غير العاقل هو الأكثر المناسب لمقام إظهارِ العظمة والكبرياء (٥)...

لَمّا قال الله -عز وجل- في كتابه ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ أي : أنّ له -وحده- السلطانَ القاهرَ في جميع العالَم ، يتصرّف فيه كيف يشاء من المنع والإعطاء والإيجاد والإفناء ، ذكر عَقِبَه عمومَ قدرته على كلّ شيء ، فقال : ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تقريرا لألوهيّة الله -عز وجل- ، ومالكيّته للأشياء كلّها ، لأنّ شمول القدرة لجميع الأشياء من أحكام الألوهية .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٢٠ .

(٢) ينظر : من هذا البحث ، ص :٣٤ .

(٣) السموات والأرض .

(٤) ينظر : تفسير الطبري ، ١٤٢/٧ .

(٥) حاشية الجمل على الجلالين ، ٥٤٧/١ (مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر)

وفي ختم الآية باسمه تعالى ﴿قدير﴾ إشارة إلى أنّ الله -تعالى- الذي له مُلكُ السّموات والأرض وما فيهنّ، قادر على إفنائهنّ، وعلى إهلاكهنّ وإهلاكِ عيسى وأمّه ومَن في الأرض جميعا، لا يُعجزه ذَلِكَ، بل جميع الأشياء منقادَةٌ لمشيئته، وتحت قهره وقدرته[1].

فعلى العباد أن يهابوه ولا يُشركوه -تعالى- ولا يخالفوه، لأنّه القدير الذي لا أقدرَ منه، وقدرتُه -تعالى- محيطة بكلّ شيء، فهو يَقدِر على إثابة من آمن به، وعقاب من أشرك به. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

(١) ينظر: تفسير الطبري، ١٤٢/٧.

سورة الأنعام

النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ (١٣) [(١)]

بيان غريب النص :

سكن : من السكون .

قال الراغب : (السكون : ثبوت الشيء بعد تحرّك ويستعمل في الاستيطان)[(٢)].

وفي لسان العرب : (السكون : ضدّ الحركة، سكن الشّيءُ يسكن سكونا إذا ذهبت حركته)[(٣)].

قال ابن عطية : (والمقصود في الآية : عموم كلّ شيء ، وذلك لا يترتب إلّا أن يكون سكن بمعنى : استقرّ و ثبت ، و إلّا فالمتحرّك من الأشياء المخلوقات أكثر من السواكن)[(٤)].

السميع : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه[(٥)].

العليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه[(٦)].

معنى النص و مناسبة اسميه تعالى "السميع العليم" عَقِبه :

لمّا ذكر الله - سبحانه وتعالى - في الآية السابقة - مُلكه العام بقوله : ﴿ ...قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِ ... ﴾[(٧)]، وذلك تذكير بأنّه الربّ القادر المالك لكلّ شيء ، يتصرّف في الخلق كما هو شأن ربوبيته - تعالى - ، ذَكَرَ هنا في هذه الآية مُلكه الخاصّ فقال تعالى : ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ قوله "له" معطوف على قوله

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٣ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، ص ٢٣٦ .

(٣) لسان العرب لابن منظور ، ٢١١/١٣ . وانظر إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للدامغاني ، ص : ٢٤١ ، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين ، ط. الخامسة ، ١٩٨٥م .

(٤) المحرّر الوجيز ، ١٤١/٥ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٦) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٧) سورة الأنعام ، من الآية : ١٢ .

تعالى "لله" في الآية السابقة[١]. قال الآلوسي: (فهو داخل تحت "قل" على أنّه احتجاج ثانٍ على المشركين)[٢]، أي: للّه ما في السموات وما في الأرض، وله -تعالى- أيضا ما ثبت واستقرّ في الليل والنهار، وذلك يشمل جميع الموجودات من ساكن ومتحرّك فيهما. فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر، وذَكَرَ السّكون، لأنّه أكثرُ من الحركة. قال الطبري[٣]: (وله ملك كلّ شيء، لأنّه لا شيء من خلق الله -تعالى- إلّا وهو ساكن في الليل والنهار)[٤]. وفي الإشارة إلى الحركة والسكون تذكير بتصرّف الله -تعالى- في خفايا الأمور، ومَن كان كذلك، فلا يغيب عنه شيء، ولذلك ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ فالجملة -كما قال الآلوسي- مسوقة لبيان إحاطة سمعه وعلمه -سبحانه وتعالى- بعد بيان إحاطة قدرته جلّ شأنه[٥].

والتّعقيبُ بصفتَي السمعِ والعلمِ يفيد إحاطة الله -عزوجل- بجميع الموجودات إحاطة كاملة، يسمع جميع أصوات ما سكن في الليل والنهار، على اختلاف اللغات بتنوّع الحاجات، ويعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن، وذلك يقتضي عِلمه تعالى بأحوال الخلائق على اختلاف الأوقات وتباين الحالات.

وفي ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين "السميع العليم" تأكيد لِمُلكيّة الله -تعالى- وتصرّفه في الخلق، وتدبيره لكلّ شيء، إذ هو سميع لكلّ شيء، ولا يعزُب عن علمه شيء، حيث إنّ الإله الربّ من شأنه أنْ يَسمع مهما يَكُنْ خفيا عن غيره، ويعلم كلّ شيء، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[٦].

قال صاحب التحرير والتنوير[٧]: (وقد جاء قوله ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ كالنتيجة للمقدّمة، لأنّ المقصود من الإخبار بأن الله يملك الساكنات:

---

(١) سورة الأنعام، من الآية: ١٢.

(٢) روح المعاني، ١٠٨/٧.

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسّر الإمام. ولد في آمل طبرستان سنة ٢٢٤هـ، وتوفي ببغداد سنة ٣١٠هـ. الأعلام للزركلي، ٦٩/٦.

(٤) تفسير الطبري، ١٥٨/٧.

(٥) تفسير الآلوسي، ١٠٨/٧.

(٦) سورة غافر، الآية: ١٩.

(٧) هو محمّد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيّين بتونس، وشيخ جامع الزّيتونة وفروعه بتونس، ولد بتونس سنة ١٢٩٦ هـ وتوفّي فيها سنة ١٣٩٣ هـ. الأعلام، ١٧٤/٦.

التمهيدُ لإثبات عموم علمه -تعالى- وإلاّ فإنّ ملك المتحرّكات المتصرّفات، أقوى من ملك الساكنات التي لا تُبدي حَراكا، فظهر حسنُ وقْعِ قوله ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ عَقِبَ هذا)(١).

ويجوز أن يكون الختم بهما وعيداً للمشركين على أقوالهم وأفعالهم، حيث حكى القرآن الكريم في الآيات السابقة عن أحوالهم، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ . وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾(٢).

ولمّا تقدّم ذِكْرُ محاورات الكفار المكذّبين، وذِكْرُ الحشر الذي(٣) فيه الجزاء -كما قال أبو حيان(٤)- ناسب ذكرُ صفةِ السّمع لِما وقعت فيه المحاورة، وصفةِ العلم لِتضمّنها معنَى الجزاء، إذ ذلك يدلّ على الوعيد والتهديد(٥). والله -تعالى- أعلم بالصواب .

---

(١) تفسير ابن عاشور، ٧/١٥٥ - ١٥٦.

(٢) الآيتان: ٧-٨ من سورة الأنعام .

(٣) وهو في قوله تعالى: ﴿... لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾ سورة الأنعام، من الآية: ١٢ .

(٤) هو محمد بن يوسف، ابن حيّان الغرناطي الأندلسي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد بغرناطة سنة ٦٥٤ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ، الأعلام للزركلي، ٧/١٥٢.

(٥) البحر المحيط، ٤/٨٤.

النص :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

وإن يمسسك : وإن يصبك ، قال في المصباح المنير : (مسّ الماء الجسد مسّا : أصابه (٢)، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ... وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴾ (٣) أي : وإذا أصابه .

حقيقة المسّ - كما قال ابن عطية - : هي تلاقي الجسمين (٤) والمراد به هنا - كما قال الآلوسي - الإصابة ، كما يقال : مسّه المرض : أصابه (٥).

بضرّ : قال الرّاغب : (الضرّ - بضم الضاد - سوء الحال ، إمّا في نفسه لقلّة العلم والفضل والعفّة ، وإمّا في بدنه لعدم جارحة ونقص ، وإمّا في حالة ظاهرة من قلّة مال وجاه (٦).

و الضرّ - بفتح الضاد و ضمّها - : ضد النفع (٧).

بخير : الخير : ضد الشرّ (٨).

قال الخازن (٩) : (الضر : اسم جامع لما ينال الإنسان من ألم

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٧ .

(٢) المصباح المنير ، ٥٧٢/٢ .

(٣) سورة الإسراء ، من الآية : ٨٣ .

(٤) المحرّر الوجيز ، ١٤٥/٥ .

(٥) روح المعاني ، ١١٣/٧ ، وانظر : الفروق اللّغويّة ، لأبي هلال العسكري ، ص ٢٤٩ ، للفرق بين اللّمس والمسّ ، (دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م)

(٦) المفردات في غريب القرآن ، ص ٢٩٣ .

(٧) لسان العرب ، مادّة (ضرر) ، ٤٨٢/٤ .

(٨) المفردات للرّاغب ، ص ١٦٠ ، ولسان العرب ، مادّة (خير) ، ٢٦٤/٤ .

(٩) هو علي بن محمّد بن إبراهيم ، علاء الدين ، المعروف بالخازن : عالم بالتفسير والحديث من فقهاء الشّافعيّة ، ولد ببغداد سنة ٦٧٨ هـ وتوفي بحلب سنة ٧٤١ هـ ، الأعلام ٥/٥ .

مكروه ، وغير ذلك مما هو في معناه . والخير : اسم جامع لكل ما ينال الإنسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك (١).

قدير : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٢).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى " قدير " عقبه :

بعد أن أثبت الله - عز وجل - في الآيات السابقة (٣) من هذه السورة الكريمة أنه خالق الموجودات كلها ، ومالكها ، بين - تعالى - أن تدبير أمور العباد بيده ، وأنه هو المتصرف في خلقه بما يشاء ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ، فقال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ أي : وإن يصبك - أيها الإنسان - ضر كمرض أو فقر أو ذل أو حزن وغير ذلك من البلايا التي يختبر الله - تعالى - بها عباده ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ أي : فلا صارف ولا دافع ولا رافع لذلك الضر إلا هو - سبحانه وتعالى - لأنه مما قضى به ، إذاً لا يرجى لكشف هذا الضر غير الله تعالى ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾ أي : وإن يصبك الله - تعالى - أيها المخاطب - بخير من صحة أو غنى أو نصر أو قوة أو جاه أو غير ذلك من نعمه ، فلا راد له .

ولما كان دفع الضر وإيصال الخير مما قضى الله - عز وجل - به ، لا يقدر أحد على رد قضائه الذي قضاه ، ختمت الآية بما هو شامل للخير والشر والضر والنفع والثواب والعقاب ، وهو قدرته - تعالى - على كل شيء ، في قوله تعالى : ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي : فهو - وحده - قادر على دفع جميع المضار ، وجلب الخير ، ليس هو - تعالى - كالآلهة الذليلة التي لا تقدر على جلب نفع لنفسها ولا لغيرها ولا دفع ضر عنها ولا عن غيرها ، إذ كل ما سواه تحت قدرته وقهره وتسخيره - سبحانه - . وفي ذلك إشارة إلى أن الذي يستحق أن يفرد بالعبودية والألوهية هو الله وحده - سبحانه وتعالى - .

وقوله تعالى ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تعليل (٤) لكل من الجوابين المذكور في الشرطية الأولى ، وهو " فلا كاشف له إلا هو " والمحذوف في الثانية ، وهو " فلا راد له " . والتقدير : إن العبد تحت سلطان الله - تعالى - ، فما أصابه من خير أو شر فمن الله - تعالى - ولا يخرج عن قدرته الكاملة ، لأنه على كل شيء قدير . والله - تعالى - أعلم .

---

(١) تفسير الخازن ، ١٢٢/٢ .

(٢) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(٣) إقرأ الآيات من أول السورة إلى الآية : ١٧ .

(٤) حاشية الجمل على الجلالين ، ١٣/٢ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ (١)

بيان غريب النص :

القاهر : القهر : الغلبة (٢).

قال في النهاية : " في أسماء الله -تعالى- " القاهر " هو الغالب جميعَ الخلائق (٣).

الحكيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٤)، وهو هنا " فعيل " في معنى " مُفعِل " أي : محكِم في أفعاله بمعنى أنّ أفعاله جميعَها تكون محكَمةً مُتقَنَةً آمنة من وجوه الخلل و الفساد (٥).

الخبير : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٦).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " الحكيم الخبير " عَقِبه :

بعد أن أثبت الله -عز وجل- لنفسه كمالَ القدرة ، أثبت كمالَ السلطان والتّسخير لجميع عباده و الاستعلاء عليهم ، فقال : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ أي : و هو -تعالى- الغالب المقتدر العالي على عباده ، يَملِك ولا يُملَك ، و يقضي ولا يُقضَى عليه ، وهو ذو السّلطان في المنع و العطاء ، قال تعالى : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٧).

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٨ .

(٢) لسان العرب ، مادة (قهر) ، ١٢٠/٥ ، وانظر : المفردات للراغب ، ص : ٤١٤ .

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، ١٢٩/٤ ، وانظر لسان العرب ، ١٢٠/٥ ، وتفسير القرطبي ، ٣٩٩/٦ .

(٤) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٥) التفسير الكبير للرازي ، ١٧٣/١٢ ، وانظر : تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ، ص : ٥٢ .

(٦) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٧) سورة آل عمران ، الآية : ٢٦ .

لمّا تبيّنَ أن المسّ بالضرّ والخير(١) لا يُنسَب في الحقيقة إلاّ إلى اللّه -تعالى-، وأنّ كلّ شيء تحت قهره وقدرته، وأنّه مستعلٍ على عباده، فلا يستطيع أحدٌ الخروجَ من تحت تصرّفه وقهره وقدرته -تعالى-، جاء ختم الآية بقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ** ﴾ إشارة إلى أنّ قهر الله -تعالى-، وسلطانَه القائمَ فوقَ عباده، ليس بالسلطان المستبِدّ الجَهول - تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا -، وإنّما هو بيَدِ حكيمٍ خبيرٍ، يَضَعَ كلّ شيء موضِعَه بحكمته وعِلمه، حيث إنّه -تعالى- لا يوصِل أثَر قهرِه بإيقاع المكروه إلاّ لِمستحقّ، لأنّه -تعالى- يعلم ما يستحقه كلٌّ مِن الضرّ والنّفع والثّواب والعقاب.

وفي ختم الآية باسميه تعالى ﴿ **الحكيم الخبير** ﴾ تمييزُ مقامِ الله -تعالى- مِن مقام غيره، إذ أن المسّ بالضرّ والخير يُنسَبان إلى غيره -تعالى-، لِكونِهما يَقَعَانِ من البشر. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) ينظر: لتفسير الآية، رقم (١٧) من هذه السورة الكريمة، ص: ١٣٦.

النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾(١)

بيان غريب النص :

سلام : مصدر لِـ " سلّم " تسليما وسلاما ، كالسّراحِ مِن سرّح والأداءِ من أدّى (٢).

وفي لسان العرب : (السّلام والسلامة : البراءة ، وقوله تعالى : ﴿ ...وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (٣) معناه : تسلّما وبراءة ...) (٤).

سوءا : ذنبا (٥)، سمّي سوءا لسوء عاقبته (٦).

بجهالة : قال في اللسان : (الجهل : نقيض العلم ، وقد جهله فلانٌ جَهلاً وجَهالةً (٧). والجهالة أنواع ، منها : الحماقة والسفاهة بارتكاب ما لا يليق بالعاقل ، وهذا المعنى هو المراد هنا (٨).

غفور : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٩).

رحيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه (١٠).

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٥٤ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ، ٢٧٧/٢ ، والبحر المحيط لأبي حيان ، ١٤٠/٤ ، نقله عن الزجاج .

(٣) سورة الفرقان ، من الآية : ٦٣ .

(٤) لسان العرب ، مادة (سلم) ، ٢٨٩/١٢ .

(٥) تفسير الطبري ، ٢٠٨/٧ .

(٦) زاد المسير لابن الجوزي ، ٣٦/٢ .

(٧) لسان العرب ، مادة (جهل) ، ١٢٩/١١ .

(٨) ينظر : تفسير ابن عطية ، ٥٣٤/٣ أثناء تفسير الآية (١٧) من سورة النساء ، وتفسير ابن عاشور ، ٢٥٩/٧ .

(٩) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٤.

(١٠) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٢.

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "غفور رحيم" عَقِبه :

يُرشِد اللّه -سبحانه وتعالى- في هذه الآية الكريمة -نبيّه محمدا- -صلى الله عليه وسلم- إلى المنهج الذي ينبغي له أن يتّبعَه في توجيه وإرشاد المؤمنين (١) الذين استجابوا للدعوة ، جاؤوا إليه لكي يسألوه عمّا يحتاجون إليه من أمور دينهم فقال تعالى :﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا ﴾أي: وإذا جاءك -يا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم- المؤمنون الّذين يصدّقون بالقرآن والبراهين الدالة على صدق نبوّتك، وما جئتَ به من الدّين الحقّ ، فرحّبْ بهم مهما كانت ذنوبُهم التي ارتكبوها ﴿ فَقُلْ ﴾ تبشيرا لهم ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: براءةُ اللّه -تعالى- وأمانُه لكم -أيها المؤمنون- من أن يعاقبكم على ذنوبكم بعد توبتكم، وتلك البراءةُ هي ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾أي: قضى ربّكم على نفسه الكريمة الرحمةَ بعباده تفضّلا منه وإحسانا ، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :" إنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي " (٢). ثمّ ذكر اللّه -سبحانه- ما يدلّ على رحمته فقال : ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا ﴾ أي: ذنبا أساء به إلى نفسه ﴿بِجَهَالَةٍ ﴾ أي: بحماقة من نفسه وسفاهة وسوء رأي ،لأنّ المؤمن لا يعصي ربّه -عزوجل- إلاّ عند عدم تقديره عاقبةَ الذنب الّذي يرتكبه، أو بنسيانه عظمةَ الرّبّ -سبحانه- عند غلبة الشّهوة والغضب ﴿ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾أي: من بعد السّوء الذي كان عليه ،وعَزَمَ على أن لا يعود عليه ﴿وَأَصْلَحَ ﴾ عَمَلَه في المستقبل ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ ﴾ لذنبه إذا تاب وأناب ﴿رَحِيمٌ ﴾ به ،فلا يعاقبه على ذنبه بعد توبته منه (٣)

وجملة ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ جواب الشّرط، والمعنى: فغفرانه -تعالى- ورحمته ثابتان لِمن عمل سوءًا ثمّ تاب .

---

(١) هذه الآية عامّة في جميع المؤمنين ،كما ذهب إليه الطّبري (٢٠٨/٧) ، والفخر الرّازي (٢/١٣) ، وأبو حيّان (١٣٩/٤) وغيرهم من المفسّرين ، وليست قاصرة على ضعفاء المؤمنين الّذين جاء النّهي عن طردهم في قوله -تعالى- :﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ .. ﴾ المائدة: ٥٢ ،كما قيل مرويًّا عن عكرمة رأيًا له (انظر :تفسير ابن الجوزي ، ٤٨/٣ ، وتفسير الخازن مع تفسير البغوي ، ١٣٨/٢) ،لأنّ الآية التي نحن بصدد تفسيرها خبرٌ مستأنف بعد انتهاء الخبر عن الّذين نهى اللّه -تعالى- نبيّه -صلى الله عليه وسلّم- عن طردهم .

(٢) تقدّم تخريج هذا الحديث ،ص: ١١٦ .

(٣) تفسير الطبري ،٢٠٩/٧ .

وفي ختم الآية باسميه- تعالى- ﴿الغفور الرّحيم﴾ إشارة إلى أنّ باب التّوبة مفتوح أمام أهل الذنوب، دون الكفر والشّرك بدليل قوله- تعالى- ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ﴾ أي: من المؤمنين بآيات اللّه- تعالى-، وفي ذلك إطماع المذنبين المقترفين السّوء في مغفرة اللّه- تعالى- ورحمته، وكان هذا ردّا لاعتبارهم، وسكنا لنفوسهم وبردا وسلاما على قلوبهم(١).

واللّه- تعالى- أعلم بالصّواب.

---

(١) تفسير عبد الكريم الخطيب، ١٩٦/٧.

النّص:

قال اللّه تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾(١)

بيان غريب النّص:

الصّور : القرن الّذى ينفخ فيه المَلَك نفختين ، نفخةَ الصعق(٢) والموت ،وهي النّفخةالأولى ونفخةَ البعث والنّشور، وهي النّفخة الثّانية(٣) ،قال تعالى :﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(٤) ،وقد سئل رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلّم-عن الصور فقال: " قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ" (٥)

الحكيم :اسم من أسماء اللّه-تعالى-الحسنى ،وقد تقدّم معناه(٦) .

الخبير :اسم من أسماء اللّه-تعالى الحسنى ،وقد تقدّم ممعناه(٧).

---

(١) سورة الأنعام ، الآية :٧٣.

(٢) الصّعق :الموت ، القاموس المحيط ،ص١١٦٣، مادة (صعق) .

(٣) ينظر :المفردات للرّاغب ،ص٢٩٠ ،وصفوة البيان لمعاني القرآن،لحسنين مخلوف،١/ ٢٢٩ .

(٤) سورة الزّمر ، الآية :٦٨.

(٥) أخرجه التّرمذي في سننه عن عبد اللّه بن عمر ،٥/٣٧٣ رقم٣٢٤٤ ،كتاب تفسير القرآن وقال :هذا حديث حسن، وأحمد في المسند ٢/١٦٢، ١٩٢ ، وهو في سنن أبي داود ، ٤/٣٣٦ رقم٤٧٤٢، كتاب السّنّة ، باب ذكر البعث ، وذكره الطّبري في تفسيره، ٧/ ٢٤١ دون إسناد عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم .

(٦) ينظر من هذا البحث ،ص :٣١ .

(٧) ينظر من هذا البحث ،ص : ٣٢ .

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "الحكيم الخبير" عَقِبه :

ذكر الله -عز وجل- في هذا النص الكريم- بعض مظاهر قدرته -عز وجل- وعلمه وعدله ، للدّلالة على أنّه لا معبود إلاّ هو -سبحانه وتعالى-، فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ فلم يخلقهما عبثا وباطلا ، بل خلقهما على الحكمة الرفيعة ، ومنها أن يُذكَرَ فيهما ويعبَدَ ،قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ • مَا خَلَقْنَٰهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) وفيه ردّ على المشركين الذين يعبدون غير الله -عز وجل- من المعبودات الباطلة التي ليس فيها شيء من خصائص الألوهيّة،ثمّ ذكر -تعالى- ما يدلّ على قدرته على البعث بعد الموت فقال: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: وقضاؤه -تعالى- وحكمه المتّصف بالحقّ والصواب هو النافذ والواقع ،حين يقول لشيء من الأشياء "كن فيكون" فيوجَد ذلك الشيء فورا ، و "يوم" خبرٌ مقدّمٌ، و "قوله" مبتدأٌ مؤخّرٌ، و "الحقّ" صفتُه.

﴿ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ أي: و لِلّه -تعالى- وحدَه الملك يومَ يُبعَث الناسُ من قبورهم ، للحساب والجزاء ، فلا ملك لأحد سواه ، قال تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ (٢) وهو -تعالى- ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ يعلم كلّ غائب وحاضر.

ثمّ خُتمت الآية بتذييل مقرّر لمضمون ما قبله ، فقال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ أي: والله -تعالى- هو الذي خلق الخلق ،والذي قوله الحقّ في التكوين ، والذي له الملك وحده في اليوم الذي يكون فيه البعث والنشور ، وهو عالم الغيب والشهادة ، وهو الحكيم في تدبيره، المصيب في جميع أفعاله ، وهو -تعالى- العالمُ بخفايا الأمور من غير اشتباه ومن غير التباس .

ولننظرْ إلى حسن ارتباط الاسمين الكريمين "الحكيم الخبير" بالآية :

ولمّا ذكر تعالى خلق السموات والأرض وما فيهما ، وسرعَةَ تصريفه خلْقه من حال الوجود إلى العدم ، ثمّ من حال العدم والفناء إلى الوجود، وذلك في قوله -تعالى- ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ أخبر عن اسمه ﴿ الحكيم ﴾ لأنّ

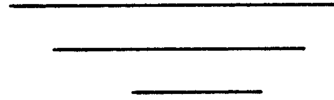
---

(١) سورة الدخان ، الآيتان ، ٣٨-٣٩ .

(٢) سورة الفرقان ، الآية :٢٦ .

ذلك كلّه لا يصدُر إلاّ عمّن أفعالُه متقنّة جارية على حِكم بالغة .

ولمّا ذكر -تعالى- أنّه عالم الغيب و الشهادة ناسب ذكر الوصف بالخبير ، إذ هو يدلّ على عِلمٍ ما لطُف إدراكُه من الأشياء فيجمع علم الغيب والشهادة ،وكان هذان الاسمان في ذيل هذه الآية كالإجمال للتفصيل الذي تقدّم فيه بعض أوصافه تعالى . والله -تعالى- أعلم بالصواب .



النص :

قال الله تعالى :

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٨٣)[١]

بيان غريب النص :

حجّتنا : دليلنا و برهاننا الواضح . وفي لسان العرب : (الحجة -بضم الحاء- البرهان)[٢].

درجات : جمع درجة ، وهي المنزلة[٣]، وفي تفسير الطبري : (هي المرتبة، و أصل ذلك مراقي السّلّم ، ثمّ تستعمل في ارتفاع المنازل و المراتب)[٤].

حكيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه[٥].

عليم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه[٦].

معنى النص و مناسبة اسميه تعالى " حكيم عليم " عَقِبه :

أشار الله -سبحانه وتعالى- في هذا النص الكريم إلى أن تلك الدلائل التي احتجّ بها إبراهيمُ -عليه السلام- على قومه ، هي أدلّته -تعالى-، أرشده إليها ، وعلّمه إياها لإثبات وحدانية الله -تعالى- وإبطال شرك قومه ، فقال: ﴿ وَتِلْكَ ﴾ إشارة إلى جميع الأدلّة[٧] التي احتجّ بها إبراهيم - عليه السلام- في مجادلة قومه في شأن وحدانيّة الله -تعالى- وبطلان الشّرك ﴿ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ أي : الحجة التي احتجّ

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٨٣ .

(٢) لسان العرب ، مادة (حجج)، ٢٢٨/٢ .

(٣) المفردات للراغب ، ص: ١٦٦ .

(٤) تفسير الطبري ، ٢٥٩/٧ .

(٥) ينظر : من هذا البحث ، ص: ٣١ .

(٦) ينظر : من هذا البحث ، ص: ٣٣ .

(٧) ذكرُ تلك الأدلّة يبدأ من قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴾ إلى آخر الآية ﴿ ... أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ الآيات : ٧٦ - ٨٢ ، من سورة الأنعام .

بها إبراهيم -عليه السلام- هي لنا،أعطيناها إبراهيمَ حجةً على قومه ليكون مستعليا بها عليهم،قاطعا لعُذرهم، داحضا لشُبُهِهم ﴿نرفع دَرَجَٰتٍ مَّنْ نَّشَآءُ﴾- أي: نُعلي منازلَ مَن نشاء رفْعَ درجاتِه في العلم والفضيلة والهداية والإرشاد إلى الحق و مراتبَ أخرى عالية، على حسب ما تقتضيه حِكْمَتُنَا ؛ وكان إبراهيم -عليه السلام- ممّن حظي بهذا الرفع .

ولمّا ذكر -تعالى- أنّه يرفع مَن يشاء من عباده درجات بعضها فوق بعض، فهذه درجة الإيمان ،وأخرى درجة النبوّة والرسالة،وثالثة درجة العلم والحكمة والتوفيق وهَلُمّ جرّا، أخبر -تعالى- عن اسميه " حكيم عليم"-في قوله:﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ تعليلا لما سبق، أي: والله -سبحانه وتعالى- يرفع من يشاء رفْعَه إلى رتبة عالية، أرفعَ مِن درجةِ غيره،فلا غرابةَ في ذلك،لأنّه -تعالى- حكيم في كلّ ما يصدر عنه ،وفي رفعه و خفضه ، عليم بكلّ شيء ،ومن ذلك حال مَن يرفعه واستعدادَه لذلك الرفع ، إذ أنّه -تعالى- يرفع درجات من يشاء رفعه بمقتضى الحكمة والعلم، لأن أفعاله -تعالى- منزّهة عن العيب والعبث والجهل[1].

وفي ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين "حكيم عليم"إفادة عموم حكمة الله -تعالى- وعلمه،وفي ذكرهما أيضا جوابٌ لسؤالٍ قد يستدعيه قوله-تعالى- ﴿نرفع دَرَجَٰتٍ مَّنْ نَّشَآءُ﴾ وهو:لماذا يرفع بعض الناس دون بعض؟ فأجيب عنه بأنّ الله -تعالى- يعلم مستحقّ ذلك ، ومقدار استحقاقه،ويجعل ذلك على حسب ماتوجبه حكمته، ويقتضيه علمه[2]. والله -تعالى- أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر :التفسير الكبير للرازي ، ٦٢/١٣، وتفسير أبي السعود، ١٥٧/٣ بتصرّف .

(٢) ينظر :تفسير ابن عاشور ، ٣٣٦/٧ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

فالق الإصباح : أي الذي أبان الصّبح وأخرجه من الليل ،وفالق :اسم فاعل من فلَقه فلقا .قال الراغب: (الفلْق -بسكون اللام- :شقّ الشيء، وإبانةُ بعضِه عن بعض ،يقال فلقتُه فانفلق) (٢).

وجاء في الحديث الصحيح :"اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ .فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى (٣)!

قال ابن الأثير :(أي الذي يشقّ حبّة الطعام ونوَى التّمر للإنبات " (٤).

والإصباح مصدر سمّي به الصبح .

حسبانا : الحسبان -بالضمّ- مصدر حسَب .كما أنّ الحِسبان -بالكسر- مصدر حسِب (٥).

قال ابن قتيبة (٦):(الحسبان :الحِساب، يقال : خذ كلّ شيء بحسبانه،أي بحسابه) (٧).

---

(١) سورة الأنعام ،الآية : ٩٦ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، ص:٣٨٥، وانظر :بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي حيث قال فيه ، ٢١٤/٤: فالق الإصباح : شاقّه بالفجر وبالنور .

(٣) للحديث بقية ،أخرجه مسلم في صحيحه ، ٢٠٨٤/٤ ، رقم ٢٧١٣،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع .

(٤) النهاية في غريب الحديث ، ٤٧١/٣ .

(٥) الكشاف ، ٣٨/٢ .

(٦) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد :من أئمة الأدب ومن المصنّفين المكثرين ولد ببغداد سنة ٢١٣هـ وتوفي فيها سنة ٢٧٦هـ . الأعلام ، ١٣٧/٤ .

(٧) تفسير غريب القرآن ، ص:١٥٦ ، وانظر :معاني القرآن للأخفش ، ٤٩٨/٢، (تحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد ،(عالم الكتب ،بيروت ،ط.الأولى ،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

العزيز : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه[(١)].

العليم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه[(٢)].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "العزيز العليم" عَقِبه:

لمّا ذكر -تعالى- في الآية المتقدّمة في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[(٣)] الأحوالَ الأرضيّةَ الدالّةَ على وجود الخالق وكمال قدرته، عَدَلَ إلى الاستدلال بما فوقَ الأرض، وهي الأحوال الفلكية الدالّة على كمال علمه ودقة تدبيره، فقال تعالى ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ أي: هو الله -سبحانه- فالق ظلمة الليل ببياض النهار صباحا، فيضيء الوجود، ويستنير الأفق ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ أي: محلّا للسكون، يسكن ويستريح فيه الخلق من التعب الحاصل في النهار. ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ أي: وجعل الشمس والقمر يجريان في الفلك بحساب متقَنٍ، مقدّرٍ معلومٍ من السّرعة والبُطء، وينشأ عن ذلك الشهورُ والفصولُ والأعوامُ، ويترتّب على ذلك تنظيم مصالح الناس من العبادات والمعاملات ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى جميع ما تقدّم من فلق الصبح، وجعل الليل سكنا، وجعل الشمس والقمر يجريان في منازلهما بحساب دقيق محكَم ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ لا تقديرُ الأصنام الذليلة الضعيفة المغلوبة عليها، التي لا تعلم ولا تفقه شيئا ولا تعقِل. وقد وردت هذه الخاتمة[(٤)] كثيرا في القرآن الكريم، بعد ذكر خلق الليل والنهار والشمس والقمر مما يدلّ -دلالة واضحة- على أنّ هذه الكائنات من أقوى الأدلّة على سعة علم الله -تعالى- وعظيم قدرته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[(٥)] ولمّا ذكر خلق السموات والأرض وما فيهنّ في سورة فصّلت قال تعالى ﴿...وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[(٦)].

---

(١) ينظر: من هذا البحث، ص: ٣٣.

(٢) ينظر: من هذا البحث، ص: ٣٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٥.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير، ١٦٤/٢.

(٥) سورة يس، الآية: ٣٧.

(٦) سورة فصلت من الآية: ١٢.

وفي ختم الآية باسميه تعالى ﴿ العزيز العليم ﴾ إشارة إلى أن وضع هذه المخلوقات بموضعها الذي هي فيه، وتسخيرها على الوجه الذي يتمّ به مصالح الخلق، هو من تدبير الله -تعالى-، ومن تدبير الخالق الغالب على أمره، في تنظيم ملكه بما اقتضاه واسع علمه تعالى وعظيم عزته وقدرته [١].

واسمه -تعالى- "العزيز" يناسب لما ذُكر من التسخير، واسمه "العليم" يناسب ذلك التقدير العجيب والنظام البديع الدقيق.

والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) ينظر: تفسير عبد الكريم الخطيب، ٢٤٦/٧.

النص :

قال الله تعالى :

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾[1]

بيان غريب النص :

بديع السموات والأرض : موجِد السموات والأرض ابتداءً ومنشئهما على غير مثال سابق.

و بديع : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وهو فعيل بمعنى "مُفعِل"[2]، وهو مشتقّ من : بدع الشيء يبدعه من باب - فتح - بدعا وابتدعه : أنشأه وبدأه[3].

أنّى : استفهام، والمقصود به : الإنكار والاستبعاد.

عليم : اسم من اسماء اللّه -تعالى- الحسنى، وقد تقدم معناه[4].

معنى النّص ومناسبة اسمه تعالى "عليم" عقِبَه :

بعد أن وبّخ اللّه -عزوجل- مَن أُشرك به -سبحانه- ، وعَبَدَ غيرَه ، وردّ عليه بقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[5] أتبع ذلك بذكر الأدلّة على نفي الشرك عن الله -تعالى- فقال : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي : الله -تعالى- موجِد و منشئ السموات والأرض على غير مثال سابق من غير شريك يُعينه ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ﴾ أي : كيف يكون له ولد -كما يقول المبطِلون- أو مِن أين يكون له ولد ؟ ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ﴾ والحالُ أنّه لم تكن له زوجة تصاحبه يأتي منها ولد ، ويمتنع وجود الولد بلا والدة عادةً وإن أمكن وجودُه بلا والدٍ . ثمّ قرّر -سبحانه- استحالةَ ما نسبوه إليه

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٠١ .

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ، ص : ٦٤ ، وانظر : المفردات للراغب ، ص : ٣٨ .

(٣) لسان العرب ، مادة (بدع) ، ٦/٨ .

(٤) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٠ .

من الولد فقال :﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من الموجودات، حتى ما زعموه ولداً ، وفي ذلك دلالة قاطعة على بطلان مقالات المشركين ، حيث قالت اليهود : عزير ابن الله ،كما قال النصارى : المسيح ابن الله ، وكما زعم المشركون من العرب في قولهم : الملائكة بنات الله ، والله -سبحانه- منزّه عما نسبوه إليه ، لأنّ من كان خالقا لكلّ شيء استحال منه أن يتّخذ بعض مخلوقاته ولدا [١].

وبعد أن بيّن الله -تعالى- أنّه الخالق لكلّ شيء ، وأنّه يستحيل أن يكون له ولد لكونه -تعالى- صمدا [٢] قويا قادرا لا يحتاج إلى أحد ، ختم الآية بالإخبار عن نفسه الكريمة بصفة العلم في قوله :﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تذييلا مقرّرا لمضمون ما قبله من نفي نسبة الولد إلى نفسه -تعالى- ، وذلك أنّ الله -تعالى- خلق كلّ شيء بقدرته وعظمته ووحدانيّته ، ومَن كان كذلك لا بدّ أن يكون محيطَ العلم بكلّ شيء حتّى لا يختلّ النظام ولا يتغيّر ولا يضطرب فيما خلق ، والله -سبحانه- منزّه عن أن يكون له ولد ، لأنّ علمه -تعالى- شَمِل كلّ شيء في السموات والأرض وما فيهما دونَ حاجة إلى مَن يُعينه على تلك الإحاطة ، ولو كان الولد في تحصيله كمالا أو نفعا له -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- لَتعلّقت إرادته بإيجاده في الأزل دفعا لذلك الاحتياج والنقصان [٣].

وفي ختم الآية باسمه " عليم" دليل على عموم علم الله -تعالى- بجميع الكائنات الكلية والجزئية ، ومن كان كذلك فإنّه يعلم مافتراه هؤلاء المشركون على اللّه -تعالى- من البُنوّة ، وسوف يُجزَون على افترائهم أسوأ الجزاء . والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) تفسير الشوكاني ، ١٤٨/٢ .

(٢) الصمد : من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وهو الذي تقصده الخلائق كلّها ، في جميع حاجاتها ، لِما له من الكمال المطلق ، في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

(٣) ينظر : غرائب القرآن للنيسابوري ، ١٧٨/٧ . بتصرف .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾(١)

بيان غريب النص :

وكيل : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٢).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى " وكيل " عقبه :

لمّا ذكر الله -سبحانه وتعالى- مذهب مَن أثبت لله -تعالى- البنين والبنات ، وبيّن بالدلائل القاطعة فسادَ القول بها ، عقّبه بتنبيه عباده على أنّه الإله المستحِقّ للعبادة فقال :﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ أي : ذلكم(٣) الموصوف بتلك الصفات السابقة الجميلة مِن كونه بديعا لم يتّخذ صاحبةً ولا ولدا ، خالقَ الموجودات ، عالِما بكلّ شيء هو﴿ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ أي : خالقكم ومالك أمركم دون غيره ، فلذا يستحقّ العبادةَ ، لأنّ غيرَه -تعالى- لا يخلُق ولا ينفع ولا يضرّ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي : لا شريك له أصلا ، ولا معبود بحقّ سواه . وفي ذلك ردّ على الذين زعموا أنّ لِلّه -تعالى- شركاءَ ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ ﴾ من أصناف الخلق ممّا كان وما سيكون، وإذا كان الأمر كذلك ﴿فَٱعْبُدُوهُ ﴾ أي : فاخضَعوا له وحدَه بالطاعة والعبادة، لأنّ مَن استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيقَ بالعبادة .

ولمّا بيّن الله -تعالى- في هذا النص الكريم وجوه استحقاقه العبادة وحده بالتوحيد المحض ، حيث إنّه الواحد الأحد ، وهو الرب الخالق لكلّ شيء ، ختم الآية بقوله ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ﴾ إشارة إلى دليل آخر على لزوم العبوديّة للّه -عز وجل- دون غيره ، أي : وهو -تعالى- مع تلك

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٢ .

(٢) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٨ .

(٣) قوله تعالى " ذلكم " مبتدأ ، وما بعده أخبار مترادفة . قاله في الكشاف ، ٤١/٢ .

الصفات الجليلة ،مالِكٌ لكلّ شيء ، متكفِّل بالأشياء كلّها من الخلق والرزق والأجل ، وهو -تعالى- حفيظ رقيب على كلّ ما خَلَقَ ،يقوم بتدبيره وتصريفه بقدرته -تعالى- وعلمه وحكمته ، وذلك يقتضي أن يُعبَد وأن يُحمَد ويُمجَّد (١).

وفي ختم الآية باسمه تعالى ﴿وكيل﴾ الذي يجمع معنى الحِفظ والرقابة ، تحقيقٌ و تحصيل للعبد كمالَ التوحيد ،حيث إنّ العبد وإن كان يؤمن بأنّ الإله المعبود هو الله -تعالى- ، ولا مصلِح إلاّ الله -تعالى- ،إلاّ أنّ هناك أسبابا قد تجعل الإنسان يعتمد على غير الله -تعالى- في بعض أمور الحياة ٠ومن هنا ناسب اسمه -تعالى- " وكيل " لِيعلم العبد لا حافِظَ إلاّ اللّه -تعالى-، ولا يعتمد إلاّ عليه ،ولا تُفَوَّضُ الأمورُ إلاّ إليه ، فبذلك يتحقّق توحيد الله -تعالى -توحيد ألوهية ، وربوبية. والله -تعالى- أعلم بالصواب ٠

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ، ٢٩٩/٧ ، وتفسير الزمخشري ، ٤١/٢ ،بتصرف فيهما ٠

النص :

قال الله تعالى :

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾(١)

بيان غريب النص :

لا تدركه : لا تحيط به(٢)،وفي المفردات للراغب : (أدرك : بلغ أقصى الشيء، وأدرك الصبي: بلغ غاية الصّبا،وذلك حين البلوغ)(٣).

الأبصار : جمع بصر ، وهو -كما قال الراغب-(٤) : (الجارحة الناظرة،و منه قوله -تعالى- ﴿ ...وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ ﴾(٥)ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر،ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾(٦)أي: حادّ تدرك به ما كنتَ تنكره في الدنيا من البعث والجزاء).

اللطيف : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه(٧).

الخبير : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه(٨).

معنى النص و مناسبة اسميه تعالى " اللطيف الخبير" عَقِبه :

بعد أن ذكر الله -عز و جل- الآيات البينات ، والأدلّة الواضحات الدالة على وحدانيته -تعالى-، بيّن في هذا النص الكريم أنّه منزّه عن سِمات الحدوث فقال ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ أي : لا تحيط به

---

(١) سورة الأنعام ،الآية : ١٠٣ .

(٢) قاله ابن عباس -رضي الله عنه- ، تفسير الطبري، ٢٩٩/٧، و تفسير القرطبي،٥٤/٧ .

(٣) المفردات في غريب القرآن ، ص: ١٦٨ .

(٤) المفردات في غريب القرآن ، ص: ٤٩ .

(٥) سورة النحل من الآية :٧٧ .

(٦) سورة ق ،الآية : ٢٢ .

(٧) ينظر : من هذا البحث ، ص: ٣٦ .

(٨) ينظر : من هذا البحث ، ص: ٣٢ .

الأبصار لعظمته وجلاله وكماله (١)، ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أي: يحيط بها ويعلمها على ما هي عليه، لأنه -تعالى- خلقها كما قال تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (٢)، وفي ذلك تقرير حقيقة كبرى، وهي أن الله -سبحانه- ليس كمثله شيء، فكيف يشرك به؟ وكيف يكون له ولد؟ ثم ختم الآية بجملة سبقت لتقرير وصف الله -تعالى- بما سبق من أنه -تعالى- لا يدركه أحد، ولا يحيط بصفات كماله أحد، وهو -تعالى- يدرك كل شيء، لا يخفى عليه شيء منه، فقال ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

وهذه الجملة قد تكون تعليلا للحكمين السابقين على طريق اللف، أي: لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف، وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير. (٣)

وفي ختم الآية باسميه -تعالى- ﴿اللطيف الخبير﴾ إشارة إلى أنه -سبحانه- جلّ بلطفه عن أن يُدرَك، وعلا بعلمه أن يغيب عنه شيء، وهو اللطيفُ الذي ينفذ علمُه وقدرته في كل ذرات الكون علويه وسفليه، الخبيرُ بخلقه وتدبير شئونهم ومصالحهم، لا يعزُب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

وهنا يأتي السؤال -لماذا جاءت الفاصلة على هذه الصيغة؟. (٤)

لما قدّم الله -تعالى- نفى إدراك الأبصار له عطف على ذلك قوله ﴿وهو اللطيف﴾، وقدّم ﴿اللطيف﴾ عند الفاصلة، لأنه -سبحانه- أراد أن يخاطب السامع بما يفهم، إذ العادةُ أنّ كلّ لطيف لا تدركه الأبصار.

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ٢١٥/١، وقد ذهب أهل السنة إلى أن الآية تنفي رؤية الله تعالى في الدنيا، وأمّا الرؤية في الآخرة ثابتة لإخبار الله -تعالى- بها في سورة القيامة: ٢٣ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ويدل عليه حديث جرير بن عبد الله البجلي -رضي الله عنه- قال: كنا جلوسا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- إذْ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: "إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ.." للحديث بقيّة، ينظر: صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ٤١٩/١٣، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، ٤٣٩/١ رقم ٦٣٣.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٤.

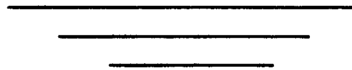
(٣) تفسير أبي السعود، ١٧٠/٣، وحاشية الشيخ زادة على البيضاوي، ١٩٦/٢.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٨٠/١-٨١، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣٠٢/٣، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن له، ص: ٤٠ من القسم الأول، وأنوار الربيع في أنواع البديع لصدر الدين المدني، ١٩٥/٤، والفاصلة القرآنية للدكتور عبد الفتاح لاشين، ص: ٧٠.

ألا ترى أن حاسّة البصر لا تدرك إلاّ اللونَ من كلّ متلوّن ، والكون من كلّ متكوّن . فالأبصار إنما تدرك المجسّمات والمركّبات ولهذا لمّا قال تعالى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ قال ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ﴾ ، ولمّا قال ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ قال: ﴿ الخبير ﴾ .

ورجّح لفظ ﴿ الخبير ﴾ على لفظ ﴿ البصير ﴾ لِما في لفظ ﴿ الخبير ﴾ من الزيادة على لفظ الإبصار والإدراك ، إذ ليس كلّ مَن أبصر شيئا أو أدركه كان خبيرا به ، حيث إنّ المبصِر للشيء أو المدرِك له ، قد يُبصره أو يدركه لِيخبره ، ولذلك فقد خصّص الله -سبحانه- ذاته بصفة الكمال ، إذ هو يدرك الشيء مع الخبرة به .

ولو جاء الكلام : "لا تبصره الأبصار ، وهو يبصر الأبصار" لم تكن لفظتا ﴿ اللطيف الخبير ﴾ مناسبتين لِما قبلهما . والله -تعالى- أعلم بالصواب .



النص :

قال الله تعالى :

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

تمّت : كمُلت ، قال الراغب : (تمام الشيء : انتهاؤه إلى حدّ لا يحتاج إلى شيء خارج عنه) (٢).

السميع : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٣).

العليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٤).

معنى النص و مناسبة اسميه تعالى " السميع العليم " عَقِبه :

بعد أن بيّن الله - عز وجل - في الآية المتقدّمة (٥) أنّ القرآن منزّل من عنده بالحق ، بيّن هنا كمالَه فقال تعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ المراد بـ " كلمة ربّك " القرآن الكريم ، والمعنى : وقد كملت آياته صدقا في أخباره و وعده و وعيده ، و عدلا في أحكامه ، كلُّ ما أخبر به كتابُ ربّك - يا رسول الله صلى الله عليه وسلّم - الذي أنزله عليك صِدقٌ مطابق للواقع ، و كلُّ أحكامه لا ظلم فيها ، فهي العدل الذي لا عدل سواه، ثمّ ضَمِن تعالى الحفظ لكتابه فقال ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ أي : لا مغيّرَ لكلمات القرآن ، فلا يلحقها تغيير في المعنى ولا في اللفظ كما حدث في التوراة و الإنجيل ، فهو محفوظ بعناية الله - تعالى - ، كما قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٦).

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١١٥ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، ص : ٧٥ .

(٣) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٤) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٥) هي قوله تعالى : ﴿... وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ سورة الأنعام ، الآية : ١١٤ .

(٦) سورة الحجر ، الآية : ٩ .

ثمّ ختم الله -تعالى- الآية بقوله ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ للدلالة على كمال قدرته وعزّته ، لأنّه -تعالى- بمقتضى اسميه "السميع العليم" أحاط بالظاهر والباطن ، فلا يدع أحدا يغيّر شيئا من كتابه أو يزيد فيه أو ينقص[1]. إذ أنّه -تعالى- سميع أقوالَ مَن يسعى لتبديل كلماته، وما يقوله المشركون ، ويقترحونه كما حكى القرآن عنهم ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ...﴾[2] وغير ذلك ممّا يفترونه على القرآن العظيم ، وهو-تعالى- يعلم ما يقصدونه من أيمانهم من صدق أو كذب وحِنث[3]،وغير ذلك ممّن يريد أن يبدّل القرآن أو يحرّفه .

ولمّا كان -تعالى- سميعا لأقوالهم الفاسدة ، عليما بنياتهم الخبيثة ، فإنّه -قطعا- سيجزيهم بما يستحقّونه من سوء العقاب . والله -تعالى- أعلم بالصواب .

---

(١) نظم الدرر للبقاعي، ٢٣٨/٧،بتصرف .

(٢) سورة الأنعام من الآية : ١٠٩ .

(٣) الحِنث مِن حَنِثَ في يمينه ،من باب فرح -حِنثا : لم يَفِ باليمين .

النص :

قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

يحشرهم : يجمعهم ،أي الإنس والجنّ ، قال في اللسان : (حشرهم -بفتح الشين - يحشُرهم -بالكسر والضم -حشرا : جمعهم، والحشر : جمع الناس يومَ القيامة) (٢).

معشر : قال في القاموس : (المعشَر -كمسكَن -: الجماعة) (٣).

أولياؤهم : أنصارهم ، والضمير يرجع إلى الجن ، والأولياء جمع الوليّ ، و هو-كما في لسان العرب-:الصديق و النصير (٤).

أجلنا : مدّتنا ،قال في البصائر : (الأجل في الأصل : موضوع للمدّة المضروبة للشيء ويقال :للمدّة المضروبة لحياة الإنسان :أجل) (٥).

مثواكم : منزِلكم ومستقرّكم ،قال في القاموس : (المثوى :المنزِل) (٦).
وفي تفسير الطبري : (المثوى ،هو المفعل -بفتح العين-من قولهم : ثوى فلان بمكان كذا ،إذا أقام فيه) (٧).

---

(١) سورة الأنعام ،الآية : ١٢٨ .

(٢) لسان العرب ، مادة (حشر) ، ١٩٠/٤ .

(٣) القاموس المحيط ، مادة (عشر) ، ص :٥٦٦ .

(٤) لسان العرب ، مادة (ولي) ، ٤١١/١٥ .

(٥) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ، ٢/ ١٠٨ .

(٦) القاموس المحيط ، مادة (ثوى) ، ص : ١٦٣٨ .

(٧) تفسير الطبري ، ٣٤/٨ .

حكيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه[١].

عليم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه [٢].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "حكيم عليم" عَقِبه :

لمّا ذكر الله -تعالى- فيما تقدّم[٣]-ثواب القوم الذين يتذكّرون بالآيات . و هو ثواب دار السّلام ، ناسب أن يعطف عليه ذِكر جزاء الذين لا يتذكّرون ، وهو جزاء الآخرة أيضا[٤]، فقال ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ وانتصب " يوم" على المفعول به لفعلٍ محذوف ، تقديره : اذكر -يا رسول الله صلى الله عليه وسلم- للخلائق بعض ما سيكون يوم القيامة حيث يجمع الله -تعالى- فيه الخلائقَ جميعا ، من الإنس والجن ، مَن ضلّ منهم ومَن أضلّ غيرَه ، فيقول- تعالى- ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ أي : يا جماعةَ الجنّ المفسدين ، قد أكثرتم من إغواء الإنس وإضلالهم أو قد أكثرتم منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فحُشر معكم منهم الجمّ الغفير ، وفي ذلك توبيخ لهؤلاء المضلّين من شياطين الجنّ لكثرة ما أضلّوا من الإنس ، وزيّنوا لهم الشر ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ أي : وقال الذين تَبِعوهم وأطاعوهم وانقادوا لهم من الإنس مظهرين ندامتَهم وتحسّرَهم على حالهم ، ومعترفين بما فعلوه من طاعة الشيطان و اتّباع الهوى ﴿ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ أي : تمتّع كلّ منّا بصاحبه ، وانتفع به ، فاستمتع الإنس بالجن حيث دلّوهم على الشهوات والمعاصي ، واستمتع الجن بالإنس حيث أطاعوهم حتى صار الجنُّ كالرؤساء للإنس والإنسُ كالأتباع ، كما قال تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾[٥]، وبعد هذا الإقرار والاعتراف الذي لم يجدوا عنه محيصا ﴿ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ أي : وكنّا على ذلك من استمتاع بعضِنا ببعض حتى بلغنا إلى الأجل الذي حدّدته لحسابنا وجزائنا ، وهو يوم القيامة[٦]،ثمّ يخاطب

---

(١) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٢) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٣) ذلك من قوله تعالى ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ، لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ سورة الأنعام ، الآية : ١٢٦- ١٢٧ .

(٤) ينظر : تفسير ابن عاشور ، ٦٦/٨ .

(٥) سورة الجن ، الآية : ٦ .

(٦) ينظر : الكشاف للزمخشري، ٥٠/٢ ، و روح المعاني للآلوسي، ٢٦/٨ .

الله -تعالى- هؤلاء المعترفين بقبائحهم وذنوبهم ﴿قال﴾ تعالى قاضيا عليهم ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: النار منزلكم، ومستقرّكم، ومقامكم الذي تقيمون فيه أبدا ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ هو استثناء لبيان إرادة الله -تعالى- المطلقة التي لا يقيّدها شيء إذ هو -تعالى- ليس بعاجز عن أن يخرجهم من النار إذا أراد خروجهم، ومن الجائز أن يكون المراد بهذا الاستثناء أهل التوحيد، والتقدير[1]: إلّا من شاء الله -تعالى- إخراجه من الذين كانت آثامهم دون الشرك، فإنّهم يخرجون منها بإيمانهم.

ولمّا كان هذا الحكم من مقتضى حكمته -تعالى- وعلمه ختم الآية بقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في كلّ ما يفعله، وفي عقوبة هؤلاء، فلذا حَكَم على هؤلاء الكفار بالخلود في النار لاستحقاقهم ذلك العقاب بسبب الشرك ﴿عَلِيمٌ﴾ بكلّ شيء، ولا تخفى عليه -تعالى- خافية من أعمال عباده، وهو -تعالى- يعلم عوَاقبَ أمور خلقه وما هم إليه صائرون، فثبت في علمه -تعالى- الأزلي أن هؤلاء سينالون جزاءهم هذا، وهو الخلود في النار، وبذلك يكون الاسمان الكريمان ﴿حكيم عليم﴾ مناسبين لهذا الختام، لأنّ تخليد هؤلاء الكفرة في النار فعل صادر عن حكمة وعلم بمواقع الأشياء[2]. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) يكون ﴿ما﴾ على هذا التقدير بمعنى "من".

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية، ٥/ ٣٥١.

النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ١٣٩ ﴾[١]

بيان غريب النص :

خالصة : خاصة، تقول اللغة : الخالصة : الشيء الذي خلص لك فهو خاص بك من دون الناس[٢].

والهاء في " خالصة " للمبالغة في الخلوص، ومثله : رجل علامة[٣].

سيجزيهم : سيكافؤهم، قال في اللسان : (الجزاء : المكافأة على الشيء)[٤].

حكيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه[٥].

عليم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه[٦].

معنى النص و مناسبة اسميه تعالى " حكيم عليم " عقبه :

كان للعرب في جاهليّتهم عادات سيّئة، وتقاليد مذمومة، ورثوها عن أسلافهم، و مارسوها و صبغوها بصبغة دينية، وهي على أنواع مختلفة :

أخبر الله -عز وجل- عن نوع واحد منها، وذلك سلوكهم الدالّ على سفاهتهم وحماقتهم من التحريم والتحليل، حيث حرّموا ما أحلّه الله -تعالى- ﴿ وَقَالُوا ﴾ أي : المشركون بالله -عز وجل- ﴿ مَا فِي بُطُونِ

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٣٩ .

(٢) لسان العرب، ٢٧/٧ .

(٣) تفسير الماوردي، ٥٦٨/١، و تفسير القرطبي، ٩٥/٧ .

(٤) لسان العرب، ١٤٣/١٤ .

(٥) ينظر : من هذا البحث، ص : ٣١ .

(٦) ينظر : من هذا البحث، ص : ٣٣ .

﴿هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ من أجنة البحائر [١] والسوائب [٢] وألبانها ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ أي: حلال لذكورنا خاصةً، ومحرَّم على إناثنا، وفي حكمهم هذا فرَّقوا بين ما لا يُفتَرَقُ إلّا بشرعٍ وحكمٍ من اللّه -تعالى-، ثمّ ذكر اللّه -تعالى- حكمَهم الآخرَ ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ أي: وما وُلِد منها ميتا، فالذكور والإناث شركاء في أكله، وكلُّ ما ذُكِر من التحريم والتحليل، يُنسبونه إلى الله -تعالى- كِذبا وافتراءً، ولهذا قال -سبحانه- ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ أي: سيُثيب الله -عز وجل- هؤلاء المفترين عليه الكذبَ في تحريمهم ما لم يحرِّمه الله -تعالى-، وتحليلهم ما لم يحلّله -سبحانه-، ويكافؤهم على هذا الكذب بما يستحقّون من العذاب، كما قال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ • مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٣].

ولمّا ذكر -تعالى- أنّه سيعاقب هؤلاء جزاءً لهم على وصفهم الكذبَ، خَتَمَ الآيةَ بالإخبار عن نفسه الكريمة بصفتَي الحكمة والعلم في قوله ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ في معاقبتهم على افترائهم عليه -تعالى- فيما لم يشرعه من تحليل وتحريم ﴿عَلِيمٌ﴾ بهم، وبما يعمل الظالمون والمفترون والضالون، ولا تخفى عليه -تعالى- خافية.

وقوله -تعالى- ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ تذييل يفيد التعليل لذلك الحُكم الذي فيه وعيد وتهديد، فإنّ الحكيم العليم لا يجازي على الشيء إلّا بمثله، ويضع العذاب في موضعه ليكون الزجر والوعيد على حدّ الحكمة والعلم.

---

(١) البحائر: جمع البحيرة، وهي الناقة التي يبحرون أذنها، أي يشقّونها، ويخلّون سبيلها، فلا تُركَب ولا يحمَل عليها شيء، وهي التي تَلِد خمسةَ أبطنٍ، انظر: زاد المسير لابن الجوزي، ٢/ ٤٣٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٦/٣٣٥، في تفسير قوله -تعالى- ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ ...﴾ المائدة: ١٠٣.

(٢) السوائب: جمع السائبة، وهي الناقة التي تسيّب للأصنام، فلا تركب، ولا يجزّ وَبَرُها، ولا يحلَب لبنها إلّا لِضيفٍ، وهي التي تنتُج عشرةَ أبطنٍ من الإناث. انظر: زاد المسير، ٢/٤٣٦، والجامع لأحكام القرآن، ٦/ ٣٣٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ١١٦- ١١٧.

وفي ختم الآية باسميه -تعالى- ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ مع تقديم الحكمة على العلم هنا، إشارةٌ إلى أن أحكامَ هؤلاء المفترين على الله -تعالى- الكذب، وأقوالَهم في هذه الأشياء في غايةِ البُعد عن الحكمة، لأنّ أقوالهم في حلّ تلك الأشياء و حرمتها تستند إلى أهوائهم و شهواتهم الباطلة، وأمّا أحكام الله -تعالى- و شرعه لا تصدر إلّا عن حكمته وعلمه تعالى(١).

ومن ناحية أخرى، فإن ذكر "الحكيم" مناسب للسين الدالة على المستقبل في قوله -تعالى- ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ - فاللّهُ -سبحانه- حكيم حيث أمهل لهم ليتداركوا أمرهم ويَرجعوا عن اعتقادهم الفاسد، وحُكمِهم الباطل، ثمّ ذكر اسمه -تعالى- " عليم " إشارة إلى أن هذا الإمهال ناتج من علمه -تعالى- بما يُصلح عبادَه -تعالى-. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ٢٨٦/٨

النـص :

قال اللـه تعالـى :

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥ ﴾[١]

بيان غريب النـص :

طاعم :آكل، يقال : طَعِم يطعَم -بفتح العين- فهو طاعم، إذا أكل أو ذاق[٢].
قال تعالى ﴿...فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ...﴾[٣] أي : إذا أكلتم، وقال
تعالى ﴿...وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةً...﴾[٤]
أي : ومن لم يذقه .

ميتة :تقدّم معناها[٥].

مسفوحا : سائلا[٦].

رجس :قذر و نجس، قال الراغب : (الرجس : الشيء القذر)[٧].

أهلّ :تقدّم معناه[٨].

اضطر :تقدّم معناه[٩].

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٤٥ .

(٢) الصحاح للجوهري، مادة (طعم)، ١٩٧٥/٥ .

(٣) سورة الأحزاب، جزء من الآية : ٥٣ .

(٤) سورة البقرة، جزء من الآية : ٢٤٩ .

(٥) ينظر : تفسير الآية (٣) من سورة المائدة، ص : ٦٠ .

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ص : ١٦٢ .

(٧) المفردات للراغب، ص : ١٨٨، وانظر : لسان العرب، مادة (رجس)، ٩٤/٦ .

(٨) ينظر : تفسير الآية (٣) من سورة المائدة، ص : ٦٠ .

(٩) ينظر : تفسير الآية (٣) من سورة المائدة، ص : ٦٢ .

باغ : ظالم، من البغي، قال في الصحاح : (بغي الوالي : ظلم، و كلّ مجاوزة في الحدّ، وإفراط على المقدار الذي هو حدّ الشيء، فهو بغي)[(١)].

عاد : قال في المصباح : (عدا يعدو عَدوا و عُدوانا : ظلم و تجاوز الحدّ و هو عاد)[(٢)].

غفور : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه[(٣)].

رحيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه[(٤)].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " غفور رحيم " عَقِبه :

لمّا ذَكَرَ الله -تعالى- فيما سبق[(٥)]- ذمّ المشركين وخطأهم فيما يفترونه عليه -تعالى- في شأن التحريم و التحليل لبعض الأرزاق من الثمار و الأنعام، أمر رسولَه -صلى الله عليه وسلم- أن يبيّن للناس أنّ الوحي هو الطريق الصحيح فيما حرّمه الله -تعالى- وأحلّه ، فقال ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لهؤلاء المفترين على الله ﴿لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ أي: طعاما محرّما أكلُه من المطاعم التي حرّمتموها على آكل يريد أن يأكله من ذَكَرٍ أو أنثى ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ و هي التي ماتت دون ذكاة شرعية ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ وهو الدم السائل[(٦)] ممّا يجري في عروق الحيوان، فذلك هو الدم الحرام ، لا الدم المختلط باللّحم والعظام بعد الذبح ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ﴾ فهو حرام أيضا ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ أي: فإنّ ما تقدّم ذكره من هذه الأشياء الثلاثة، نجس قذر حرّمه الله -تعالى- لطفا بعباده ونزاهة لهم عن مقاربة الخبائث ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ما ذُبح باسم غير الله -تعالى-، فإنّ ذلك الذبحَ من الفسق الذي هو الخروج عن طاعة اللّه -تعالى- إلى معصيته ، قال تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ...﴾[(٧)].

ثمّ استثنى اللّه -عزوجل- ممّا حرّمه حالةَ الاضطرار فقال ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ أي: فمَن حملتْه الضرورةُ على تناوُل شيء من المحرّمات السابقة بأن لم يكن عنده شيء

---

(١) الصحاح للجوهري، ٢٢٨١/٦ .

(٢) المصباح المنير ، ٣٩٧/٢ .

(٣) ينظر : من هذا البحث ، ص:٣٤.

(٤) ينظر : من هذا البحث ، ص: ٣٢ .

(٥) ذلك في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ...﴾ من الآية (١٣٨) وقوله تعالى ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ...﴾ -إلى آخر الآية (١٣٩) سورة الأنعام .

(٦) تقدم في تفسير الآية (٣) من سورة المائدة ما يدلّ على أن الكبد والطحال مما أحلّتهما السّنة المطهّرة . ينظر ص: ٦٤ .

(٧) سورة الأنعام، من الآية : ١٢١ .

حلال ، وخاف على نفسه التّلف ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي : غير ظالم لمضطرّ آخر مثله ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي : متجاوز حدّ الضرورة ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ومن مظاهر مغفرته - تعالى - ورحمته ، أنّه أذن للمضطرّ بتناول شيء ممّا تقدّم حالةَ الضرورة ، ولم يؤاخذه على ذلك . وقد تقدّم ذكرُ مناسبة "الغفور الرحيم" في سورة المائدة [1] بما فيه كفاية .

وسِرّ اختصاص هذه الآية بذكر لفظ الربّ في قوله ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ﴾ هو أنّه تقدّم ذِكر ما خلقه الله - تعالى - لِتربية الأجسام من الحبوب والثمار [2]، والأنعام من الإبل والبقر والغنم والضّأن والمعز [3]، فكان ذِكر الربّ في هذا الختام أليقَ ، لأنّ الربّ هو القائم بمصالح المربوب ومهمّاته [4].

وأمّا سِرّ اختصاص آية البقرة [5] وآية المائدة [6] وآية النحل [7] بلفظ الجلالة في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ [5] وفي قوله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ [8] هو أنّه تقدّم في هذه الآيات الثلاثِ ، لفظُ التحريم في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ﴾ [9] وفي قوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ﴾ [10] وهو من شأن الألوهيّة وما يختصّ بها ، فلا يملك التّحريم والتّحليل إلاّ اللّه - تعالى - ، وكان لفظُ الجلالة أَوْلَى وأخصّ بخواتم هذه الآيات [11] . واللّه - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر عقب تفسير الآية (٣) من سورة المائدة ، ص : ٦٨ - ٦٩ .

(٢) ذلك في قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ ...﴾ إلى آخر الآية (١٤١) من سورة الأنعام .

(٣) ذلك من قوله تعالى : ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ...﴾ إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ، الآيات : ١٤٢-١٤٤ .

(٤) ينظر : درّة التنزيل للإسكافي ، ص : ٤٣ ، (منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط . الثالثة ١٩٧٩م) ، والبرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ، ص : ٣٨ ، (تحقيق عبد القادر أحمد عطاء دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي يحيى الأنصاري ، ص : ٥٠-٥١ ، (تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، دار القرآن ، بيروت ، ١٤٠٣هـ)

(٥) الآية : ١٧٣ من سورة البقرة .

(٦) الآية : ٣ من سورة المائدة .

(٧) الآية : ١١٥ من سورة النّحل .

(٨) سورة المائدة ، الآية : ٣ ، سورة النحل ، الآية : ١١٥ .

(٩) سورة البقرة : ١٧٣ ، وسورة النحل : ١١٥ .

(١٠) سورة المائدة : ٣ .

(١١) ينظر : درة التنزيل ، ص : ٤٢-٤٣ ، حيث ذكر تعليلا آخر ، ولم أر ذِكره مناسبا لِبُعده عندي والله أعلم . وانظر هامش رقم " ١ " من كتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ص : ٣٨ .

النــص :

قــال اللــه تــعالــى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾[١]

بـيـان غـريـب الـنــص :

خـلائـف : جمع خليفة ، ككرائم جمع كريمة ، والخليفة : الذي يستخلَف ممّن قبله.

يقال: خلف فلان فلانا في داره أو في قومه يخلُفه خِلافة ، فهو خليفة فيها[٢].

ليبلوكم : ليختبركم ،وفي لسان العرب : (بلوتُ الرجل بلْواً وبَلَاءً وابتليتُه :اختبرتُه[٣].

سريع العقاب : السرعة ضد البطء [٤]، ومعنى " سريع العقاب " في وصف الله تعالى :سريع عقابه ، ولم يضف -سبحانه- العقاب إلى نفسه الكريمة ولم يقل " المعاقِب " لأنّ موجب العقاب ما اقترفه العبد من المعاصي والذنوب بخلاف المغفرة والرحمة ،فإنّهما ناشئان من ذاته -سبحانه- بمقتضى الكرم و الجود.

لَغفور : اللام للتأكيد ، والغفور اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه[٥].

رحيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ،وقد تقدّم معناه[٦].

معـنـى الـنــص ومـنـاسـبة " سـريـع الـعـقاب و غـفـور رحيـم " عَـقِبـه :

في هذا النص الكريم بيّن الله -عز وجل- نعمة من نعمه الكبرى على بني آدم، إذ اقتضت سنّته -تعالى- في خلقه لِبقاء هذا الكون ونظامِه: أنْ يخلُفَ بعضُهم بعضاً فقال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: خلائفَ مِن الأمم الماضية، تَملِكون أرضهم ،وتتصرّفون فيها بَعْدَهُمْ، والخِطاب عامّ لجميع البشر ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ أي: فضّل بعضكم على بعض في الشرف و الرزق ، والعقـــل

---

(١) سورة الأنعام ،الآية : ١٦٥ .

(٢) لسان العرب ،مادة (خلف) ، ٨٠/٩ ، وانظر تفسير الطبري ، ١١٤/٨ .

(٣) لسان العرب ،مادة (بلى) ، ٨٣/١٤ ، القاموس المحيط ،مادة (بلى) ،ص: ١٦٣٢ .

(٤)القاموس المحيط ،مادة (سرع) ، ص : ٩٣٩ .

(٥) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٤.

(٦) ينظر :من هذا البحث ، ص : ٣٢.

وفاوتَ بينكم في الأخلاق والقوة والعلم والمحاسن والمساوئ وغير ذلك، ثمّ ذكر -تعالى- الحكمة في ذلك لكون الناس ليسوا على درجة واحدة، وإنّما هم على درجات، وإن كان أدنى هذه الدرجات لا ينزل بالإنسان عن الخلافة التي أعدّ الله -تعالى- الإنسانَ لها، فقال تعالى ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي: ليختبركم فيما أنعم به عليكم، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ[(١)]. وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا. فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ. فَاتَّقُوا النِّسَاءَ. فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ"[(٢)].

ولمّا تقدّم الابتلاء المذكور، ناسب أن يكون الختام بقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لأنّ الإنسان إمّا أن يكون مقصّرا فيما كُلّف به وإمّا أن يكون مؤدّيا واجبَه. والجملةُ تذييل للابتلاء في قوله ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ يتضمّن المقصودَ منه، فهو الحثّ على العمل والامتثال.

وأيضا لما ذكر -تعالى- رفْعه بعض الناس على بعضهم، وكان طبع الآدميّ التجبّر، أخبر أنّه سريع العقاب تهديدا لهذا الظالم، ثمّ أخبر -تعالى- أنّه غفور رحيم استعطافًا لمن أذنب وأراد التوبة من الظالمين.

وفي ختم الآية بهذه الأوصاف الجليلة لله -عز وجل- تخويف وترجية، فهو -سبحانه وتعالى- سريع العقاب -إذا جاء وقته- لمن عصاه، وخالفه فيما أمره به ونهاه عنه، وهو غفور لمن تاب إليه -تعالى- بالطاعة ممّن يجري عليه الابتلاء والاختبار من المكلّفين، رحيم به لأنّه -تعالى- لا يعاقبه على ما تقدّم من ذنبه، وأوتي باللام المؤكِّدة في قوله تعالى ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ترجيحا للغفران على سرعة العقاب.

والقرآن الكريم كثيرا ما يجمع بين الرجاء والخوف، فالرجاء يحرّك إلى الطاعة، والخوفُ يُبعِد عن المعاصي، واجتماعُهما في العبد من أعلى مراتب العبودية، فلذا يقدّر الله -تعالى- بحكمته على العبد الذنب ويبتليه به لِتكمُل عبوديتُه بالتوبة التي هي من أحب الأشياء إلى الله -تعالى-. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) قال النووي في شرحه على مسلم، ١٧/ ٥٥، في معنى " الدنيا حلوة خضرة" : (يحتمل أنّ المراد به شيئان: أحدهما: حسنُها للنفوس، ونضارتُها ولذّتُها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإنّ النفوس تطلبها طلبا حثيثا فكذا الدنيا. والثاني: سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين.) اهـ.

(٢) أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء. صحيح مسلم، ٢٠٩٨/٤، برقم ٢٧٤٢.

ســـورة الأعـــراف

النـص :

قـال اللـه تـعالـى :

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١٥٣﴾ (١)

بيـان غـريب النـص :

السّيّئات : جمع السيئة ، وهي -كما في مفردات الراغب : (الفِعلة القبيحة ، وهي ضـد الحسنة) (٢).

والمراد بها : ما يشمل الكفر و المعاصي .

لَغفور : اللام للتأكيد، والغفور ، اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٣).

رحيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٤).

معنى النـص و مناسبة اسميه تعالى " لغفور رحيم " عَقِبه :

لمّا بيّن القرآن عِقاب المصرّين على الجرائم (٥)، وافتراء الكذب على اللـه -تعالى- رغّب في التوبة مِن أيّ ذنبٍ كان ، فقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ من الكفر ، أو المعاصي من الكبائر و الصغائر ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا﴾ توبةً صادقةً بأن ندموا عليها ، وعزموا على أن لا يعودوا إلى مثلها في القبح ﴿وَآمَنُوا﴾ باللـه -تعالى- ، إيمانا صحيحا ، فلا يؤاخذهم الله -تعالى- بسبب سيّئاتهم التي عملوها قبل التوبة .

ثمّ ختم الله -تعالى- الآية بما يدلّ على عدم مؤاخذته فقال ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ الخطاب لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الوجه الأظهر ، أو لموسى -عليه السلام- على جعل قوله -تعالى- (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ ...) (٦)

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٣ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، للراغب ، ص : ٢٥٣ .

(٣) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(٤) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٥) ذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ الأعراف : ١٥٢ .

(٦) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٢ .

مقولا من الله -تعالى- لموسى -عليه السلام-، وفي هذه الإضافة تشريف المضاف إليه، إذ أنّه مربوب للّه -تعالى-، وفي ذكر وصف الربوبية هنا تمهيد لوصف الرحمة ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ أي: من بعد حصول تلك التوبة الصادقة ﴿لَغَفُورٞ﴾ يغفر السيئات، ويمحوها، وإن عظُمت أو كثُرت، ولا يفضح -تعالى- فاعليها بها ﴿رَّحِيمٞ﴾ بهم، وبكلّ مَن كان مثلَهم من التائبين، حيث إنّه لا يقتصر على ذلك الغفران، بل يوفّق -تعالى- التائبَ لِفعل الخيرات، ويتفضّل عليه بالجنة .

وفي تأكيد هذه الجملة بإنّ و لام التأكيد وصيغتي المبالغة في ﴿غفور رحيم﴾ مزيد الاهتمام بالخبر، وترغيب مَن عمل سيئة في التوبة، وطردٌ للقنوط الحاصل في النفوس من كثرة الذنوب وعِظمها(١) . والله -تعالى- أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٢١/٩ .

النـــص :

قـال اللـه تـعالـى :

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧)﴾ (١)

بيان غريب النـص :

تأذّن : تفعّل من الأذان بمعنى آذن ، أي : أعلم (٢).

قال الجوهري : (آذنتك بالشيء : أعلمتكه ، و قد آذن و تأذّن بمعنًى، كما يقال : أيقن و تيقّن) (٣).

يسومهم : يكلّفهم و يحملهم (٤)، يقال -كما في كتب اللغة- : سام فلان فلانا الأمرَ يسومه سوما : كلّفه إياه ، أو أولاه إياه (٥).

سوء العذاب : العذاب السيء الشديد .

سريع العقاب : تقدّم معناه (٦).

لغفور : اللام للتأكيد، والغفور اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه (٧).

رحيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٨).

معنى النـص و مناسبة "سريع العقاب و غفور رحيم" عَقِبه :

لمّا ذكر الله -عز وجل- في الآية المتقدّمة (٩) قُبْحَ أفعالِ اليهود و عصيانهم بيّن -سبحانه- ما توعّد به أولئك اليهودَ من عقوبات بسبب كفرهم وإفسادهم في الأرض، فقال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أي : واذكر يا أيها النبي -صلى الله عليه وسلم- وقتَ

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٦٧ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ١٧٤ ، وتفسير الطبري ، ١٠٢/٩ .

(٣) الصحاح ، ٢٠٦٩/٥ .

(٤) تفسير ابن عطية ، ١٢٥/٦ .

(٥) ينظر: القاموس المحيط، مادة (سوم)، ص : ١٤٥٢، ولسان العرب ، مادة (سوم) ، ٣١١/١٢ .

(٦) ينظر : من هذا البحث ، ص : ١٦٩ أثناء تفسير الآية (١٦٥) من سورة الأنعام .

(٧) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(٨) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٩) هي قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ سورة الأعراف ، الآية : ١٦٦ .

أَنْ أعلم ربُّك أسلافَ اليهود على ألسنة أنبيائهم، أنّه -تعالى- كتب على نفسه[١] ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لَيُسلِّطن على اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: من يكلّفهم ويحملهم أشدَّ العذاب السيء كالإذلال والإهانه، و ضرب الجزية عليهم[٢]، قال تعالى ﴿...وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[٣] وقال تعالى ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٤]

وإذا نظرنا إلى التاريخ نرى أن اليهود ذاقوا أنواعا من العذاب، حيث بعث الله -تعالى- عليهم بعد سليمان -عليه السلام- بختنصر مَلِك بابل، فخرّب ديارهم، وقتل مقاتليهم وسبى[٥] نساءهم وذراريهم، وضرب الجزية على مَن بقي منهم، ثمّ سلّط عليهم الرومان مرة بعد أخرى -بسبب جرائمهم- فشردوهم، وهدموا هيكلهم، وقَتل منهم خلقا كثيرا، حتى بُعث الرسولُ -صلى الله عليه وسلم- بالهدى ودين الحقّ، وتآمروا على قتله ولم يؤمنوا به، فقاتَلهم -عليه السلام- ثمّ ضَرب الجزيةَ عليهم.

وهكذا كلّما انتعشوا وطغوا في الأرض جاءتهم الضربة ممّن يسلّطهم الله-تعالى- من عباده على هذه الفرقة الباغية، ولا تنس ما حدث في عصرنا هذا من أنّ "هتلر" زعيم ألمانيا سابقا، الذي فعل بهم الأفاعيلَ وشردهم في البلاد. وعلى المسلم ألّا يغترّ بهم في فلسطينَ، لأنّهم على الرغم من إقامة دولة لهم في فلسطين، فإنّهم لا يزالون وسيظلّون أذلةً[٦].

---

(١) إنّ فعل "تأذن" يفيد العزم على الشيء وإيجابَه على النفس، لأنّ العازم على الأمر يؤذن نفسَه به، ويوجبه عليها، وَأُجرِي هذا الفعلُ مُجرَى القَسم مثل: علم الله -تعالى- وشهد الله -تعالى-. وعلى هذا يكون المعنى في قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ حَتَمَ ربّك وكتب على نفسه. ينظر: الكشاف للزمخشري، ١٢٧/٢، والبحر المحيط لأبي حيان، ٤١٤/٤.

(٢) ذهب الفراء في معاني القرآن، ٣٩٧/١، إلى أنّ المراد بسوء العذاب في الآية، هي الجزية إلى يوم القيامة فقط، وما ذكرناه أعمّ وأشمل لجميع فنون العذاب. ذهب إلى العموم أبو السعود، ٢٨٧/٣، والآلوسي، ٩٤/٩، وغيرهما من المفسرين.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٦١.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

(٥) سبى: أسر النساء.

(٦) تفسير أبي السعود، ٢٨٧/٣، وتفسير الآلوسي، ٩٤/٩، والتفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازي، ٣٤٣/١، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)

يقول الشهيد سيد قطب فيهم: (ولقد يبدو أحيانا أن اللّعنة قد توقّفت ، وأن يهود قد عزّت واستطالت ! وإنْ هي إلا فترة عارضة من فترات التاريخ ٠٠ ولا يدري إلّا الله مَن ذا الذي سيسلّط عليهم في الجولة التالية ، وما بعدها إلى يوم القيامة)(١)٠ اهـ ٠

ولمّا خوّف اللّهُ -تعالى- في هذا النص الكريم اليهودَ الذين كانوا في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، والذين ثبتوا على الكفر واليهوديّة ، وزَجَرهم على ما كانوا عليه مِن الدين الباطل ، بأنْ يسلّط عليهم عدوّهم إنْ لم يؤمنوا بالنّبيّ الأُمّيّ ، خَتَمَ الآية بقوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾٠

ولمّا تضمّنت الآية سرعةَ إيقاع العذاب بهؤلاء اليهود من الذلّ والإهانة وغيرهما من أنواع العذاب ، ناسب في ختامها أن يصف الله -تعالى- نفسه بأنّه سريع العقاب ، إشارةً إلى أنّه -تعالى- يعاجل بالعقاب في الدنيا للذين حقّت عليهم كلمة العذاب كما وقع لهؤلاء اليهود ، حيث إنّهم عتوا وبغوا وتمرّدوا وتكبّروا ، قال -تعالى- ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾(٢) ، وبهذا حسُن في آخر هذا النص التنبيهُ على سرعة عقابه تعالى ، والتخويفُ بذلك تخويفا عاما لجميع الناس ، وتخويفا خاصا لليهود لِينزجروا عن ارتكاب الذنوب وعن الاستمرار على اليهوديّة ٠

ولمّا رهّب -تعالى- بسرعة عقابه لمن عصاه ، رغّب بصفتين عظيمتين وهما المغفرة والرحمة ، لِمن آمن من هؤلاء اليهود وغيرِهم ، وتاب ورجع عن الكفر ، ودخل في دين الإسلام قبل أن يحقّ عليه العذاب ٠

والله -سبحانه- كثيرا ما يُقرِن بين الرحمة والعقوبة ، والترغيب والترهيب لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف ٠

وفي ختم الآية بسريع العقاب إشارة إلى أنّه لا ينبغي لأحد عصى الله -تعالى- وخالف أمره ، أن يأمن جانبَه و يطمئنّ إلى حِلم الله -تعالى- فيستمرّ في معاصيه ، فهو -تعالى- عِقابُه سريع لمن شاء أن يعاجل بعقوبته في الدنيا كما وقع لهؤلاء اليهود من الذلة والمسكنة والجزية ، وفي ذلك تحذير من عقابه في الآخرة إن لم يقع في الدنيا ، لأنّ كلّ آت قريب ٠

وفي ذكر "الغفور الرحيم" بعد "سريع العقاب" بيان أنّه -تعالى- بِعقابه لِمن استحقّ العقابَ لم يُغلِقْ بابَ مغفرته ورحمته ٠ والله -تعالى- أعلم بالصواب ٠

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ١٣٨٦/٣ ، (دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ط٠ العاشرة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ٠

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٦٦ ٠

النـص :

قـال اللـه تـعـالـى :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[1]

بيـان غـريـب النـص :

إمّا : هي مِن " إن " الشرطية ، و " ما " الزائدة ، التي تفيد التأكيد ،وأُدغمت إن الشرطية في ما الزائدة فأصبحت " إمّا " .

ينزغنك : قال الجوهري : (نزغ الشيطان بينهم ينزغ نزغا ،أي : أفسد وأغرى)[2].

و في تفسير ابن عطية : (النّزغُ : حركة فيها فساد ، وقلّ ما تستعمل إلّا في فِعل الشيطان ، لأنّ حركاته مسرعة مفسدة)[3].

و في تفسير الثعالبي[4]: (نزغ الشيطان عام في الغضب و تحسين المعاصي واكتساب الغوائل[5] وغير ذلك)[6].

فاستعذ : فاعتصم بالله -تعالى- والجأ إليه .

تقول اللغة : عذتُ بفلان ، واستعذت به ، أي : اعتصمت ولجأت إليه[7].

سميع : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه[8].

عليم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه[9].

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠٠ .

(٢) الصحاح للجوهري ، مادة (نزغ) ، ١٣٢٧/٤ ، وانظر : تفسير الطبري ، ١٥٧/٩ ، الكشّاف للزمخشري ، ١٣٩/٢ .

(٣) المحرّر الوجيز ، ١٨٨/٦ .

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري ، أبو زيد : مفسّر من أعيان الجزائر . (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ) . الأعلام ، ٣٣١/٣ .

(٥) الغوائل : جمع الغائلة ، و هي الفساد والشر . المعجم الوسيط ، ص : ٦٦٦ .

(٦) جواهر الحسان في تفسير القرآن ، ٨٦/٢ ، (منشورات الأعلمي للمطبوعات ، بيروت) .

(٧) الصحاح للجوهري ، مادة (عوذ) ، ٥٦٦/٢ ، المصباح المنير ، ٤٣٨/٢ ، لسان العرب ، مادة (عوذ) ، ٤٩٨/٣ .

(٨) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٩) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

سبب النزول :

أمّا سبب نزول هذه الآية فقد ذكر فيه المفسرون[(١)] ما رُوِيَ عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم[(٢)] أنّه قال :

لمّا نزل قوله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[(٣)] قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " فَكَيْفَ بِالْغَضَبِ يا ربِّ ؟ فأنزل الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[(٤)].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " سميع عليم " عَقِبه :

لمّا أمر الله ـ عز وجل ـ نبيّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الآية المتقدّمة[(٣)] بالإعراض عن الجاهلين ، وعدمِ مقابلتهم بجهلهم ، أمره في هذا النص الكريم أن يستعيذ به من نزغ الشيطان الذي يوسوس ويثير الغضب فقال تعالى ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ﴾ هذه وصيّة من الله ـ تعالى ـ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعُمّ أمتَه فردا فردا ، أي : وإن ينزغنّك الشيطانُ ـ أيّها المخاطَبُ ـ ويوسوس لك وسوسةً ، تمنعُك عن أن تأمرَ الجاهلين بالمعروف غَضَباً عليهم ، أو يأسا مِن هُدَاهم بسبب أعمالهم على الجهالة ، وإساءتهم إليك ، أو تدفعُك إلى فعل الشرّ دفعا قويا بالتشكيك في الحقّ وتزيين الباطل ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ أي : فاعتصم بالله ـ تعالى ـ ، والتجىء إليه ، واحتَمِ بحمايته ، واستعِنْ به على دفع وساوسه ونزغاته ، وعبِّرْ عن ذلك بقولك : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، قال تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾[(٥)].
واستبَّ رجلانِ عند النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجعل أحدُهما تحمرُّ عيناه ، وتنتفخ أوداجه[(٦)] ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "إنّي لأَعْرِفُ كَلِمَةً ، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ

---

(١) ينظر : تفسير الطبري ، ١٥٦/٩ - ١٥٧ ، وتفسير ابن الجوزي ، ٣٠٩/٣ ، وتفسير القرطبي ، ٣٤٧/٧ ، وتفسير أبي حيان ، ٤٤٨/٤ ، وتفسير الخازن ، مع تفسير البغوي ، ٣٢٨/٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور في التفسير المأثور ، للسيوطي ، ٦٣١/٣ ، (دار الفكر ، بيروت ط. الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ، وعَزَاهُ إلى الطبري .

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي ، ضعيف ، مات سنة ١٨٢هـ . تهذيب التهذيب لابن حجر ، ١٧٨/٦ ، والتقريب له ، ٤٨٠/١ . وإنّما أنا نكرت قوله لأنّه لا يبعُد أن يكون صحيحا ، وثانيا أن سبب النزول لا يخصِّص عمومَ اللفظ المنزّل ، وإنّما يعين على فهم الآية .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٩٩ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠٠ .

(٥) سورة المؤمنون ، الآية : ٩٧ .

(٦) الأوداج : هي العروق في العنق . وهي جمع الودج .

عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" (١).

ولمّا أمر -تعالى- في هذا النص الكريم نبيّه -صلى الله عليه وسلم- أن يستعيذ به - تعالى -، إن صادفه وعرضت له جهالةُ جاهلٍ من الذين أمر الله -عز وجل- بالإعراض عنهم، خَتَمَ الآية بقوله ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: إنّ الله -تعالى- الذي تستعيذ به من الشيطان يسمع على أكمل وجهٍ استعاذتك به قولا، ويعلم إخلاص قلبك وصِدقَ نيّتك في الاستعاذة، وقوّةَ التجائك له، ويعلم ما تلاقيه من أهل السفاهة و الجهالة. فإذا صدقتَ في القول بالاستعاذة، وأخلصتَ النّيّة فيها، يستجيب الله -تعالى- لك ويعصمك ويحميك من فتنة الشيطان، ويقيك من وسوسته وشرّه، ولا يعجزه شيء. والجملة تذييل قُصد به التعليل للأمر بالاستعاذة.

وفي الجمع بين اسميه تعالى ﴿سميع عليم﴾ في هذا الختام دلالةٌ على أنّ الاستعاذة باللسان وحدها لا تجدي ولا تنفع إلّا باستحضار معناها في القلب، وكأنّه -تعالى- قال: اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فإني سميع، واستحضر معاني الاستعاذة بعقلك وقلبك فإنّي عليم بما في ضميرك (٢).

والعبد كأنّه يقول: يا مَن يسمع كلَّ مسموع، ويعلم كلَّ سرٍّ خفيّ، أنت تسمع وسوسة الشيطان، تعلم غرضه فيها، وأنت القادر على دفعها عني فادفعها عني بفضلك.

و الآيات (٣) التي أمر الله -تعالى- فيها بالاستعاذة من الشيطان جاء في ختام كلٍّ منها الاسمان الكريمان من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وهما في موضعين (٤) اتفقا في الإخبار عن الله -تعالى- بصفتَي السمع والعلم (٥)، وفي موضع آخر جاء فيه التعقيب مغايرا للموضعين السابقين، حيث جاء فيه اسمه -تعالى- "بصير" بدلا من "عليم" وذلك بعد اسمه -تعالى- "سميع" في سورة غافر (٦).

وتأمل حكمة القرآن، كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وُجُودَه،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، ٢٠١٥/٤ برقم ٢٦١٠، عن سليمان بن صُرَد -رضي الله عنه-.

(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي، ٩٨/١٥، غرائب القرآن للنيسابوري، ١٠٩/٩ بالتصرف فيهما.

(٣) الآيات هي آية الأعراف (٢٠٠) التي نحن بصدد تفسيرها، وآية غافر (٥٦)، وآية فصّلت (٣٦) وهي قوله تعالى ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠، وسورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٥) إلّا أنّهما جاءا منكّرين ﴿سميع عليم﴾ في سورة الأعراف و معرّفين ﴿السميع العليم﴾ في سورة فصلت لأنّ آية الأعراف نزلت أولا وآية فصّلت نزلت ثانية.

(٦) سورة غافر، الآية: ٥٦.

ولا نراه بلفظ ﴿ السميع العليم ﴾ في سورتَي الأعراف وفصلت [١]، وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤنَسون ويُرَوْن بالأبصار بلفظ ﴿ السميع البصير ﴾ في سورة غافر، فقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [٢].

لأنّ أفعال هؤلاء أفعالُ معاينة تُرَى بالبصر • وأمّا نزغ الشيطان فوساوسُ، وخَطَراتٌ يُلقيها في القلب ، يتعلّق بها العلمُ • فأمر - تعالى - بالاستعاذة بالسميع العليم فيها • وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يُرى بالبصر ، ويدرَك بالرؤية [٣] • والله - تعالى - أعلم بالصواب •

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠٠ ، وسورة فصلت ، الآية : ٣٦ .

(٢) سورة غافر ، الآية : ٥٦ .

(٣) تفسير المعوّذتين لابن القيّم ، ص : ٧٩- ٨٠ ، (تحقيق مصطفى بن العدوي ، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع ، بالطائف ، ط الألى ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م) .

ســـورة الأنـــفـــال

النـــص :

قـال اللـه تـعالـى :

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (١)

بيـان غريب النـــص :

تستغيثون : تطلبون الغوث والنصر .

قال الراغب : (الغوث يقال في النصرة ، والغيث في المطر ، واستغثته :طلبت الغوث أو الغيث) (٢). والمراد هنا المعنى الأول .

فاستجاب : فأجاب دعاءكم، من الاستجابة،وهي كالإجابة في إفادة القبول (٣).

قال -تعالى-: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ... ﴾ (٤) أي: يجيبهم الله -تعالى- ويقبل دعاءهم.

مردفين : متتابعين ، يردف بعضهم بعضا و يتبعه .

قال ابن قتيبة : (ردفته وأردفته : إذا جئت بعده) (٥).

بشرى : بشارة ، والبشرى والبشارة : ما يعطى للمبشّر بالخبر السارّ .

والبشرى على وزن " فُعْلَى" اسم لمصدر بشّر ، كالرُّجْعَى (٦).

لِتطمئنّ : لتسكن ،من الطمأنينة .قال الراغب : (الطمأنينة و الاطمئنان :السكون بعد الإنزعاج) (٧).

وفي تفسير ابن عطية :الطمأنينة :السكون والاستقرار (٨).

---

(١) سورة الأنفال ،الآيتان : ٩ - ١٠ .

(٢)المفردات في غريب القرآن ، ص:٣٦٧ .

(٣) لسان العرب ، مادة (جوب) ، ١/٢٨٣ .

(٤) سورة الشورى ، من الآية : ٢٦ .

(٥) تفسير غريب القرآن ، ص:١٧٧ ، والعمدة في غريب القرآن للقيسي ، ص: ١٤٢ .

(٦) المصباح المنير ، ١/٤٩ لسان العرب ، مادة (بشر) ، ٤/٦٢ ، وتفسير ابن عاشور، ٤/٧٨.

(٧) المفردات في غريب القرآن ، ص: ٣٠٧ .

(٨) المحرّر الوجيز ، ٦/ ٢٣٠ .

عزيز : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه [(١)].

حكيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، و قد تقدّم معناه [(٢)].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " عزيز حكيم " عقبه :

لمّا علم المسلمون يومَ بدر [(٣)] أنّه لا بدّ من القتال ، أخذوا يدعون اللّهَ -تعالى- ويطلبون منه الغوث والنّصر ، وقد أخرج مسلم -رحمه الله تعالى- عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال : لمّا كان يوم بدرٍ ، نظر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابُه ثلاثُمائةٍ وتسعةَ عشرَ رجلاً [(٤)] ، فاستقبل نبيُّ اللّهِ -صلى الله عليه وسلم- القبلةَ ، ثمّ مدّ يديه ، فجعل يَهتِفُ بربّه [(٥)] : "اللّٰهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللّٰهُمَّ ! آتِ مَا وَعَدْتَنِي . اللّٰهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الأَرْضِ" ، فمازال يَهْتِفُ بربّه ، مادّاً يديه ، مستقبلَ القبلةِ ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ . فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ . فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ . ثمّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائه . وقال : يا نبيَّ اللّهِ كَفَاكَ [(٦)] مُنَاشَدَتُكَ [(٧)] ربّك . فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ . فَأَنْزَلَ اللّهُ -عز وجل- ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ...﴾ [(٨)] [(٩)].

وقد جاءت الآية الأولى [(٨)] تذكيرا للمؤمنين بأنّه -تعالى- لَمْ يَتَخَلَّ عنهم حين استنصروه

---

(١) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٢) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٣) إنّ بدراً هو موضع الغزوة العظمى المشهورة ، وهو ماء وقرية عامرة على ثمانية وعشرين فرسخا من المدينة ، وهي اليوم ١٥٠ كم تقريبا إلى المدينة . انظر معجم ما استعجم للبكري ٢٣١/١ ، (تحقيق مصطفى السّقا ، عالم الكتب ، بيروت) ، وشرح النووي على صحيح مسلم ٨٤/١٢ .

(٤) قيل : إنّ البدريّين كانوا ثلاثمائةٍ رجلٍ وأربعةَ عشرَ رجلا ، من المهاجرين ثلاثةٌ وثمانون رجلا ، ومن الأوس واحدٌ وستون رجلا ، ومن الخزرج مائةٌ وسبعون رجلا ، وأمّا الثمانيةُ منهم لم يشهدوا المعركةَ فِعلاً لِعلّةٍ ، فضَرَبَ لهم رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- بسهامهم ، ومنهم عثمان بن عفّان خلّفه رسولُ اللّه -صلى الله عليه وسلم- على امرأته رُقَيَّةَ بنتِ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، كانت مريضةً فأقام عليها حتّى ماتت ، وأبو لُبابةَ بنِ عبدِ المنذر ، خلّفه على المدينة . ينظر : السيرة النبوية لابن هشام ، ٧٤٦/٢ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -القاهرة) .

(٥) أي : يصيح ويستغيث بالله بالدعاء ، شرح النووي على صحيح مسلم ، ٨٤/١٢ .

(٦) في بعض الروايات : "كفاك" وفي رواية "حسبك" ، قال النووي في شرحه على صحيح مسلم ٨٥/١٢ : كلٌّ بمعنًى .

(٧) المناشدة : السؤال ، مأخوذة من النشيد ، وهو رفع الصوت . شرح النووي ، ٨٥/١٢ .

(٨) سورة الأنفال ، الآية : ٩ .

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسّير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، صحيح مسلم ، ١٣٨٣/٣ - ١٣٨٤ ، رقم ١٧٦٣ .

واستغاثوه، وأخلصوا له، وتضرّعوا إليه -تعالى-، حين رأوا قِلّتهم وضعف استعدادهم أمام جيش المشركين، الكثير العددِ، القويّ الاستعدادِ، وقارب التقاؤهم بهم، بل استجاب لهم وأمدّهم بألفٍ من الملائكة مردفين من عنده-تعالى-.

ثمّ بيّن-تعالى- أنّ إمداد المؤمنين بإنزال الملائكة بشارةٌ تؤثّر في القلوب، فتزيد في قوّتها فقال-تعالى-: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: هذا الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ أي: إلّا بشارة لكم بأنّكم غالبون منتصرون ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: ولتسكن قلوبكم، فيزول ما بها من الخوف والاضطراب لقلّة عددكم وعُددكم ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ أي: وما النصر في الحقيقة إلّا من عند الله-تعالى-، وليس النصر بالملائكة أوغيرهم إلّا كائن من عند الله تعالى وحده، لأنّ الوسائلَ مهما عظُمت، والأسباب مهما كثُرت، لا تؤدّي إلى النتيجة المطلوبة والغاية المرجوّة، إلّا بنصر من الله-عز وجل-وقدرته.

ثمّ ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: غالب لايقهره شيء، ولاينازَع في حكمه، لأنّه-تعالى-هو الخالق لكلّ شيء، والقادر على كلّ شيء، حكيم في أفعاله، وفي تقدير الأمور بأسبابها، ولايُسأل عمّا يفعل.

والجملة تذييل قُصِد به التعليل لِما قبلَه، وفيه إشعار بأنّ النصر الواقعَ على الوجه المذكور من مقتضيات عزّة الله-تعالى-وحكمته، فلا غرابةَ من كون النصر له-تعالى- على الإطلاق، لأنّه-تعالى-عزيز مطلَق لايغلَب على أمرٍ أراده، ولامراجعةَ في فعله-تعالى-وتدبيره لأنه-تعالى-حكيم يضع الأشياء مواضعها، ومن حكمته تعالى-أنّه لم يحقّق النصرَ للمسلمين إلّا بإيجاد الأسباب حيث دبّر نصرهم على أعدائهم بأنْ شرع قِتالَ الكفّار بأيدي المؤمنين مع أنّه-تعالى- قادر على دَمارهم وإهلاكهم بِحوله وقوّته-سبحانه-، وبذلك تكون عزّةُ اللّه-تعالى- وقوّتُه في إطار حكمته.

لما ذكّر الله-سبحانه وتعالى-المؤمنين بما غمَرهم مِن فضلٍ، وأسبغ عليهم من نعمةٍ عندما نصرهم في غزوة بدر، وأمدّهم بجنود من عنده، وأيّدهم بملائكته من لدنه، قال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١) حيث جعل صفتي العزّة والحكمة لله-عز وجل- في صيغة الخبر المؤكد. وقال-تعالى- في مكان آخر في الغزوة نفسها: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٢) حيث ورد فيها هاتان الصفتان دون تأكيد بل جاءتا في صيغة النعت.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٠

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦

السبب في ذلك [١] أنّ القصد في الآيتين إعلام المخاطبين أنّ النصر لم يكن من قِبل الملائكة، ولا مِن جهة العَدد والعُدّة، وفضلِ القوة، ولكنّه من عند القادر الذي لا يغلَب ولا يُمنَع عمّا يريد فِعلَه، والحكيم الذي يضع النصر في موضعه

والآية التي في سورة الأنفال [٢] إنّما هي في قصّة يوم بدر، وبيّن الله - تعالى - ذلك فيه بجملة مستأنفة، وهي كالعلّة لِكون النصر من الله - تعالى -، فكأنه قال: النصر ليس إلّا من عند الله العزيز الذي لا يمنعه أحد عمّا يريد فِعلَه، والحكيم الذي يضع كلّ شيء في موضعه. ففصّل ذلك في خبرين، الأول ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ والثاني ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وذلك على أصل الواجب في توفية كلِّ معنًى حقّه مِن البيان.

وأمّا الآية الثانية [٣]: فقد جاءت في سورة آل عمران في خلال أحداث غزوة أُحُد تذكيرا للمسلمين بِنعم اللّه - تعالى - عليهم يومَ بدر، ولمّا كان البيانُ الكامل لهذا اليوم الأوّل - وهو يومُ بدرٍ - جاء في خبرين في الآية السابقة [٢] اقتصر في هذا اليوم - يوم أحد - على خبر واحد فقط، اختصارا للمعنى عن البسط، واعتمادا على ما فُصّل في الخبر الأول، فكان الاقتصار - في يوم أحد - على أَحَدِ الخبرين - وهو الثاني - أليقُ وأجملُ. والله أعلم بالصواب.

---

(١) ينظر: درّة التنزيل وغرّة التأويل، للإسكافي، ص ٧٢، ومِلاك التأويل للغرناطي، ١/ ١٧١ والفاصلة القرآنية، للدكتور عبد الفتاح لاشين، ص ١٤٤-١٤٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٠

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦

النــص :

قــال اللــه تــعــالـى :

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾(١)

بيان غريب النــص :

ليبلي :لينعم، من البلاء بمعنى الإنعام(٢).

قال في النهاية: (الإبلاء: الإنعام و الإحسان)(٣).

سميع : اسم من أسماء الله -تعالى الحسنى ،وقد تقدّم معناه(٤).

عليم :اسم من أسماء الله -تعالى-الحسنى، وقد تقدّم معناه(٥).

معنى النــص ومناسبة اسميه تعالــى " سميع عليم" عَقِبه :

لمّا امتنّ الله -تعالى- على المؤمنين بنصرهم يومَ بدر، هذا النصرَ الأكبرَ الذي كان فيه عزةٌ للإسلام ومجدٌ للمؤمنين، وقد كان هذا النصرُ في حدّ ذاته نعمةً منه -تعالى- بيّن لهم أنّ ماحدث يومَ بدر عطاءٌ ومِنّة من فضله -تعالى- ليزدادوا شكرا له وطاعة لأمره فقال -تعالى-:﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ الفاء جواب شرط محذوف، أي: إذا كان اللّه -تعالى- قد أمدّكم -أيها المؤمنون- بأسباب النصر، من إنزالِ الملائكة لتأييدكم، وإنزالِ المطر عليكم، وغيرِ ذلك، فلم تقتلوا-أنتم-المشركين في بدر بقوّتكم وقدرتكم ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾(٦)لأنّه تعالى أقدركم وأعانكم عليهم بما تقدّم ذِكرُه، ولولاه ما قتل

(١)سورة الأنفال، الآية : ١٧ .

(٢)لسان العرب، مادة (بلي)، ٨٤/١٤، وانظر: بصائر ذوي التمييز، ٢٧٤/٢ .

(٣)النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ١/ ١٥٥ .

(٤)ينظر: من هذا البحث، ص:٣٢.

(٥)ينظر: من هذا البحث، ص:٣٣.

(٦)أضاف الله -تعالى- قتلهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين الذين قاتلوا المشركين لأن الله -تعالى- هو مسبِّب قتلهم، وكذلك إضافة الرمي إلى نفسه تعالى- لأنّه -تعالى- هو المسبِّب لوصوله. وفي ذلك دليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله -تعالى- في أفعال خلقه صنعٌ. ينظر: تفسير الطبري، ٢٠٤/٩ .

أحدٌ منكم ، وفي هذا بيان للمؤمنين ليعرفوا هذا ، حتى لا يخطُر ببالهم أنّهم هم المقاتلون وحدهم ، وبعد أن خاطب الله - تعالى - المؤمنين ، خاطب نبيَّه - صلى الله عليه وسلم - فقال ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ - أي : لستَ - يا رسول الله صلى الله عليه وسلم - بقوّتك - حينَ رميتَ الترابَ - أوصلته إلى أعين المشركين ، وإنّما أوصله إليهم هو اللّه - سبحانه وتعالى - بقوته وقدرته (١) ، وذلك كما روى عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لعليّ رضي الله عنه - " نَاوِلْنِي كَفًّا مِن حَصًى ، فَنَاوَلَهُ ، فَرَمَى بِهِ وُجُوهَ الْقَوْمِ ، فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا امْتَلَأَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحَصْبَاءِ ، فنزلت (٢) : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ - وفي ذلك إشارة إلى أنّ ما حصل في المعركة من الهزيمة والقتل والنصرة مضاف إليه - سبحانه - ، ثمّ ذكر - تعالى - بعضَ وجوهِ حكمته - سبحانه - في خذلان الكافرين ونصر المؤمنين فقال ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ﴾ - واللام للتعليل متعلّقة بمحذوف مؤخّرٍ ، أي : وإنّما فعل اللهُ - تعالى - ذلك كلّه من قتلِ المشركين ، ورميهم لِيُحسِنَ - سبحانه - إلى عباده المؤمنين ، ويُنعِمَ عليهم بالنّصر والغنائم ، أو لِيمتحنَهم ويُوصِّلَهم بالجهاد إلى أعلى الدرجات ، ويُعطِيَهم أجرا حسنا ، وثوابا جزيلا ، وإلاّ فاللّهُ - تعالى - قادر على تحقيق النّصر للمؤمنين من دون مباشرة قتال .

ثم ختم الآية بتذييل قُصِد به الحَضّ على طاعة الله - تعالى - والشكرِ له ، والتحذيرُ من معصيته والكفرِ بنعمته ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ - أي : سميع لأقوالكم ودعائكم ، عليم بأحوال قلوبكم من النيات الصالحة وضدها .

والله - سبحانه - بمقتضى هذين الاسمين الكريمين أبلى المؤمنين بلاء حسنا ، فقد سمع - تعالى - دعاء المؤمنين ، واستغاثتهم به ، وعلم صدقهم وإخلاصهم ، فقَبِل دعاءَهم ونَصَرَهم . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : مدارج السالكين لابن القيم ، ٤٤٤/٣ ، وتفسير ابن القيّم ، ص : ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ، ٨٤/٦ ، وقال : أخرجه الطبراني ، رجاله رجال الصحيح . وانظر : تفسير الطبري ، ٢٠٥/٩ ، وتفسير الماوردي ، ٩٠/٢ ، وتفسير ابن الجوزي ، ٣٣٣/٣ ، وتفسير ابن كثير ، ٣٠٧/٢ ، و زاد المعاد لابن القيم ، ١٨٢/٣ .

النـص :

قـال الله تـعـالى : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ (١)

بـيـان غريب النـص :

فتنة : الفتنة مصدر "فتن" وهي إدخال الذهب والفضة النارَ، لِتُختَبَرا، وتَظهرجودتُهما مِن رَداءتهما (٢).

ثم استعملت في كلّ اختبار و امتحان وابتلاء (٣).

والمراد بها في الآية : الشرك (٤).

بصير : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه (٥).

معنى النص و مناسبة اسمه تعالى "بصير" عَقِبه :

في هذا النص الكريم يأمر الله -تعالى- المؤمنين بقتال الكافرين إن استمروا في كفرهم وطغيانهم فقال:﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾أي: لا يوجد شرك، ولا يُعبَدَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له، ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾فيزول في الأرض كلُّ دينٍ باطلٍ، ولا يبقى فيها إلاّ دينُ الإسلام وحدَه، وهذا هو المقصود من القتال لقوله -صلى الله عليه وسلم-: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكَاةَ. فَإِذَا فَعَلُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهم وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ" (٦)الحديث. ولمّا كان قتال الكفار غايةً لِأَنْ يَدخلوا في الدين، ويتركوا سوى الإسلام، قال تعالى﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ ﴾عن الكفر بالتوبة والإيمان ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فيجازيهم على انتهائهم وإسلامهم، لأنّه تعالى يُبصر الكفّارَ وأعمالَهم، ولا يخفى عليه شيء مما يعملونه من ترك الكفر، والدخول في الإسلام.

وفي ختم الآية باسمه تعالى ﴿بصير﴾ وعدٌ للذين يرجعون عن الكفر، ويكفّون عن قتال المؤمنين، ووعيد لغيرهم ممن يستمر على الكفر ولا يكف عن القتال، لأنّه تعالى بصير بالعباد وأعمالهم. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) سورة الأنفال، الآية : ٣٩.

(٢) المفردات للراغب، ص: ٣٧١، وبصائر ذوي التمييز، ١٦٧/٤.

(٣) لسان العرب، مادة (فتن)، ٣١٧/١٣.

(٤) قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- والحسن، انظر تفسير الطبري، ٢٤٨/٩.

(٥) ينظر: من هذا البحث، ص: ٣٠.

(٦) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، كتاب الإيمان، باب﴿فإن تابوا وأقاموا الصلوٰة وءاتوا الزكوٰة فخلّوا سبيلهم ..﴾، ٧٥/١، رقم ٢٥. و صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، ٥٣/١، رقم ٢٢.

النـــص:

قـال اللـه تعالـى : ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾[١]

بيـان غريب النـــص :

تولوا : أعرضوا ،قال في القاموس :(تولّى الشيء ،وعنه : أعرض أو نأى)[٢].

المولى : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ،وقد تقدّم معناه[٣].

النصير : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ،وقد تقدّم معناه[٤].

معنى النـص ومناسبة " نعم المولى ونعم النصير " عَقِبه :

بين الله -عز وجل- في هذا النص الكريم حالة الكفار التي هي مقابل انتهائهم عن الكفر وقِتال المسلمين فقال ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾- أي: أعرَضوا عن الإيمان ولم ينتهوا عمّاهم عليه من الكفر والقتال ،بل أصرّوا على قتالكم -أيها المؤمنون- وإيذائكم ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾- أي: معينكم وناصركم ، ومتولّي أموركم ،فثِقوا - يا معشرَ المؤمنين- بولايته -تعالى- ونصرته ، ولا تبالوا بهم فقاتِلوهم واثقين بنصر الله -عز وجل- لكم . وفي ذلك تطمين لقلوب المؤمنين ،حيث إنّ إعراض المشركين عن الإيمان ،واستمرارَهم على الكفر وقتال المؤمنين لا يضرّ أهلَ الإيمان ،لأنّه -تعالى- وليّهم الذي يحفظهم،ويدفع ضررهم عنهم ، ويعينهم عليهم .

ولمّا كانت ولاية الله -تعالى- للمؤمنين وعْداً صريحا بالظفر والنصر ، خُتمت الآية بقوله -تعالى- ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾- أي:نعم المولى اللهُ -جل جلاله- لمن تولاّه ،لأنّه -تعالى- لا يضيّع مَن تولّى أمره ،ونعم النصير لمن نصره ،لأنّ مَن ينصره لايُهزَم ولا يغلَب ،قال -تعالى- ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ...﴾[٥].

والجملة مستأنفة بمنزلة التذييل[٦]،والمقصود منها الثناء على الله -عز وجل- وهي إمّا أن تكون -في هذا الختام- تلقينا من الله -تعالى- للمؤمنين ،يؤدّون بها الشكر لله -عز وجل- والحمد والثناء عليه -تعالى- ، إزاءَ بشارةٍ من الله -تعالى- لهم بالنصر والتأييد ،وإمّا أن تكون مقولة للمؤمنين قالوها عندما سمعوا قوله -تعالى- ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ . والله -تعالى- أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٤٠ .

(٢) القاموس المحيط ،ص:١٧٣٢ .مادة (ولي).

(٣) ينظر من هذا البحث ،ص: ٣٨.

(٤) ينظر من هذا البحث ،ص: ٣٨.

(٥) سورة آل عمران ،من الآية : ١٦٠ .

(٦) التحرير و التنوير لابن عاشور ، ٣٤٨/٩ .

النــص :

قــال اللــه تــعالــى :

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن
كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ
يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ (١)

بـيـان غريب النـص :

غنمتم : من الـغُنم ، وهو الـفوز ، يقال :غَنِم - من باب فرح- غُنْما - بضم الـغين وفتحها وبالتحريك- و غنيمة وغُنمانا -بالضم- :إذا فاز بالشيء وظفر به (٢).

والمراد بقوله تعالى ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ :الغنيمة(٣)،وهي ماأُخذ من أموال الكفار بالقتال ، أو إيجاف(٤) الخيل والرِّكاب (٥).وأما ماأخذ منها بغير قتال ولا إيجاف خيلٍ و ركابٍ ، فهو الفيْء كالخراج والجزية (٦).

يومَ الفُرقان : يوم بدر، وهو السابع عشر من رمضانَ من السنة الثانية من الهجرة.

سُمِّي يومَ الفرقان ، لأنّ الله -تعالى- فرّق به بين الحق و الباطل .

الجَمعان : هما جمع المؤمنين وجمع الكفّار ببدر .

قدير : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٧).

---

(١) سورة الأنفال ،الآية : ٤١ .

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب ،ص:٣٦٦،والقاموس المحيط،مادة (غنـــم)، ص:١٤٧٦،و لسان العرب ، مادة (غنم) ، ٤٤٥/١٢ .

(٣) ذكر القرطبي في تفسيره ، ١/٨،الاتفاق على ذلك .

(٤) الإيجاف :سرعة السير ، يقال : أوجف دابته : إذا حثّها على السير. ينظر : لسان العرب مادة (جوف) ، ٣٥٢/٩ .

(٥) الرِّكاب :الإبل ،كما في النهاية لابن الأثير ، ٢٥٦/٢،ولسان العرب ،مادة (ركب)، ٤٣٠/١.

(٦) ينظر : أحكام القرآن لابن العربي ، ٨٥٥/٢،وأحكام القرآن للقرطبي ، ١/٨ - ٢،والنهاية في غريب الحديث ، ٣٨٩/٣،ولسان العرب ، ٤٤٦/١٢ .

(٧) ينظر : من هذا البحث ،ص : ٣٤ .

معنى النص و مناسبة اسمه تعالى "قدير" عَقِبه :

لمّا ذكر الله -عز وجل- في أوّل السورة حكْم تقسيم الغنائم حيث قال -تعالى- ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأنفَالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ ...﴾[1]، بيّن مصارفَ الغنائمِ التي يأخذها المؤمنون من أموال الكفار فقال ﴿وَاعْلَمُوا﴾ أيّها المؤمنون ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: أنّ ما أخذتموه من أموال الكفّار المحاربين، على وجه الغلبة و القهر في الحرب، قليلا كان أو كثيرا، حتّى الخيط والمِخْيَط ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ فالحكم أنّ لله خُمُسَهُ، وليس المراد أنّ للّه -تعالى- سهمًا منه، لأنّ الدنيا و الآخرة كلّها للّه -تعالى- وإنّما المراد من إضافة الخُمُس للّه -تعالى-، بيانُ أنّه -تعالى- هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء[2]، وأنّه لا بدّ من تعظيم حقّ الجهات التالية في الخمس ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ هكذا كان الخمس يقسّم في عهد رسولِ اللّه -صلى الله عليه وسلم- يقسّم على خمسةِ أسهُم، توزّع على هذه الجهات الخَمْس: السّهمُ الأوّل لرسول اللّه -صلى الله عليه وسلم- و أمّا بعد وفاته -عليه الصلاة والسلام- فقد سقط سهمُه، والسّهمُ الثاني لذي القربى، وهم أقارب النبيّ -صلى الله عليه وسلم- من بني هاشم، وبني المطّلب[3]، والسّهمُ الثالث لليتامى، وهم أطفال المسلمين الذين فَقَدوا آباءَهم، وهم صغار، جعل الله -تعالى- هذا السّهمَ لهم رحمةً بهم، لأنّهم عاجزون عن القيام بمصالحهم، والسّهمُ الرابع للمساكين، وهم أصحاب الحاجة من المسلمين، والسهمُ الخامس لابن السبيل، وهو المسافر البعيد عن ماله و بلده بشرطِ أَنْ يكون سفرُهُ في غير معصية، والباقي يوزّع على الغانمين الّذين أضيفت الغنيمةُ إليهم، حيث يقسّم هذا الباقي على ما قسّمه رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-[4].

---

(١) سورة الأنفال، من الآية: ١، والأنفال جمع نفل، والمراد به في الآية: الغنيمة، سميت بها لأنّها من فضل الله -تعالى- وعطائه.

(٢) ينظر: تفسير الخازن، ٣٣/٣.

(٣) ينظر: روح المعاني للآلوسي، ٣/١٠.

(٤) قد اختلف العلماء في قسمة الأربعة الأخماس التي يستحقّها المقاتلون، فذهب بعضهم كالإمام أبي حنيفة إلى أن سهما للراجل، وسهمين للفارس، وبه قال ابن العربي في أحكام القرآن، ٨٦٢/٣، و ذلك لكثرة العناء وعِظَم المنفعة...

وقال آخرون و هو رأي ابن عمر -رضي الله عنهما-: للفارس ثلاثة أسهم: سهم له وسهمان لفرسه، وللراجل سهم. فإليه ذهب ابن القيم في زاد المعاد، ١٠١/٣، وقال: هذا هو الصحيح الثابت. و قول ابن عمر مخرّج في الصحيحين، ينظر: صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، ٦٧/٦، رقم ٢٨٦٣، كتاب الجهاد، باب سهام الفرس، وصحيح مسلم ١٣٧٣/٤، رقم ١٧٦٢، كتاب الجهاد والسِّير، باب كيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين.

وانظر للتوسع في هذه المسألة: أحكام القرآن للجصاص، ٥٨/٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٤/٨-١٥.

ثمّ أكّد الله -سبحانه وتعالى- قِسمة الغنائم على هذا النحو بقوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ وهو يومُ بدر الذي جعله اللّهتعالى فرقانا بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ من المؤمنين والكافرين، والمعنى: إن كنتم آمنتم باللّه-تعالى- حقّ الإيمان، وآمنتم بالحق الذي أنزله(١) الله-تعالى-على رسوله-صلى الله عليه وسلم-يومّ بدر، فاعمَلوا(٢) بما علمتم، وارضوا بهذه القسمة بأنيكونَ خُمُسُ الغنيمة للّه وللرسول وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وأربعةُ أخماسها للمقاتلين.

ثمّ أخبر الله-تعالى- في ختام هذه الآية عن نفسه الكريمة بالقدرة على كلّ شيء فقال ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لِيَعلم المؤمنون أنّ نصرهم على أعدائهم يومَ بدر، ما كان يمكن تحقيقه إلّا بمعونة الله-تعالى- الذي هو على كلّ شيء قدير، فقد كانوا قليلي العدد، ولم تكن معهم أسلحة كافية، كما أنّهم لم يَقصدوا القتالَ في خروجهم من المدينة إلى بدر، بل كان قصدهم أخْذَ العير.

وجملة ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تذييل قصِد به بيانُ ما أصابه المؤمنون يومَ بدر من غنيمة ونصر، إنما هو بقدرة الله-تعالى- التي لا يعجزها شيء. وفي ذلك تحذير للمؤمنين من أن يَنسبوا إلى أنفسهم الغلبةَ والنصر والظفر على أعدائهم، ثمّ لا يرضَوْا بحكم الله-تعالى- في الغنائم، فيأخذوا كلّها، ولاينبغي أن يتنازعوا في الغنائم تنازُعَ مَنْ أخذها بقوته وحازها بقدرته، لأنّ الذي مكّنهم من الغلبة على الأعداء، ونصرهم على قلّتهم. هو اللهُ-سبحانه وتعالى-القادرُ على كلّ شيء، الذي يقدر على نصر القليل على الكثير، لا يمتنع عليه شيءٌ أراده، وكان ختمُ الآية باسمه -تعالى- "قدير" كاشفا للسرّ ومُزيلا لِمحلّ عجبٍ مِن أنّ ما حدث يومَ الفرقان مِن إنزال الملائكة وغيره مما شهده المؤمنون المقاتلون كان من آثار قدرة الله-تعالى-، فلا غرابة في ذلك(٣). والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) وذلك يتناول ما نزل من آيات قرآنية، كما يتناول نزول الملائكة وغير ذلك مما أيّد الله-تعالى- به المؤمنين في بدر.

(٢) جواب الشرط.

(٣) ينظر: نظم الدرر للبقاعي، ١٠/٢٨٤-٢٨٥، بالتصرف.

النـص :

قال اللـه تعالـى : ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾(١)

بيان غريب النص :

العدوة : شاطئ الوادي وجانبه (٢).

الدنيا : مؤنث الأدنى ، وهو الأقرب .والمراد بها هنا : ممّا يلي المدينة (٣).

القصوى : مؤنث الأقصى ، وهو الأبعد ، والمراد بها هنا : ممّا يلي مكـة (٣).

الرّكب : جمع راكب ، قال في الصحاح : (الرّكب : أصحاب الإبل في السفر ، دون الدواب ، وهم العشرة فمافوقها) (٤).

والمراد بالركّب في النص : عِير قريشٍ الراجعون من الشام ، وهم أبو سفيان وأصحابه (٣).

تواعدتم : قال في الصحاح : (تواعد القوم ، أي : وعد بعضهم بعضا) (٥).

الميعاد : الوعد ، أو زمان الوعد ، أو مكانه . والآية تحتمل الثلاثة .

قال في الصحاح : (الميعاد : المواعدة ، والوقت ، و الموضِع ، وكذلك الموعد) (٥).

ليهلك : ليموت ، مِن هلك - من باب ضرب - هلاكا و مهلكا : مات وفنى (٦).

لَسميع : اللام للتأكيد ، و " سميع " اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٧).

عليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٨).

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٤٢.

(٢) ينظر : معاني القرآن للفراء ، ٤١١/١ ، وتفسير القرطبي ، ٢١/٨ ، ولسان العرب ، مادة (عدا).

(٣) ينظر : معاني القرآن للفراء ، ٤١١/١ ، وتفسير القرطبي ، ٢١/٨

(٤) الصحاح للجوهري ، مادة (ركب) ، ١٣٨/١ .

(٥) المرجع السابق ، مادة (وعد) ، ٥٥٢/٢ .

(٦) لسان العرب ، مادة (هلك) ، ٥٠٣/١٠ .

(٧) ينظر : من هذا البحث ، ص: ٣٢ .

(٨) ينظر : من هذا البحث ، ص: ٣٣ .

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " سميع عليم " عَقِبه :

لمّا علّم الله -سبحانه وتعالى- في الآية المتقدمة[١] - عبادَه المؤمنين كيفيّة قَسْم الغنائم وتوزيعها وبيان المستحقّين لها ، ذكَرَ بعض الأسباب التي مهّدها -تعالى- لانتصار المسلمين على المشركين نعمةً عليهم في موقعة بدر . حيث قال -تعالى- ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ ﴾ أي : أذكروا نعمة الله عليكم -معشرَ المؤمنين- يوم بدر ، إذ كنتم بناحية الوادي القريبة من المدينة ، وأعداؤكم بناحية الوادي البعيدة عن المدينة ممّا يلي مكة ﴿ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ أي : وكانت العير التي فيها أبو سفيان وأصحابه -والتي خرجتم أيها المؤمنون لطلبها ، وأراد الله -تعالى- غيرَه- في موضع أسفلَ من الموضع الذي نزلتم فيه ممّا يلي ساحلَ البحر الأحمر ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾ أي : ولو تواعدتم أنتم والمشركون على القتال هنالك ، ثم عَلِمتم حالَكم من ضعفٍ وقلّة ، وحالَهم من قوة وكثرة ، لاختلفتم أنتم في الميعاد هيبة منهم ، ويأسا من الظفر عليهم ﴿ وَلَٰكِن ﴾ اللهُ -تعالى- بتدبيره الخفيّ دفع بكم إلى لقاء العدوّ ، وجمع بينكم للقتال على غير ميعاد ﴿ لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ أي : أمرا ثابتا مقدّرًا في الأزل ، كان لابدّ من وقوعه ، وهو نصرُكم أيّها المؤمنون وإعزاز دينكم ، وخذلان المشركين وإذلال حزبهم . وإنما فعل الله -عز وجل- ذلك ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ أي : ليموت مَن يموت عن حجة عاينها ﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ أي : ليعيش مَن يعيش عن حجة شاهدها ، وهي نصر الله -تعالى- أولياءَه ، وخذلانه -تعالى- الشركَ وأهلَه ، فلا يبقى محلّ للتعلّل بالأعذار[٢] ، إذ أنّ وقعة بدر من الآيات الواضحة على إعزاز الإسلام .

ولمّا صوّر الله -عز وجل- في هذا النص الكريم حالة المؤمنين يومَ بدر ، تذكيرا لهم بالنّعم العظيمة التي مَنَحَهم بها في ذلك اليوم ، خَتم الآية بقوله -تعالى- ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ وهو تذييل فيه بيان السبب لِتحقّق ذلك النصر الخارِق للعادة ، الذي أسبابُه غير عادية ، إذ أنّه -تعالى- سمع دعاءَهم وتضرُّعَهم واستغاثتَهم به ، وعَلِم حالَهم وأنّهم يستحقّون النصر على أعدائهم ، فأجاب لهم ، ونَصَرَهم على أعدائهم ، وفي ذلك حثّ على التقوى في المنطِق وفي الإعتقاد .

ومن ناحية أخرى ، لمّا كان تذكير المؤمنين بهذه النّعم التي شاهدوها ، يوجب الشكر عليهم ، ناسب ذلك[٣] الإخبارُ عن الله -تعالى- باسميه ﴿ سميع عليم ﴾ ، لأنّ الشكر يشمل الثناءَ والاعتراف بالجميل باللسان والقلب ، حيث إنّه -تعالى- يسمع ما ينطقونه من شكر ، ويعلم اعتقادهم فيه ، فيجازيهم عليه . وفي ذلك ترغيب في الشكر ، وترهيب عن ضده . والله -تعالى- أعلم بالصواب .

---

(١) هي الآية التي تقدّم تفسيرها آنفا .

(٢) ينظر : تفسير الطبري ، ١٢/١٠ ، وتفسير الآلوسي ، ٧/١٠ ، وقيل : يجوز أن يراد بالحياة : الإيمان وبالموت : الكفر . وإليه ذهب محمد بن اسحاق في معنى الآية .

(٣) اسم الإشارة راجع إلى " تذكير " .

النـــص :

قـال اللـه تعالى : ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾[١]

بيـان غريب النــص :

منامك : نومك، و المنام مصدر ميمي .

لَفشِلتم : لفزعتم وجبنتم و ضعفتم .

قال في اللسان : (الفشل : الفزع و الجبن و الضعف)[٢].

لَتنازعتم : اللام للتأكيد، أي : لتخاصمتم، وفي الصحاح : (التنازع : التخاصم)[٣].

سلّم : نجّاكم، قال في الصحاح : (سَلِم فلان من الآفات سلامة، وسلّمه الله -سبحانه- منها)[٤].

علِيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه[٥].

معنى النــص ومناسبة اسمه تعالـى " علـيـم " عَقِبـه :

إنّ هذا النص ذكر كسابقه بعض الأسباب التي دبّرها الله -سبحانه- في إنجاز نصر المؤمنين على المشركين في ذلك اللقاء، حيث قال تعالى ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ أي : اذكر يا رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- فضْلَ اللهِ -تعالى- عليك وعلى أصحابك، وقتَ أن أراك المشركين في منامك قليلا دون حقيقتهم، فأدركتَ بذلك قِلّة شأنهم عند الله -تعالى-، وأخبرتَ أصحابك رؤياك، فاطمأنّت قلوبُهم وقوِيت عزائمهم، وكان ذلك تثبيتا لهم و تشجيعا على عدوّهم ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ﴾ أي : ولو أراكهم ربُّك كثيرا على واقع أمرهم، فأخبرتَ ذلك أصحابَك لانحلّت عزائمهم، و فترت همتهم، وجبنوا، وخافوا الإقدام عليهم ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾- أي : وتخاصمتم واختلفتم فيما بينكم، وتفرّقت آراؤكم في أمر القتال، فمنكم مَن يرى قتال

---

(١) سورة الأنفال، الآية : ٤٣ .
(٢) لسان العرب، مادة (فشل)، ١١/٥٢٠ .
(٣) الصحاح للجوهري، مادة (نزع)، ٣/ ١٢٨٩ .
(٤) المرجع السبق، مادة (سلم)، ٥/١٩٥٢ .
(٥) ينظر : من هذا البحث، ص : ٣٣.

المشركين، ومنكم من لا يرى ذلك، والتنازعُ ممّا يوجب الضعف و الهزيمة ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ أي: ولكن الله - تعالى - بفضله وإحسانه أنعم عليكم بالسلامة من الفشل والتنازع وتفرّقِ الآراء في شأن القتال، حيث ربط على قلوبكم ورزقكم الجُرْأةَ على أعدائكم، بعد رؤيا نبيّكم - صلى الله عليه وسلم - ، التي بشّركم بها ، وهكذا يصنع الله - عز وجل - لأوليائه ، فَيُمَكِّنُ لهم مِن أسباب النصر، نعمة عليهم ولطفا بهم .

ثمّ ختم الله - تعالى - الآية بقوله ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: إنّ الله - تعالى - الذي له الإحاطة الكاملة بكلّ شيء يعلم ما في القلوب من الجراءة والجبن ومن الصبر والجزع (١). فلِعلمه تعالى بِقلّة عدد المسلمين - يومَ بدر - ، وضعفِ قوّتهم، وما تجري في نفوسهم - لو عَرَفوا كثرة عدوّهم - مِن خوفٍ عن المواجهة ، وتنازعٍ في الإقدام أو الإحجام ، أَوْحَى - تعالى - إلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - بطريق الرؤيا أنّ الأعداء قليلون ، تثبيتا لقلوب المؤمنين المقاتلين ، وتمكينا لهم من رقاب أعدائهم ، لأنّ اعتقاد قلّة العدوّ يثير في النفوس إقداما واطمئنانَ بالٍ .

والجملة تذييل يفيد التعليل لما سبق في الآية، أي: فعل الله - تعالى - ذلك كلّه من إراءة الكفار قليلا ، ومن نجاة المؤمنين من الفشل والتنازع اللّذين يتسببان في الهزيمة ، لأنّه عليم بذات الصدور ، أي: لأن الله - تعالى - دبّر تلك الرؤيا لعلمه بما انطوت عليه صدور المؤمنين من الضعف والخوف ، لِيَثْبُتُوا ولا يجزعوا . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي ، ١٦٩/١٥ ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ، ٢٤/٤ .

النـــص :

قـال اللـه تعالــى : وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾[١]

بيان غريب النـــص :

بطرا : قال الراغب : (البطَر : دهش يعتري الإنسان مِن سوء احتمال النّعمة وقلّة القيام بحقّها وصرفها إلى غير وجهها)[٢]. وذلك تكبّر وطغيان[٣].

وهومصدر بطِر -من باب فرِح- في موضع الحال، أي : بَطِرِين .

رِئاء : قال في اللسان : (راءيتُ الرجلَ مراآةً ورياء : أريتُه أني على خلاف ما أنا عليه والاسم : الرياء ، يقال : فعل ذلك رياء وسمعة)[٤].

والرئاء على وزن فِعال ، والهمزة الأولى أصلية ، والأخيرة مبدّلة عن الياء بعد الألف الزائدة ، ويقال : رياء -بياء بعد الراء- على إبطال الهمزة بعد الكسرة.

وفي تفسير ابن عطية معناها : المباهاة و التصنّع[٥].

يصدّون : يمنعون ، قال في الصحاح : (صدّه عن الأمر صدّا : منعه وصرفه عنه)[٦].

محيط : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه[٧].

معنى النـــص ومناسبة اسمه تـعـالـى " محـيـط " عَقِبه :

نهى الله -عز وجل- في هذا النص الكريم المؤمنين عن التشبّه بالمشركين في اتّصافهم بخصال نميمة فقال ﴿ **وَلَا تَكُونُوا** ﴾ أيّها المؤمنون ﴿ **كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ بَطَرًا وَرِئَآءَ النَّاسِ** ﴾ أي : مثل أولئك الكفار الذين خرجوا من مكة ، يومَ بدر لحماية العير المُقبلة من الشام التي يترأّسها أبو سفيان ، ومعهم القِيان[٨].

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٤٧

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب ، ص : ٥٠ .

(٣) لسان العرب ، مادة (بطر) ، ٤/٦٨ - ٦٩ .

(٤) لسان العرب ، مادة (رأى) ، ١٤/٢٩٦ .

(٥) المحرّر الوجيز ، ٦/٣٣٢ .

(٦) الصحاح للجوهري ، مادة (صدد) ، ٢/٤٩٥ .

(٧) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٧ .

(٨) القيان : جمع القينة -بفتح القاف وسكون الياء- : المغنّية .

مفتخرين ومتكبّرين بما هم فيه من قوّة ونعمة لم يستحقّوها ، مرائين الناسَ بأعمالهم، طالبين ثناءهم عليهم بالقوّة والشجاعة ﴿ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي : و يمنعون الناس عن الدخول في الإسلام ، وكان هذا هو المقصودَ الأعظم لهم .

ولمّا حذّر الله -سبحانه- المؤمنين عن التشبّه بهؤلاء الكفار، ومِن أن يكونوا أمثالَهم في مقصِدهم الذي خرجوا من أجله، وكذلك حذّرهم من أن يكون الفخر والرياء سببين لِثباتهم عند لقاء العدوّ، ختم الآية بقوله ﴿ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ أي : والله -تعالى- محيط بكلّ شيء علما وقدرة وقهرا ، وهو -سبحانه وتعالى- أحاط علمُه بما يعمله هؤلاء المشركون ، من البطر والرياء والصدّ عن سبيل الله وغير ذلك من أفعالهم، فهم وأعمالُهم في عِلْمه -تعالى- وتحت قهره ، لا يفوته -سبحانه- شيء ، فيجازيهم على أعمالهم القبيحة (١).

وناسب ختمُ الآية باسمه -تعالى- ﴿ محيط ﴾ لأنّه -تعالى- بمقتضاه عَلِم أغراضَهم من البطر في الأرض ورئاء الناس والصدّ عن دين الله الحق ، فردّ كيدهم إلى نحورهم وسقاهم كأس المنون ، وأسمعهم أصوات النوائح ، ولم تغنهم مقاومتُهم للمسلمين فكانت إحاطتُه -تعالى- بما أبطنوه وعملوه أوّلا وآخِرا .

وفي ختم الآية باسمه -تعالى- ﴿ محيط ﴾ وعيد وتهديد لمن بقي من الكفّار على الأرض، لأنّهم وإن وقع عليهم العذاب في الدنيا بالقتل والأسر ولهم في الآخرة عذاب أليم لا نهايةَ له ، قال -تعالى- ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ (٢) و فيه أيضا تحذير المؤمنين من الاتصاف بالصفات الذميمة التي اتصف بها المشركون ، لأنّه -تعالى- محيط بكلّ صغيرة وكبيرة ، وسيجازي كلّا بما يستحقّه . والله -تعالى- أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ، ١٠/١٦-١٧، وتفسير الفخر الرازي ، ١٥/١٧٢ ، وتفسير أبي حيان، ٤/٥٠٤، وتفسير ابن كثير ، ٢/٣٢٩ .

(٢) سورة البروج ، الآية : ٢٠ .

النـــص :

قـال الله تـعـالـى : ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾(١)

بـيـان غريب النـــص :

غرّ : خدع ، يقال : غرّته الدنيا غرورا -من باب قعد- : خدعته بزينتها(٢).

عزيز : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه(٣).

حكيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه(٤).

مـغنى النـــص ومـنـاسبة اسميه تـعـالـى " عزيز حكيم " عَـقِـبـه :

يعرِض هذا النص الكريم موقفا من مواقف المنافقين ، والذين في قلوبهم مرض، يوم بدر ، اليومَ الذي كان الشيطان اللّعين يخدع المشركين بتزيين أعمالهم في معاداة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقتاله ، حيث قال تعالى- ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ ﴾ أي : اذكر يا رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- وقتَ أنْ قال الذين أظهروا الإيمان و أبطنوا الكفر من أهل المدينة من الأوس والخزرج ﴿ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي : شكٌ في الإيمان، وضعف فيه، وهم(٥) الذين تكلموا بالإسلام من قريش الذين كانوا قد أسلموا بمكة ولم يهاجروا لعدم قوة إسلامهم ، فأخرجهم المشركون يومَ بدر معهم كرها ، ولمّا رأوا قلّة المسلمين وكثرة الكفار قالوا ﴿ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾ أي : خدع هؤلاء المؤمنين الذين يريدون قِتال المشركين دينُهم ، حيث إنهم خَرجوا مع قلّة عَددهم و عُددهم لحرب قريش مع كثرتهم و قوتهم .

ولمّا أخبر الله -عز وجل- نبيّه -صلى الله عليه وسلم- قولة الموصوفين بالنفاق ومرضِ القلب ، رَدَّ عليهم فقال ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي : ومن يُسلِم أمرَه إلى اللّه -تعالى- ، ويثقْ به مؤمنا بأنّه ناصره ، ينصرْه -تعالى- على أعدائه ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ ﴾ الذي له الكمال المطلق ﴿ عَزِيزٌ ﴾ أي : غالب ، لا تغالِب قوتَه قوةٌ،

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٤٩ .

(٢) الصحاح للجوهري ، ٧٦٩/٢ ، والمصباح المنير ، ٤٤٥/٢ .

(٣) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٤) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٥) ينظر لأقوال أخرى : تفسير الطبري ، ٢٠/١٠ - ٢١ ، وتفسير الماوردي ، ١٠٨/٢ ، وتفسير ابن الجوزي ، ٣/ ٣٦٨ .

قويّ يسلّط القليلَ الضعيف على الكثير القويّ كما حدث في موقعة بدر حيث كان المؤمنون ثلاثمائة و بضعةَ عشر،انتصروا بنصرة الله -تعالى- على زُهاء ألف من الكفار، قال تعالى ﴿..فَإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [1]،وهو تعالى- كذلك ﴿حكيم﴾-فيما يدبّر من أمر خلقه،فبحكمته -تعالى- يوصل النصرَ و الثواب إلى أوليائه المؤمنين، والهزيمةَ والعقابَ إلى أعدائه الكافرين.

وفي هذا الخبر الصادر من الله-عز وجل- تعليل لخيبة ظنون الذين تقدّم وصفُهم حين رأوا عِناية الله -عز وجل- بالمؤمنين ، لأنّهم حين قالوا ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾- لم يعلموا أنّ الله -تعالى- القويَّ العزيز الغالب،قادرٌ بقوته وعزته أن يبعث القوة والعزة لمن توكّل عليه مهما كان عَدد العدوّ وعُددهم ،ولم يعلموا أيضا أنّ حكمته -تعالى- تقتضي نصر الحق على الباطل،وفي ذلك الخبر إشارة أيضا إلى أن عزة الله -تعالى- وحكمته كفيلتان بنصر مَن توكّل على الله -تعالى- والتجأ إليه ولو كانت العُدّةُ قليلة ، والقوةُ ضعيفة ،وفي ذلك حضّ المؤمنين على التوكل على الله -عز وجل- في كلّ أمر حياتهم [2]. والله -تعالى- أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الأنفال ،من الآية : ٦٦ .

(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي، ١٥/ ١٧٧ ،والبحر المحيط لأبي حيان، ٥٠٦/٤،والتحرير والتنوير لابن عاشور ، ١٠/ ٣٨ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾(١)

بيان غريب النص :

كدأب : الكاف للتشبيه، والجار و المجرور في موضع رفع، خبر لمبتدأ محذوف.

والدأب : الشأن والعادة التي يدأب عليها الإنسان ويعتادها(٢).

آل : أهل، قال الراغب : (الآل : مقلوب عن الأهل، ويصغّر على أُهَيْل، إلاّ أنّه خُصّ بالإضافة إلى أعلام الناطقين، يقال : آل الله، وآل السلطان ولا يقال آل الخيّاط والأهلُ يضاف إلى الكلّ، يقال : أهل الله، وأهل الخياط، كما يقال : أهل زمن و أهل بلد)(٣).

قويّ : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه(٤).

شديد العقاب : تقدّم معناه في سورة المائدة من هذا البحث(٥).

معنى النص ومناسبة " قويّ شديد العقاب " عَقِبه :

يذكر هذا النص الكريم سُنّةَ اللهِ -تعالى- المطّردة في جميع الأمم الكافرة، حيث قال -تعالى- ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي : شأن هؤلاء المشركين من قريش في إصرارهم على الكفر والعصيان، وتكذيبهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- كشأن آل فِرعون، والأمم التي كانت قبلهم(٦)، ثمّ بيّن -تعالى- دأبهم جميعا بقوله : ﴿كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي : فعاقبهم الله -تعالى- بسبب ذنوبهم وكفرِهم بالله -تعالى- وتكذيبِهم لرسله -عليهم الصلاة والسلام- بأن أهلكهم وأخذهم أخْذ عزيزٍ مقتدرٍ.

(١) سورة الأنفال، الآية : ٥٢ .

(٢) الصحاح للجوهري، مادة (دأب)، ١٢٣/١، و لسان العرب، مادة (دأب)، ٣٦٧/١، والعمدة في غريب القرآن، ص : ٩٦.

(٣) المفردات في غريب القرآن، ص : ٣٠، بتصرف يسير.

(٤) ينظر : من هذا البحث، ص : ٣٦.

(٥) ينظر، ص : ١١٤ - ١١٥.

(٦) مثل قوم نوح وقوم هود، و قوم صالح، و قوم لوط، و قوم شعيب، فقد أخذ الله -عز وجل- هؤلاء بسبب ذنوبهم التي منها : الكفر بالله -تعالى- وتكذيب الرسل -عليهم السلام-، و غير ذلك من المعاصي .

ثم ختمت الآية بقوله -تعالى- ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ وهو تذييل مقرّر لمضمون ما قبله من الأخذ الشديد والإهلاك بسبب الكفر والتكذيب، أي: إنّ الله -تعالى- ذو القوة والغلبة التامة، لا يغلبه غالب، ولا يدفع عقابه عن هؤلاء المستحقين دافع، شديد الأخذ، أليم العذاب لمن كفر بآياته وكذّب رسله، وخرج عن طاعته -تعالى-.

ولمّا كان هؤلاء قد استحقّوا أخذ الله -عز وجل- وإهلاكه لجرأتهم في إقدامهم على ما ذُكر من الكفر وغيره، بما رأوا لأنفسهم من القوة، جاء اسمه -تعالى- " قويّ " مناسبا لموقفهم، إظهارا لقوته -تعالى- على جميع القُوى ولا يفوته شيء، وهو -تعالى- قادر على ما يريد، ثم أعقبه بشديد العقاب بيانا لذلك الأخذ على حدّ قوله -تعالى-: ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾[1]، يشهد لشدة عقابه -تعالى- فعله بآل فرعون والذين من قبلهم عاد وثمود وقوم إبراهيم وغيرهم، وأخيرا فعله -تعالى- بكفّار قريش وأخذه إيّاهم أخذ عزيز مقتدر. وفي ذلك تهديد ووعيد لمن يكون دأبه الكفر والتكذيب والعصيان. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٢.

النـــص :

قـال اللــه تـعـالى :

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝٥٣﴾ (١)

بـيـان غريب النـــص :

سميع : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٢).

عليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٣).

معـنى النــص ومـناسـبة اسميه تـعالى " سميع عليم " عَـقِـبـه :

جاء هذا النص الكريم لبيان سُنّة من سنن الله - تعالى - في خلقه ، وتعليلِ وقوعِ العِقاب الذي أوقعه الله - عز وجل - بأولئك الكفّار كقوم صالح ومشركي مكة ، حيث نكـر - تعالى - لنا في ذلك سببين أساسيين ، فقال ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي : العقاب المشار إليه في الآية السابقة (٤)، الذي نزل بتلك الأمم الكافرة المكذبة ﴿ بِأَنَّ اللَّـهَ ﴾ أي : بسبب أنّه - تعالى - ﴿ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ أي : لم يصح في عدله الإلٰهي ، أن يُبدِّل النِّعمَ التي أنعم بها على قوم بِنِقَمٍ (٥) ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ أي : حتّى يبدّلوا حالَهم التي تحسُن منهم كالطّاعة والشّكر ، فإذا لم يتلقّ النّاسُ نعمتَه - تعالى - بالشكر والطاعة ، وقابلوها بالكفر والعصيان ، بَدَّلَ اللهُ - عز وجل - نِعمهم بنِقمٍ جزاءً وِفاقاً . وهذا إخبار عن عدل الله - عز وجل - في حكمه بأنّه - تعالى - لا يغيّر نعمة أنعمها على أحد إلاّ بسبب ذنب ارتكبه . وشبيهٌ بهذا قولُه - تعالى - في آية أخرى ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ (٦) وهذا الحكم ضابط كلّي في تبدُّل النعمة إلى النقمة والعقاب ، كما حدث لمشركي قريش ، حيث إنّه - تعالى - أنعم عليهم بمحمد صلى الله عليه وسلم - بأن بعثه إليهم رسولا من أنفسهم فكفروا به وكذّبوه فأمره - تعالى - بأن ينتقل إلى الأنصار (٧).

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٥٣ .

(٢) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٤) هي الآية (٥٢) من هذه السورة التي تقدم تفسيرها آنفا ، ص : ٢٠١ .

(٥) النِقم : جمع نِقْمة ، وهي العقوبة . المعجم الوسيط ، ص : ٩٤٩ .

(٦) سورة الرعد ، من الآية : ١١ .

(٧) هو قول السدي . ينظر : تفسير الطبري ، ٢٤/١٠ ، وتفسير ابن الجوزي ، ٣٧٠/٣ .

ثمّ ذكر -سبحانه وتعالى- السببَ الثاني في وقوع العذاب بهم فقال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ عطفٌ على قوله تعالى ﴿بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً...﴾ إلخ ، أي : ذلك الجزاء على كفرهم بسبب ما قدّمت أيديهم من عصيانهم وتبديلهم نعمةَ الله -تعالى- كفرا ، وبسبب أنّه -سبحانه- سميع عليم ، يسمع و يعلم جميع ما يأتيه هؤلاء الكفار و مكذّبو الرّسل وما يذرون من الأقوال والأفعال .

فلمّا كان ماسمعه-تعالى- من قولهم ، وعَلِمَه من فعلهم موجِبَين لِسخطه -تعالى- و عقابه ، اقتضت حكمة الله -عز وجل- وقوعَ عذاب ، من الله-تعالى- بهم، منوطا بكلّ ما يقتضيه سمْعُه -تعالى- ، وما يقتضيه عِلمه بكلّ ما يقع من الناس في تغيير ما بأنفسهم، ولا يخفى على الله -تعالى- من ذلك سرّ ولا جهر، فإبقاء النّعمة و تبديلُها بنِقمة بسبب ما يصدُر من الناس من أقوال وأحوال ، قال -تعالى- ﴿... وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(١). اللهم اجعلنا ممّن يقابلون نِعمَك بحسن الطاعة والشكر الجزيل ، آمين .

---

(١) سورة النحل من الآية : ٣٣ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٦١)[١]

بيان غريب النص :

جنحوا : مالوا ، يقال: جنح الرجل إلى الأمر ، إذا مال إليه[٢].

للسّلم : قال الزجاج : (السّلم : الصلح و المسالمة)[٣].

السميع : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه[٤].

العليم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه[٥].

معنى النص و مناسبة اسميه تعالى " السميع العليم " عَقِبه :

في هذا النص الكريم أمر الله -سبحانه- نبيَّه -صلى الله عليه و سلم- أن يقبل الصلح و المسالمة ، إذا كفّ أعداؤه عن الحرب وطلبوا أن يسالموه ، فقال تعالى ﴿ وَ إِنْ جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ ﴾ أي: وإن مال الذين يحاربونك -يا رسول الله صلى الله عليه و سلم- من الكفّار إلى المسالمة و المصالحة ﴿ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾[٦] أي: فَمِلْ إليها واقبلْ منهم المسالمة[٧] - وإن كنت قادرا على محاربتهم- و صالحْهم[٨] حين طلبوا منك

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٦١ .

(٢) الصحاح للجوهري ، مادة (جنح) ، ٣٦٠/١ ، و تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ص: ١٨٠.

(٣) معاني القرآن للزجاج ، ٤٦٧/٢ والصحاح للجوهري، مادة (سلم)، ١٩٥١/٥ ، زاد المسير ، لابن الجوزي ، ٣٧٦/٣ ، و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ٣٩/٨ .

(٤) ينظر: من هذا البحث ، ص: ٣٢.

(٥) ينظر: من هذا البحث ، ص: ٣٣.

(٦) إنما أُنّث الضّمير، لأنّ السّلم يؤنّث و يذكّر . معاني القرآن للأخفش ، ٥٤٨/٢ ، و الصحاح للجوهري ، مادة (جنح) ، ٣٦٠/١ .

(٧) إنّ عقد الصلح ليس بلازم للمسلمين ، باتفاق جميع العلماء ، إذ أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم ، . ينظر: الكشاف للزمخشري ، ١٦٦/٢ ، و أحكام القرآن لابن العربي ، ٨٧٦/٢ .

(٨) ذهب بعض العلماء كالحسن و عكرمة و قتادة إلى أن الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ... ﴾ التوبة من الآية : ٢٩ .

يرى ابن جرير الطبري في تفسيره ، ٣٤/١٠ ، و ابن كثير في تفسيره ، ٣٣٥/٢- ٣٣٦، أنّ الآية ليست منسوخة ، لأنه ليس هناك دلالة على ذلك من كتاب ولا من سنة ، ويقول ابن كثير- رحمه الله تعالى-: وفيه - أي في القول بالنسخ - نظر، لأنّ آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك. فأمّا إن كان العدوّ كثيفا فإنّه يجوز مهادنتهم كما دلّت عليه هذه الآية الكريمة ، وكما فعل النبي - صلى الله عليه و سلم- يومَ الحديبية ، ولا نسخ و لا تخصيص . و الله أعلم . اهـ .

الصلح ، لأنّ جنوحك - يا أيّها الرسول صلى الله عليه وسلم- للسّلم مَدعاةٌ لحقن الدماء وكفّ الأذى بينك وبينهم ممّا يهيّئ الجوّ لاستمالة العصاة منهم فضلا عمّن في قلوبهم ميل للخير.

ثمّ أمر-تعالى-نبيّه-صلى الله عليه وسلم- بالتوكّل عليه وأن لا يبالي بهم فيما عقده معهم فقال تعالى ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ وفوّضْ أمرَك إليه -تعالى-، وثِقْ به -تعالى- في جنوحك للسّلم ، ولا تخف من مكرهم وكيدهم وما أبطنوه من خيانة وغدر .

ثمّ خُتمت الآية بالإخبار عن الله -تعالى- بصفتَي السمع والعلم له ، طمأنةً لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- المتوكِّل على الله -عز وجل- والمجيب إلى ما طلبه الكفار من الصلح والمسالمة ، وإن كان قصدُهم بطلب ذلك خِداعَ المسلمين وانتهازَ الفرصة فيهم وذلك في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ أي: توكّلْ - أيها الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- على الله -تعالى- فيما عقدتَه معهم ، ولا تخش من أن يُظْهروا لك السّلم وجوانحُهم مطويّةٌ على المكر والكيد والغدر ، لأنّ الله -تعالى- الذي توكّلتَ عليه متّصف بالسمع الكامل لكلّ ما يُسمَع ، ومتّصف أيضا بالعلم الشامل المحيط بكلّ شيء، فلا يخفى عليه -تعالى- أمر ظاهر ولا باطن ، ومن ذلك مقالاتُ هؤلاء الكفار الذين جاؤوك للصّلح في العهد ، ونياتُهم ، وما انطوت عليه صدورهم من صدق في الميل إلى الصلح أو كذب وخداع في ذلك ، فينصرك يا رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- عليهم في حالة نقضهم العهدَ ، ويعصمك من مكرهم وخداعهم . والجملةُ تعليل للأمر بالتوكل كما تبيّن .

وطريق القصر[1] في قوله -تعالى- " هو السميع العليم " أفاد قصر معنى الكمال في السمع والعلم على الله -تعالى- وفي ذلك إشارة لقصر التوكّل على الله -عز وجل- دون غيره .

وفي ختم النص بهذين الاسمين الكريمين زجر عن نقض الصلح، لانّه -تعالى- عالم بما يضمره العباد وسامع لما يقولون . وفيه إرهاب للكافرين وتثبيت لقلوب المؤمنين . والله -تعالى- أعلم .

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ، ١٠/٥٩ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

يخدعوك : تقول اللغة : خدَعه يخدَعه - من باب فتح - خدْعا وخديعة : أظهر له خِلافَ ما يخفيه لإرادته به المكروهَ من حيث لا يعلم (٢).

حسبك : كافيك ، قال الراغب : (حسْب - بسكون السين - : يستعمل في معنى الكفاية ، كقوله تعالى ﴿... وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (٣) أي : كافينا (٤).

أيّدك : قوّاك (٥) ، قال في اللسان : (التأييد : مصدر أيّدته : أي ، قوّيته) (٦).

ألّف : جمع (٧).

عزيز : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٨).

حكيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٩).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " عزيز حكيم " عَقِبه :

لمّا أمر الله - عز وجل - رسولَه - صلى الله عليه وسلم - في الآية المتقدمة (١٠) بالصلح . ذَكَرَ في هذا النص الكريم ما يجعل رسولَه مطمئنا وآمِنا من خداع أعدائه إن هم أرادوا خِيانتَه ، فقال تعالى ﴿وَإِنْ يُرِيدُوٓا﴾ أي : الكفارُ الذين يطلبون منك الصلح ﴿أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٦٣ .

(٢) الصحاح للجوهري ، مادة (خدع) ، ١٢٠١/٣ ، والمجموع المغيث في غريبَي القرآن والحديث لأبي موسى الأصفهاني ، ٥٥٥/١ ، (تحقيق عبد الكريم العزباوي ، من منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، ط. الأولى ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م) .

(٣) سورة آل عمران ، من الآية : ١٧٣ .

(٤) المفردات في غريب القرآن ، ص : ١٢٨ ، و بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ، ٤٦٢/٢ ذكر مثله .

(٥) معاني القرآن للزجاج ، ٤٦٨/٢ .

(٦) لسان العرب ، ٧٦/٣ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ، ٤٦٨/٢ .

(٨) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٩) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(١٠) هي الآية (٦١) من هذه السورة الكريمة ، التي تقدم تفسيرها آنفا .

بأن يُظهروا لك الصلحَ والمسالمة، ويبطِنوا الخيانةَ والغدْر، فلا تخَفْ مِن إبطانهم المكرَ والخديعة ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ أي: فإن الله -تعالى- كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم، ومَن تولّى اللهُ -تعالى- كفايتَه وحِفظه لا يضرّه شيء، ثم استأنفت الآية مؤكِّدة كفايتَه -تعالى- لرسوله -صلى الله عليه وسلم- بقوله -تعالى- ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾ أي: قوّاك بعونه لك على أعدائك يومَ بدر، وفي سائر أيّامك، حيث إنّه -تعالى- سخّر لك الأسباب، وما هو وراء الأسباب، من خوارق العادة كالملائكة التي ثبّتت قلوبَ المؤمنين في بدر ﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على قوله -تعالى- ﴿بِنَصْرِهِ﴾ أي: وأيّدك أيضا بالمؤمنين الذين ينصرونك على أعدائك، والذين كانوا معك من المهاجرين والأنصار(١).

ثمّ بيّن -سبحانه- بعضَ مظاهر فضله في كيفيّة تأييده لرسوله -صلى الله عليه وسلم- بالمؤمنين فقال -تعالى- ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: جمع قلوبهم المختلِفة المتنافرة على الإيمان والطاعة والمحبّة والمَوَدّة، فصاروا كالنفس الواحدة بعد أن كانوا متحاربين متنازعين متفرّقين، كالأوس والخزرج، وأنت -يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مِن ذهبٍ وفِضّةٍ وغيرِهما في سبيل تأليفهم واجتماعهم ﴿مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ما استطعتَ أن تؤلِّف بين قلوبهم، إذ لا يدخل ذلك تحت قدرة البشر، ولا يقدر أحد على تقليب القلوب إلّا الله -تعالى-، كما قال -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ واحدٍ، يُصَرِّفُه حَيْثُ يَشَاءُ"(٢)، ثمّ جاء الاستدراك ليشير إلى أن ذلك التأليف غير متعذّر على الله -تعالى- ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بفضله وقدرته فصاروا إخوانا متحابّين، قال -تعالى- ﴿...وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٣).

قد علمنا أن قلوب مَن بُعث إليهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شتّى،

---

(١) ذهب بعض المفسرين كالإمام الطبري، ١٠/٣٥، وابن عطية، ٦/٣٦٦ إلى أن المراد بالمؤمنين في الآية: هم الأنصار. والصواب -والله أعلم- كما تقرّر أثناءَ التفسير حمل لفظ ﴿وبالمؤمنين﴾ على العموم ليشمل جميع المؤمنين الذين أيّد الله -تعالى- بهم رسوله -صلى الله عليه وسلم- من أهل بدر الذين أبلوا بلاءً حسنا في معركة بدر.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب تصريف الله -تعالى- القلوب كيف شاء، صحيح مسلم، ٤/٢٠٤٥ برقم ٢٦٥٤. وفي سنن الترمذي، ٤/٤٤٩، برقم ٢١٤٠، كتاب القدر، باب ماجاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن. وفي سنن ابن ماجه، ٢/ ١٢٦٠، برقم ٣٨٣٤، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ١٠٣.

وعداوتهم جاهرة ، وبأسهم بينهم شديد ، بحيث لا يكاد يتألّف فيهم قلبان ... فقد كانت هذه هي حالة عرب الجزيرة جميعا .

ولما كان الله -عز وجل- ألّف بين هؤلاء العرب بعد هذا العداء الطاحن الذي كانوا عليه قبل الاسلام ، وحقّق اجتماعهم على محبة ومودّة ، الذين لا تُتَوَقَّع بينهم ألفةً واتفاق أبداً ، ناسب أن يكون الختام بالإخبار عن الله -عز وجل- بصفتي العزة والحكمة في قوله -تعالى- ﴿ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ إذ لولا عزته -تعالى- التي تغلب كلّ شيء ولا يغلبها شيء ، وحكمته التي يتقن بها ما أراد ، لما تألّفوا واجتمعوا بعد أن كان دأبهم الخصومةَ الدائمةَ ، وما أصبحوا إخوانا وأنصارا لله -تعالى-[1] والجملةُ تذييل كالدليل على ما تقرّر في الآية من إمكان وقوع التأليف والإجتماع بين تلك القلوب .

وفي ختم النص باسمه -تعالى- ﴿ عزيز ﴾ الدال على القدرة والغلبة ، دليل على أنّه لا يستعصي على الله -تعالى- شيء أراده مهما كان الأمر ، فمن ذلك صرفُ القلوب من العداوة إلى المحبّة[2] ، ومن النفرة إلى الألفة ، وفي ذكر اسمه -تعالى- ﴿ حكيم ﴾ الدال على الإتقان والإحكام في الأفعال ، إشارةٌ إلى أنّه -تعالى- يفعل ما يفعله على وجه الإتقان والإحكام ، فمن ذلك جمعُ قلوب العرب المتباعِدة المتنافرة ، وتأليفُها على وجهٍ لا يمكن لأحد أن يُفسِدها ، وعلى هذا يكون التأليفُ بين هؤلاء بمقتضى اسميه -تعالى- " عزيز حكيم " . اللهم ألّف بين قلوبنا ، واجمعنا على الحقّ لنصرة دينك وإعلاء كلمتك . آمين .

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن ، لسيّد قطب ، ١٥٤٨/٣ .

(٢) كما يدل عليه الحديث السابق ذِكرُه ، ص : ٢٠٨ .

النص :

قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾(١)

بيان غريب النص :

أسرى : جمع أسير، مثل قتيل وقتلى، و جريح وجرحى، قال في القاموس : (الأسير : الأخيذ، والمقيَّد و المسجون)(٢).

يُثخن : يبالغ و يكثِر، قال في الصحاح : (أثخنته الجراحةُ : أوهنته، ويقال: أثخن في الأرض قتلا : إذا أكثر)(٣).

عَرَض الدنيا : منافع الدنيا و متاعها، والمراد هنا : أخذ الفداء(٤).

قال الراغب : (العرَض - بفتح الراء - : مالا يكون له ثبات)(٥).

وإنّما سمّي منافع الدنيا ومتاعها عرضا، لأنّه لا ثبات له، ولا دوام، فكأنه يعرض ويزول(٦).

عزيز : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه(٧).

حكيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه(٨).

سبب نزول هذه الآية :

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية رواياتٍ متقاربةَ المعنى، و أقتصر على واحدة منها، و هي ما أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس(٩) - رضي الله عنهما - قال :

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٦٧ .

(٢) القاموس المحيط، مادة (أسر) ، ص: ٤٣٧ .

(٣) الصحاح للجوهري ، مادة (ثخن) ، ٢٠٨٧/٥ .

(٤) ينظر: تفسير الفخر الرازي ، ١٩٧/١٥ - ١٩٨، وتفسير الخازن، ٥١/٣، وتفسير الشوكاني، ٣٢٠/٢ .

(٥) المفردات في غريب القرآن، ص: ٣٣١ .

(٦) تفسير الفخر الرازي ، ١٩٧/١٥، وتفسير الخازن ، ٥١/٣ .

(٧) ينظر : من هذا البحث ، ص: ٣٣ .

(٨) ينظر : من هذا البحث ، ص: ٣١ .

(٩) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، ابن عمّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو العباس ، حبر الأمة ، ترجمان القرآن ، ولد بمكة وتوفي بالطائف سنة ٦٨ . أسد الغابة لابن الأثير ، ٢٩٠/٣ .

فلمّا أسَروا الأسارى [١] قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لابي بكر وعمر: "مَا تَـرَوْنَ فِي هَؤُلاَءِ ٱلأَسَارَىٰ ؟ " فقال أبو بكر: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً، فتكونَ لَنا قوةً على الكفّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يهديَهم للإسلامِ، فقال رسول الله: "مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟" قال: قلتُ: لا، واللّهِ يا رسولَ الله مَا أرَى الَّذِي رَأى أبو بكرٍ. ولَكِنِّي أرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فنضرِبَ أعناقَهم، فتُمكِّنَ عليًّا مِنْ عَقِيلٍ فيَضْرِبَ عُنُقَـه، وتمكّنّي مِن فلان -نسيب لعمر- فأضربَ عنقَه، فإنّ هؤلاء أَئِمّة الكفر وصناديدُها [٢]، فَهَوِيَ [٣] -بكسر الواو- رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ماقلتُ، فلمّا كان مِن الغَدِ جئتُ فإذَا رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلتُ: يا رسولَ الله أخبِرْني مِن أيِّ شيء تبكي أنتَ وصاحبُك، فإنْ وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإن لم أجد بكاءً تباكيتُ لبكائكما، فقال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: " أَبْكِي لِلَّذِي عرض عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِض عَلَيَّ عذابُهم أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَـرَةِ" شجرة قريبة من نبيِّ الله -صلى الله عليه وسلم- وأنزل الله -عز وجل-: ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ...** ﴾ إلى قوله ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا** ﴾ [٤]) [٥].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "عزيز حكيم" عَقِبه :

في هذا النص الكريم بيّن اللهُ -عز وجل- بعضَ الأحكام التي تتعلّق بأسرى الحرب بمناسبة مافعله الرسولُ -صلى الله عليه وسلم- مع أسرى غزوة بدر فقال -تعالى- ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ** ﴾ أي: ماصحّ وما استقام لِنبيٍّ من الأنبياء -عليهم السلام- ﴿ **أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى** ﴾ في الوقت الذي يقاتله أعداؤه الذين يريدون أن يطفئوا نور اللّه -تعالى-، فلا ينبغي أنْ يستبْقيَهم أحياءً، ويقبلَ منهم الفدية [٦] ﴿ **حَتَّى يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾

---

(١) ذلك في غزوة بدر، بعد انتهاء الوقعة .

(٢) يعني: أشرافها، الواحد: صِنديد -بكسر الصاد-: شرح النووي لصحيح مسلم، ٨٦/١٢ .

(٣) أحبّ ذلك واستحسنه . المرجع السابق، ٨٦/١٢ .

(٤) الآيات (٦٧ - ٦٩) من سورة الأنفال .

(٥) الحديث طويل، والذي نذكره هو الجزء الأخير منه، وهو حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، حدّثه عنه ابنُ عباس -رضي الله عنهما- . صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسِّير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، ١٣٨٥/٣ برقم ١٧٦٣ . وأخرجه أحمد في المسند، ٣٠/١-٣١، وأورده الطبري في تفسيره، ٤٤/١٠، وهو في تفسير ابن الجوزي، ٣٧٩/٣، وفي تفسير الخازن مع تفسير البغوي، ٥٠/٣، وتفسير ابن كثير، ٣٣٨/٢ .

(٦) إن الحكم المذكور في الآية، وهو عدم قبول الفدية من الأسرى، كان يومَ بدر، حين كان عدد المؤمنين قليلا . ولمّا كثُر عددُهم وقويَ سلطانُهم، أُبيح لهم أخذُ الفِداء من أسراهم، وإبقاؤهم، ويدلّ على ذلك قوله -تعالى- ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا....** ﴾ سورة محمد، من الآية : ٤ .

أي: حتى يُبالِغ ويُكثِر في قتل الكفار، ويُضعِفَهم فيَعجزوا عن القتال والمقاومة إذْ لاَ لاً للكفر وإعزازا لدين الله -تعالى- ﴿ تُرِيدُونَ ﴾ أيّها المؤمنون، بأخذكم الفداءَ عن أعدائكم الأسرى ﴿ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾ أي: متاعها الفاني الزائل ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ أي: يريد لكم الباقيَ الدائمَ وهو ثوابُ الآخرة وذلك بالإكثار عن قتل أصحاب الكفر لِيَذِلّ الكفر ويَعزّ الإسلام.

ثمّ ختمت الآية الكريمة بقوله -تعالى- ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وهو عطف على قوله -تعالى- ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ عطفاً يُشعِر بأنّ لاسْمَيه -تعالى- "عزيز حكيم" أثرًا في أنّه -تعالى- يريد ثواب الآخرة للمؤمنين بأمره إيّاهم بما يوصلهم إلى ذلك الثواب من الإثخان في الأرض، ومَنْعِه إيّاهم عن الافتداء حين كانت القوة والشوكة للكفار، فيكون[1] كالتعليل، وهو يفيد أنّ حظّ الآخرة هو الحظّ الحقّ، ولذلك يريده العزيز الحكيم[2].

وفي ختم الآية باسمه -تعالى- ﴿ عزيز ﴾ إشارةٌ إلى أنّ اللهَ -تعالى- الغالبَ على أمره يجعل الغلبة لِمن يريدون ما أراده -تعالى-، ويمكّنهم من أعدائهم قتلا وأسرا، ثمّ قرن اسمه -تعالى- ﴿ حكيم ﴾ إشارة إلى أنه -تعالى- لا يضع الشيء إلّا في موضعه، ومن حكمته -تعالى- تأخير أخذ الفداء من الأسرى إلى أن يُكْثِرَ المؤمنون من قتل الأعداء ويعزّوا، ويضعُفَ أعداؤهم ويذِلّوا، ومن حكمته -تعالى- أيضا أنه جعل قتل الكفار سببا لإثابة المؤمنين ثوابا عظيما. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) أي: قوله -تعالى- ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٧٧/١٠، بتصرف.

النـــص :

قـال اللـه تـعـالـى :

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ (١)

بـيـان غريب النـــص :

غنمتم : تقدّم بيان معناها وافيا (٢).

غفور : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، وقد تقدّم معناه (٣).

رحيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، وقد تقدم معناه (٤).

معنى النـــص ومناسبة اسميه تـعالى " غفور رحيم " عَقِبه :

لمّا كانت الآية السابقة (٥) عتابا على الإقدام على الفداء قبل الإثخان اللازم إذلالا للكفر و إعزازا للإسلام، كفّ الصحابةُ - رضي الله عنهم - عمّا أخذوا يومَ بدر من الفداء خوفا من أنّ أخذهم الفداء كان ذنبا يستحقّون عليه العقوبة، فرفع الله - عز وجل - عنهم هذا الخوف، وأباح لهم أكلَ ما أخذوه من الفداء فقال - تعالى - ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ ﴾ من أعدائكم ﴿ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ أي: أكلا حلالا، غيرَ محرّم ولا خبيث، وفي ذلك إذنٌ صريح من الله - عز وجل - لأهل بدر أنْ يأكلوا الغنائم، وحتّى الفدية التي قبلوها في أسرى المعركة، ثم لمّا كانت التقوى حاملة على امتثال أوامر الله - تعالى -، وترك نواهيه، وعدم الإقدام على ما لم يتقدم فيه إذنٌ شرعي، أُمِر المؤمنون بها في قوله - تعالى - ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ في كلّ أحوالكم بأن تخشوه وتراقبوه، ولا تُقْدِموا على شيء لم تؤمَروا به كإقدامكم على قبول الفداء من المشركين يومَ بدر، باجتهادٍ منكم لمصلحة الإسلام والمسلمين، حيث حسِبتم أن ذلك أنفعُ للإسلام مِن قتلهم، ثم خُتمت الآية بصفتين لله - عز وجل - مُشعِرَتَين بغفرانه - تعالى - ورحمته لهؤلاء الذين مالوا إلى الفداء قبل ورود الإذن فيه فقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: إنّ الله - تعالى - المتّصِف بالجلال والإكرام، ذو مغفرة عظيمة

---

(١) سورة الأنفال، الآية : ٦٩ .

(٢) ينظر من هذا البحث، ص: ١٩٠ أثناء تفسير الآية (٤١) من سورة الأنفال .

(٣) ينظر: من هذا البحث، ص: ٣٤ .

(٤) ينظر: من هذا البحث، ص: ٣٢ .

(٥) هي الآية السابقُ تفسيرُها، وهي قوله - تعالى - ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴾ الأنفال : ٦٧ .

لِذنوب أهل الإيمان من عباده ، ولذا غفرلهم ما أقدموا عليه من أخذ الفداء دون توقف على إذنٍ من الله -تعالى- ، ولم يعذّبْهم بِتَسَرّعهم إلى أخذ الفدية ، ذو رحمة واسعة بعباده ، فلذا أحسن إلى هؤلاء وأباح لهم الغنائم وأخْذ الفداء ، يأكلونها ويملِكونها دون مؤاخَذة أو عِقاب . والجملةُ تعليل لقوله -تعالى- ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ ﴾ ، وقوله -تعالى- ﴿ وَاتَّقُوا۟ اللَّهَ ﴾ اعتراض في أثناء الكلام جيء به لأُهمّيّة التقوى في كلّ شيء ، وهذا من المؤَخّر الذي معناه التقديم ، والتقدير : فكلوا ممّا غنمتم حلالا طيبا إنّ الله غفور رحيم ، واتقوا الله (١). والله -تعالى- أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير الطبري ، ٤٨/١٠ ، وتفسير ابن عطية ، ٣٨٤/٦ ، وتفسير أبي حيان ، ٥٢٠/٤ .

النـــص :

قــال اللــه تــعـالـــى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ (١)

بـيـان غريب النـــص :

خيرا : الخير : ضد الشر (٢)، والمراد به في الآية : هو الإيمان مع إخلاص النية (٣).

والمراد به في قوله ـ تعالى ـ ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا ...﴾ ـ هو خيرات الدنيا ومنافعها (٤).

غفور : اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى، وقد تقدّم معناه (٥).

رحيم : اسم من أسماء الله الحسنى، وقد تقدم معناه (٦)

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "غفور رحيم" عَقِبَه :

أمر الله ـ عز وجل ـ في هذا النص الكريم نبيّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يخبر الأسرى الذين أُخذ منهم الفداءُ، إنْ فَتحوا قلوبَهم للحقّ واستجابوا له فإنّ الله ـ سبحانه ـ سيعوّضهم عمّافقدوه خيرًا منه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ أي: قل ـ أيّها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ـ لهؤلاء الأسرى الذين وقعوا في مُلككم في بدر، والذين أَخذتم منهم الفداءَ لِتُطلقوا سَراحهم ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ ـ أي: إن أسلمتم، وَعَلِمَ اللهُ في قلوبكم إيمانا مع إخلاص النيّة، وعزما على طاعة الله ـ تعالى ـ ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في جميع التكاليف، ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ ـ أي: يعطكم الله ـ تعالى ـ عندما تُسلِمون أكثرَ وأفضلَ من الفداء الذي أُخذ منكم قال العبّاس (٧) ـ رضي الله عنه ـ فقد أعطاني خيرا مما أخذ مني مائةَ ضعفٍ، وأرجو أن يكون

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٠.

(٢) الصحاح للجوهري، مادة (خير)، ٢/٦٥١.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير، ٢/٣٤٠، وتفسير أبي السعود، ٤/٣٧.

(٤) تفسير الفخر الرازي، ١٥/٢٠٥، وتفسير النيسابوري، ١٠/٢٩.

(٥) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٤.

(٦) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٢.

(٧) هو العباس بن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف، أبو الفضل: من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام. توفي بالمدينة المنورة، سنة ٣٢هـ أسد الغابة لابن الأثير، ٣/١٦٤.

قد غفر لي [١] ثم قال- تعالى-: ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ذنوبكم التي ارتكبتموها بكفركم بالله- تعالى -، وإساءتكم إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه .

ثم ختمت الآية بقوله- تعالى- ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وهو تذييل قُصد به تأكيد ماقبله من الوعد بالمغفرة في قوله- تعالى- ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ والمعنى: كيف لايفي بوعد المغفرة، وأنه- تعالى- غفور رحيم .

وفي ختم الآية باسميه- تعالى- ﴿ غفور رحيم ﴾ ترغيب يلمس قلوب الأسرى لمسةً تحيي فيها الرجاءَ، وتُطلِق فيها الأمل، وتشيع فيها النور، وتعلِّقها بحياة أكرمَ ممّاكانوا فيه، وبكسبٍ أرجحَ ممّا فقدوا من مال وديار [٢]. والله- تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر: تفسير الطبري، ٤٩/١٠. وتفسير ابن كثير، ٣٤٠/٢.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن لسيّد قطب، ١٥٥٣/٣، بالتصرف .

النـص :

قال الله تعالى : ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

خيانتك : قال الراغب : (فالخيانة :مخالفة الحقّ بنقض العهد في السرّ) (٢).

فأمكن : فأقدر ،قال في المصباح : (مكّنته من الشيء تمكينا وأمكنته :جعلت له عليه سلطانا وقدرة) (٣).

عليم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ،وقد تقدّم معناه (٤).

حكيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ،وقد تقدّم معناه (٥).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " عليم حكيم " عَقِبه :

بعد ما بيّن الله -سبحانه- في الآية المتقدمة (٦) فضلَه ومِنّته في إعطاء الأسرى خيرا مما أُخِذ منهم ،أتبعه بإنذارٍ لهم بسوء المصير إذا ما اختاروا الخيانة فقال -تعالى- ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ أي : وإن يُرِدْ هؤلاء الأسرى الذين في أيديكم ﴿خِيَانَتَكَ﴾ حينما وَعدوا أن لا يحاربوك -يا رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- ولا يعاوِنوا عليك أحدا من المشركين، فلا تهتمّ بهم ، ولا تجزع من خيانتهم ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي : من قبل غزوة بدر ، بكفرهم بالله -عز وجل- ،واتخاذهم الشركاء له ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ أي : فأقدر الله -عز وجل- رسولَه -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين على الكفّار يومَ بدر ، وأظفرهم بهم بالأسر والقتل ، فليتوقّعوا مثل ذلك إن عادوا إلى خيانتهم لله -تعالى- ورسوله -صلى الله عليه وسلم- ، وفي ذلك بشارة للرسول -صلى الله عليه وسلم- بأنّ خيانة أعدائه سيكون وبالُها عليهم .

---

(١) سورة الأنفال ،الآية : ٧١ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ،ص: ١٦٣ .

(٣) المصباح المنير ،ص: ٥٧٧ .

(٤) ينظر : من هذا البحث ،ص: ٣٣ .

(٥) ينظر : من هذا البحث ،ص: ٣١ .

(٦) هي الآية (٧٠) من هذه السورة الكريمة ،والتي تقدّم تفسيرها آنفا .

ولمّا كان هذا كلّه بفضل علم الله -تعالى- واستجابةً لحكمته -تعالى- في وضع كلّ شيء موضعَه، خُتمت الآية بالإخبار عن الله -تعالى- بصفتي العلم والحكمة في قوله -تعالى- ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ وهو تذييل [1]، أي عليم بجميع الأشياء التي من جملتها ما أضمروه في نفوسهم في عهدهم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من نقض العهد والعودة إلى قتاله -صلى الله عليه وسلم-، حكيم في معاملتهم على حسب ما يعلم منهم.

فإنّ صفة العلم وصفة الحكمة لله -عز وجل- اقتضتا أن يتكفّل الله -تعالى- بكفاية المؤمنين شرّ الأسرى إن أرادوا الخيانة، كما جعل جزاءهم على خيانتهم بأن مكّن منهم المؤمنين وجعلهم أسرى في أيديهم يومَ بدر، ولا عجب أن يجعل اللهُ -تعالى- العليمُ الحكيمُ عِقابهم على أيدي المؤمنين، فيصيروا مغلوبين، إذ أنّ أحكام الله -تعالى- تجري على الحكمة، ومنها نصرة المسلمين وخذلان المشركين، فالله -تعالى- حكيم يضع مقتضياتِ علمه في مواضعها المناسبة، وأوقاتِها الملائمة. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ١٠/ ٨٣.

النص :

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾[1]

بيان غريب النص :

آووا : تقول اللغة : آواه : ضمّه إليه وأسكنه عنده أو أنزله في بيته [2].

وَلايتهم : نصرتهم [3]، قال الزجاج : (الوَلاية -بفتح الواو- : من النصرة والنسب، والوِلاية -بالكسر- : الإمارة) [4].

ميثاق : الميثاق [5]: عقد يؤكّد بيمين وعهد [6].

بصير : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه [7].

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى "بصير" عَقِبه :

بمناسبة انتهاء الحديث عن أحداث غزوة بدر الكبرى ذكر -تعالى- حال المؤمنين في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنهم مختلفون في الكمال، حيث قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بالله -تعالى- ورسوله -صلى الله عليه وسلم- ﴿ وَهَاجَرُواْ ﴾ من مكة إلى المدينة فرارا بدينهم [8]، ونصرةً لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿ وَجَٰهَدُواْ

---

(١) سورة الأنفال، الآية : ٧٢.

(٢) ينظر : الصحاح، ٢٢٧٤/٦، والمصباح المنير، ص: ٣٢، ولسان العرب، ٥١/١٤.

(٣) العمدة في غريب القرآن، للقيسي، ص: ١٤٥.

(٤) نقله ابن منظور في لسان العرب، ٤٠٧/١٥، والقرطبي في تفسيره، ٥٦/٨.

(٥) أصل الميثاق : الموثاق -بسكون الميم-، أبدلت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، والجمع : المواثيق.

(٦) بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي، ١٥٨/٥.

(٧) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٠.

(٨) هم الذين هاجروا قبل صلح الحديبية، الذي كان في السنة السادسة من الهجرة، بدليل قوله تعالى في آخر هذه السورة ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ﴾

﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي :بذلوا أموالهم وأنفسهم في نصرة دين الله- تعالى- وإعلاء كلمته وحماية رسوله- صلى الله عليه وسلم ﴿والذين ءاوَوا﴾ النبيّ- صلى الله عليه وسلم- والمهاجرين ، وأسكنوهم في منازلهم ﴿وَنَصَرُوٓا﴾ أي : ونصروهم على أعدائهم بكـل ما يملكون من وسائل التأييد والموازرة ، وهم الأنصار، قال الله- تعالى- في شأنهم :﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...﴾(١) ولذا جعل الله- تعالى- حكمهم وحكم المهاجرين واحدا فقال :﴿أُولَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أي : أولئك المهاجرون والأنصار بعضهم أنصار بعض ، وأعوانٌ على أعدائهم(٢) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾ وهم الذين أقاموا بمكة ولم يلحقوا برسول الله- صلى الله عليه وسلم- ليشتركوا مع المؤمنين المهاجرين والأنصار في نصر الدين وحرب الكافرين ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ أي : مالكم شيء من نصرتهم حتى يهاجروا إلى المدينة ويلتحقوا بكم ، ثم استثنى الله- سبحانه- حالةً خاصةً من هذا الحكم ، وهي : ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ أي : إنْ طلب منكم هؤلاء- الذين آمنوا ولم يهاجروا- النصرَ على أعدائهم لأجل دينهم لا لأجل عصبيّة القبيلة ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ أي : فواجبٌ عليكم نصرُهم وإعانتهم على الكفّار ، لأنّهم إخوانكم في الدين ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ أي : إلاّ على جماعة كافرة بيكم وبينهم عهد ، فلا تنصروهم عليهم لأن لا تنقضوا العهد حتى تتمّ مدتُه(٣).

ثم خُتمت الآية بالإخبار عن الله- تعالى- باسمه الكريم "بصير" في قوله- تعالى ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وهو تذييل قُصد به ترغيبُ المؤمنين في التمسّك بما تقدّم من الأحكام فيما بينهم ، وفيما بينهم وبين أعدائهم ، وتحذيرٌ لهم حتّى لا يخالفوا أمر الله - تعالى- ، و يتجاوزوا ما حدّه لهم فيما بينهم ، وما رسمه لهم من المحافظة على العهود والمواثيق بينهم وبين الكفار .

وأوتي باسمه- تعالى- "بصير" مبالغةً في الاطلاع والإحاطة بما يفعلونه من الهجرة والولاية والوفاء بالعهد، لأنّ الأعمال المذكورة في النص من شأنها أن تبصَر وتُرَى ، فعلى المؤمنين أن يقفوا عند حدوده- تعالى- ، وأن يراقبوه ويتذكّروا رؤيتَه- تعالى- و اطّلاعه على أعمالهم ، لأنّ كلّ عمل يعمله الإنسان تحت بصره- سبحانه- يَرى مَداخِلَه ومَخارِجَه ومقدماتِه ونتائجَه ، فيجازي الجميعَ على عملهم إن خيرا فخيرا ، وإنْ شرا فشرا . والله - تعالى- أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الحشر ، من الآية : ٩ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري، ٥١/١٠ ، وتفسير الفخر الرازي ، ٢٠٩/١٥ . وبعضُ المفسرين يرون أنّ الولاية في الموارثة ، مثل الزمخشري ، ١٧٠/٢ ، والقرطبي، ٥٦/٨ ، وغيرهما من المفسرين ، فهم يذهبون إلى أن المؤمنين كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة ، ونسخ هذا الحكم بقوله تعالى :﴿وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ..﴾ الأنفال : ٧٥ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي ،٥٧/٨ .

النـــص :

قـال اللـه تـعالـى :

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ (١)

بـيـان غريب النـــص :

أولوا : بمعنى أصحاب ، والواحد : ذو ،وهو ملحق بجمع المذكر السالم في إعرابه .

الأرحام : جمع رَحِـم -بكسر الحاء- . وهو رَحِـمُ الأنثى ، أي مقرّ الولد في بطن أمه، ويأتي بمعنى القرابة (٢)،والمعنى الثاني هو المراد في الآية .

عليم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ،وقد تقدّم معناه (٣).

معنى النـص ومناسبة اسمه تعالى " علـيم " عَقِبه :

لمّا شرّف الله -عز وجل- فيما تقدم(٤)طوائف المسلمين الثلاثة من الذين عاصروا رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- ، فهمْ طائفة آمنت وهاجرت وجاهدت بالأموال والأنفس في سبيل الله -تعالى- ، وأخرى آوت ونصرت هؤلاء، وطائفة أخرى آمنت ولكنّها لم تلتحق بالمجتمَع المسلِم في المدينة لمرض أو حرص على الدنيا والأموال أو غير ذلك من أسباب، ضَمَّ -تعالى- إليهم في هذا التشريف الذين تأخروا في الإيمان والهجرة تفضّلا منـــه -سبحانه وتعالى- ،حيث قال-تعالى- في حقّ هؤلاء ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾أي بعد هجرة الرسول-صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة﴿وَهَاجَرُوا﴾كالذين هاجروا بعد صلح الحديبية(٥)﴿وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ﴾ في بعض مغازيكم،﴿فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾أي: فهـؤلاء

(١)سورة الأنفال ،الآية : ٧٥ .

(٢) الصحاح للجوهري ، ١٩٢٩/٥ .

(٣)ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٣.

(٤) ذلك في قوله -تعالى- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ...﴾الخ ،سورة الأنفال، الآية : ٧٢ .وقد تقدّم تفسيرها ،ص : ٢١٩-٢٢٠.

(٥) هو قول ابن عباس -رضي الله عنهما-ينظر :زاد المسير لابن الجوزي ، ٣٨٧/٣ ، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزيّ ، ٦٩/٢. فصلحُ الحديبية كان في السنة السادسة من الهجرة على ترك القتال عشر سنين بين المسلمين والمشركين.

الذين جمعوا الأوصاف الثلاثة في وقت متأخّر عن وقتكم،من جملتكم أيّها المهاجرون والأنصار، فحكمُهم حكمُكم في وجوب الموالاة والنصرة. ثمّ بيّن -تعالى- مَن يستحقّ الإرث في شريعته وحدّدهم بالأقارب حيث قال -تعالى- ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ أي: أصحاب القرابات، بعضهم أحقّ ببعض في التوارث، في حكم الله -تعالى-[١].

ثمّ خُتمت الآية بقوله -تعالى- ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وهو مؤذن بالتعليل[٢] لتقرير أولويّة ذوي الأرحام بعضهم ببعض، أي: إنّما اعتبرت تلك الأولويّة في الولاية، لأنّ الله -سبحانه وتعالى- يعلم مصالح العباد في الدنيا والآخرة، وفيما كلّفهم به من الأحكام، ويعلم أنّ حكم أولوية ذوي الأرحام في الميراث، هو الذي تدور عليه المصلحة، وتدوم به الألفة.

ويجوز أن يكون قوله -تعالى- ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ تذييلا للسورة الكريمة كلّها، إذ أنّها تشتمل على أحكام في القتال والغنائم، والولاية العامّة والولاية الخاصّة والعهود والمواثيق وصلة الأرحام والأحكام الأخرى.

وبعد أن سرد الله -عز وجل- هذه الأحكام أخبر عن اسمه -تعالى- ﴿ عليم ﴾ في ختام السورة إشارة إلى أن هذه الأحكام التي ذكرت وفصّلت كلها حكمة وصواب وصلاح، وليس فيها شيء من العبث والباطل، لأنّ العالم بجميع المعلومات لا يحكم إلّا بالصواب[٣].

وفي ذكر اسمه -تعالى- ﴿عليم﴾ وعد لمن تمسّك بهذه الأحكام المذكورة في هذه السورة الكريمة، ووعيد لمن خالفها، لأنّه -تعالى- بمقتضى اسمه ﴿عليم﴾ يجازي الناس على أعمالهم. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) أخرج ابن جرير الطبري، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ .. ﴾ (الأنفال: ٧٢)، يعني في الميراث، جعل الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام قال الله -تعالى-: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا .. ﴾ يقول: مالكم من ميراثهم من شيء، وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله هذه الآية: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ .. ﴾ في الميراث، فنسخت التي قبلها وصار الميراث لذوي الأرحام. (تفسير الطبري، ١٠/٥١-٥٢).

في هذا الأثر بيان ما كان عليه الأمر في أول الإسلام من التوارث بالأخوّة الإيمانية، حيث كان المهاجرون يتوارثون فيما بينهم، دون الأعراب، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ .. ﴾ بعد ما زالت دواعي الحكم السابق. (ينظر: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب التفسير، د/عبدالعزيز الحميدي، من منشورات مركز البحث العلمي، بجامعة أمّ القرى، بمكة المكرمة).

(٢) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٠/٩٣.

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، ١٥/٢١٤، وغرائب القرآن للنيسابوري، ١٠/٣٣، بالتصرف

ســــورة الــتــوبـــة

النـــص :

قـال الله تعالــى :

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾(١)

بيـان غريب النــص :

انسلخ : سلخ الشهرُ -من باب نَفَعَ- وانسلخ : مضى(٢).

خذوهم : أسِروهم(٣).

احصروهم : من الحصر -بسكون الصاد- كالضرب والنصر : التضييق والإحاطة(٤).
قال الفراء : (حصْرهم : أن يُمنَعوا من البيت الحرام)(٥).

مرصَد : والمرصَد هو المكان الذي يُرْقَب فيه العدوّ(٦). يقال : رصدت فلانا أرصده بمعنى رقبته(٧).

فخلّو : فاتركوا ، من التّخلية ، وهي الترك(٨).

غفور : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه(٩).

رحيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه(١٠).

معنى النــص ومناسبة اسميه تعالــى "غفور رحيم" عَقِبَه :

بعد أن قرّرت السورة الكريمة في الآيات السابقة(١١) براءة الله -تعالـــى-

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٥ .

(٢) المصباح المنير ، ١/ ٢٨٤ ، والقاموس المحيط ، مادة (سلخ) ، ص : ٣٢٣ .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ١٨٣ ، والصحاح للجوهري ، مادة (أسر) ، ٥٥٩/٢ .

(٤) الصحاح للجوهري ، مادة (حَصر) ، ٢٣٠/٢ ، والمفردات للراغب ، ص : ١٢٠ .

(٥) معاني القرآن للفراء ، ٤٢١/١ .

(٦) ينظر : التفسير الكبير للرازي ، ١٥/ ٢٢٥ ، والبحر المحيط لأبي حيان ، ١٠/٥ .

(٧) لسان العرب ، مادة (رصد) ، ١٧٧/٣ ، وتفسير الطبري ، ٧٨/١٠ .

(٨) القاموس المحيط ، مادة (خلا) ، ص : ١٦٥٢ ، وتفسير الآلوسي ، ١٠/ ٥٠ .

(٩) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(١٠) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(١١) هي من أول السورة إلى آخر قوله تعالى ﴿...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة : ١ - ٤.

ورسوله -صلى الله عليه وسلم- من عهود المشركين الخائنين، وأمرت بالوفاء لمن وفى بعهده منهم.. أخذت في بيان موقف المسلمين من المشركين بعد انتهاء المدة الممنوحة لهم فقال تعالى ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ والمراد بالأشهر الحرم: الأشهر الأربعة التي أبيح للمشركين الناكثين لعهدهم مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يسيحوا فيها في الأرض آمنين[1]، وجُعلت حُرما لأنّه -سبحانه وتعالى- نهى المؤمنين عن التعرّض للمشركين فيها، وحرّم عليهم قتالهم فيها والمعنى: فإذا مضت هذه الأشهر الأربعة التي حرّم الله -تعالى- فيها قتال المشركين وأباح لهم فيها السياحة في الأرض ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ أي: في حلّ أو حرم، وفي الأشهر الحرم وغير الأشهر الحرم[2] ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ أي: اثسروهم ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ أي: وضيّقوا عليهم، وامنعوهم من التصرف في بلاد الإسلام ودخول مكة التي جعلها الله -تعالى- قياما للناس وموضعا لعبادتهم ونسكهم ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ أي: وترصّدوا لهم في كلّ مكان لئلّا ينتشروا في البلاد، واستمِرّوا -أيها المؤمنون- على هذا الأمر حتى تذهب قوتُهم ويتوبوا من شركهم ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ عمّاهُمْ عليه من الشرك وأسلموا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ بشروطها في أوقاتها الخمسة ﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ لمستحقّيها. وذلك بعد أن اعترفوا بوجوب كلّ منهما[3] ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ أي: فاتركوهم وشأنهم ولا تتعرّضوا لهم بشيء مما تقدّم كالأسر والحصر والقتل، يسيرون في أمصاركم ويدخلون البيت الحرام، ويتصرّفون في مهمّاتهم فإنهم صاروا إخوانكم كما قال -تعالى- ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[4].

ثمّ ختمت الآية بقوله -تعالى- ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وهو تذييل قصد به التعليل للأمر بتخلية سبيلهم، أي: فخلّوا سبيلهم واتركوهم -أيها المؤمنون- وليكونوا مثلكم، لهم مالكم، وعليهم ما عليكم، ولا تعاملوهم بماكان منهم من شرك، فإنّ الإسلام

---

(١) يدلّ عليه قوله -تعالى- ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ التوبة، الآية: ٢، وهذه الأشهر الأربعة تبدأ من العاشر من ذي الحجة سنة تسع، وهو يوم النحر الذي بلّغ فيه عليّ -رضي الله عنه- آياتٍ من أول هذه السورة، وتنتهي في العشرين من ربيع الآخر سنة عشر.

هذا القول هو الراجح عندي من حيث السياق، وهو رأي جمع من العلماء كابن اسحاق في سيرة ابن هشام، ١٣٩٦/٤-١٣٩٧، والزمخشري في الكشاف، ١٧٥/٢، والبغوي في هامش تفسير الخازن، ٦٢/٣، وابن كثير في تفسيره، ٣٤٩/٢، وأبي حيّان في البحر المحيط، ٩/٥ والنيسابوري في غرائب القرآن، ٤٣/١٠، والشنقيطي في أضواء البيان، ٤٣٠/٢، وغيرهم .

وقيل: المراد: الأشهر الحرم المعروفة وهي، رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وهو اختيار ابن جرير الطبري في تفسيره، ٧٨/١٠ .

(٢) تفسير الطبري، ٧٨/١٠، تفسير الرازي، ٢٢٥/١٥ .

(٣) تفسير الماوردي، ١٢٠/٢ .

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١ .

يجبّ ما قبله ، لأنّ الله -تعالى- قد غفر لهم بعد إسلامهم ما سلف من الكفر والشرك بفضله ورحمته .

وفي ختم الآية باسميه -تعالى- ﴿غفورٌ رحيمٌ﴾ إشارة إلى الإحسان والإنعام من الله -تعالى- لهؤلاء التائبين ، حيث لا يعاقبهم على ذنوبهم السالفة ، وفيه دعوة للمسلمين إلى أن يقتدوا بفعل الله -عز وجل- من المغفرة والتسامح ، وأن يقبلوا هؤلاء الذين جاؤوهم مسلمين وأن يسامحوا لهم ما كان منهم من إساءات حصلت لهم من جهتهم حالَ كفرِهم ، وفيه إغراء أيضا للمشركين أنْ يبادروا بالتوبة ، ويدخلوا في دين الله -تعالى- ، قبل أن يقعوا في يد المسلمين . والله -تعالى- أعلم بالصواب .



النص :

قال الله تعالى :

﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾ (١)

بيان غريب النص :

ويخزهم : يذلّهم ويهنْهم، من الخزي وهو الذلّ والهوان (٢).

غيظ : قال في المفردات: (الغيظ: أشدّ غضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه) (٣). اهـ.

عليم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه (٤).

حكيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدّم معناه (٥).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " عليم حكيم " عَقِبه :

في هذا النص الكريم أمر الله -عز وجل- المؤمنين بقتال المشركين، ورتّب على هذا القتال خمسةَ أنواعٍ من الفوائد فقال ﴿قَٰتِلُوهُمۡ﴾ أي: قاتلوا -أيها المؤمنون- المشركين، بشجاعة ولا تخافوهم، فإنّكم متى فعلتم ذلك ﴿يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾ قتلاً أو أسراً ﴿وَيُخۡزِهِمۡ﴾ أي: ويذلّهم ويهنْهم بسبب ما ينزل بهم من هزيمة وهوان وهم يتفاخرون بالقوة ﴿وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ أكملَ النصرِ وأتمّه بحيث لا يجدون قوةً يعودون بها إلى قتالكم كما كان شأنهم في وقعة بدر ﴿وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾ أي: يبرئ صدورَ جماعة من المؤمنين (٦) من غيظها المكظوم، الذين لقوا ما لقوا من أذى المشركين

---

(١) سورة التوبة، الآيتان : ١٤-١٥ .

(٢) الصحاح للجوهري، مادة (خزى)، ٦/٢٣٢٦، المصباح المنير، ١/ ١٦٨ .

(٣) المفردات للراغب، ص: ٣٦٨، وانظر القاموس المحيط، مادة (غيظ)، ص: ٩٠٠ .

(٤) ينظر: من هذا البحث، ص:٣٣.

(٥) ينظر: من هذا البحث، ص: ٣١.

(٦) قيل هم بنو خزاعة، فهو منسوب إلى مجاهد والسدّيّ، وقيل: هم بطون من اليمن وسبأ، قدموا مكة فأسلموا، فلقوا من أهلها أذىً كثيرا، فهذا القول منسوب إلى ابن عباس -رضي الله عنهما-. ولكن العبرة بعموم اللفظ. فالأولى أن تكون الجملة الكريمة عامّة في كلّ مَن آذاهم المشركون .

وظُلمهم حتّى فتح مكة ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي : ويُذهب الله ـ تعالى ـ الغضب الذي كان يملأ قلوب هؤلاء القوم المؤمنين ، وهذه المواعيدُ كلُّها وُجدت على أجمل ما يكون، وقد أنجز الله ـ سبحانه وتعالى ـ جميع ماوعدهم به ، قال ـ تعالى ـ ﴿ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١]، وكان إخبار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذه البشارات قبل وقوعها معجزة عظيمة له ، ثم أخبر ـ تعالى ـ عن أمر غيبي آخر ثابتٍ في علمه الأزلي فقال : ﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ هذا كلام مستأنف لبيان ماسيكون من بعض المشركين حسب مشيئته ـ تعالى ـ المبنيّة على حِكَمٍ بالغة ، وقد تحقّق ذلك حيث أسلم كثير منهم ودخلوا في دين الله ـ تعالى ـ ، كأبي سفيان بن حرب ، وعكرمة بن جهل وسهيل بن عمرو .

ثم خُتمت الآية بالإخبار عن الله ـ تعالى ـ بصفتي العلم والحكمة في قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ إشارةً إلى أنّ ما تضمّنته الآية الكريمة من المواعيد المذكورة مبنيّةٌ على علمه ـ تعالى ـ وحكمته البالغة ، والجملةُ تذييل يقصد بها التقرير للأمر بقتال الكفار، والنتائج الطيبة المترتّبة عليه .

ولمّا تقدّم ذكر أمور غيبية في النص من تعذيب الكفار بالقتل والأسر وإخزائهم، ونصر الله ـ تعالى ـ المؤمنين على الكافرين ، وشفاء صدور جماعة من المؤمنين وإذهاب غيظهم ، والإخبارِ بما سيكون من توبة بعض هؤلاء الكفار المحاربين ، ووَقَعَتْ هذه الأشياء كما أُخبرت ، ناسب أن يوصف الله ـ تعالى ـ في هذا الختام بأنه " عليم " . ثمّ قرن اسمه " حكيم " إشارة إلى أنه ـ تعالى ـ شرع للمؤمنين قتال الكفار لِما تقتضيه حكمته في إقامة دينه وإظهاره على الدين كله ، وهو ـ تعالى ـ لا يأمر إلاّ بما فيه مصلحة، ومن حكمته ـ تعالى ـ أيضا دفعُ الناسِ بعضهم ببعض ، قال ـ تعالى ـ ﴿ ... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[٢] وهو ـ تعالى ـ ذو حكمة أيضا في قبول التوبة من هؤلاء الكفار ، وفي تصريف عباده من حال كفر إلى حال إيمان[٣]. والله أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٥١ .

(٣) ينظر : تفسير أبي حيان ، ٥/ ١٦ .

النـــص :

قـــال اللــــه تعالـــى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[١]

بـيـــان غريب النـــص :

أم حسبتم : بل أظننتم ، والقصد من الاستفهام : التوبيخ والإنكار ، و "أم" حرف إضـــراب انتقالي بمعنى " بل" [٢] ولها معاني أخرى [٣].

وليجة : قال الراغب : (الوليجة : كلّ ما يتخذه الإنسان معتمدا عليه وليس من أهله)[٤]. والمراد بها هنا : بطانة من المشركين [٥].

خبير : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ،وقد تقدّم معناه [٦].

معنى النـــص ومناسبة اسمه تـعالـى " خبير " عَقِبَه :

خاطب الله -عز وجل- في هذا النص الكريم مَن شقّ عليه قتالُ المشركين مـــن المؤمنين أو المنافقين منبّها إيّاهم إلى أنّ الإيمان ليس مجرّد عقيدة كما يعتقد بعضهم، فقال ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا ﴾ أي : بل أظننتم أن تتركوا على ما أنتم عليه من القعود عن الجهاد دون ابتلاء وامتحان منّا بتكليفكم به ، وفي ذلك توبيخ للمسلمين على ظنهم أن يتركوا بمجرد أن يعلنوا إسلامهم دون أن يختبرهم الله -تعالى- بجهاد المشركيـــن ليَظهر الصادق المخلص في إيمانه وجهاده من الكاذب ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾ أي :كيف تحسبـــون

---

(١) سورة التوبة ،الآية : ١٦ .

(٢) ينظر : الصحاح للجوهري ، مادة (أمم) ، ٥/١٨٦٦- ١٨٦٧ ، الكشاف للزمخشري ، ٢/١٧٨، فتح القدير للشوكاني ، ٢/٣٤٢.

(٣) ينظر : الصحاح للجوهري ، مادة (أمم) ، ٥/ ١٨٦٦-١٨٦٧ ، معاني الحروف للرماني ص٧٠.

(٤) المفردات للراغب ، ص : ٥٣٢ .

(٥) معاني القرآن للفراء ، ١/٤٢٦، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ١٨٣ .

(٦) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٢.

أنكم تتركون والحالُ أنّه لم يظهر بعدُ، الذين جاهدوا منكم في سبيل الله - تعالى - بإخلاص، غيرَ متخذين بطانةً من دون الله - تعالى - ولا رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولا المؤمنين، يطلعونهم على أسراركم، قال - تعالى -: ﴿ الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَـٰذِبِينَ ﴾ (١)

ثم حذّر - تعالى - المؤمنين الذين في صدورهم شيء من هذه المشاعر غير الطيّبة، التي تقيم صلة بينهم وبين المشركين فقال: ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ وهذه الجملة تذييل (٢) ينكر ذلك الحسبان، أي: لاتحسبوا ذلك مع علمكم بأن الله - تعالى - خبير بكلّ ما تعملونه، فلا تخفى عليه - تعالى - منكم خافية، وهو - تعالى - يعلم بواطن أعمالكم فيبتليكم بما تظهر به حقيقة ما أنتم عليه، ويجازيكم على أعمالكم خيرها وشرّها، فإن أنتم جاهدتم بإخلاص، أحسن مثوبتكم، وإن أنتم قعدتم عنه أو قصّرتم فيه، أو أفشيتم أسرار المؤمنين إلى أعداء الإسلام، وأعلمتموهم أمورهم، **أغلظ** عقوبتكم. وفي ذلك وعدٌ لمن يخلص في عمله ووعيد لمن لايخلص فيه.

وقد ناسب في هذا الختام الإخبار عن الله - تعالى - باسمه ﴿ **خبير** ﴾ الدالّ على العلم ببواطن الأمور، وأسرارها، لأن الآية جاءت في ذكر ما قد يُسرّه بعض المسلمين الذين لم يترسخ الإيمان في قلوبهم في أمر الجهاد، فإنّ المقاتل قد يقاتل وباطنُه خِلاف ظاهره، وهو الذي يُطْلِعُ الكافر على أسرار المسلمين، فمَن الذي يخبرُ ما في بطون هؤلاء، ويكشف ما أعماقهم؟ لايستطيع ذلك إلاّ الله - سبحانه - ولذلك كان ختمُ الآية بهذا السم الكريم لله - سبحانه وتعالى -.

---

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ١-٣.

(٢) التحرير والتنوير لابن عشور، ١٠/١٣٩.

النص :

قال الله تعالى :

﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ ﴾(١)

بيان غريب النص :

غفور : اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٢).

رحيم : اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٣).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " غفور رحيم " عَقِبَه :

ذكّر الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيما تقدّم (٤) المؤمنين من عباده ، بفضله ونعمه عليهم في نصره إيّاهم في مواطنَ كثيرةٍ من غَزَوَاتِهم مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، في بدر وفي الخندق ، وفي فتح مكة ، وفي حرب اليهود في خيبر (٥) .. ثمّ في يوم حنين الذي أُعجب فيه المسلمون بكثرتهم ، وظنّوا أنّهم لا يُهزَمون ، ولكن لم تنفعهم تلك الكثرةُ لكي يعلموا أنّ النصر إنّما يأتيهم من عند الله ـ تعالى ـ ، ثمّ نصرهم الله ـ تعالى ـ بتأييد من عنده .

ولمّا ذَكَرَ ـ تعالى ـ في هذا السياق ـ صفحةً من الواقع الذي عاشه المسلمون من نصر الله ـ تعالى ـ إيّاهم في وادي حنين وفي غيرها من الأماكن ، وما عاشه أيضا كفّار هوازن في حنين بما أصابهم من أنواع التعذيب كالقتل والأسر والهزيمة جزاءً على كفرهم ، أَرْدَفَ ذلك بقوله ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾ أي : من بعد تلك الهزيمة التي أصابت هؤلاء الذين جاؤوا لمحاربة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ منهم ومن غيرهم ، وفعلاً تاب الله ـ تعالى ـ على كثير منهم ، حيث جاء إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما ذكر أهل الحديث والسِّير ـ وفدٌ من هوازن فأسلموا راغبين في مغفرة الله ـ

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٧ .

(٢) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(٣) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٤) ذلك في قوله ـ تعالى ـ ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ . ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ سورة التوبة ، الآيتان : ٢٥ - ٢٦ .

(٥) هناك غزوات أخرى كثيرة تحقّق فيها النصر للمؤمنين كغزوة بني قريظة وغزوة بني المصطلق وغزوة تبوك .

- تعالى- لهم و رحمته بهم ، و الإحسان إليهم ، و سألوه - صلى الله عليه و سلم- أن يَرُدّ إليهم سَبْيَهم و غنائمهم ، فخيّرهم رسولُ الله - صلى الله عليه و سلم- بين سَبْيهم و بين أموالهم ، فاختاروا سَبْيهم ، فردّه - صلى الله عليه و سلم- إليهم ، فقال : " إِنَّا لَا نَدْرِي لَعَلَّ فِيكُمْ مَنْ لَا يَرْضَى ، فَمُرُوا عُرَفَاءَكُمْ فَلْيَرْفَعُوا ذَلِكَ إِلَيْنَا ، فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ الْعُرَفَاءُ أَنَّهُمْ قَدْ رَضُوا " (١).

ولما بيّن- سبحانه وتعالى- بعض مظاهر رحمته بعباده بأنْ وَعَدَ قبول التوبة لمن تاب من هوازن وغيرهم ، أَخْبَرَ عن اسميه الكريميين في قوله- تعالى- ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ليُزيلَ عن الكفّار عامّة ، وعن هوازن خاصّة الخوفَ والتهديدَ الحاصلَ في قوله- تعالى- ﴿.. وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) وفي ذلك إعلام لهم أنّ الطريق إلى اللّه- تعالى- دائما مفتوح لهم ، ولا زالت رحمةُ الله- تعالى- ومغفرتُه في انتظارهم ، إن تابوا وأنابوا إلى الله- سبحانه- بعد الكفر الذي من أجله عُذّبوا قتلا وأسرا .

وفي الإخبار عن الله- تعالى- باسميه ﴿ غفور رحيم ﴾ في هذا الختام تقرير لِماوعده - سبحانه وتعالى - من قبول التوبة ، وأنّه- تعالى- قد تجاوز عمّا سلف منهم من الكفر والمعاصي و أنقذهم بالإسلام مع كل ما جرى عليهم من الخذلان والتعذيب ، ولم يَختِم- تعالى- على قلوبهم بإصرارهم على الجحود والإنكار ، بل رجع إليهم برحمته وفضله ، حيث وفّقهم للتوبة والإنابة إليه ولم يؤاخذهم بذنوبهم السالفة ، وفي ذلك إعلام أيضا بأن الله- تعالى- المتصف بالمغفرة والرحمة يعامِل بمثل ذلك كلَّ مَن تاب وآمن ، حيث إنّ المغفرة والرحمة من شأنه- تعالى- . والله - تعالى- أعلم بالصواب .

---

(١) القصة طويلة ، أخرجها البخاري ، في كتاب العتق ، باب مَن ملك من العرب رقيقاً ، (٥/ ١٦٩ رقم٣٥٣٩ - ٣٥٤٠ ، فتح الباري شرح صحيح البخاري) ، وفي كتاب الهبة ، باب إذا وهب جماعة لقوم ، (٥/٢٢٦ - ٢٢٧ رقم٢٦٠٧ - ٢٦٠٨) ، سيرة ابن هشام ، (٤/١٣٤١-١٣٤٢) تفسير ابن كثير ، (٢/٣٥٩) .

(٢) سورة التوبة ، من الآية : ٢٦ .

النـص :

قـال اللـه تـعالـى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾(١)

بيـان غريب النـص :

نَجس : قذر(٢)،قال الراغب : (النجاسة : القذارة ،وذلك ضربان : ضرب يدرَك بالحاسّة، وضرب يدرَك بالبصيرة ، والثاني وصَفَ الله -تعالى- به المشركين في الآية)(٣).
وهو من المصادر التي يستوي فيه الذَّكَرَ والأنثى والتثنية والجمع(٤).

عيلة :فقرا وحاجة(٥)،يقال منه : عال يعيل عيلا وعيلة وعيولا : افتقر ،ومن ذلـك قول الشاعر :

وما يدري الفقير متى غِناه وما يدري الغَنيّ متى يَعيل(٦).

عليم :اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ،وقد تقدم معناه(٧).

حكيم :اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ،وقد تقدّم معناه(٨).

معنى النـص ومناسبة اسميه تعالـى "عليم حكيم" عقِبَه :

يأمر الله -عز وجل- المؤمنين في هذا النص الكريم بمنع المشركين من قُربـان المسجد الحرام فيقول -تعالى-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾أي ما المشركون

---

(١) سورة التوبة ،الآية : ٢٨.
(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ،ص : ١٨٤ .
(٣) المفردات في غريب القرآن ، ص : ٤٨٣ ، ذكر مثله الفيروزآبادي في البصائر ، ١٩/٥ .
(٤) معاني القرآن للفراء ، ٤٣٠/١ .
(٥) المرجع السابق ، ٤٣١/١ ، ينظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ١٨٤ .
(٦) ينظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، ٢٥٥/١ ، الصحاح للجوهري ، ١٧٧٩/٥ ، والشاعرُ هـو أُحَيْحَة بن الجلاح .
(٧) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .
(٨) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣١ .

إلاّ قذر لِخُبث غقائدهم وأعمالهم[(١)] ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي: فامنعوا المشركين عن دخول الحرم[(٢)]، ولا تمكّنوهم من أداء مناسك الحج والعمرة، إذ لا يصحّ لهم أن يدخلوه ويقتربوا منه ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ أي: بعد العام الذي نزلت فيه هذه الآية، وهو العام التاسع الهجري الذي حَجّ فيه أبو بكر -رضي الله عنه- بالناس، وبعث فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- عليّا -رضي الله عنه- ليؤذّن بالبراءة عن المشركين[(٣)].

ولمّا كان هذا المنع سيترتّب عليه حِرمان المؤمنين من الأرزاق التي تأتي مع هؤلاء المشركين طَمْأَنَهُم الله -تعالى- وبشّرهم بأنه -تعالى- سيعطيهم مِن فضله ما يغنيهم عن المشركين، فقال -تعالى- ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيّها المؤمنون ﴿عَيْلَةً﴾ أي: فَقْراً بسبب منع المشركين من دخول الحرم، حيث ينقطع ما كانوا يجلبونه إليكم من الأرزاق والمكاسب فاطمئِنُّوا ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أي: فسوف يتفضّل الله -تعالى- عليكم من جهة أخرى، فإن الرزق ليس مقصورا على باب واحد ومحلّ واحد، لأنّ فضل الله -تعالى- واسع، وجُوده عظيم ﴿إِن شَآءَ﴾ استثناء منه -سبحانه وتعالى- لبيان أن هذا الإغناء بإرادته -تعالى- وحده، حتى تبقى قلوب المؤمنين متعلِّقة به -سبحانه وتعالى- راجيةً خائفةً، وللتنبيه على أنّ عطاءه -سبحانه- لهم هو من باب التفضّل لا الوجوب، لأنّه لو كان واجبا ما قيّده بالمشيئة.

ولمّا كان مشيئته -سبحانه- تجري حسب مقتضى علمه وحكمته فقد خُتمت الآية بذكر اسميه -تعالى- ﴿عليم حكيم﴾ في قوله -تعالى- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وهو تذييل أُوتي به -والله تعالى أعلم- وصفاً كاشفاً لتلك المشيئة، وأنّها مشيئة عليم، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، يعلم من يليق به الغِنى، ومَن لا يليق، وهي مشيئةُ حكيم أيضا يضع الأشياء مواضعها، وينزّلها منازلها، والله -تعالى- يعلم ما يصلح أحوال الناس، وهو -تعالى- لا يعطي ولا يمنع إلا عن حكمة، فلمّا منعكم -أيها المؤمنون- من أن تمكّنوا المشركين بعد هذا العام أن يدخلوا الحرم، لم يكن تاركا منفعتكم، فقدّر غِناكم عنهم بوسائلَ أخرى عَلِمَها وأحكم تدبيرها. والجملةُ تشعر أيضا بالتعليل لقوله -تعالى- ﴿وإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَآءَ﴾.

---

(١) اختلف المفسرون في المراد من نجاسة المشركين، فقيل: هي نجاسة الحكم، لا نجاسة العين، لأنّ الكافر كغيره طاهر البدن بدليل أنّ الله -تعالى- أباح وطء الكتابية ومباشرتها، فهؤلاء المشركون سُمُّوا نجسا على الذمّ. وهذا القول هو ما تقرر أثناء الشرح وهو قول الجمهور كما حكاه ابن كثير في تفسيره، ٣٦٠/٢، والخازن في تفسيره، ٧٧/٣، وقيل هي نجاسة العين وهي عدم تطهُّرهم من النجاسات العينية.

(٢) قاله عطاء، (تفسير الطبرى، ١٠٥/١٠).

(٣) قاله قتادة، (تفسير الطبرى، ١٠٦/١٠).

وبذلك كلّه قد ظهرت مناسبة ختم الآية بصفتي العلم والحكمة لله -سبحانه وتعالى-،فالعلمُ يتناسب مع ما تضمّنته الآيةُ من الإخبار عن الغيب في قوله -تعالى- ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ﴾ والحكمةُ تتناسب مع تدبير الله -تعالى- للمؤمنين من تهيئة أسباب رزقهم .

ولقد أنجز الله -تعالى- لهم وعْده ، فإنّه -تعالى-أغناهم بالمغانم التي انتزعها بأيديهم[(١)]، وفتح لهم البلاد ، ودخل في دين الله -تعالى-مَن هم أيسر حالا وأغنى مالا من هؤلاء المشركين ،حيث توجّه إليهم الناس من العرب والعجم في أيام الحج كلّ عام. وجاؤوا بالأرزاق والنعم .كلّ ذلك بمقتضى علمه -تعالى- وحكمته ،فهو ضابط الأمور ورابط الأسباب[(٢)] . والله -تعالى- أعلم بالصواب .

---

(١) كما حدث بعد نزول سورة التوبة بعد نحو ثلاث سنوات ،حيث حصل المسلمون على كنوز كِسرى وقيصر وأصابوا غِنىً لم يأت إلى بالهم .

(٢) ينظر: نظم الدرر للبقاعي،٤٣٣/١٠ ، التحرير والتنوير لابن عاشور ،١٦٢/١٠ .

النــص :

قــال اللــه تــعــالــى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ
إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ
فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ (١)

بـيـان غريب النــص :

انفروا : اخرجوا ، يقال نفر إلى الثغر ينفر نفرا ونفيرا (٢).

اثاقلتم : تباطأتم ، وهو من الثقل المقتضي للبطء ، وأصله : تثاقل ، فقلّبت التاء ثـاء و أدغمت في ثاء الفعل ، و جيء بهمزة الوصل (٣).

من الآخرة : بدلا من الآخرة ، قال أبوحيان : (تظافرت أقوال المفسرين على أن "مـن" بمعنى بدل) (٤).

متاع : المتاع : ما ينتفع به وما يتمتع به (٥)، يطلق على القليل والكثير باعتباره مصدرا .

قليل : من القلة في الأعداد ، ثمّ يستعار للشيء الضئيل الصغير معنويًا (٦).

أليما : مؤلما ، شديدَ الإيلامِ والوجعِ ، قال في المفردات : (الألم : الوجع الشديد) (٧).

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ٣٨ - ٣٩ .
(٢) لسان العرب ، مادة (نفر) ، ٢٢٥/٥ ، تفسير القرطبي ، ١٤٠/٨ .
(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ١٨٦ ، معاني القرآن للأخفش ، ٥٥٤/٢ .
(٤) البحر المحيط ، ٤١/٥ .
(٥) القاموس المحيط ، مادة (متع) ، ص : ٩٨٥ .
(٦) المفردات للراغب ، ص : ٤١٠ .
(٧) المرجع السابق ، ص : ٢١ .

يستبدل : قال في اللسان : (استبدل الشيء بغيره وتبدّله به :إذا أخذه مكانه ، وتبديل الشيء : تغييره)(١).

قدير : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه(٢).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى " قدير " عَقِبَه :

في هذا النص الكريم يوجّه الله - سبحانه وتعالى - نداءً إلى المؤمنين المتثاقلين عن الجهاد ، ويعاتبهم على هذا التثاقل ، فقال - تعالى - ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ بالله - تعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وفي هذا النداء حثّهم على الالتزام بما يستدعيه الإيمان الصادق من طاعة لله - عز وجل - ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وتقويةٌ عزائمهم على قتال أعداء الله - تعالى - ﴿ مَا لَكُمْ ﴾ أي : ما الذي يمنعكم من القيام بمقتضى الإيمان ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي : إذا دعيتم إلى الخروج للقتال والجهاد في سبيل الله - تعالى - ، وهو هنا غزوة تبوك(٣) ﴿ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي : تباطأتم وتكاسلتم مائلين إلى الإقامة في دياركم ، مشتهين ثمارها ، والقعود في ظل أشجارها ، وكرهتم مشاقّ الغزو ومتاعبه ﴿ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي : أرضيتم بمتاع الحياة الدنيا ولذائذها الزائلة ، بدلاً من متاع الآخرة ونعيمها الدائم ، وفي هذا الاستفهام إنكارٌ لتباطئهم عن الجهاد ، وتعجّبٌ من ركونهم إلى الدنيا مع أنّ إيمانهم يتنافى مع ذلك ، إذ أنّ إيثارهم الحياةَ الدنيا الفانيةَ على الحياة الآخرة الباقيةِ فسادٌ في الرأي والاختيار ﴿ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي : فما فوائد الدنيا ولذائذها ﴿ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي : في جنب متاع الآخرة ﴿ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أي : حقير ضئيل ، لا ينبغي أنْ يحرَص عليه ، قال - صلى الله عليه وسلم - "وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ هَذِهِ - وأشار يحيى - أحدُ الرواة - بالسبابة - فِي الْيَمِّ(٤) فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ (٥).

ثم هدّد الله - عز وجل - هؤلاء الذين تثاقلوا عن الجهاد بعذاب أليم ، إن لم ينفروا للجهاد ، فقال - تعالى - ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ ﴾ أي : تخرجوا - أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله - تعالى

---

(١) لسان العرب ، مادة (بدل) ، ١١/٤٨ .

(٢) ينظر من هذا البحث ، ص :٣٤ .

(٣) قاله مجاهد ، (تفسير الطبري ، ١٠/١٣٣ - ١٣٤) ، وغزوةُ تبوك كانت في رجب سنة تسع من الهجرة ، وفي هذه الغزوة تخلّف المنافق عبد الله بن أبيّ ومَن تبعه ، وتخلّف أيضا بعض المسلمين من غير نفاق ، ككعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية الذين تاب الله - تعالى - عليهم .

(٤) اليمّ : هو البحر ، (المصباح المنير ، ٢/٦٨١)

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ٤/٢١٩٣ ، رقم ٢٨٥٨ ، وقال النووي في معنى الحديث في شرحه على صحيح مسلم (١٧/١٩٢ - ١٩٣) : ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قِصَر مدّتها وفناء لذاتها ، ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها إلّا كنِسبة الماء الذي يعلّق بالأصبع إلى باقي البحر . اهـ .

حين دعاكم إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ﴿ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ الله - عز وجل - ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ بإنزال المصائب بكم في الدنيا، وبنار جهنّم في الآخرة ﴿ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ أي: يأتِ بقوم آخرين بدلا منكم، يطيعون الله - تعالى -، ويؤثرون الآخرة على الدنيا، ويقومون بنصرة نبيّه - صلى الله عليه وسلم - ولا يتخلّفون عن الجهاد، بل يسارعون إليه كما قال تعالى: ﴿... وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾(١) وقد وعد الله - تعالى - بإظهار دينه على الدين كله، وإن لم يكن ذلك بأيديكم فلا بدّ أن يكون بأيدي غيركم ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ﴾ أي: ولا تضرّوا الله - تعالى - بتثاقلكم وتخلّفكم عن الجهاد، فهو الغنيّ عنكم وعن جهادكم وعن كل شيء.

ولما كان هذا التعذيب والتغيير، أمرًا يحتاج إلى قوة وقدرة وغلبة، ناسب أن يكون الختام بصفة القدرة في قوله - تعالى - ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وهو تذييل مؤكّد لما قبله، أي: والله - تعالى - قادر على أن يذهبَ بكم وينشيء بدلكم قوما آخرين لا يكونون مثلكم، وإنما يطيعون الله - تعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، وينصرون دينه ويجاهدون في سبيله، ويكونون أذلّة على المؤمنين، أعزّة على الكافرين، فلا يعجزه ذلك، ولا يصعب عليه أنْ يؤيّد دينه بغيركم، كما لا يشقّ عليه أيّ شيء يريده في ملكه - سبحانه وتعالى -، وفي هذا الخبر وعيدٌ شديدٌ وزجرٌ عن التخلّف عن الجهاد. والله - تعالى - أعلم بالصواب.

---

(١) سورة محمد، من الآية: ٣٨.

النـص :

قـال اللـه تـعـالى :

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (١)

بيـان غريب النـص :

ثاني اثنين : أحد اثنين ، كما تقول العرب : هو ثالث ثلاثة ، ورابع أربعة ، يعني أحد الثلاثة وأحد الأربعة .(٢)

والمراد بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ثاني اثنين﴾ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ .

في الغار : والغار في اللغة : ثقبٌ في الجبل ، يشبه بالبيت (٣) والمراد به هنا : غار ثور ،(٤) وهو جبل في الجهة اليمنى من مكة على مسيرة ساعة .(٥)

لاتحزن : الحَزَن والحُزن : الهمّ والغمّ ،(٦)

عزيز : اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى ، وقد تقدم معناه (٧).

حكيم : اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى ، وقد تقدم معناه (٨).

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٤٠ .

(٢) ينظر : تفسر الطبري ، ١٣٥/١٠ ، تفسير ابن عطية ، ٤٩٨/٦ ، تفسير القرطبي ، ١٤٣/٨ .

(٣) ينظر : المفردات للراغب ، ص : ٣٦٧ ، تفسير الطبري ، ١٣٦/١٠ .

(٤) هو قول قتادة ، (تفسير الطبري ، ١٣٦/١٠) .

(٥) معجم ما استعجم للبكرى ، ٣٤٨/١ ، واليوم يقع على الطريق الدائري ، من جهة عرفات ، بمكة .

(٦) القاموس المحيط ، ص : ١٥٣٥ .

(٧) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٨) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣١ .

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى" عزيز حكيم "عَقِبَه:

في هذا النص الكريم أعلم الله- سبحانه وتعالى- المؤمنين الذين يتثاقلون عن الخروج مع الرسول- صلى الله عليه وسلم- للغزو والجهاد في سبيل الله- تعالى-، أنّه المتكفّل بنصر رسوله- صلى الله عليه وسلم- على أعداءِ دينِه بدون عونٍ منهم، فقال- تعالى-: ﴿ **إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ** ﴾ أي: إنّكم- أيّها المؤمنون- إنْ آثرتم القعودَ والراحةَ على الجهاد ولم تنصروا رسولَكم الذي استنفركم للخروج معه، فاعلموا أنّ الله- تعالى- سينصره بغيركم، فقد نصره، وأنتم تعلمون ذلك ﴿ **إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ من مكة، حيث حملوه على الهجرة بسبب توالي إيذائهم له ومؤامرتهم على قتله، حالةَ كونه- صلى الله عليه وسلم- ﴿ **ثَانِيَ اثْنَيْنِ** ﴾ أي: أحد اثنين، والثاني أبو بكر- رضي الله عنه-، فقد حماهما الله- تعالى- ﴿ **إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ** ﴾ أي: وقتَ أن كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر[1] رضي الله عنه في غار ثور ﴿ **إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ** ﴾ أبي بكر الصدّيق، حين أحسّ- رضي الله عنه- بحركة المشركين، فخاف خوفا شديدا على حياة النبي- صلى الله عليه وسلم-، وقال: يارسول الله- صلى الله عليه وسلم-، لَوْأنّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا، قَالَ: " مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ، اللَّهُ ثَالِثُهُمَا[2]" ﴿ **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ بعونه ونصره وتأييده، ثم أخبر- تعالى- عمّا أحاط به نبيّه- صلى الله عليه وسلم- من مظاهر الحفظ والتأييد، فقال: ﴿ **فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ** ﴾ أي: فأنزل الله- تعالى- طمأنينته على رسوله- صلى الله عليه وسلم- ﴿ **وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا** ﴾ أي: وقوّاه ونصره بجنود من الملائكة لم تروها أنتم، كان من وظيفتهم حراستُه- صلى الله عليه وسلم- وصَرْفَ أيضا المشركين عنه.

وبعد ذكر هذه القصّة التي تتضمّن الرغبةَ في الجهاد في سبيل الله- تعالى- والتهديدَ فيمن لم ينصر الرسول- صلى الله عليه وسلم-، ولم يقاتل معه، أخبر- تعالى- أنّه جعل كلمة الكفار سافلة دنيئة حقيرة مغلوبة إلى أنْ يرث- تعالى- الأرض ومَن عليها وأعْلَى كلمةَ الله- تعالى-، وهي "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، والتي تَغلِب دائما ولا تُغلَب وذلك في قوله- تعالى-: ﴿ **وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا** ﴾ وكما قال- تعالى-: ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾[3].

ولذلك خُتمت الآية بصفتي العزة والحكمة الدالّين على تحقُّق ماتقدّم في قوله تعالى ﴿ **وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ وهو تذييل مقرّر لمضمون ماقبله، أي: والله- تعالى- الذي له الإحاطة

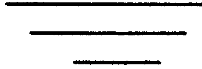
---

(١) في الآية دلالة على فضل أبي بكر- رضي الله عنه- بخصيصةٍ لم تكن لغيره من هذه الأمة وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة، والصحبة الجميلة.

(٢) صحيح البخاري، مع شرحه فتح الباري، كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة، باب ثاني اثنين اذ هما في الغار، ٣٢٥/٨، رقم ٤٦٦٣، صحيح مسلم، ١٨٥٤/٤، رقم ٢٣٨١.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ - ١٧٣.

بكل شيء قدرةً وقهرا ، عزيزٌ مطلقا يُعِزّ بنصره وتأييده أهلّ كلمته التي لاتزال عاليةمنصورة بذاتها ، فلا غرابةَ في ذلك ، لأنه - تعالى - غالب على ما أراد من النصر والتأييد من غيرحاجة إلى سبب ، وهو - تعالى - حكيم أيضا ، يضع الأشياء مواضعها ولا يفعل إلاّ ما فيه حكمة وصواب ، ومن حكمته - تعالى - ينصر أهل كلمته - تعالى - ويرفع شأنهم ويخذل أهل كلمة الكفر والشرك ويذلّهم . والله - تعالى - أعلم بالصواب .



النص :

قال الله تعالى :

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾ (١)

بيان غريب النص:

عليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٢).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى " عليم " عَقِبَه :

أعلم الله - عز وجل - نبيّه - صلى الله عليه وسلم - الصفاتِ التي يتميّز بها المؤمنون الصادقون ، عن غيرهم من ضعاف الإيمان ، فقال - تعالى - ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ أي : ليس من شأن المؤمنين الصادقين أن يستأذنوك - يا رسول الله صلى الله عليه وسلم - في الجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل إعلاء كلمة الله - تعالى - ونصرة دينه ، وإنما شأنُهم المبادرةُ إلى الجهاد حين يدعو الدّاعي إليه ، دون أن ينتظروا إذنا من أحد ، فضلا عن أنهم لايستأذنوك في التخلّف عنه ، وذلك في الوقت الذي لاحاجة لهم فيه إلى التخلف عن الجهاد ، وأمّا الاستئذان عند الضرورة فجائز بدليل قوله - تعالى - : ﴿... فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ...﴾ (٣)

ولما أخبر الله - سبحانه - رسولَه - صلى الله عليه وسلم - أنّ شأن المؤمنين الصادقين في إيمانهم لايطلبون الإذن لأنفسهم، ولايتوقّفون عليه بعد إعلان النفير العام ، فضلا عن أن يستأذنوه - صلى الله عليه وسلم - في ترك الجهاد أو التخلف عنه ، بل يُقدمون عليه خفافا وثقالا ، كما أمرهم الله - تعالى - ، طاعةً لأمره ويقينا بلقائه وثقة بجزائه دون تباطؤٍ أو تردّد، كان التقدير : فمن اتصف بما ذُكر ، هم أهل التقوى والصلاح الذين يستحقون كل إحسان وإكرام. ولذلك ختمت الآية بقوله - تعالى - ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ وهو تذييل مقرر

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٤٤.

(٢) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٣) سورة النور ، من الآية : ٦٢ .

لمضمون ما قبله[١]، فيه التحريض للمؤمنين على الاتصاف بهذه الصفة الكريمة وهي التقوى كأنه قيل: واللهُ- تعالى- الذي يحيط بكل شيء عِلما، عليمٌ بأنهم متّقون، وإشعار بأنّ من علاماتهم عدمُ الاستئذان في أمر الجهاد، بخلاف المنافقين الذين يختلقون المعاذير الكاذبة للتخلّف عن الجهاد، فإنما هُمْ بسبب تقواهم إذا سمعوا النداء العام إلى الجهاد كانوا في مقدِّمة المستجيبين له، فيَجْزيهم اللهُ- تعالى- على ذلك ويعطيهم من الثواب الجزيل مايناسب تقواهم.

وفي ذكر اسمه- تعالى- **"عليم"** في هذا الختام شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين ووعد لهم بأن لهم أجرهم. والله - تعالى - أعلم بالصواب.

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود، ٦٩/٤، تفسير الآلوسي، ١١٠/١٠.

النص :

قال الله تعالى :

﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

خبالا : فسادا وشرا (٢)، قال في الصحاح : (الخَبْل والخَبال - بفتح الخاء - : الفساد) (٣).

لأوضعوا : لأسرعوا السير، من الوضع، وهو سرعة السير، يقال : وضع البعير وأوضعته إيضاعا (٤).

خلالكم : فيما بينكم (٥).

يبغونكم : يطلبون لكم، يقال : بغيتُك الشيء : طلبتُه لك، وأبغيتك الشيء : أُعنتك على طلبه (٦)

الفتنة : تقدم معناها (٧)، والمراد هنا : المحنة باختلاف الكلمة والفرقة.

عليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، وقد تقدم معناه (٨).

الظالمين : من الظلم، وهو وضع الشيء في غير موضعه (٩).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى "عليم" عقبه :

كشف الله - سبحانه وتعالى - في هذا النص الكريم عن الحكمة في تثبيط (١٠) هؤلاء المتخلفين عن غزوة تبوك، وتأخّرهم عن جماعة المجاهدين، وأخبر عن المفاسد المترتبة على خروجهم، لو خرجوا مع جيش المؤمنين، فقال - تعالى - : ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ﴾ أي : لو خرج هؤلاء المنافقون - مخالطين لكم أيها المؤمنون - إلى غزوة تبوك ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي : لم يزيدوكم بخروجهم معكم إلّا شرّا وفسادا، فهم دعاة فتنة وليسوا أسباب قوة ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي : ولأسرعوا في الدخول فيما بينكم، ومشوا بينكم بالنمائم لإفساد ذات بينكم، وتفريق كلمتكم، حالَ كونهم ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أي : يطلبون لكم بإيقاع ذلك الفساد بينكم

(١) سورة التوبة، الآية : ٤٧.

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ص : ١٨٧، العمدة في غريب القرآن للقيسي، ص : ١٤٨.

(٣) الصحاح للجوهري، مادة (خبل)، ١٦٨٢/٤.

(٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ص : ١٨٧، والعمدة للقيسي، ص : ١٤٨.

(٥) المرجعان السابقان، نفس الصفحات.

(٦) الصحاح للجوهري، مادة (بغى)، ٢٢٨٢/٦ - ٢٢٨٣.

(٧) ينظر من هذا البحث، ص : ١٨٨، أثناء تفسير الآية (٣٩) من سورة الأنفال.

(٨) ينظر من هذا البحث، ص : ٣٣.

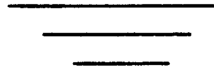
(٩) المفردات للراغب، ص : ٣١٥.

(١٠) تقول اللغة : ثبط فلانا عن الشيء : عوّقه وبطّأه، وثبط الرجلَ : حبسه، (المعجم الوسيط : ٩٣)

ما تُفتَنُون به، من تفريق جمعكم وكلمتكم، وتهويل أمر العدوّ عليكم ﴿ وَفِيكُمْ ﴾ أي: فيما بينكم - أيها المؤمنون - ﴿ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ أي: ضِعاف الإيمان، يسمعون منكم، وينقلون لهؤلاء المنافقين أسراركم، كما أنّ منكم مَن يسمع لهم ويطيعهم، ويستجيب لحديثهم ويَغترّ بهم، وذلك يؤدي أيضا إلى وقوع فسادٍ وشرّ بين صفوف المؤمنين، ولذا وغيره كَرِهَ الله - تعالى - خروجَهم، وثبّطهم فقعدوا مع القاعدين من النساء والأطفال والمرضى.

وبعد أن كشف الله - تعالى - أسرار المنافقين الذين يرون الجهاد آلاما ومتاعبَ، ختم الآية بقوله: ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ ﴾ وهو تذييل، المقصودُ منه: التهديد والوعيد لهؤلاء الذين تقدّمت أوصافهم، فعلمُ الله - تعالى - متعلّق بالظالم وغيرِ الظالم، والاقتصارُ في هذا الخِتام على ذكر الظالم يدلّ على بيان سبب الوعيد، وفيه شمول للفريقين: القاعدين عن الجهاد نفاقا، والسمّاعين للمنافقين، حيث إن كِلا الفريقين ظالم بماتنطوي عليه ضمائرهم من شرٍّ وفساد، والله ذو علمٍ، يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن، لو كان كيف يكون. فبمقتضى علمه هذا، ثبّط المنافقين وصرفهم عن الخروج مع المؤمنين إلى قتال الروم والعرب المُتَنَصِّرة بالشّام، ولا تخفَى عليه - تعالى - خافيةٌ من أمر هؤلاء الظالمين فسيعاقبهم بالعقاب المناسِب لجرائمهم ورذائلهم.

لما كان ما تقدم في النص أمورا لا يعلمها قبل أن تقع إلاّ اللهُ - تعالى -، ناسب أن يصف الله - تعالى - نفسَه الكريمةَ بأنه عليم. والله - تعالى - أعلم بالصواب.



النص :

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

الصدقات : جمع الصدقة ، وهي ما يُخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة (٢).

والمراد بها في الآية : الزكاة المفروضة ، قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ... ﴾ (٣) أي : زكاة مفروضة .

للفقراء : جمع فقير ، وهو مَن لا مال له ، أوْ له مال لا يقع موقعا من كفايته .

قالوا : الفقر ضد الغنى ، والفقير - في اللغة - : الشخص الذي كُسر فقارظهره ثم استعمل فيمن قلّ ماله لانكساره بسبب احتياجه إلى غيره (٤).

والمساكين : جمع مسكين ، وهو مَن لا مال له ، أوْ له مال يقع موقعا من كفايته (٥)، وهو مأخوذ من السكون الذي هو ضد الحركة (٦)، لأنّ احتياجه إلى غيره أسكنه وأذلّه .

والعاملين عليها : سعاة الزكاة (٧)، الذين يقبضونها من أهلها بتولية الإمام ويوزّعونها في جهتها .

والمؤلفة قلوبهم : هم الذين كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتألّفهم على الإسلام (٨).

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٦٠ .

(٢) بصائر ذوي التمييز ، للفيروزآبادي ، ٤٠٨/٣ .

(٣) سورة التوبة ، من الآية : ١٠٣ .

(٤) المصباح المنير ، ٤٧٨/٢ ، لسان العرب ، مادة (فقر) ، ٦٠/٥ - ٦٢ .

(٥) ذهب الشافعي - رحمه الله - الى أن الفقير أسوأ حالا من المسكين ، وإلى عكس ذلك ذهب أبو حنيفة ، وأهل اللغة . ينظر لما قيل في معناهما مفصّلا : تفسير الماوردي ، ٢/ ١٤٦ ، تفسير ابن الجوزي ، ٤٥٥/٣ - ٤٥٦ ، تفسير القرطبي ، ١٦٨/٨ - ١٦٩ .

(٦) المصباح المنير ، ٢٨٣/١ ، لسان العرب ، مادة (سكن) ، ٢١١/١٣ .

(٧) معاني القرآن للفراء ، ٤٤٣/١ ، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ١٨٨ .

(٨) المرجعان السابقان ، نفس الصفحات ، قلت : اختلف أهل العلم : هل بقي حكم المؤلفة قلوبهم أو سقط ؟ ذهب أكثر العلماء - ومنهم عمر رضي الله عنه ، وعكرمة والشعبي - إلى أن الله قد أعز الإسلام ، وأغناه عن أن يتألف عليه أحد من الكفار ، فلا يعطّى كافر تألّفا بحالٍ . إنما كانوا يعطّون في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حالة قِلّة عدد المسلمين وكثرة عدوهم ، وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي . وقال الحسن والزهري وأحمد : سهمهم ثابت لم يسقط ، وقال أحمد : يعطّون إن احتاج المسلمون إلى ذلك ، وإلى ذلك ذهب الطبري في تفسيره ١٦٣/١٠ ، وابن العربي في أحكام القرآن ، ٩٦٦/٢ .

وفي الرقاب : أي : في فكّها ، أي : تحريرها من الرقّ . وهم المكاتَبون [١] الذين يساعَدون على تسديد بدل الكتابة لفكاكهم من الرقّ [٢].

والغارمين : المديونين الذين لزمتهم الديون ولا يجدون مالا لقضائها ، من الغُرم بمعنى الملازمة للشيء ، يقال : هو مغرَم بالنساء ، أي : يلازمهن ملازمةَ الغريم [٣]، منه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ... إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا [٤]﴾ أي : إن عذاب جهنم كان ملازما لأهلها .

وفي سبيل الله : أي : في الجهاد [٥] لإعداد العدّة وتزويد المجاهدين بما يلزمهم من نفقة .

وابن السبيل : هو المسافر المنقطع عن بلده وماله ، أو الضيفُ [٦].

فريضة : مقدّرة واجبة ، يقال : فَرَضَ الشيءَ ـ من باب ضرب ـ يفرِضه فرضا : بيّنه وقدّره في الحِسّيّ ، و فرَضه عليه في الأمور المعنوية : جعله لازما واجبا [٧].

عليم : اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى ، وقد تقدم معناه [٨].

حكيم : اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى ، وقد تقدم معناه [٩].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "عليم حكيم" عَقِبَه :

بيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ في هذا النص الكريم النظامَ الإسلامي في الصدقات ـ أي الزكاة ـ التي يتقوّل عليها المتقوّلون في هذا الزمان ، ويعيبونها بأنّها نظام يجد فيه الفقراءُ منفَذاً ينفُذون منه إلى ما عند الأغنياء .. والأمرُ ليس كذلك ، لأنّ الزكاة فريضة تؤدّى في صورةٍ عبادةٍ إسلاميةٍ ، وهي وسيلة تراحُم وتضامُن بين أفراد الأمة الإسلامية تُحقّقُ التأمين والضمان الاجتماعيين في أوسع الحدود .

و من هنا كان من تدبير الله ـ عز وجل ـ أنّ فرض على المسلمين الزكاةَ ، وجعلها ركنا من أركان الاسلام [١٠] لِمن ملك نصابا معيّنا من المال ، وهي محصورة في طوائفَ من الناس ، عيّنهم القرآن ، وليست متروكة لاختيار أحد ، حتى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تعلُّق له منها بشيء ، كما يدعي المنافقون الذين يلمزونه [١١] ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويعيبونه

---

(١) المكاتبون : جمع المكاتَب : هو العبد المملوك الذي يكون بينه وبين سيده كتابة على إعتاق نفسه .
(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ١٨٩ .
(٣) المفردات للراغب ، ص : ٣٦٠ .
(٤) سورة الفرقان ، من الآية : ٦٥ .
(٥) معاني القرآن للفراء ، ١/ ٤٤٤ .
(٦) معاني القرآن للفراء ، ١/ ٤٤٤ ، أحكام القرآن لابن العربي ، ٢/ ٩٧٠ .
(٧) بصائر ذوي التمييز ، للفيروزآبادي ، ٤/ ١٨٣ .
(٨) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .
(٩) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣١ .
(١٠) الزكاة ركن ثالث من أركان الإسلام ، فُرضت في السنة الثانية من الهجرة .
(١١) ذلك كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ سورة التوبة ، الآية : ٥٨ .

بأنّه يُعطِي منها مَن يشاء ، ويحرم من يشاء ، وأنه يخص بها نفسه وأقاربه [١] ، فذكر الله - تعالى - مَصرِف مستحقّيها ، لِيُفهم هؤلاء الطاعنين في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسبب قسمة الصدقات ، بأنّ توزيع الزكاة إنّما يجري على حسب ما فرضه الله - تعالى - ، لا حسب رغبة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - كما يفترون ، فجزّأها على التالي ، فقال تعالى : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ أي : ليست الصدقات التي هي زكاة النقود والأنعام والزروع وسائر أنواعها إلا لِهؤلاء المذكورين في الآية ، دون من عداهم [٢] ، وهؤلاء المذكورون [٣] فيها قسمان : قسم يأخذ لحاجته كالفقراء والمساكين والرقاب وابن السبيل والغارم لنفسه ، وقسم يأخذ لنفعه العمومي ، وهم البقية ، فتُصرَفُ تلك الزكاة المفروضة ﴿لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ وهم خلاف الأغنياء ، والفقيرُ والمسكينُ [٤] كلاهما يلتقيان في الحاجة ، فيعطَى كلّ واحد منهما من الزكاة ما يزول به الفقر والمسكنة ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ وهم السُّعَاةُ المؤتَمَنون الذين يَجْبون الزكاة ويكتبونها ويحفظونها ويوزّعونها على أهلها ، فهم يُعطَون من الزكاة أيضا ولو كانوا أغنياءَ لأنّها بمنزلة الأجرة في حقهم ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم سادات العشائر والرؤساء الذين إذا أعطوا حصل في اعطائهم مصلحة للإسلام والمسلمين إمّا دفع شرّهم عن المسلمين ، وإمّا رَجاء إسلامهم وإسلام أتباعهم [٥] ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ أي : في فكّها من الرق كإعانة المكاتَبين بشيء من الزكاة على أداء مال الكتابة ويصرَف منها أيضا في تخليص الأسارى من أيدي الكفّار ، وفي شراء الأرقّاء وعِتقهم ، لتخليصهم من ذلّ الرق إلى عزّ الحرية فَيَنْعَموا بعبادتهم لله - تعالى - وحده دون تضييق عليهم ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ وهم الذين استدانوا في غير معصية الله - تعالى - ، ويتعذَّر عليهم قضاءُ

---

(١) أخرج البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : بيْنا النبيّ - صلى الله عليه وسلم - يَقسِمُ ذاتَ يوم قسماً ، فقال ذو الخُوَيصرة - رجل من بني تميم - : يارسول الله اعدِلْ ، قال : " وَيْلَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ؟ " فقال عمر : ائذنْ لي فلأضرِبْ عنقه . قال : " لا ، إنّ له أصحابا يحقِر أحدُكم صلاتَه مع صلاتِهم ، وصيامَه مع صيامهم يمرُقون من الدين كمُروق السهم من الرميّة .. " وللحديث بقية ، (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في قول الرجل : ويلك ، ١٠/٥٥٢ ، رقم ٦١٦٣) .

(٢) كلمة " إنما " تدلّ على الحصر ، وثبوت المذكور ونفي ماعداه .

(٣) المذكورون في الآية ثمانية أصناف ، واختلف العلماء في كيفية قسمة الزكاة بينهم ، والإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - ذهب إلى أنه لا يجوز صرفُ الزكاةِ لواحدٍ من هؤلاء مع وجود الباقين . وذهب جماعة من العلماء - ومنهم أبو حنيفة وصاحباه ومالك وأحمد - رحمهم الله جميعا - ، وهو الراجح عندي - إلى أنه إذا دُفعت الزكاة إلى واحد من الأصناف المذكورة أجزأت ووقعت موقِعَها ، لأنّ الآية أوجبتْ أنْ لا تخرُج الزكاةُ عنهم ، لا أنْ تكون قسمتها بينهم جميعا واجبةً . وهذا قول مرويّ عن علي وابن عباس - رضي الله عنهم - ، وبه قال عطاء وسعيد بن جبير ، ينظر : أحكام القرآن للجصاص ، ٣/١٣٩ ، تفسير القرطبي ، ٨/١٦٧ .

(٤) ينظر للفرق بين الفقير والمسكين ص : ٢٤٦ .

(٥) ينظر : تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن للشيخ عبد الرحمن السعدي ، ص : ٤٨ - ٤٩ (مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) .

دينهم، فإنّهم يعطَون منها بقدر ديونهم ليتمكّنوا من أدائها، أوهم الذين استدانوا للإصلاح بين الناس إذا كان الصلح يتوقّف على بذل مال، فهؤلاء يعطَون أيضا وإن كانوا أغنياء ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: ويصرَف منها في إعانة الغزاة المجاهدين بالزاد والمركوب والسلاح ونحوها مما يستعينون به على القتال في سبيل نصرة الدين ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ وهو المسافر الذي قطعه السفر عن أهله وماله، فيعطَى من الزكاة ما يوصّله إلى بلده وإن كان غنيّا في بلده، فهؤلاء الأصناف الثمانية تصرَف لهم الصدقات، وتختصّ بهم وحدهم ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ على عباده المؤمنين، فلا يعطَى منها غيرهُم ولا يُمنَع منها مَن وُجد منهم.

ولمّا أخبر -تعالى- عن هذا التشريع الذي شرعه في أموال الأغنياء، ثم ردّ هذه الأموال على تلك الأصناف الثمانية التي بيّنها في الآية الكريمة، فريضةً منه -تعالى- واجبا أداؤها على الوجه المذكور خَتَمَ الآيةَ بقوله ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وهو تذييل قُصِد به بيان الحكمة من فرضيّة الزكاة وصرفها على الأصناف المذكورة، أي: واللهُ -تعالى- عليم بظواهر الأمور وبواطنها وبمصالح الدين والدنيا، فلذا أوجب الزكاةَ، وتولّى أمرها بمقتضى علمه، ولم يَكِلْ قِسمتها إلى أحد من خلقه، وشرع أن تكون منحصِرَة في المذكورين فقط، لأنه -تعالى- يعلم أحوال الناس ومصالحهم، ومَن يستحقّ منهم الزكاة وما هي مراتب استحقاقهم منها، ولا يخفى عليه -تعالى- شيء فيما فَرَضَ لهم، وفي غير ذلك من الأحكام، إذ أنّ كلّ ما قضى به -سبحانه- ناتج عن علمه الذي يحيط بكل شيء وينفُذ إلى كل شيء، وهو -تعالى- حكيم في إيجاب الزكاة وصرفها في الأصناف المذكورة(١).

وفي ختم الآية باسميه -تعالى- ﴿عليم حكيم﴾ إثبات صفات الله -تعالى-، وهي هنا العلمُ والحكمةُ، ومتى كان الله -تعالى- عليمًا بخلقه وحاجاتهم، حكيمًا في تصرفه وشرْعه وجب التسليمُ لأمره والخضوعُ له بالطاعة والانقياد. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) هناك حِكَم كثيرة في مشروعيّة الزكاة، وصرفها على الأصناف المذكورة، ينظر: التفسير الكبير للرازي، ١٦/١٠٠-١٠٤، الزكاة وأحكامها للشيخ وهبي سليمان غاوجي، ص: ١٠٠-١٠٥.

النص :

قال الله تعالى : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ (١)

بيان غريب النص:

عزيز : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٢).

حكيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "عزيز حكيم" عَقِبَه :

لمّا ذكر الله - عز وجل - المنافقين والمنافقات ، وبيّن سلوكهم ونهايةَ أمرهم (٤) ذكر المؤمنين والمؤمنات في هذا النص الكريم ، وبيّن فيه سلوكهم الحَسَنَ ومصيرَهم السعيدَ تنفيرا من اتّباع أولئك، وترغيبا في التأسي بهؤلاء ، فقال : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أي : يتولّى بعضهم بعضا في النصرة والحماية والمحبة والتأييد ، كما جاء في الصحيح ، قال - صلى الله عليه وسلم -: " تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ (٥) وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ (٦) بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى (٧) " (٨) وقال -

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٧١ .

(٢) ينظر من هذا البحث ، ص: ٣٣ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص: ٣١ .

(٤) ذلك من قوله - تعالى - : ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ...﴾ إلى قوله - تعالى - : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ الآيات (٦٧ - ٦٩) من سورة التوبة . وقد جاءت أيضا في الآيات السابقة صفاتُهم الخبيثة وكشف القرآن الستار عنها ، ولذا تسمّى هذه السورة - ولها أسماء أخرى - الفاضحة ، لأنّها فضحتْهم.

(٥) الأصل في قوله " توادهم " : التوادد ، فأُدغم . والتوادُد : تفاعل من المودّة ، والودّ والوِداد بمعنًى وهو تقرّب شخص من آخَرَ بما يُحبّ . فتح الباري لابن حجر ، ١٠/٤٣٩ .

(٦) معنى قوله " تداعى له .." : دعا بعضه بعضا إلى المشاركة في الألم . المرجع السابق ، ١٠/٤٣٩

(٧) أما السّهَر فلأنّ الألم يمنع النوم ، وأما الحمّى فلأنّ فقد النوم يثيرها . المرجع السابق ، ١٠/٤٣٩

(٨) صحيح البخاري ، مع شرحه فتح الباري ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، ١٠/٤٣٨ ، رقم ٦٠١١ ، صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين ، وتعاطفهم ، ٤/١٩٩٩ ، رقم ٢٥٨٦ . عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه .

صلى الله عليه وسلم - أيضا : " المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً " [١] وفي هذين الحديثين الشريفين تأكيدٌ لمعنى الآية، وتعظيمٌ لحقوق المسلمين بعضِهم على بعض، وحثّهم على التراحم والتعاضد في غير المعصية، ومن صفات هؤلاء المؤمنين الحسنة أيضا ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو ما عَرَفَه الشرعُ حقا وخيرا من الإيمان والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وهوما عَرَفَهُ الشرع باطلا ضارا من الكفر والأعمال الخبيثة والأخلاق الرذيلة، فالمؤمنون والمؤمنات على عكس المنافقين والمنافقات في هذا الأمر ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ بأن يؤدوها في أوقاتها مستوفيةَ الشروط والأركان مع المداومة عليها ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ بأن يخرجوها من أموالهم ويعطوها لمستحقيها ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في سائر الأحوال بامتثال أوامره - تعالى - واجتناب نواهيه. ثم أخبر - تعالى - عن الجزاء الطيّب الذي ادّخره لهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ المؤمنون والمؤمنات الموصوفون بتلك الصفات الحميدة السامية ﴿سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ والسين تدل على المستقبل وأُوتي بها للدلالة على وقوع الرحمة مع التأخير، لأن الرحمة هنا عبارة عما يترتّب على تلك الأعمال الصالحة من الثواب في الآخرة.

ولما ذكر الله - تعالى - ما وعد به المنافقين والمنافقات من العذاب في نار جهنم [٢]، ذكر ما وعد به المؤمنين والمؤمنات من الرحمة والرضوان، وما أعدّ لهم من الجنات. ثمّ خُتمت الآية بالإخبار عن الله - تعالى - بصفتَي العزة والحكمة في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وهو تذييل قُصِد به التعليل للسياقين اللذين فيهما كلامٌ عن المنافقين والمنافقات، ثم عن المؤمنين والمؤمنات، أي: إن الله - تعالى - الذي له جميع صفات الكمال، غالب، لايمتنع عليه شيء أراده، ولا يعجزه - تعالى - شيء عن إنجاز وعده للمؤمنين والمؤمنات بالجنة ووعيده للمنافقين والمنافقات بالنار، حكيم يضع كل شيء في موضعه اللائق به، وهو - تعالى - ذو حكمة بالغة في قسمته هذه الصفات الحميدة لأوليائه المؤمنين وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المذمومة المتقدمة من النهي عن المعروف والأمر بالمنكر، فالله - تبارك وتعالى - له الحكمةُ في جميع ما يفعله، ولذلك لايعذّب المؤمنين وينعّم المنافقين، بل ينعّم المؤمنين ويعذّب المنافقين. فذلك كله عن قدرة متمكّنة، وعزّة غالبة وحكمة بالغة ... سبحانه، عزّ فحكم، لامعقّب لحكمه، ولا منازع لسلطانه. والله - تعالى - أعلم بالصواب.

---

(١) صحيح البخاري، مع شرحه فتح الباري، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا ٤٥٠/١٠، رقم ٦٠٢٦، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين ١٩٩٩/٤، رقم ٢٥٨٥.

(٢) ذلك في قوله - تعالى -: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ سورة التوبة، الآية: ٦٨.

النـص :

قـال اللـه تـعـالـى :

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ (١)

بيـان غريب النـص :

حرج : الحرج في الأصل :الضيق ، ويقع على الإثم والحرام. قاله ابن الأثير (٢).

والمراد به :إثم على التخلف عن الجهاد.

غفور : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

رحيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه (٤).

معـنى النـص ومنـاسبة اسميه تـعـالـى " غفور رحيم " عَقِبَه :

بعد أن بيّن الله -سبحانه وتعالى- فيما تقدم (٥) أحوال المنافقين الذين اعتذروا عن الجهاد كذبا ، والذين لم يعتذروا من منافقي العرب ، ذكر -تعالى- في هذا النص الكريم - حال الذين لهم أعذار شرعيّة أقعدتهم عن الجهاد ، فقال -تعالى- ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ العاجزين (٦) عن القتال لِضعف في الجسم ، أو لِشيخوخة تُقعدهم عن الجهاد ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ﴾ الذين لا يستطيعون الخروج بأمر عَرَض لهم كالعمى والعرج ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ في مطالب الجهاد مِن نفقات السفر والراحلة التي تحملهم إلى أرض المعركة .فهؤلاء الأصنافُ الثلاثة الذين تخلّفوا عن الجهاد

---

(١) سورة التوبة ،الآية : ٩١ .

(٢) النهاية في غريب الحديث ، ١ /٣٦١ ،ينظر : رفع الحرج في الشريعة الإسلامية للدكتور صالح بن عبد الله بن حميد ،حيث ذكر إطلاقات الحرج ،ص :٤٣، (من منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ) .

(٣) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(٤) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٥) ذلك من قوله -تعالى- ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ﴾ إلى آخر قوله تعالى ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآيات : ٨٦- ٩٠ ،من هذه السورة الكريمة .

(٦) هذه الآية ممّا يدلّ على سقوط التكليف عن العاجز ، فكلّ مَن عجز عن شيء سقط عنه ، ولا فرق بين العجز من جهة القوة أو العجز من جهة المال ، ونظير هذه الآية قوله -تعالى- في سورة البقرة : ٢٨٦ ، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾ وهناك أدلة أخرى كثيرة من الكتاب والسنة تؤيد ذلك .ينظر : تفسير القرطبي ، ٨/ ٢٢٦ .

ليس عليهم ﴿ حَرَجٌ ﴾ أي: إثم ولاذنب على التخلّف ، والجهادُ مع هذه الأعذارساقط عنهم غيرُ واجبٍ عليهم، بشرطٍ شرَطَه الله-تعالى- ، وهو: ﴿ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ وذلك في حال قعودهم ومغيبهم عن الجهاد ، ويتحقّق هذا النصحُ بطاعتهم لله -تعالى- ورسوله-صلى الله عليه وسلم- مع حثّهم المسلمين على الجهاد ، وتركِهم التثبيطَ[١] ، ثم قرر-سبحانه- ما سبق من نفي الحرج والإثم عنهم فقال: ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ أي: ليس على هؤلاء الذين قد أحسنوا في جميع أعمالهم وأقوالهم حسبَ طاقتهم ، من جناحٍ بسبب تخلّفهم عن الجهاد ، ولا إلى معاتبتهم من سبيل ، لأنّهم بنُصحِهم لله-تعالى- ورسوله-صلى الله عليه وسلم- دخلوا في عِداد المحسنين الذين رفع الله-تعالى- عنهم العقوبة واللّوم.

ثم أخبر الله-تعالى- في خِتام هذا النص الكريم عن نفسه الكريمة بالمغفرة والرحمة في قوله-تعالى- ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وهو تذييل[٢] مؤكِّد لِمضمون ما ذُكر في النص ،أي: واللهُ سبحانه وتعالى واسع المغفرة وكثير الرحمة ، فمن مغفرته -تعالى- ستر على أهل الأعذار الحقيقيّة بقبول العذر منهم ، وعفا عنهم ولم يؤاخذهم بالقعود عن الجهاد ، ومن رحمته -تعالى- وسّع على هؤلاء الذين أقعدتهم أعذارهم عن الجهاد ، ولم يكلّفهم فوق طاقتهم بما يشقّ عليهم تيسيراً منه -سبحانه وتعالى- عليهم .

وفي الإخبار عن الله-تعالى- باسميه ﴿ غفور رحيم ﴾ تطييب لقلوب المعذورين الذين قاموا بالنصح على الوجه المطلوب ، حيث إنّهم بمقتضى طبيعتهم البشرية ،لاينفكّون عن التقصير والعجز ، ولا يبلُغون غايةَ الإحسان مهما بذلوا ما في وسعهم من نصحٍ لله -تعالى- ورسوله-صلى الله عليه وسلم- ، فلا يَسَعُهم إلاّ المغفرة والرحمة[٣] ، ولذلك كان ختم الآية بهما . والله-تعالى-أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي ، ٤٨٥/٣ ، أحكام القرآن للقرطبي ، ٢٢٦/٨ ، تفسير ابن كثير ، ٣٩٥/٢ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ٩٢/٤ ، تفسير الآلوسي ، ١٠٨/١٠ .

(٣) نظم الدرر للبقاعي ، ٥٧٣/١٠ بالتصرف .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

الأعراب : هم سكّان البادية (٢)، و واحدها : أعرابي ، و الأنثي أعرابية .

و أجدر : وأحقّ وأحرى وأولى (٣).

عليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، و قد تقدم معناه (٤).

حكيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، و قد تقدم معناه (٥).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " عليم حكيم " عَقِبَه :

بعد أن أخبر الله - سبحانه و تعالى - في الآيات السابقة (٦)، عن أحوال الكفار و المنافقين من سكّان المدينة وغيرها من القرى ، فقد كانوا لِمخالطتهم للمسلمين في المدينة يخافون منهم و يسترون كفرهم و لا يتظاهرون به إلّا تعريضا كتقديمهم الأعذار الكاذبة في حال استنفارهم إلى الجهاد ، بيّن - تعالى - في هذه الآيات التالية لها ، أحوالَ الأعراب الذين يسكنون البوادي .

واستأنف - تعالى - ببيان حال الكفار منهم فقال - تعالى - ﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾ وهم سكّان البادية ﴿أَشَدُّ﴾ من أهل الحضر في القرى و المدن ﴿كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ لجفائهم وقسوة قلوبهم ، ولِبُعدهم عن مجلس الرسول - صلى الله عليه و سلم - و حرمانهم من سماع القرآن و السنن ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ و هم كذلك أحقّ و أولى من أهل الحضر بأن لا يعلموا حدود ما أنزله الله - تعالى - على رسوله - صلى الله عليه و سلم - من الفرائض و الأحكام ، بسبب ذلك الجفاء و تلك القسوة .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٩٧ .

(٢) المفردات للراغب ، ص : ٣٢٨، القاموس المحيط ، مادة (عرب) ، ص : ١٤٥ .

(٣) معاني القرآن للفراء ، ٤٤٩/١، التفسير الكبير للرازي ، ١٦٦/١٦ . وقال الماوردي في تفسيره ، ١٥٩/٢ : أقربُ ، مأخوذ من الجدار الذي يكون بين مسكني المتجاورين .

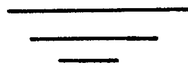
(٤) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٥) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٦) و ذلك في آيات متفرقة من هذه السورة الكريمة إلى الآية (٩٧) منها .

ولمّا كشف الله -سبحانه وتعالى- عن دخيلة الأعراب وأعلمنا أحوالهم وأنّ طباع بعضهم لاتألف الخيرَ وتأنف منه وتميل إلى الشرّ، ناسب الختام بجملة تدلّ على ذلك الكشف والإفصاح المبنيّ على حكمة بالغة، وهي قوله -تعالى- ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ وهو تذييل قُصِد به التقريرُ لما جاء في الآية من الإخبار عن الأعراب. أي: واللهُ -تعالى- عليم، يعلم أحوالَ عباده وصفاتهم وطِباعَهم من بداوةٍ وحضارة وعِلم وجهل، وهو -تعالى- يعلم أيضا بَواطِنَهم من إيمان وكفر ونفاق، حكيم، يضع كلّ شيء فيموضعه ومن حكمته -تعالى- نوّع الأجناسَ والشعوب والبيئات من أهل الحضر والبدو، وقسّم -تعالى- المواهب والخصائص من العلم والجهل والإيمان والكفر والنفاق بين عباده، لا يسأل عمّا يفعل لِعلمه وحكمته.

وفي الإخبار عن الله -تعالى- في هذا الختام باسميه -تعالى- ﴿ عليم حكيم ﴾ دعوة لهؤلاء الأعراب أن ينزعوا لِبَاسَ البداوة، ويقتربوا من مواطن العلم والمعرفة، لأنّه لا يعرِف الطريقَ إلى الله -تعالى-، ويُحسن السلوكَ معه -تعالى-، إلاّ أهلُ العلم والحكمة. والله -تعالى- أعلم بالصواب.



النـص :

قال الله تعالى :

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ (١)

بيان غريب النـص :

مغرما : غرما وخسرانا (٢). وفي لسان العرب : الغُرم والمَغرم والغرامة : ما يلزم أداؤه (٣).

ويتربص : ينتظر ، وفي اللسان : التربص : الانتظار (٤).

الدوائر : جمع دائرة ، معناها في الأصل : مايحيط بالشيء ، والمراد بها هنا : المعائب كالهزيمة والضعف والهلاك (٥).

السوء : مصدر مِن سُؤته سوءا ومسائة :الشرّ والمكروه (٦).

سميع : اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى ، وقد تقدم معناه (٧).

عليم : اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى ، وقد تقدم معناه (٨).

معنى النص ومناسبة اسميه "سميع عليم" عقِبَه :

في هذا النص الكريم أخبر الله ـ تعالى ـ عن بعض الأعراب الذين يُظهرون الإيمان ويُبطِنون الكفر فقال : ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾ أي : ومن الأعراب قوم آخرون يعتبرون ما ينفقونه في الجهاد وغيره من طرق الخير ، غرامة وخسرانا ، لأنّهم لاينفقون ما ينفقونه طمعا في ثواب ، أو خوفا من عقاب وإنما ينفقونه رياء ،لا مساعدة للغزاة والمجاهدين ولا حُبّا في انتصار المؤمنين ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ وكما يعتبرون ما ينفقونه مغرما ينتظرون أن تحلّ بكم ـ أيها المؤمنون ـ الآفاتُ ومصائبُ الدهر ، ونوائبه التي تبدّل حالكم من قوة إلى ضعف ، ومن نصرة إلى هزيمة ، فيستريحوا من الإنفاق وغيره ممّا أوجبه الدينُ عليهم ، وهذا التفكير المنحرف سينعكس عليهم فتكون ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ هذه الجملة دعاءٌ عليهم ، فيها وعيدٌ لهم بأن تدور عليهم الدائرة وينزل

---

(١) سورة التوبة ، الآية :٩٨ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص:١٩١ ، تفسير القرطبي ،٢٣٤/٨ .

(٣) لسان العرب ، مادة (غرم) ، ٤٣٦/١٢ .

(٤) لسان العرب ، مادة (ربص) ، ٣٩/٧ .

(٥) المفردات للراغب ، ص:١٧٤ ، المصباح المنير ، ٢٠٣/١ .

(٦) لسان العرب ، مادة (سوأ) ، ٩٧/١ .

(٧) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٨) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

بهم من البلاء ما تمنّوه للرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه .

إن الله - تعالى - ردّ على هؤلاء الأعراب الدائبين على التناجي فيما بينهم ، ضد الإسلام والمسلمين بأن جعل - سبحانه - الشرّ الذي ينتظرونه للمسلمين محيطا بهم .

ولما كان الانتقام من الأعداء - مثل هؤلاء المنافقين - وإيقاع البأس بهم ، لايتوقف غالبا إلاّ على سماع أخبارهم والعلم بها ، كان ختم الآية بقوله - تعالى - : ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ والسمعُ والعلم يتناسبان مع جوّ التربّص بالسوء من أعداء الجماعة المسلمة، والنفاقِ الذي تحتويه قلوبُهم المريضة ، وتخفيه ظواهرهم [1].

والجملة تذييل قُصد به التهديد لهؤلاء المنافقين من الأعراب بمراقبة الله - عز وجل - لهم ، واطّلاعه - تعالى - على ما يتناجون به حالةَ الإنفاق فيما بينهم وما يقولونه للّذين يجمعون الصدقاتِ منهم ، ومايخبؤونه في ضمائرهم من النفاق والغشّ والترصد بنزول مصيبة تحلّ بالمسلمين وتذهب ريحُهم ، فلا شك أنّ الله - تعالى - الذي سَمِعَ نجواهم وعَلِمَ خيبةَ نفوسِهم سيُحاسبهم على ما صدر منهم حِسابا عسيرا يومَ القيامة ، وينزل بهم العقابَ الذي يناسب جرائمَهم . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، ١٧٠١/٣ .

(٢) تفسير ابن عاشور ، ١٤/١١ بالتصرف .

النــص :

قــال اللــه تـعالــى :

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾(١)

بـيـان غريب النــص :

قُرُبات : جمع قربة ، وهي ما يتقرَّب به إلى الله ـ تعالى ـ(٢).

صلوات الرسول : دعواته ـ صلى الله عليه و سلم ـ(٣)، وفي اللسان : (الصلاة : الدعاء والاستغفار)(٤).

غفور : اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى ، وقد تقدّم معناه(٥).

رحيم : اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى ، وقد تقدّم معناه(٦).

مـعـنى النــص ومـناسبة اسميه تـعـالــى " غفور رحيم " عَقِبَه :

وبعد أن ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ حال الأعراب الكافرين والمنافقين(٧) أتبعه ببيان حال المؤمنين الصادقين ، فقال ـ تعالى ـ ﴿ **وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ﴾ إيمانا صادقا ﴿ **وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ** ﴾ أي : ويعتبر أن كلّ ما ينفقه في الجهاد وغيره من طُرُق الخير قُرُباً يتقرّب به إلى الله ـ تعالى ـ ووسيلة للحصول على دعوات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ له ، حيث كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أتاه المؤمن بزكاته أو صدقته يدعو له بالخير والبركة كدعائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبي أوفى(٨) ـ رضي الله عنه ـ عندما تقدّم إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصدقاتٍ(٩)

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٩٩ .

(٢) الصحاح للجوهري ، مادة (قرب) ، ١٩٩/١ ، تفسير الطبري ، ٥/١١ .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ١٩١ .

(٤) لسان العرب ، مادة (صلو) ، ٤٦٤/١٤ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(٦) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٧) ذلك في الآيتين السابقتين (٩٧ ـ ٩٨) اللتين تقدم تفسيرهما .

(٨) اسم أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ : علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي ، شهد هو وابنُه عبد الله ـ رضي الله عنه ـ بيعةَ الرضوان تحت الشجرة ، (فتح الباري لابن حجر ، ٣٦٢/٣) .

(٩) الدعاء للمتصدِّق ودافعِ الزكاة مستحبٌّ ، كما دعا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبي أوفى ، لكن ليس له أنْ يدعوَ بلفظ الصلاة ، لأن ذلك كان مختصا بالنبيّ ـ عليه السلام ـ . (شرح النووي على صحيح مسلم ، ١٨٥/٧ ، فتح الباري ، ٣٦٢/٣) .

" اَللَّهُمَّ صَلِّ [١] عَلَى آلِ [٢] أَبِي أَوْفَى " [٣]، ثم قال -تعالى- مبيّنا لنفع صلوات الرسول صلى الله عليه وسلم - ﴿ أَلَا إِنَّهَا ﴾ أي: ألا إنّ صلواتِ الرسول- صلى الله عليه وسلم- ويحتمل أن تكون نفقاتهم التي ينفقونها في سبيل الله- تعالى- [٤] - ﴿ قُرْبَةٌ لَّهُمْ ﴾ تقرّبهم إلى الله تعالى وتنمّي أموالَهم وتحُلّ فيها البركة، ثم وعدهم الله- تعالى- على ذلك بإدخالهم الجنة في قوله- تعالى-: ﴿ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ أي: في جملة عباده الصالحين، ويدخلهم في جنته [٥]، فضلا وإكراما منه - تعالى - لهم.

وكان هؤلاء الذين تقدّمت أوصافُهم أسوةً حسنةً لمن أراد أنْ يَقتدي بهم من الأعراب الآخرين، وبذلك يحقّ لهم أن يغفر الله- تعالى - سيّئاتهم، ويستر قبائحهم التي اجترموها قبل إسلامهم، وأنّ يغمرهم برحمته التي وسِعت كلّ شيء، حيث وفّقهم لإنفاق المال لله - تعالى -، وما يتْبعه من دعوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالخير والبركة، ولذا كان الختام بصفتَي المغفرة والرحمة لله - تعالى - ، حيث قال - تعالى - ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وهو تذييل يقصد به التأكيد والتقرير لوعد الله- تعالى- لهم بإدخالهم في رحمته التي هي الجنة على سبيل التعليل [٦]، أي: إن الله - سبحانه- سيُدخلهم في رحمته لأنه - تعالى- واسع المغفرة والرحمة، لايُخلِف وعده، فيُكرم هؤلاء ويثيبهم على إيمانهم، وإخلاصهم في عملهم لله- تعالى-. والله - سبحانه - أعلم بالصواب.

---

(١) الصلاة لها إطلاقاتٌ ومعانٍ كثيرة، ومن معانيها: الدعاء، وهي من الله - تعالى- الرحمة ومن الملائكة والنبيّ: الدعاء، كما في الآية التي نحن بصدد تفسيرها، وهي من الناس عبادة، ينظر: تفسير ابن عطية، ١٠/٧، تفسير القرطبي، ٢٣٥/٨.

(٢) يريد أبَا أوفى نفسَه، لأنّ الآل يطلَق على ذات الشيء، كقوله- صلى الله عليه وسلم- في قصة أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه - : "لَقَدْ أُوتِيَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ" (فتح الباري لابن حجر، ٣٦١/٣).

(٣) صحيح البخاري، مع شرحه فتح الباري، كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، ٣٦١/٣، رقم ١٤٩٧، وفي أرقام (٤١٦٦) و(٦٣٣٢) و(٦٣٥٩)، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقته، ٧٥٦/٢، رقم ١٠٧٨، عن عبد الله بن أبي أوفى.

(٤) ينظر: تفسير الطبري، ٦/١١، تفسير ابن عطية، ١٠/٧.

(٥) ينظر: تفسير الطبري، ٦/١١، تفسير البغوي، ١٣٨/٣.

(٦) نظم الدرر للبقاعي، ٦/١١، تفسير أبي السعود، ٩٦/٤.

النــص :

قــال اللــه تـعـالــى :

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[١]

بـيـان غريب النــص :

غفور : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه[٢].

رحيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدّم معناه[٣].

سـبب النــزول :

رُوى[٤] عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- أنه قال : إنّ هذه الآية نزلت في عشرة تخلّفوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزوة تبوك ، فربط سبعة منهم أنفسهم في سواري المسجد إلى أن قُبلت توبتهم .

وهناك رواياتٌ أخرى متعدّدة[٥]، عقّب ابن جرير الطبري عليها فقال : (وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك : قولُ مَن قال : نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فِعلهم في تخلّفهم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وتركِهم الجهادَ معه ، والخروجَ لغزو الروم حين شخص إلى تبوك ، وأنّ الذين نزل ذلك فيهم جماعة ، أحدُهم أبو لبابة[٦])[٧].

وقال الحافظ ابن كثير : (هذه الآية وان نزلت في أناس معينين إلاّ أنّها عامة في كلّ المذنبين الخطّائين المتلوّثين)[٨].

وما ذكره ابن كثير -رحمه الله تعالى- مما تقرر في علوم القرآن من أن العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٢ .

(٢) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٤) رواه الطبري بسنده عن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ، ١٣/١١ وأورده السيوطي في الدر المنثور ، ٢٧٥/٤ ، وعزاه إلى الطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردوية والبيهقي في الدلائل ، وذكره الواحدي في أسباب النزول ، ص : ٢٥٩ .

(٥) ينظر : تفسير الطبري ، ١٢/١١ - ١٥ .

(٦) هو رِفاعة بن عبد المنذر ، قيل : اسمه : بشير ، وكان نقيباً ، شهد العقبة ، واستخلفه -صلى الله عليه وسلم- على المدينة ، في غزوة بدر ، توفي في خلافة علي .(أسد الغابة ، ٢٦٥/٦) .

(٧) تفسير الطبري ، ١٦/١١ .

(٨) تفسير ابن كثير ، ٤٠٠/٢ .

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " غفور رحيم " عَقِبَه :

لمّا بين الله - سبحانه وتعالى - في الآيات السابقة [١] حال المنافقين المتخلفين عن الغزوة من غير عذر ، ذكر هنا حال المذنبين الذين تخلّفوا عن الجهاد كَسَلا وميلا إلى الراحة مع إيمانهم وتصديقهم بالحق ، فقال : ﴿ وَءَاخَرُونَ ﴾ ممّن حولكم - أيها المؤمنون - ليسوا من المنافقين ﴿ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴾ أي : أقرّوا بذنوبهم التي هي تخلّفُهم عن الجهاد وإيثارهم البقاءَ في المدينة والرضا بجوار المنافقين بغير عذر ، وهم أبو لبابة وأصحابه ، وهم بذلك ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ وهو إيمانهم وجهادُهم في سبيل الله - تعالى - قبل غزوة تبوك ﴿ وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ أي : بعمل آخرَ سيءٍ [٢] ، وهو تخلفهم عن الجهاد في غزوة تبوك . ثم ذكر - تعالى - ما يدلّ على أن الاعتراف بالذنب يحقّق توبتَهم ، فقال : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي : يقبل الله - تعالى - توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم ، وفي التعبير بعَسَى إشعار بأنّ ما يفعله - تعالى - ليس إلاّ على سبيل التفضّل منه - تعالى - حتّى لا يتّكل الشخص ، بل يكون على خوف ورجاء .

ثم ختم الله - تعالى - الآية بما يدل على قبوله - تعالى - توبتَهم ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وهو تذييل قصد به التعليل لرجاء قبول توبتهم [٣] ، أي : يُرجَى رجاءً قويًّا أنْ يتقبّل الله - تعالى - بفضله توبتَهم النابعة من إخلاصهم ، وصدْق طويّتهم ، لأنه - سبحانه - واسع المغفرة والرحمة ، يغفر ذنوب العصاة التائبين المعترفين بذنوبهم ، ولا يؤاخذهم بها ، بل يسترها ويمحوها من الصحائف ويتفضّل عليهم برحمته .

وفي ختم الآية باسميه - تعالى - ﴿ غفور رحيم ﴾ دعوة لهؤلاء المذنبين المسرفين على أنفسهم إلى التوبة ولو قبل الغرغرة ، فإنهم إذا أخلصوا نياتِهم لله - تعالى - ، وأخلَوْا قلوبَهم من وساوس النفاق ورجعوا إلى الله - تعالى - ، تائبين نادمين عازمين على عدم العود ، رأوْا مغفرةَ الله - تعالى - لهم ورحمتَه بهم . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) هي كثيرة في هذه السورة ، ومنها قوله - تعالى - : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ إلى قوله - تعالى - : ﴿ ... وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ الآيات : ٨١ - ٨٧ .

(٢) هذا التقدير موجود في لغة العرب ، ومثله قولك : خلطت الماء واللبن ، أي : باللبن ، (تفسير الطبري ، ١١/١٢) .

(٣) ينظر : نظم الدرر للبقاعي ، ١١/١١ ، تفسير أبي السعود ، ٤/٩٩ .

النـــص :

قـــال اللــه تــعــالـــى :

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٠٣﴾ (١)

بـيـان غريب النـــص :

سميع : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٢).

عليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدّم معناه (٣).

مـعـنـى النـــص ومـنـاسـبـة اسميه تـعـالـى " سميع عليم " عَقِبَه :

ثمّ أمر الله - سبحانه وتعالى - نبيّه - صلى الله عليه وسلم - أن يأخذ الصدقات من هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم (٤) ومن غيرهم ، فقال - تعالى - ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ أي : خذ - أيّها الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - من أموال هؤلاء المعترفين بذنوبهم ، ومن غيرهم من أصحابك (٥) صدقة بمقدار معيّن في الزكاة . ثم ذكر - تعالى - الفوائد المترتّبة على هذه الصدقة فقال ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ من ذنوبهم وما عندهم من أخلاق ذميمة كالبخل وحبّ المال والقسوة على الفقراء ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ أي : وتنمّيهم بها وترفعهم من منـــازل المنافقين إلى منازل المخلصين ، فيكونو سعداء في الدنيا والآخرة ، ثمّ أمر - تعالى - نبيّه - صلى الله عليه وسلم - أنْ يدعو للمتصدقين فقال ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي : ادع لهم بالمغفرة والرحمة وقبول التوبة كما دعا - صلى الله عليه وسلم - لأبي أوفى - رضي الله عنه - (٦) ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ أي : إنّ دعاءك لهم إقرارٌ لنفوسهم المضطربة ، وطمأنينةٌ لقلوبهم الحائرة ، وإيذانٌ بأن الله - تعالى - سيقبل توبتهم ، ثمّ خُتمت الآية بالإخبار عن اللـــه

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٣ .

(٢) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٣) ينظر : من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٤) ينظر : لتفسير الآية (١٠٢) من هذه السورة الكريمة .

(٥) الضمير في قوله - تعالى - ﴿من أموالهم﴾ يرجع إلى جميع المؤمنين وإن أعاد بعضهم الضمير إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، وإلى ذلك ذهب الإمام ابن كثير في تفسيره ، ٤٠٠/٢ وابن جزي الغرناطي في تفسيره ، ٨٤/٢ ، ورشيد رضا في تفسيره ، ٢٢/١١ ، وذهب بعضهم كالطبري ، ١٦/١١ ، والقرطبي ، ٢٤٤/٨ ، وأبي حيان ، ٩٥/٥ إلى أن الضمير يرجع إلى المعترفين بذنوبهم فقط . قلت : كذلك قوله تعالى ﴿خذ﴾ عام يشمل الرسول و الخلفاء وأئمة المسلمين .

(٦) حيث قال - صلى الله عليه وسلم - : " اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى " تقدم تخريجه ، ص : ٢٥٩ .

-تعالى- بصفتين مناسبتين لِما تقدّم في هذه الآية والتي قبلها [1] من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء، وهما صفتا السمع والعلم في قوله -تعالى- ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وهو تذييل يقصَد به التقريرُ لِما سبق، أي: والله -تعالى- سميع يسمع جميع المسموعات، عليم يعلم جميع المعلومات، فسَمِع اعتراف هؤلاء بذنوبهم، وعَلِم صدقهم في توبتهم وهو -تعالى- سمع أيضا أقوالهم حين قدّموا صدقتهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقالوا: خذها يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كفّارةً لذنوبهم، وعلِم إخلاصهم في صدقتهم، وطِيب أنفسهم بإخراجها، فتاب عليهم وعفا عنهم بعد أن قضى -تعالى- في شأنهم قضاءَ السميعِ العليم.

وفي ذكر اسميه -تعالى- ﴿سميع عليم﴾ تطييب لقلب النبي -صلى الله عليه وسلم- حين أُمر -صلى الله عليه وسلم- بالدعاء لمن يأخذ منه الصدقةَ، أي: لاتتردّدْ في تأثير دعائك فيهم، إذِ اللهُ -سبحانه وتعالى- يسمع دعاءك سمْعَ إجابةٍ وقبولٍ إذا دعوتَ لهم، لكن تأثير دعائك يتفاوت بحسب إخلاصهم ونيّاتهم في الصدقة التي يدفعونها إليك، واللهُ -تعالى- يعلم أحوال عباده، ومَن يستحقّ ذلك الدعاء منك، ومَن هو أهل له، فيجازي كلّ عامل بعمله، وعلى قدر إخلاصه ونيّته. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) هي الآية (١٠٢) من هذه السورة.

النص:

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص:

ألم يعلموا : الهمزة للاستفهام ، يراد بها التقرير ، أي : قد علموا .

يأخذ الصدقات :يقبلها (٢).

التواب : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

الرحيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٤).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى" التواب الرحيم" عَقِبَه :

في هذا النص الكريم حرّض الله - تعالى - أولئك الذين أذنبوا واعترفوا بذنوبهم على التوبة ، وحثّهم على بذل الصدقات فقال :﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ** ﴾ أي : قد علم هؤلاء التائبون من ذنوبهم أن الله - تعالى - هو وحده الذي يقبل التوبة الصادقة من عباده المخلصين ، رحمةً بهم ، وأنه - تعالى - يقبل صدقاتهم بأنواعها ويثيب عليها .

ثم ختمت الآية بقوله - تعالى - :﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ وهو معطوف على قوله - تعالى - :﴿ **أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ** ﴾ قُصد به تقرير ما قبله ، وتأكيده مع زيادة معنًى ، والتنبيهُ على أنه - كما يجب العلمُ بأنّ الله - تعالى - وحده يتوب عليهم ويقبل صدقاتهم - يجب العلم بأن التواب الرحيم من أسمائه - تعالى - الحسنى ، ولم يزل العفوُ والتجاوزُ عن الذنوب ، والإكرامُ من شأنه - تعالى - ، وسنّته المستمرّة ، يتوب على من تاب إليه ، ولو تكررت منه المعصية مرارا ، ويكرم من تاب عليه بسعة رحمته وعموم كرمه - تبارك وتعالى - .

وفي توسيط ضمير الفصل **"هو"** بين لفظ الجلالة واسمي **التواب الرحيم** دليل على اختصاص الله - تعالى - بهذين الاسمين - على وجه الكمال - دون غيره ، وفي ذلك ترغيب لكل العصاة في التوبة ، وإنكار وتعيير لغير التائبين . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) سورة التوبة ، الآية :١٠٤ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص :١٩٢ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص :٣٠ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص :٣٢ .

النص :

قال الله تعالى : ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

مرجون : مؤخرون ، فهو من أرجى يرجي دون همز (لغة أهل الحجاز) ، وأرجأ يرجئ - بالهمز - إرجاء (لغة أهل البصرة) ، معناهما : التأخير (٢).

عليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

حكيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٤).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " عليم حكيم " عَقِبَه :

بعد أن بيّن الله - سبحانه وتعالى - أحوال المنافقين الذين أقاموا على النفاق، والتائبين الذين اعترفوا بذنوبهم، بيّن في هذه الآية حال فريق آخر من المتخلّفين عن غزوة تبوك الذين أمرُهم موكول إلى الله - تعالى - ، فقال :﴿ وَءَاخَرُونَ ﴾ أي : ومن المتخلفين عن الخروج معك إلى غزوة تبوك - يا رسول الله صلى الله عليه وسلم - قومٌ آخرون (٥) غير المنافقين والمعتذرين والمخطئين المعترفين بذنوبهم ، والذين لم يختلقوا أعذارا ، وأن يكذبوا بها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فهؤلاء ﴿ مُرْجَوْنَ ﴾ أي : مؤخّرون ، موقوفٌ حالُهم وبيانُ مصيرهم ﴿ لِأَمْرِ اللَّهِ ﴾ أي : إلى أن يحكم الله - تعالى - في شأنهم بحكمه العادل ، فهو - سبحانه - ﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ﴾ بذنوبهم التي منها تخلفهم عن الجهاد بدون عذر ﴿ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي : يقبل توبتهم ، فهؤلاء أمرُهم دائر بين التعذيب والتوبة ، وهذا الذي يدل عليه لفظ " إمّا " إنّما هو بالنسبة للناس ، وإلاّ فالله - سبحانه - عليم بما هو فاعل بهم .

---

(١) سورة التوبة ، الآية :١٠٦ .

(٢) ينظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص :١٩٢ ، الصحاح للجوهري ، مادة (رجو) ، ٦/ ٢٣٥٢ ، معاني القرآن للأخفش ، ٥٦١/٢ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص :٣٣ .

(٤) بنظر من هذا البحث ، ص :٣١ .

(٥) قال ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد وعكرمة والضحاك وغير واحد : المراد بقوله - تعالى - : ﴿ و ءاخرون ﴾ هم الثلاثة الذين تأخّروا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وخُلّفوا عن التوبة ، وهم : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع - رضي الله عنهم جميعا - ، وهم المقصودون في قوله - تعالى - :﴿ وَعَلَى الثَّلَٰثَةِ الذين خُلِّفُوا ... ﴾ التوبة : ١١٨ ، وسيأتي تفسيرها إن شاء الله - تعالى - . ينظر : تفسير الطبري ، ٢٢/١١ ، تفسير الماوردي ، ١٦٤/٢ ، تفسير ابن كثير ، ٤٠١/٢ .

ولمّا كان أمرُهم ومصيرُهم مُبْهَماً على الناس وعلى أنفسهم ، لا يدرون حكم الله - تعالى - وقضاءه فيهم ، ولا يعلمون أ يستحِقّون العقوبة أو العفو ؟ وليس عندهم ما يرجّح لهم جانب العذاب ، أو جانب المغفرة خُتمت الآية بصفتي العلم والحكمة لله - عز وجل - المناسبتين لذلك الإبهام ، وذلك في قوله - تعالى - : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ وهو تذييل يقصد به بيانُ السبب في إبهام أمرهم ، أي : إنه - تعالى - لم يبيّن حكمه وقضاءه في هذا القسم من المتخلفين عن الجهاد ، وجَعَلَه مبهما على أنفسهم وعلى الناس جميعا ، لأنه - تعالى - عليم بأحوال عباده وبما يُصلِح حالَهم ، فيعلم هؤلاء - الموقوفَ أمرُهم على حكم الله - تعالى - وقضائه - وما في قلوبهم من رجاء ، وما يؤول إليه أمرهم من الحكم بعذابهم أو العفو عنهم ؟ حكيم في أفعاله وأقواله وفيما يشرعه لعباده .

وفي ذكر اسميه - تعالى - ﴿ عليم حكيم ﴾ عَقِبَ هذا النص مناسبة قوية لِما تضمّنته الآية الكريمة ، إذ أن اسمه " **عليم** " مناسب لِما تقدم فيها من جهالة أحوال هؤلاء ، إلى أين يصيرون ، أ يغفر لهم أم يعذّبون ؟ إذ لا يعلم ذلك إلا ذو علم بأمرهم ، وهو اللهُ - تعالى - ، ثم ذُكِرَ اسمه - تعالى - " **حكيم** " إشارة إلى أنّ تأخير حكم هؤلاء إلى أن ينزل قوله - تعالى - فيهم ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [(١)] ليس عبثا وإنّما لِحِكَم كثيرة ، ومنها إثارة الهمّ والخوف في قلوبهم لتصحّ توبتهم ، لأن التوبة عندما تجيء بعد ندم شديد ، وتأديب نفسي تكون مرجوّة القبول من الله تعالى . والله أعلم بالصواب .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٨ .

النص :

قال الله تعالى : ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

رِيبة : شكا ، قال في اللسان : (الريب والرِيبة -بكسر الراء- : الشك والظِنة والتهمة (٢).

بنيانهم : مبناهم ، فهو مصدر بمعنى اسم المفعول (٣).

والمراد به : مسجد الضرار الذي بناه المنافقون .

تقطع : تُفصَل ، من التفعّل بحذف إحدى التائين ، أي : تتقطع ، والقطعُ -في اللغة- : فصل الشيء (٤).

عليم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه (٥).

حكيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه (٦).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " عليم حكيم " عَقِبَه :

وبعد الحديث عن المؤمنين المذنبين ، المتخلّفين عن غزوة تبوك ، الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيّئا ، ثم تاب الله -تعالى- عليهم ، عادت السورةُ الكريمة إلى حديثها الطويل المتنوّع عن النفاق والمنافقين ، وذكرت فريقا آخر من أولئك المنافقين ، الذين اتّخذوا دين الله -تعالى- هزوا ولعبا ، وتآمروا على الإسلام بأن يتخذوا المسجد الذي بنوه بجوار مسجد قباء ، والذي عُرف **بمسجد الضرار** (٧) محلاًّ للتخريب والتدمير وإلقاء الفتنة بين أهل الإيمان ، وفيهم يقول الله -سبحانه وتعالى- : **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾** (٨).

ثم ختمت القصة بكشف الستار عن سرائر المنافقين ، وبيان الآثار التي ترتبت

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٠ .

(٢) لسان العرب ، مادة (ريب) ، ٤٤٢/١ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ١٠٤/٤ .

(٤) المفردات للراغب ، ص : ٤٠٨ ، لسان العرب ، مادة (قطع) ، ٢٧٦/٨ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٦) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٧) قصة مسجد الضرار موجودة في سيرة ابن هشام ، (١٣٨٢/٤-١٣٨٣) وتفسير الطبري ، (١١/ ٢٣) وتفسير القرطبي ، (٢٥٣/٨-٢٥٤) وتفسير ابن كثير ، (٤٠٢/٢-٤٠٣) . وخلاصتها : أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء ، طلبوا من الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يصلي بهم في مسجدهم ، فلما فعل -عليه السلام- ما طلبوه انزعج بذلك طائفة من أهل النفاق بالمدينة ، يريدون الشر بالمسلمين ، فحرّض أبوعامر الفاسق هؤلاء المنافقين لِيبنوا مسجدا . وبعد بنائه دعوا الرسول -عليه السلام- للصلاة فيه ليتخذوا من صلاته فيه مادّة تفريق كلمة المسلمين وتشتيت وحدتهم . وهمّ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- أن يجيب غيرَ عالمٍ بما يُبيِّتون ويخفون من المكايد ، ولكن الله -سبحانه- أعلم رسولَه -صلى الله عليه وسلم- بذلك عند عودتِه من غزوة تبوك ، فنهاه -سبحانه وتعالى- عن أن يصلي فيه ....

(٨) سورة التوبة ، الآية : ١٠٧ .

على هدم مسجد الضرار [١] في نفوس بُناته المنافقين الأشرار فقال: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: سيظلّ مسجدهم الذي أقاموه، وبُنيانُهم الذي شيّدوه مصدر ريبةٍ وشكٍّ في الدين، قائما كان أو مهدوما، أمّا حالَ قيامه: فكانوا يجتمعون فيه ليفرقوا كلمة المؤمنين ويشتّتوا وحدتهم، وليدبروا الكيد لهم، أمّا حالَ هدمه: فقد ملأ الغيظ قلوبهم وتحسرت أنفسهم، لأنهم لم يبلُغوا ما أرادوا من بناء المسجد، وهو الإضرار بالمسلمين، وتقوية الكفر وتفريق كلمة أهل الحق، وإعداد المسجد مأوًى ومعقِلا لاجتماع المحاربين فيه، فزادهم الغيظ والحسرة ريبة وشكا، وهم سيظلّون على هذه الصورة السيئة ما داموا أحياء، فإذا ماتوا انتهت تلك الريبة.

ولمّا تقدم إخبار الله -تعالى- عمّا عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار من شكّهم في دينهم، ومن نيتهم الفاسدة في بنائه، **كان من المناسب** أن يكون ختام هذه الآيات باسميه -تعالى- "عليم حكيم" في قوله -تعالى-: ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ وهو تذييل مناسب لذلك الإخبار العجيب، يقرّر مضمونَه، أي: والله -تعالى- **عليم** بكلّ شيء في هذا الكون، لا يَعلم أحوالَ هؤلاء المنافقين الشّرّيرة ونياتهم الفاسدة، إلّا الله -تعالى- المحيط علمُه بكل شيء، ولا يَعلم أنّ هؤلاء سيكونون -بسبب بنيانهم هذا- خائفين مضطربين في الدنيا، خاسرين نادمين في الآخرة، إلّا الله -تعالى-، وهو -تعالى- **حكيم** في كلّ تصرفاته وأفعاله، وفي صنعه -تعالى- بهؤلاء المنافقين، فبمقتضى حكمته أظهر ما عَلِمه ممّا أبطنوه من الشر في بنيانهم، وأَمَرَ -سبحانه- بهدم بنيانهم هذا، حفظاً للمسلين عن نوايا هم الفاسدة ومقاصدهم الرديئة الخبيثة، وتنبيهاً على اليقظة من الوقوع في حبائلهم. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) كل مسجد بُني مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله -تعالى- فهو لاحِقٌ بمسجد الضرار، فواجب على الإمام تعطيله، إمّا بهدم وتحريق وإمّا بتغيير صورته وإخراجه عمّا وضع له. ينظر: الكشاف للزمخشري، ٢١٤/٢، زاد المعاد لابن القيم، ٥٧١/٣، محاسن التأويل للشيخ القاسمي، ٣٢٨/٨.

النـص :

قال اللـه تـعـالى :

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١٥﴾ (١)

بيـان غـريـب الـنـص :

عليم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدم معناه (٢).

معنى الـنـص ومناسبة اسمه تعالى" عليم" عَقِبَه :

كان بعض المؤمنين يستغفرون لموتاهم من المشركين قبل أن ينهى الله -تعالى- عن ذلك (٣)، فخافوا غضب الله -تعالى- عليهم، ووقع في قلوبهم من حسرة وندم على ما حصل منهم من استغفار لمن مات من أقاربهم على الشرك.

فجاءت هذه الآية التي يخبر الله -تعالى- فيها عن نفسه الكريمة وحكمه العادل أنه لا يضلّ قوما، إلاّ بعد إبلاغ الرسول إليهم ما يتقون، ولا يأخذهم بشيء إلاّ بعد أن يدلّهم على تحريمه فقال- تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ قال ابن جرير -رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية: (وما كان الله -تعالى- ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال، بعد أن رزقكم الهداية، ووفّقكم للإيمان به وبرسوله -صلى الله عليه وسلم- حتى يتقدم إليكم بالنهي عنه فتتركوا الانتهاء عنه. فأمّا قبل أن يبيّن لكم كراهيّة ذلك بالنهي عنه، ثم تتعدّوا نهيَه إلى ما نهاكم عنه، فإنّه لا يحكم عليكم بالضلال، لأنّ الطاعة والمعصية إنّما يكونان من المأمور والمنهي) (٤).

ولما بيّن -سبحانه وتعالى- أنه لا يحاسب الناس، ولا يأخذهم بالعقاب ولا ينزلهم منازلَ الضالين، إلاّ بعد أن أرشدهم إلى الإسلام بأن يبعث إليهم رُسُلَه -عليهم الصلاة والسلام- حتى يتبيّن لهم الطريقُ الذي يسيرون عليه، كما قال -تعالى-: ﴿...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ (٥).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٥.

(٢) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٣.

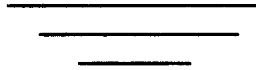
(٣) جاء النهي عن طلب المغفرة لمن مات من أهل الشرك في قوله -تعالى-: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾، سورة التوبة، الآية: ١١٣.

(٤) تفسير الطبري، ١١/٥٣.

(٥) سورة الإسراء، من الآية: ١٥.

ولما كانت هداية الناس وضلالهم قبل البيان أو بعده ، في علمه - تعالى - ، كان الختام باسمه - تعالى - " **عليم** " في قوله - عز وجل - : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ وهو تعليل لما قبله ، أي : إنّ الله - تعالى - المتصف بصفات الكمال ، إذا هدى قوما إلى الإسلام وأنقذهم من الكفر والضلال ، وأمرهم بسلوك الصراط المستقيم ، لا يكلّفهم بشيء من شريعته التي وضعها لهم قبل أن يبيّن الحلال والحرام ، ولا يَكِلُهم إلى الضلال لمجرّد الفعل ما لم يكن هذا الفعل ممّا نهاهم عنه من قبلُ ، بل يتمّم عليهم إحسانه ولطفه ، ويبيّن لهم جميع ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ، حتى لا يبقوا جاهلين بها ، لأنّه - تعالى - عليم بجميع الأشياء ، ومِن جملتها حاجةُ الناس إلى البيان ، ولذلك يعلّمهم ما لم يكونوا يعلمون ، ويبيّن لهم مهمّات الدين بالنص القاطع أمرا أو نهيا ، حلالا أو حراما.

وفي ختم الآية باسمه - تعالى - " **عليم** " دليل على أنه - سبحانه - لا يجازي الإنسان إلاّ على ما يعمله عن علم وقصد ، حيث إنّ العلم هو الأساس الذي ينبغي أن تقوم عليه تصرفات العباد ، وأن تنضبط عليه أعمالهم . وفيه تهديد للمؤمنين بالإضلال بعد الهداية إنْ لم يجتنبوا من الاستغفار للمشركين والتودّد إليهم بعد أن بَيّن - تعالى - لهم ذلك . والله - تعالى - أعلم بالصواب .



النص :

قال الله تعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١١٧) [١]

بيان غريب النص :

في ساعة العسرة : في وقت الضيق والشدة ، قال في اللسان : (العسر - بضم العين وسكون السين وضمها - : الضيق والشدة والصعوبة)[٢].

والمراد بها هنا : أيام الخروج إلى غزوة تبوك .

يزيغ : يعدل ويميل [٣].

رؤوف : اسم من أسماء الله - تعالى - ، وقد تقدم معناه [٤].

رحيم : اسم من أسماء الله - تعالى - ، وقد تقدم معناه [٥].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " رؤوف رحيم " عقبه :

في هذا النص الكريم ذكر الله - عز وجل - جانبا من مظاهر فضله ، ولطفه وإحسانه على نبيّه - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار الذين خرجوا إلى غزوة تبوك ، فقال : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ معنى توبته - تعالى - على النبيّ - صلى الله عليه وسلم - أنه لم يؤاخذه على إذنه - عليه السلام - للمنافقين بالتخلف في غزوة تبوك بل عفا وصفح عنه [٦] ، وهي كقوله - تعالى - ﴿ عَفَا

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٧ .

(٢) لسان العرب ، مادة (عسر) ، ٥٦٣/٤ .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ١٩٣ ، تفسير القرطبي ، ٢٨٠/٨ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٦) إن التوبة تكون عن شيء يصدر من العبد ، والنبيّ - صلى الله عليه وسلم - معصوم من الكبائر والصغائر ، فكيف ذلك ؟ فقد أجاب شيخ الاسلام ابن تيمية عن هذا السؤال فقال : الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم - معصومون من الإقرار على الذنوب كبارها وصغارها ، وهم بما أخبر الله به عنهم من التوبة يرفع درجاتهم ، ويعظّم حسناتهم ، فإنّ الله يحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، وليست التوبة نقصا ، بل هي أفضل الكمالات ، وهي واجبة على جميع الخلق ، والله - تعالى - قد أخبر عن عامة الأنبياء بالتوبة والاستغفار : عن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم ، فقال آدم : ﴿ .. رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ الأعراف : ٢٣ ، وقال نوح : ﴿ .. رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ هود : ٤٧ . (التفسير الكبير لابن تيمية ، ٣٨٤/٤ - ٣٨٥).

اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (١) وأمّا معنى توبته تعالى- على المهاجرين والأنصار فلأجل ما وقع في قلوبهم من الخواطر والوساوس التي منها ميلُ بعضِهم إلى القعود عن غزوة تبوك ، ثم ثبّتهم الله - تعالى - وصانهم عن التخلف وأعانهم على التغلب على ما حدّثتهم به نفوسُهم من التخلف ، فخرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم - لقتال الأعداء ، واتّبعوه في ساعة العسرة ، كما قال - تعالى- ﴿ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ - أي : الذين خرجوا معه - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك ، التي كانت في حر شديد ، وضيق من النفقة والزاد والماء ، واتبعوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم يتخلّفوا عنه ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ﴾ - أي : من بعد ما قرب أن تعدل وتميل قلوب بعضهم من أجل صعوبة الحال وشدة الموقف إلى التخلف عن الجهاد في تلك الغزوة ، ثم كرّر - سبحانه - التوبة تأكيدا لقبولها وتعظيما لشأن أصحابها بقوله : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ - أي : رجع عليهم بقبول توبتهم لصبرهم واحتسابهم وندامتهم على ما خطر في قلوبهم من الميل إلى القعود عن الجهاد بسبب المشقة والشدة في السفر والغزوة .

ثم خُتمت الآية بقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ وهو تعليل لإحسان الله تعالى - لهؤلاء ، ولطفِه بهم ، وفضله عليهم ، أي : إن الله - تعالى - مَنّ عليهم بالتوبة ، وقَبِلها منهم وثبّتهم على دينه ولم يؤاخذهم بما خطر على قلوبهم من الميل إلى القعود عن الجهاد رأفةً ورحمةً بهم .

وفي ختم هذه الآية باسميه - تعالى - ﴿ رءوف رحيم ﴾ ما يكشف عن فضل الله - تعالى - على النبي - صلى الله عليه وسلم - ومَن تبعه من المهاجرين والأنصار في الخروج إلى غزوة تبوك ، حيث إن الرأفة عبارة عن السعي في إزالة الضر ، وهي هنا أخذُه - عز وجل - بيد مَن كاد يسقط منهم ، وتركُه - سبحانه - مؤاخذتهم بما في الخواطر من التخلف عن الجهاد ، وأما الرحمة فهي عبارة عن إيصال النفع ، وهو هنا إحسانه - تعالى - إليهم بقبول توبتهم (٢). والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٤٣ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير للرازي ، ١٦/٢١٦ ، نظم الدرر للبقاعي ، ١١/٣٨ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ
بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ
مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ١١٨ ﴾[١]

بيان غريب النص :

خلّفوا : تُركوا و أخّروا[٢].

ظنوا : علموا واستيقنوا[٣].

التواب : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه[٤].

الرحيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه[٥].

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى " التواب الرحيم " عَقِبَه :

لمّا بين الله - عز وجل - في الآية المتقدمة[٦] أنه تاب على من قارب الميلَ إلى التخلف عن الجهاد ، بيّن هنا توبتَه على مَن وقع منه الزيغ والميل إلى القعود عن الجهاد ، فتولّى كتاب الله - تعالى - الحديثَ عن قصة هؤلاء ، وهم الثلاثة الذين خُلِّفوا ، الذين سارت الركبان بذكر توبتهم ، وسجّلها الوحي بأحرف من نور في هذه السورة الكريمة .

وخلاصة هذه القصة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذهب إلى غزوة تبوك حين طابت الثمار ، وبردت الظلال ، وخرج في حر شديد ، وهي العسرة التي افتضح فيها الناس ، وكان ممن تخلّف عنه ثلاثة : كعب بن مالك[٧] ، ومرارة بن الربيع العامري[٨]

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٨ .

(٢) المفردات للراغب ، ص : ١٥٧ ، المصباح المنير ، ١٧٩/١ .

(٣) تفسير غريب القرآن ، ص : ١٩٣ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٠ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٦) هي الآية (١١٧) ، من سورة التوبة ، والتي تقدم تفسيرها آنفا .

(٧) كعب بن مالك - رضي الله عنه - ، الأنصاري السلمي ، شهد العقبة في قول الجميع ، وكان من شعراء الرسول - صلى الله عليه وسلم - . (أسد الغابة لابن الأثير ، ٤/٤٨٧ - ٤٨٨) .

(٨) قيل : هو ابن ربيعة الأنصاري العمري - رضي الله عنه - ، شهد بدرا . (أسد الغابة ، ٥/١٣٤) .

وهلال بن أمية الواقفي(١). فلما قَفَلَ(٢) رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - من غزوة تبوك دخل إلى المسجد ، فجاء مَن تخلّف عنه يعتذرون إليه وهم بِضعٌ وثمانون رجلا ، فقبل النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - منهم ظاهرَ حالِهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرَهم إلى الله - تعالى - ، إلاّ هؤلاء الثلاثة فإنهم لم يعتذروا ، وصدقوا رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - حقيقة أمرهم ، وكان ممّا قاله له أحدُهم ، وهو كعب بن مالك : يا رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - لو جلستُ عند غيرك لرأيتُ أن أخرجَ من سخطِه بعذر ، لكنّي واللهِ يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كان لي عذرٌ ، واللهِ ما كنتُ قطّ أفرغَ ولا أيسرَ منّي حين تخلفتُ عنك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ " قال كعب بن مالك وهو يروي تمامَ القصة : فنهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسلمين عن كلامنا نحن الثلاثة من بين مَن تخلّف عنه ، فاجتنبَنا الناسُ ، وتغيّروا لنا ، حتى تنكرتْ لي في نفسي الأرضُ ، فما هي بالأرض التي أعرف ، فلبِثْنا على ذلك خمسين يوما ، فأمّا صاحباي فاستكنا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأمّا أنا فكنتُ أشدَّ القوم وأجلَدَهم ، فكنت أشهد الصلاةَ مع المسلمين وأطوف بالأسواق ، فلا يكلّمني منهم أحد ، وآتي رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأسلّم عليه وأقول في نفسي : أَحَرَّكَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - شفتَيْه بردّ السلام عليّ أم لا ؟ ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظرَ ، فإذا أقبلتُ على صلاتي وهو جالس نَظَرَ إليّ فإذا التفتُّ نحوَه أعرضَ عنّي ، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين ، إذا برسولِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - يأتيني فيقول : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمرك أن تعتزل امرأتَك ، فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ، وأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى صاحبي بمثل ذلك ، فلبثنا على هذا الحال عشر ليال ، فكمُل لنا خمسون ليلة من حين نهى - صلى الله عليه وسلم - عن كلامنا ، ثم صلّيت صلاة الصبح صباحَ الخمسين ليلة ، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله - تعالى - في هذه الآية قد ضاقت عليّ نفسي ، وضاقت عليّ الأرضُ بما رحُبت ، سمعتُ صوتَ صارخٍ أَوْفَى على جبلِ " سَلْعٍ "(٣) يقول بأعلى صوته : يا كعبَ بن مالك أَبشِرْ . فخررتُ ساجدا لله - تعالى - وعرَفتُ أن قد جاء الفرجُ من الله - عز وجل - بالتوبة علينا ، فآذن رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - الناسَ بتوبة الله - تعالى - علينا حين صلى صلاة الفجر ، فأقبل الناس يبشروننا ، ولمّا جاءني الذي سمعتُ صوتَه يبشرني نزعت له ثوبَيَّ ، فكسوتهما إياه ببشارته ، واللهِ ما أملك يومئذ غيرَهما ، واستعرتُ ثوبين فلبستهما ، وجئتُ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فلمّا سلمتُ عليه قال - وهو يبرُق وجهُه من السرور - : " أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ " فقلتُ :

(١) هلال بن أمية الأنصاري الواقفي ، شهد بدرا وأحدا ، وهو الذي لاعن امرأتَه ورماها بشريك بن سحماء . (أسد الغابة لابن الأثير ، ٥/٤١٦ - ٤٠٧) .

(٢) قفل : عاد من سفره . (النهاية لابن الأثير ، ٤/٩٢) .

(٣) سَلْع - بسكون اللام - : جبل متصل بالمدينة . (معجم ما استعجم للبكري ، ٢/٧٤٧).

أ من عندك -يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أم من عند الله ؟ فقال : " لَا ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ " فلما جلستُ بين يديه قلتُ : يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم - إن من توبتي أن انخلع من مالي صدقةً إلى الله - تعالى - وإلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال - صلى الله عليه وسلم "أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ" فقلتُ : يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم - إنما نجّاني اللهُ - تعالى - بالصدق ، و إن من توبتي أن لا أحدّث إلّا صدقا ما بقيتُ ، واللهِ ما تعمّدتُ كذبا منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى يومي هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله تعالى - فيما بقيتُ .

فهذه هي قصة "الثلاثة الذين خلّفوا" كما حكاها كعب بن مالك أحد الثلاثة -رضي الله عنه - ، ورواها أئمة الحديث [1]، وهي أحسن تفسير لقوله - تعالى - في هذه السورة : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ والمعنى : وتاب الله - تعالى - أيضا على هؤلاء الثلاثة الذين تُرك أمرُهم معلّقا ، وأخّر النبي - صلى الله عليه وسلم - الفصلَ في حالهم حتى ينزل حكم الله - تعالى - فيهم ، وهم الذين فضّلوا الصدق على الحلف ، فلم يحلفوا ولم يعتذروا وصدقوا اللهَ - تعالى - ورسولَه - صلى الله عليه وسلم - ، وقضوا خمسين ليلة مهجورين من الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين ، وهم انتظروا صابرين فرج الله - تعالى - وعفوه عنهم وقبول توبتهم إلى أن ضاقت عليهم الأرض على سعتها من شدة الأمر عليهم ، وكذلك ضاقت عليهم أنفسهم بسبب إعراض النبي - صلى الله عليه وسلم - عنهم ، ومنعِه المؤمنين من معاملتهم ومكالمتهم وأمرِه إيّاهم باعتزال نسائهم ، واستيقنوا بقلوبهم أنْ لا عاصمَ ولا منجي من سخط الله - تعالى - إلّا الرجوعُ إليه ، وطلبُ المغفرة والرحمة منه ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ أي : ثم وفّقهم للتوبة الكاملة المقبولة عنده - تعالى - ، وأنزل في القرآن التوبةَ عليهم ، ليرجعوا إلى ما كانوا عليه قبل التخلف عن الجهاد ، وفي إعادة التوبة تأكيد للأولى .

ثم إنه - تعالى - ختم الآية بما يدل على أن قبول التوبة من شأنه - تعالى - ، و ذلك في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ وهو تعليل لما سبق [2]، أي : إن الله - عز وجل - تاب على هؤلاء الثلاثة الأنصار الذين قعدوا عن مناصرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والذهاب معه في غزوة تبوك ، لأنه - تعالى - **تواب** ، يقبل توبة عباده ، وإن كثُرت ذنوبهم مع استحقاقهم لأنواع العقوبات ، و لا يعاقبهم بعد التوبة رحمة بهم .

ولمّا تقدم في هذه الآية قبولُ التوبة ، وتحدّثت السورةُ عن التوبة ، وأفاضت الكلام عنها ناسب في الختام التعبير **بالتواب** ، فإنه صيغة مبالغة ، فيها إشارة إلى أنه - تعالى - يقبل التائب ولو عاد في اليوم مائة مرة ، وإن تعددت الذنوب وكثرت ، وفي ذكر **الرحيم** بعد **التواب** دليل على أن قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والفضل ، لا لأجل الوجوب ، لأنه لا يجب على الله - تعالى شيء [3] .

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ، كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك وقول الله - عز وجل - : ﴿ **وعلى الثلاثة الذين خلفوا ..** ﴾ ، ٨/١١٣-١١٦ ، رقم ٤٤١٨ ، وفي كتاب التفسير ، برقم ٤٦٨٨ مختصرا . صحيح مسلم ، كتاب التوبة برقم ٢٧٦٩ .
(٢) نظم الدرر للبقاعي ، ١١/٤١ .
(٣) ينظر : تفسير الفخر الرازي ، ١٦/٢٢٠ ، تفسير الخازن ، ٣/١٥٨ .

ســورة يــونــس

النــص :

قــال اللــه تـعـالــى :

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (١)

بيـان غريب النـص :

إلاّ ظنّا : إلاّ وهْما و تخميتا ، قال الراغب : (الظن اسم لما يحصُل عن أمارة ، ومتى قويـت أدّت إلى العلم ، ومتى ضعُفت جِدّاً لم يتجاوز حدّ التوهم ...) (٢).

عليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، و قد تقدّم معناه (٣).

معـنى النـص ومنـاسبة اسمه تعالى " علـيـم " عَقِبَه :

بعد أن ساقت السورة الكريمة بضع آيات (٤) فيها الأدلة المقنعة ، والبراهين الواضحة ، التي توجب الإيمان والتوحيد ، وتبطل عبادة المشركين للأصنام والأوثان وتقليدهم الأعمى لآبائهم ، بيّن - تعالى - في هذا النص الكريم فساد نِحلتهم ومعتقدهم ، فقال - تعالى - ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي : وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين في معتقداتهم وعبادتهم لغير خالقهم الاّ ظنونا وأوهاما يتوارثونها عن آبائهم وأجدادهم ، دون أن يكون لهم عليها من دليل يدعو إلى الاطمئنان واليقين ، وخُصّ أكثهم بالذكر ، لأنّ هناك قلةً منهم يعرفون الحقّ كما يعرفون أبناءهم ، ولكنهم لا يتبعونه عنادا وجحودا وحسدا ، كما قال - تعالى - : ﴿... فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٥) ، ثم أخبر - تعالى عن فساد الظن والتخمين في أمر الدين (٦) ، فقال : ﴿إِنَّ الظَّنَّ﴾ مطلقا في معرفة الله - تعالى - ، وفيما يجب تحقيقه (٧) ﴿لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي : لايغني من اليقين

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٣٦ .

(٢) المفردات للراغب ، ص : ٣١٧ ، ينظر لمعاني الظن في القرآن الكريم : إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، للدامغاني ، ص : ٣١١ - ٣١٢ ، بصائر ذوي التمييز ، ٥٤٥/٣ . ومن معانيه : اليقين والشك والحسبان والتهمة .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٤) هي من قوله - تعالى - : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ...﴾ إلى آخر قوله - تعالى - : ﴿.. فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ، الآيات : ٣١ - ٣٥ من سورة يونس .

(٥) سورة الأنعام ، من الآية : ٣٣ .

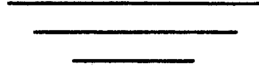
(٦) في هذه الآية دليل على أنه لايُكتَفَى بالظن في العقائد ، إذ أنّ الدين يُبنَى على اليقين دون الظن . (تفسير القرطبي ، ٢٤٣/٨)

(٧) ينظر : الكشاف للزمخشري ، ٢٣٧/٢ ، غرائب القرآن للنيسابوري ، ٨١/١١ .

شيئا ، ولا يقوم مقامه في شيء من الأحوال .

ثم ختم الله - تعالى - الآية بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ وهو تذييل قصد به التهديد والوعيد ، أي : إن الله - تعالى - واسع العلم ، فيعلم ما وقع من هؤلاء المشركين من الأفعال الشنيعة والأحوال القبيحة من الكفر والتكذيب وعبادة الأهوء وتقليد الآباء وترجيح الظن الضعيف على الأدلة القوية القاطعة التي جاء بها الرسولُ - صلى الله عليه وسلم - الدالةِ على وحدانية الله - تعالى - وصدقِ رسالته - صلى الله عليه وسلم - ،واللهُ - تعالى - بمقتضى علمه - سيجازيهم يوم القيامة ، وسينالون ما يستحقونه من عقاب أليم .

وناسب في هذا الختام اسمه - تعالى - " **عليم** " لأنه تقدم الإخبار عن فساد عقيدة المشركين وضعف نظرهم بأُسلوب الحصر في قوله - تعالى - : ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ وذلك يدل على صدور هذا الإخبار عن المحيط علمُه بجميع الأشياء التي منها ما صدر من هؤلاء من الاعراض عن البراهين القاطعة واتباع الظنون الفاسدة . والله - تعالى - أعلم بالصواب .



النص :

قال الله تعالى : ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٥﴾[١]

بيان غريب النص :

العزة : القوة والشدة والغلبة[٢].

السميع : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه[٣].

العليم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه[٤].

معنى النص ومناسبة اسميه "السميع العليم" عَقِبَه :

بعد أن بيّن الله -عز وجل- ما عليه أولياؤه المؤمنون الصادقون من سعادة دنيوية وأخروية في الآيات السابقة[٥] أتبع ذلك بتسلية الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، حيث جاءت هذه الآية ترفع الأكدار والأحزان عن قلبه -صلى الله عليه وسلم- ، وتمسح ما علق به من آلام من أثر تكذيب قومه له ، فقد كان -صلى الله عليه وسلم- يُحزنه أن يقول عنه المشركون : إنه كاذب ، مفترٍ على الله -تعالى- بعد أن كان مشهورا عندهم أنه الصادق الأمين ، فكيف يصبح الصادق كاذبا ، والأمين خائنا ؟ وكان ذلك يؤثّر أشدَّ الأثر في نفسه -صلى الله عليه وسلم- فنهاه الله -عز وجل- عن الحزن والغم لِما سمعه من أقوال هؤلاء المشركين ، فقال : ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ أي : ولا تحزن أيها الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولا تتألم بسبب ما قالوه فيك من الافتراء الذي يتضمّن الطعن والقدح فيك ، وفي دينك والتكذيب والتشاور والتآمر على إبطال أمرك ، فإنّ أقوالهم ممّا لا خير فيه ، لا تعزّهم ، ولا تضرّك شيئا ، ثم ابتدأ -سبحانه وتعالى- فقال : ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ هذا كالتعليل والتدليل على عدم الحزن ، لأنّ العزة والقوة والغلبة لله -تعالى- وحده ، فهو إذاً يعصمك منهم ، وينصرك عليهم ، وينتقم لك من هؤلاء القائلين فيك من القول الباطل .

ثم ختم الله -تعالى- الآية بقوله : ﴿هو السميع العليم﴾ وهو تذييل يقصد به

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٦٥ .

(٢) النهاية لابن الأثير ، ٣/٢٢٨ .

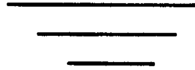
(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٥) هي من قوله -تعالى- : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إلى آخر قوله -تعالى- : ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ، الآيات : ٦٢ - ٦٤ ، من سورة يونس .

تأكيدُ الوعدالمفهوم من قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ - أي : هو - جل شأنه وعز سلطانه - **السميع** لِما يقول هؤلاء المشركون في الله - تعالى - من زور وبهتان ، وفي الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الافتراء والتكذيب والتهديد والاستهزاء به ، **العليم** بضمائرهم وما يكنّون فيها من إيذاء وكيد ومؤامرة ، فلذلك لا تبالِ بهم - يارسولَ الله صلى الله عليه وسلم - ، ولا تذهب نفسك عليهم حسراتٍ ، لأنه - تعالى - كافيك شرّهم بالنصرة والعزة .

والله - تعالى - أعلم بالصواب .



النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

وان يمسسك : وإن يصبك (٢)، وقد تقدم معناها في اللغة (٣).

بضر : بما يضرك من مرض ونحوه ، وقد تقدم معناها في اللغة (٤).

بخير : بما ينفعك من الرخاء ونحوه ، وقد تقدم معناها في اللغة (٥).

الغفور : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٦).

الرحيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٧).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "الغفور الرحيم" عقبه :

بعد أن نهى الله - عز وجل - في الآية السابقة (٨) عن الاتجاه بالدعاء إلى ما لاينفع ولا يضر ، وقرر أن هذا إشراك بالله - سبحانه - بيّن في هذا النص الكريم أنّ النفع والضر من الله - تعالى - وحده ، فقال : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ ﴾ أي : وإن يصبك الله - عز وجل - أيها الانسان - بما يضرك في نفسك من مرض ، أو مالك من نقص ، أو كل ما تكرهه من سوء كالفقر والخوف والحزن ، فلا يقدر أحد على إزالة الضر عنك إلّا الله - تعالى - ، ﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ أي: وإن يُرِدْ - سبحانه - أنْ يُنعم عليك بما ينفعك من صحة وغنى وقوة ، فلا يستطيع أحد أن يرد هذا الخير عنك ، فإنّ إرادته - سبحانه وتعالى - نافذة ، وفي الآية بيانٌ أنّ الأمر ليس بيد الناس ، إنما هو بيد الله - تعالى -

---

(١) سورة يونس ، الآية : ١٠٧ .

(٢) هذا المعنى عام ، ينطبق على روح الآية .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص: ١٣٦ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص: ١٣٦ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص: ١٣٦ .

(٦) ينظر من هذا البحث ، ص: ٣٤ .

(٧) ينظر من هذا البحث ، ص: ٣٢ .

(٨) هي قوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ سورة يونس ، الآية : ١٠٦ .

إن أراد لإنسانٍ الخيرَ أتاه به دون أن يستطيعوا دفْعَه، وإن أراد به السوء فلا يملك أحد رفْعَه، فعلى الإنسان أن يؤمن بالقدر خيره وشرّه من الله - تعالى - وأن يعتقد بيقين أنه لا ينفع ولايضر إلاّ رب العالمين (١).

وإذا كان من صفات الإله المعبود بحقٍّ أن يكون قادرا سميعا بصيرا، يسمع ويبصر ويعطي ويمنع، ويكشف الغمة ويدفع الشدة، ويستجيب دعاء من دعاه، **فهو - تعالى -** القادر على كل شيء، المتصرّف في شؤون العباد كما يريد ويشاء، وإلى ذلك يشير قوله - تعالى -: ﴿ **يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ** ﴾ أي: يصيب بذلك الخيرِ والفضلِ (٢) مَن يشاء من عباده، فجانبُ الخير والفضل أعمّ وأقوى وأغلب لعموم رحمته - سبحانه وتعالى - بخلاف الضر، فإنّه يكون ابتلاء من الله - تعالى -، واختبارا منه لعباده ليظهر مدى إيمانهم وصبرهم، قال - تعالى -: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ** ﴾ (٣).

ثم ختم الله - تعالى - الآية بما يدل على قوة جانب الرحمة فقال: ﴿ **وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾ تذييلا يراد به - والله أعلم - التقرير لقوله - تعالى -: ﴿ **يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ** ﴾ أي: واللهُ - تعالى - عظيمُ المغفرة واسعُ الرحمة، فلولا مغفرته الواسعة ورحمته العامة لَمَا كان الناس أهلا لإصابة الخير، لأنهم لا يخلون من قصور بسبب طبيعتهم البشرية (٤)، ولولا تلك المغفرة والرحمة لأهلك اللهُ - تعالى - الناسَ جميعا بذنوبهم، وأصابهم بضر شديد في الدنيا والآخرة، ولَمَا ترك على ظهر الأرض من دابة كما قال - تعالى -: ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا** ﴾ (٥).

ولما كانت الإصابة بالخير والضر تفيد القهر والغلبة جاء التعقيب بذكر صفتي المغفرة والرحمة لله - تعالى - تطييبا للقلوب وإشعارا بأن رحمته - تعالى - سبقت غضبه، وأنّ جانب الخير يغلب على جانب الشر (٦) والله - تعالى - أعلم بالصواب.

---

(١) يدل على ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه عنه ابن عباس - رضي الله عنه -: "واعْلَمْ أنّ الأمة لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصحفُ". ينظر: سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، ٦٦٧/٤، رقم ٢٥١٥، وأخرجه أحمد في المسند، ٢٩٣/١، ٣٠٣/١، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) يحتمل أن يرجع الضمير في قوله - تعالى -: (به) إلى الخير والضر معا، (تفسير القرطبي، ٣٨٨/٨)

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

(٤) يقول - صلى الله عليه وسلم -: "إنّه لَيُغَانُ عَلَىّ قلبي، وإنّي لأستغفر اللهَ في اليوم مائةَ مرةٍ" وهذا الحديث في صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار، ٢٠٧٥/٤، رقم ٢٧٠٢. الغين: الغم، والمراد به هنا: مايتغشى القلب، قيل: الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوامَ عليه. (شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٣/١٧)

(٥) سورة فاطر، الآية: ٤٥.

(٦) ينظر: تفسير الفخر الرازي، ١٧٥/١٧، تفسير الشيخ المراغي، ١٦٤/١١.

ســـورة هـــود

النص :

قال الله تعالى :

﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٤ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

مرجعكم : رجوعكم، والمرجع : مصدر ميمي بمعنى الرجوع .

قدير : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدم معناه (٢).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى "قدير" عقبه :

بعد أن أنذر الله -تعالى- الناس عذاب يوم القيامة، وحذّرهم من الإعراض عمّا جاءهم به نبيّهم (٣) -صلى الله عليه وسلم- ، أخبر أنّ مرجعهم إليه لا محالةَ، فقال : ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ أي : إلى الله -تعالى- وحده رجوعكم ومصيركم بعد هذه الحياة مهما طالت، يجمعكم يومَ القيامة لِيحصلَ الجزاءُ الأوفى مِن ثواب وعقاب مقابلَ أعمالكم، فيثاب المحسنُ منكم على إحسانه، ويعاقَب المسيءُ على إساءته . وهذا كلّه لا يصدر إلا من الإله القادر، نافذِ الحكم، الذي يقدر على كل شيء، ولا يلابِس قدرتَه عجزٌ بوجهٍ، ولذلك ختمت الآية بعموم قدرة الله -عز وجل- في قوله -تعالى- : ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وهو تذييل أوتي به تأكيدا وتقريرا لِما ذُكر من رجوع الناس بعد موتهم جميعا إلى الله تعالى- يوم القيامة للجزاء .

وفي ختم الآية باسمه-تعالى- ﴿ قدير ﴾ إعلام العبادِ أنّ مَن كان قادرا على كل شيء قادرٌ على بعثهم، ومجازاتهم بما يستحقون من ثواب وعقاب . وفيه تهديد عظيم لمن رجع إلى الله -تعالى- بذنوب عظيمة ولم يتب عنها، لأنه رجع إلى الحاكم الموصوف بصفة القدرة، الذي لا دافع لقضائه ولا مانع لمشيئته . وفيه وعد كبير للعبد العاجز، لأنه يرجع إلى هذا الحاكم الذي له قدرة غالبة وجلالة، حيث إنه -تعالى- القاهر الغالب، إذا رأى عبدا عاجزا مشرفا على المهلاك والعذاب فإنّه يأخذ بيده ويخلصه من عاقبة سيئة بقدرته - سبحانه وتعالى- (٤).

واسمه -تعالى- ﴿ قدير ﴾ جاء مناسبا أيضا لِما بُدئت به الآيةُ من لفظٍ يفيد الحصر في قوله تعالى- : ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ إذْ ذلك يدل على أنه لا مدبّرَ ولا حاكمَ ولا متصرفَ يوْمَ القيامة، إلّا الله سبحانه وتعالى- ، وكل هذه المعاني العظيمة تجتمع في صفة القدرة لله- عز وجل- . والله أعلم .

---

(١) سورة هود، الآية : ٤.

(٢) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٤.

(٣) ذلك في قوله -تعالى- : ﴿ ... وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ ، سورة هود ، من الآية : ٣.

(٤) التفسير الكبير للرازي، ١٧/١٧٤ بالتصرف .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

يَثنون : يطوون ويعطفون ، يقال : ثَنَى الشيءَ يَثنيه ثنيا : ردّه ، وعطف بعضَه على بعض (٢).

لِيستخفوا : من الاستخفاء ، وهو : محاولة الخفاء.
والمراد هنا : الاختفاء ، فالسين والتاء فيه للتأكيد ، مثل : استجاب (٣).

يستغشون : يستترون ، من الاستغشاء ، وهو : محاولة الستر والتغطية .
والمراد هنا : التغشي بما يُغَشِّي ، والسترُ ، فالسين والتاء للتأكيد (٣).

عليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٤).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى " عليم " عَقِبَه :

بعد أن تحدّثت الآياتُ السابقة (٥) عن وجوب الإيمان بالله - تعالى - واستغفاره والتوبة إليه - سبحانه - من الذنوب ، ليُمَتِّعَ - تعالى - صاحبَ عملٍ صالحٍ في الدنيا متاعا حسنا ، و يؤتيَه في الآخرة جزاءَ عملِه ، جاءت هذه الآية الكريمة تبيّن إصرار المشركين على الكفر ، وتُنذرهم بأنّ الله - تعالى - يعلم سِرّهم ونجواهم ، وأنه سيجزيهم بما كانوا يعملون ، فقال - تعالى - : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ (٦) يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ﴾ وافتتحت الآيةُ الكريمة بأداة التنبيه " أَلَا " الدالة على التعجب من هؤلاء المشركين المصرّين على الباطل ، وأنه أمرٌ ينبغي أن يتنبّه له المسلمون ويفهموه ، والمعنى : ألا إنّ هؤلاء المشركين الذين لم يتأثروا بآيات القرآن ، يطوون صدورَهم على الكفر وعداوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ولا ينتفعون

---

(١) سورة هود ، الآية : ٥ .

(٢) ينظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ٢٠١ ، المصباح المنير ، ٨٥/١ ، لسان العرب ، مادة (ثني) ، ١١٥/١٤ .

(٣) تفسير ابن عاشور ، ٣٢٣/١١ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٥) هي من قوله - تعالى - : ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ... ﴾ إلى آخر قوله - تعالى - : ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ... ﴾ ، الآيتان : ٢ - ٣ من سورة هود .

(٦) الضمير في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّهُم ﴾ يرجع إلى المشركين الذين أُمر النبيّ - صلى الله عليه وسلم - بالإبلاغ إليهم في قوله - تعالى - : ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ .. ﴾ الآية : ٢ من سورة هود .

بتلك الزواجر التي تقدمت فيما سبق[١]، ويريدون أن يخفوا أمرهم عن الله ـ تعالى ـ، أو يعتقدون أن أمرهم يخفَى على الله ـ تعالى ـ، ثم ردّ الله ـ عز وجل ـ عليهم وبيّن أنه لا يخفى عليه شيء من أحوالهم، ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾ أي: حين يسترون بثيابهم وجوهَهم مبالغةً في إخفاء أمرهم، وإنّ ذلك لا يغني عنهم شيئا، لأنه ـ تعالى ـ: ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ أي: يعلم ما يضمرونه في قلوبهم من أفكار وما يظهرون، فلا وجهَ لِتَوصّلهم إلى ما يريدون من إخفاء كفرهم وعداوتهم للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ولما تقدم في الآية ما يدل على أن هؤلاء المشركين الجهلة يظنون أن الله ـ تعالى ـ لا يعلمهم، إذا أغلقوا أبوابهم واستغشوا ثيابهم، وذلك يدل على نفيهم عِلمَ الله ـ تعالى ـ بخفيّات الأمور، وبما يدور في العقول ويجري في القلوب، ناسَبَ في ختام هذه الآية ـ بعد أن ذكر ـ تعالى ـ عِلمَه بأسرارهم وإعلانهم ـ **أَنْ يَصِفَ الله ـ تعالى ـ نفسه الكريمة بالعلم بالقلوب والأسرار الموجودة فيها**، نتيجةً لذلك الإخبار، وإبرازا لدقّة عِلمِه ـ تعالى ـ الذي يشمل السرّ والعلانية. وفي ذلك تحذير لهم مِن أن يضمروا في صدورهم الشكّ في شيء من توحيده ـ تعالى ـ، والبُغضَ للنبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه. والله ـ تعالى ـ أعلم بالصواب.

---

(١) ذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ... وَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ من الآية: ٣ في سورة هود.

النـص :

قال اللـه تعـالى :

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢ ﴾[١]

بـيـان غـريـب الـنـص :

كنز : مال عظيم[٢].

وكيل : اسم من أسماء اللـه -تعالى- الحسنى، وقد تقدم معناه[٣].

معنى النـص ومناسـبـة اسمه تعالى "وكيل" عَقِبَه :

كان المشركون يقترحون ويطلبون من الرسول -صلى الله عليه وسلم- بدلا من القرآن المُعجز معجزاتٍ أخرى، يخترعونها من تلقاء أنفسهم الظالمة الجاهلة، فيقولون لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما أخبر القرآن الكريم: ﴿ ... لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا. أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا. أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾[٤] وهناك اقترحات أخرى سخيفة لهؤلاء المشركين، ذكرها القرآن في آيات مختلفة[٥]، حتى إنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- ضاق صدرُه بطلبهم إلى أنْ هَمَّ بترك إسماعهم بعضَ ما يوحى إليه من الآيات التي فيها استهزاءٌ بآلهتهم، وتسفيهٌ لعقولهم التي لم تمنعهم من الإشراك بالله -سبحانه وتعالى-، حتى لاتشتدَّ معارضتُهم له، وتكذيبهم للوحي واستهزاؤهم بدعوته -صلى الله عليه وسلم-.

ولما كانت هذه تعجيزاتٍ وسوءَ أدبٍ مع الله -تعالى- ورسوله -صلى الله عليه وسلم- جاءت هذه الآية الكريمة تحثّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- على الثبات والصبر، وعلى تبليغ ما يوحى إليه، مع عدم المبالاة بما يجده من عناد المشركين، واقتراحهم الآياتِ

---

(١) سورة هود، الآية: ١٢.

(٢) المفردات للراغب، ص: ٤٤٢.

(٣) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٨.

(٤) سورة الإسراء، الآيات: (٩٠-٩٣)، **ينبوعا**: عينا لاينقطع ماؤه. **كسفا**: قِطَعا من العذاب. **قبيلا**: جماعة، أو مقابلة ومعاينة يشهدون لك بما جئت به. **زخرف**: مزخرف بذهب.

(٥) اقرأ الآية (٣٧) من سورة الأنعام، والآيتين (٧-٨) من سورة الفرقان، حيث جاء فيهما اقتراحات المشركين الدالة على فساد عقولهم.

كما أنها تبين أنه -صلى الله عليه وسلم- غيرُ مطالَب بتحقيق ما يطلبون، وأنه -صلى الله عليه وسلم- لا يسأل عن كفرهم، فما هو إلاّ مأمور بتبليغ ما أُرسل به، حيث قال -تعالى-: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾، ثم ذكر -تعالى- ما يُطَمْئِنُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾ أي: ما أنت -يا رسول الله صلى الله عليه وسلم- إلاّ منذر[1]، مخوِّف لكلّ مكذِّب ومخالِف وعاصٍ، ولستَ عليهم بمسيطر، فامْضِ على أمرك ولا تلتفت إلى ردّهم وقبولهم، لأنّك مأمور بالتبليغ فقط، كما قال -تعالى-: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ...﴾[2]، وقال -تعالى-: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[3]، فلا تترك -أيها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم- شيئا من تبليغ ما أمرك الله -تعالى- بتبليغه لهؤلاء المشركين، ولا يضق صدرك بأفعالهم الذميمة وأقوالهم الباطلة، بل واصِلْ دعوتَك لهم إلى طريق الحق، وما أنت عليهم -بصفة النبوة- بوكيل.

ثم ختمت الآية بما يدل على أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ليس موكّلا بكفر هؤلاء القوم، أو إيمانهم، وإنما ذلك لله -تعالى- وحده، وذلك في قوله -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ وهو تذييل قصد به -والله أعلم- تحريض النبي -صلى الله عليه وسلم- على المُضِيّ في تبليغ دعوته، وفيه ردّ على اعتقاد المشركين أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يأتي بما يسأل عنه من الخوارق، لأن الأمور لاتُوكَل إلاّ إلى الله -تعالى-، لا إلى غيره، ولو كان نبيّا رسولا، واللهُ -تعالى- هو الوكيل بأمور العباد من إيمان مَن شاء وكفر من شاء، وأما الرسولُ ليس وكيلا بإيقاع الإيمان في قلوب هؤلاء المشركين، وإنما وُكِل إليه التبليغُ فقط.

وفي ذكر اسمه -تعالى- ﴿وكيل﴾ بعد ذكر وظيفة الرسول -وهي التبليغ- دعوةٌ للرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يتوكّل على الله -عز وجل- ويفوّض أمره إليه -تعالى- في شأن قومه، لأنه -تعالى- يصرفهم كيف شاء بمقتضى علمه وحكمته -سبحانه وتعالى-. والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(١) لعل القرآن الكريم اقتصر على صفة الإنذار للرسول -صلى الله عليه وسلم- مع أن وظيفته الإنذار والتبشير، لأنّ الموقف هنا يقتضي ذلك، إذ أن هؤلاء المشركين أهل للإنذار لتجاوزهم كلّ حدٍ في الإساءة إليه صلى الله عليه وسلم -.

(٢) سورة الشورى، من الآية: ٤٨.

(٣) سورة النحل، الآية: ٨٢.

النص :

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

مجراها : سيرها (٢)، وجريها ، والمجرى : مصدر ميمي .

مرساها : وقفها (٢)، وثبوتها ، والمُرسى : مصدر ميمي .

لَغفور : اللام للتأكيد ، والغفور اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

رحيم : اسم من أسماء الله - تعالى -الحسنى ، وقد تقدم معناه (٤).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "غفور رحيم" عقبه :

بعد أن بيّن الله -سبحانه وتعالى- في الآية السابقة (٥) أنه أمر نوحا (٦) -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - ، الذي لبث في قومه زمنا طويلا يدعوهم إلى الحق ، ولم ير منهم إلّا الإصرار على الباطل والتكذيب ، أن يحمل في السفينة بعد أن أتمّ صنعها زوجين اثنين من كل نوع من أنواع الحيوانات ، وأن يحمل فيها أهله إلّا من سبق عليه القول بأنهم من المغرّقين بسبب ظلمهم ، كما قال -تعالى- ﴿ ... وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ (٧)، جاءت هذه الآية لتبيّن أنه -عليه السلام- نفّذ ما أُمر به ، وأوصى أهلَه أن يذكروا اسمه -تعالى- عند ركوبهم فيها على النحو الذي حكاه -سبحانه- فقال : ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ أي : وقال نوح -عليه السلام- لأهله والمؤمنين الذين أمره الله -تعالى- بحملهم معه : اركبوا في السفينة قائلين بسم الله جريُها فوق الماء ، وبسم الله إرساؤها ووقوفها ، فهو الذي يتولّى ذلك بحوله وقدرته وحفظه وحمايته .

---

(١) سورة هود ، الآية : ٤١ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ٢٠٤ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٥) هي قوله -تعالى- : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ سورة هود ، الآية : ٤٠ .

(٦) نوح -عليه السلام- أول رسول بعثه الله -تعالى- إلى الناس ، حسب حديث الشفاعة الذي جاء في الصحيح ، وفيه : " فَيَقُولُ آدمُ -عليه السلام- ... اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحًا -عليه السلام- فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ... " صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله -عز وجل- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ ٦/٣٧١ ، رقم ٣٣٤٠ ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة ، ١/١٨٥ ، رقم ١٩٤ .

(٧) سورة هود ، من الآية : ٣٧ .

ولمّا كانت نجاة السفينة ومن فيها من الغرق تكون بشمول المغفرة الإلهية لخطايا ركابها والرحمة الإلهية بهم، وليس بأمر ظاهري وهو ذكرُهم اسمَ اللهِ- تعالى- عند جريانها ووقوفها، نبّه نوح -عليه وسلم- قومه إلى قدر نعم الله -تعالى- عليهم ورحمته لهم وستره عليهم وغفرانه ذنوبهم بتوبتهم وإنابتهم فقال: ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وهو تذييل أوتي به لتعليل نجاتهم[1] بالإجراء والإرساء، اعترافا بأنه لا نجاة إلّا بعفوه- تعالى-، لأنه -تعالى- لَعظيم المغفرة لعباده المؤمنين، حيث لم يهلكهم بذنوبهم، بل أهلك الكافرين الظالمين منهم، واسع الرحمة بهم، إذ سخّر لهم هذه السفينة لنجاة بقية الإنسان والحيوان من هذا الطوفان الذي اقتضته مشيئته -سبحانه وتعالى-[2]. والله- تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) نظم الدرر للبقاعي، ٢٨٧/١١.

(٢) ينظر: تفسير الشيخ المراغي، ٣٧/١٢.

النص :

قال الله تعالى :

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۝٥٧﴾ (١)

بيان غريب النص :

حفيظ : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وله معنيان كما تقدم (٢)، وهما يرجعان إلى العلم المحيط بكل شيء ، وإلى الرعاية والحفظ لكل شيء ، كما سيتبين إن شاء الله -تعالى- أثناء بيان المناسبة .

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى "حفيظ" عَقِبَه :

بعد أن استمع هود (٣) -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم- إلى ردود قومه الذين يجادلونه ، وينفون أن يكون -عليه السلام- قد جاءهم بدليل على رسالته ، ويتّهمونه بأنه يحقِد على آلهتهم ، أشهدَ -عليه السلام- اللهَ -عز وجل- عليهم أنه بريء ممّا يشركون ، وتحدّاهم بثقة واطمئنان قائلا : ﴿...فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ...﴾ (٤).

ثم ختم هود -عليه السلام- كلامه مع قومه الذين قطعوا على أن لا يؤمنوا به ، وداوموا على الإنكار ، بتحذيرهم من سوء عاقبة إصرارهم على كفرهم فقال : ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي : فان تتولوا وتعرضوا عما دعوتكم إليه ، فلا مؤاخذةَ عليّ ، ولا عذرَ لكم ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ فقد أدّيت واجبي لله -تعالى- ، وأبلغتكم رسالة الله -تعالى- التي بعثني بها بدون تكاسل أو تقصير ، فلا حجّةَ لكم ، لأنكم رفضتم دعوتي وأصررتم على التكذيب والعداوة ، ثم هدّدهم -عليه السلام- بقوله : ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي : وهو -تعالى- سيهلككم إن أصررتم على كفركم ، ويُبيدكم ويأتي بقوم آخرين يخلفونكم في الأرض مكانكم ، ويقومون بعبادة الله -تعالى- ، ولا يشركون به شيئا ﴿ولا تضرونه شيئا﴾ أي : ولا تضرون الله -تعالى- بتولّيكم وإعراضكم شيئا من الضرر ، بل يعود وبال ذلك عليكم (٥)، فاللهُ

---

(١) سورة هود ، الآية : ٥٧ .

(٢) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٠ .

(٣) هود -عليه السلام- نبي بعثه الله -تعالى- في قوم عاد الذين كانوا يعبدون الأوثان من دون الله -تعالى- ، ودعاهم -عليه السلام- إلى توحيد الله -عز وجل- . ولما طغوا ولم يؤمنوا أهلكهم الله -تعالى- ، وجاءت قصة هود في سور مختلفة من القرآن الكريم .

(٤) سورة هود ، من الآيتين : ٥٥ - ٥٦ .

(٥) ينظر : تفسير ابن كثير ، ٤٦٦/٢ ، تفسير الخازن ، ٢٣٨/٣ .

تعالى لاتضره معصية العاصين ، ولا تنفعه طاعة الطائعين ،كما قال-تعالى -: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [(١)].

ثم علّل [(٢)] -عليه السلام-تهديده لهم بقوله: ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ وهذه الجملة قالها نوح -عليه السلام-، وهو يريد أن يكون محفوظا عند الله الحافظ لكلّ شيء ، أي: إن الله -تعالى- الذي له قدرة كاملة على كل شيء يهلك هؤلاء القوم المعرضين عن التوحيد ، ويستأصلهم ، لكنه -سبحانه- المتصف ببالغ الحفظ، الذي يحفظ الشيء من الهلاك إذا شاء ، ويهلكه إذا شاء ،**استخلف** غيرهم -بحكمته البالغة- حفظا للنوع البشري، وهو -تعالى- يحفظ [(٣)] نبيّه من أن ينالوه بسوء ، وهو يحفظ دينه وأولياءه ، ويتنزه عن لُحُوق الضرر به بإعراض هؤلاء الذين لا يستجيبون لدعوة نبيهم .

ويجوز أن يكون اسمه -تعالى- **"الحفيظ"** هنا بمعنى العليم، فلا يخفى عليه-تعالى- شيء من أعمال هؤلاء ، ولا يغفل عن مؤاخذتهم ، بل سيجازيهم على كل صغيرة وكبيرة . وعلى هذا يكون ذكر اسمه-تعالى- **" حفيظ"** في هذا الختام وعيدا وتهديدا لهم إن استمروا على الكفر والإعراض عن الإيمان برسولهم وبما أرسل به إليهم . والله -تعالى- أعلم بالصواب .

---

(١) سورة فصلت ، الآية :٤٦ .

(٢) نظم الدرر للبقاعي ، ٣١٣/١١ .

(٣) يكون اسمه -تعالى- **"حفيظ"** على ما ذكر بمعنى الحافظ لعباده .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (٦١) (١)

بيان غريب النص :

أنشأكم : أوجدكم ، وفي مفردات الراغب : (الإنشاء : إيجاد الشيء وتربيته) (٢).

استعمركم : جعلكم عامرين ، فالسين والتاء للمبالغة ،كالسين في "استجاب "بمعنى أجاب (٣)

قريب : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٤).

مجيب : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٥).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "قريب مجيب" عَقِبَه :

هذا بداية قصة صالح (٦) - عليه و على نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - مع قومه إذ قال - تعالى - مُخبراً عن إرساله إلى قومه ، ودعوته لهم : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ أي : و أرسلنا إلى قبيلة ثمود واحداً منهم ، وأخاً لهم في النسب ، وهو صالح - عليه السلام - ، يدعوهم - في رفق ولين - إلى عبادة الله - تعالى - ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ أي : وحِّدوا الله - تعالى - الذي لا شريك له ، وخَصّوه بالعبادة ، لأنه في الحقيقة ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ أي : ليس لكم أيُّ إله يستحق أن يعبَد سِواه ، ثم علّل صالح - عليه السلام - دعوتَه إلى عبادة الله - تعالى - وحْدَه بذِكر إنعام الله - تعالى - عليهم بأعظم النِّعم فيما حكاه القرآن بقوله : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي : هو الله - تعالى - أوجدكم - وحده - من الأرض ابتداءً باعتبار

---

(١) سورة هود ، الآية : ٦١ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، ص:٤٩٣ .

(٣) ينظر : تفسير الآلوسي ، ١٢/ ٨٨ ، تفسير ابن عاشور ، ١٢/١٠٨ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٥ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٧ .

(٦) صالح - عليه السلام - من الرسل غير أولي العزم ، وقد أرسله الله - تعالى - ، في قبيلة ثمود. و قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسيره (٤٦٦/٢) :(هم الذين كانوا يسكنون مدائن الحجر بين تبوك والمدينة ، وكانوا بعد عادٍ ، فبعث الله منهم أخاهم صالحا فأمرهم بعبادة الله وحده). وينظر أيضا : معجم ما استعجم ، ٤٢٦/١ .

ولما كانوا أقبلوا على عقر الناقة أهلكهم الله - تعالى - ،كما قال - تعالى - : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ ، سورة الشمس ، الآيات :١١-١٥ .

أبيكم آدم - عليه السلام - خُلِق منها ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي: وجعلكم عمّار الأرض تعمرونها وتسكنون فيها، وتنتفعون بمنافعها، بما وهب لكم من عقل وقوة. ولمّا كان ما أنعم - تعالى - به عليهم يستدعي الاستغفار والتوبة قال: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: فاسألوه - تعالى - أن يغفر لكم ما اقترفتموه من الشرك، ثم ارجعوا إلى عبادته - تعالى - التي يرضاها ويحبّها، واعزموا على أن لا يقع منكم ما يُغضِب ربّكم - عز وجل - .

ثم رغّبهم - عليه السلام - في الاستغفار والتوبة بقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ وهو استئناف بياني [1]، كأنّهم استعظموا أن يكون جرمهم ممّا يُقبَل الاستغفارُ عنه، فأجيبوا بأن الله - تعالى - قريب مجيب، أي: قريب بمن يدعو إليه بالاستغفار والتوبة من الشرك والخطايا، مجيب دعاءَ من رجع إليه - تعالى - وأناب، قال - تعالى -: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [2].

وفي تخصيص ختم الآية باسميه - تعالى - ﴿قريب مجيب﴾ دون ذكرِ أسماء الله تعالى الأخرى، كما أن الظاهر لا يمنع أن يكون الختم بأسماء: غفور رحيم، تواب رحيم، ردٌّ على المشركين في اتّخاذهم الوسائل للتقرّب إلى الله - تعالى - بناءً على زعمهم الباطل أنّ الله - سبحانه - أرفعُ وأبعدُ أن تناله عبادة، أو ترتفع إليه وسيلة، ولذا أوتي حرف ﴿إنّ﴾ في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ تأكيدا لقرب الله - تعالى - من عباده مع كونه لا يرونه.

وفي هذا الختام باسميه - تعالى - ﴿قريب مجيب﴾ دعوةٌ لهم إلى الاستغفار والتوبة لأن الله - تعالى - إذا كان قريبا من عباده المستغفرين فهو مجيب، وإذا كان قريبا مجيبا فاستغفروه، ثم توبوا اليه. والله - تعالى - أعلم بالصواب.

---

(١) تفسير ابن عاشور، ١٢/١٠٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

النص :

قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾ (١)

بيان غريب النص :

أمرنا : الأمر في اللغة : واحد الأمور ، ومعناه : الحادثة(٢) ، وله معان في القرآن الكريم(٣) . ومعناه هنا : عذابنا .

خزي : مصدر " خزي " - بكسر الزاي - من باب فرح : ذلّ وهان(٤) .

نجينا : خلّصنا ، قال في القاموس : (نجا ينجو نجاء ونجاة : خلص)(٥) .

القويّ : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه(٦) .

العزيز : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه(٧) .

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " القويّ العزيز " عقبه :

ما زال السياق في الحديث عن صالح - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - مع قومه ، إنه - عليه السلام - لمّا دعاهم إلى توحيد الله - تعالى - كذّبوه وطالبوه بما يدلّ على صدق ما دعا إليه ، فأجابهم - عليه السلام - بما أخبر القرآن الكريم في قوله - تعالى - : ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾(٨) .

ولقد تحقّق ما توعّدهم به نبيُّهم ، فقد حلّ بهم العذاب في الوقت الذي حدّده لهم ، فأخبر - تعالى - في هذا النص الكريم عن تنجيته صالحا والذين آمنوا معه حين نزول العذاب ، فقال : ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ أي : عذابنا بعد مضي المدة التي حدّدت لهم ﴿نَجَّيۡنَا

---

(١) سورة هود ، الآية : ٦٦ .

(٢) لسان العرب ، مادة (أمر) ، ٢٧/٤ .

(٣) ينظر : إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني ، حيث ذكر ستة عشر وجها في معنى الأمر ، ص : ٣٨ - ٣٩ ، وينظر : نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ، ص ١٧٣ .

(٤) الصحاح للجوهري ، مادة (خزى) ، ٢٣٢٦/٦ .

(٥) القاموس المحيط ، مادة (نجى) ، ص : ١٧٢٣ .

(٦) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٦ .

(٧) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٨) سورة هود ، الآيتان : ٦٤ - ٦٥ .

صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ أي : خلصناهم وأنقذناهم من الهلاك بسبب لطف، ورحمة من لدنّا ﴿ ومن خزى يومئذ ﴾ أي : ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذلّه الشديد الذي نزل فيه العذاب بكفار ثمود ، قال صاحب الكشاف : (ولا خزى أعظم من خزي مَن كان هلاكه بغضب الله وانتقامه)[1].

ثم بيّن - سبحانه وتعالى - قدرته على ذلك التعذيب الواقع على كفار ثمود وأمثالهم من المشركين والكفار ، وتنجية أوليائه فقال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ خطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - جاء أثناء قصة صالح - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - مع قومه تقويةً لعزمه ، وتسليةً له - صلى الله عليه وسلم - ، إذ أنّ الله - تعالى - المتصف بالعزة والغلبة ، الذي فعل هذا بثمودَ قومِ صالح ، قادر على أن يفعل مثله وأكثر منه بقومك المشركين ، إن لم يتّعظوا بمن سبقوهم ، فلا يعجزه شيء أراده من إهلاك الكافرين ، وتنجية المؤمنين باختصاصه بصفات القوة والقدرة والقهر والغلبة .

واسمه - تعالى - "القويّ" جاء مناسبا للإنجاء والإهلاك ، ثم ذُكر اسمه - تعالى - "العزيز" لبيان أن ذلك تحت قهره وعزته - تعالى - فلا يغلبه غالب ولا يمنعه أحد من إنجاز ما ذُكر ، وكأنّ الاسمَ الثاني وهو "العزيز" يؤيد الأول وهو "القويّ". والله - تعالى - أعلم بالصواب .

(١) الكشاف للزمخشري ، ٢/٢٧٩ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

حميد : اسم من أسماء الله - تعالى - ، وهو المحمود الذى استحق الحمد بفعاله (٢).

مجيد : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "حميد مجيد" عقبه :

وانتقل كتاب الله تعالى - من الحديث عن قصة صالح - عليه السلام - وما انتهت به من عذابٍ لكفار ثمود إلى قصة لوط - عليه السلام - مع قومه (٤).

ولهذه القصة علاقة بإبراهيم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - إذ كان اللهُ - تعالى - أرسل ملائكته إلى لوط - عليه السلام - ليخبروه بأنّ موعد هلاك المفسدين الضالّين من قومه قد أصبح على الأبواب . وفي طريقهم إلى لوط - عليه السلام - نزلوا على إبراهيم الخليل - عليه السلام - ، فأجلّهم إبراهيمُ - عليه السلام - وأحسن ضيافتهم ﴿... فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ (٥)، وبشّروا امرأته " سارة " بولادة إسحاق ويعقوب - عليهما السلام - رغماً عن فواتها سِنّ الحمل ، وبالرغم من شيخوخة زوجها إبراهيم - عليه السلام - كما حكى القرآن الكريم : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (٦).

ثم حكى القرآن عمّا قالت الملائكة لامرأة إبراهيم - عليه السلام - حين تعجّبت من حدوث ولدٍ منها ومن زوجها الشيخين الكبيرين ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي : قالت الملائكة منكرين عليها تعجّبَها ودهشتَها من حصول ذلك ، كأنّهم قالوا لها : لا تعجبي من أمر الله - تعالى - وقضائه وقدرته (٧)، وهو إيجاد ولد على خلاف ما جرت به سنتُه - تعالى -

---

(١) سورة هود ، الآية : ٧٣ .

(٢) شأن الدعاء للخطابي ، ص : ٧٨ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٧ .

(٤) القصة ذكرها القرآن الكريم من قوله - تعالى - : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ إلى آخر قوله - تعالى - : ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ الآيات : ٧٧ - ٨٣ .

(٥) سورة هود ، من الآية : ٦٩ ، والحنيذ : هو المشوي على الحجارة المحمّاة .

(٦) سورة هود ، الآيتان : ٧١ - ٧٢ .

(٧) لم يكن تعجبُ زوجة إبراهيم - عليه السلام - استبعادا لحدوث ذلك بالنسبة لقدرة الله - تعالى - وإنّما كان استعظاما لحصول تلك النعمة في غير أوانها المألوف .

في خلقه ، فإنّ أمره - تعالى - لاعجب فيه ، لنفوذ مشيئته التامة في كل شيء ، فإنّه - عز وجل - على ما يشاء قدير ، وإذا أراد شيئا فلا مانع لوقوعه ، كما قال - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١) ، فلا تعجبي - إذاً - من هذا الأمر ، لأن خوارق العادات بالنسبة لآل بيت النبوة ، ومهبط المعجزات ، وتخصيصهم بمزيدٍ من النِّعم ليس ببدع ولا غريب ،كما يخبر به قوله - تعالى - : ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ أي : رحمةُ الله - تعالى - التي وسعت كل شيء ، وبركاتُه التامة الكثيرة ، تفيض عليكم يا أهلَ بيت النبوة ، ومن تلك الرحمات وهذه البركات هبةُ الأولاد في غير أوانهم المعتاد .

ثم أكّدت الملائكة إزالة التعجّب الحاصل من زوجة إبراهيم - عليه السلام - بالإخبار عن الله - تعالى - باسميه الكريمين **"حميد مجيد"** في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ أي : إنه - تعالى - بإحسانه إلى إبراهيم - عليه السلام - وزوجته بأنْ وهب لهما الولد ، وهو إسحاق - عليه السلام - في وقت لا يُتَوَقَّعُ حصوله عادة ، **حميد** يستحق المحامدَ كلَّها ، لأنه - تعالى- محمود في أفعاله كلها ، **مجيد** ، ذومجد وثناء وكرم وسعة الخير والإحسان ،فليس بعيدا منه - تعالى - أن يعطي الولد للآباء بعد الكِبر ، والجملةُ تذييل بديع قُصد به وجوبُ مداومةِ زوجة إبراهيم - عليه السلام - على حمد الله - تعالى - وتمجيده على أن وهبها الولدَ بعد أن بلغت سِنّ اليأس من الحمل .

و في الإخبار عن الله - تعالى - باسميه **" حميد مجيد"** في هذا الختام دليل على زيادة الكمال لله - تعالى - حيث إن أفعاله وأقواله تحمَدُ وتُمَجّد . والله - تعالى- أعلم .

---

(١) سورة يس ، الآية : ٨٢ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

رحيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٢).

ودود : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " رحيم ودود " عقبه :

انتقلت السورة الكريمة إلى الحديث عن شعيب (٤) - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - مع قومه أهلِ مدين ، حيث إنه - عليه الصلاة والسلام - لمّا أمرهم بعبادة الله - تعالى - وتركِ عبادة الأوثان والأصنام ، وبإيفاء الكيل والميزان ردّوا عليه على سبيل الاستهزاء والتعيير بقولهم : ﴿... أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ (٥) ، ثم أكّد لهم أن التعليمات التي بلّغها إليهم عن ربّهم ليست موجّهةً إليهم دونه ، بل هو أوّل مَن ينفذّها ﴿... وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ...﴾ (٦) ثم عقّب شعيب - عليه السلام - على ما دار بينه وبين كفّار قومه بما يوضّح الهدف الأساسي من رسالته فقال : ﴿... إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (٦) ، ثم يواصل شعيب - عليه السلام - نصحه لقومه فينتقل بهم إلى تذكيرهم بمصارع السابقين ، محذّرا إيّاهم من أن يكون مصيرهم كمصير الظالمين مِن قبلهم فيقول : ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ (٧).

ولمّا أنذر شعيب - عليه السلام - قومه الذين يصرّون على ما هم عليه من الكفر والفساد ، وخوّفهم سوءَ عاقبةِ صنعهم ، أرشدهم إلى طريق النّجاة طمْعاً في استجابتهم فقال:

---

(١) سورة هود ، الآية : ٩٠ .

(٢) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٨ .

(٤) شعيب - عليه السلام - نبي الله - تعالى - الذي أرسله إلى مدين ، وقد ورد ذكره - عليه الصلاة والسلام - في القرآن في سور مختلفة كسورة الأعراف وهود والشعراء والعنكبوت .
قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسيره ٤٧٢/٢ : (هم - أي قوم شعيب - قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام قريبا من مَعان ، بلاد تُعرف بهم ، يقال لها : "مدين" ، وينظر : معجم ما استعجم للبكري ، ١٢٠١/٢ .

(٥) سورة هود ، من الآية : ٨٧ .

(٦) سورة هود ، من الآية : ٨٨ .

(٧) سورة هود ، الآية : ٨٩ .

﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ أي : واتّعظوا بما وقع لهؤلاء ،واطلبوا المغفرة من ربكم لذنوبكم التي فعلتموها من عبادة غير الله ـ تعالى ـ ، والبَخْس والنقصان في الكيل والوزن ، ثم ارجعوا إليه ـ تعالى ـ بالإيمان والطاعة .

ولمّا فتح لهم باب الاستغفار والتوبة [١] ـ وهم في مواجهة العذاب والهلاك ـ أخبر عن ربّه ـ عز وجل ـ أنه رحيم ودود في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ وهو تذييل قُصد به التعليل للأمر بالاستغفار والتوبة ، أي : أقبلوا عليهما ، لأنّ ربي وربكم واسع الرحمة ،كثير الودّ والمحبة ، فرحمةُ الله ـ تعالى ـ لعباده وحبُّه لهم من دواعي قبول الإيمان ،والتوبة من الكافر مهما كان كفره .

ومجيء اسم **الربّ** لله ـ عز وجل ـ مما يدل على أن الرحمة والمودة من إحسانه ـ تعالى ـ وافضاله .

ولمّا كان الاستغفار والتوبة ممّا يجلب رحمةَ الله ـ تعالى ـ ، أو أنّهما من أسباب رحمته تعالى ـ جاء أوّلا اسمه ـ تعالى ـ "**رحيم**" كما قال ـ سبحانه ـ على لسان رسوله صالح ـ عليه السلام ـ : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [٢] ، وفي ذكره إشارة إلى أنه ـ تعالى ـ يرحم مَن يطلب منه المغفرة ، ويقبل توبة مَن تاب إليه من ذنوبه .

وفي ذكر اسمه ـ تعالى ـ " **ودود**" بعد اسمه ـ تعالى ـ " **رحيم**" ترغيب بأنه ـ تعالى يودّ مَن يرجع إليه ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [٣] .

ولمّا كان غفرانُ الذنب وقبولُ التوبة رحمة من الله ـ تعالى ـ وهي عامل أساسي في استغفارهم وتوبتهم ـ تؤدّي إلى محبة الله ـ تعالى ـ لهم لكونهم استغفروا وتابوا ، وتؤدّي أيضا إلى محبّتهم لله ـ تعالى ـ لقبول الاستغفار والتوبة منهم ، ناسب ختم الآية بالإخبار عن الله ـ أنه رحيم ودود . واللهُ ـ تعالى ـ أعلم بالصواب .

---

(١) إن الاستغفارَ : طلب المغفرة بالدعاء والتوبةِ أو غيرهما من الطاعة . والتوبةُ : الندم على الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة .قاله أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية (ص : ١٩٥) . والاستغفارُ يتضمّن التوبة ، والتوبةُ تتضمّن الاستغفار ، وكلٌّ منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق . وهذا عند استعمال كلّ واحدٍ منهما مفردا . وأماعند اقتران إحدى هاتين اللفظتين بالأخرى : فالاستغفارُ:طلب ستر الذنب من الله ـ تعالى ـ والعفو عنه ، والتوبةُ : الندم على الذنب مع العزم على عدم العود اليه . ينظر : مدارج السالكين ، ٣٣٥/١ ، تفسير سورة النصر ، لابن رجب ، ص :٧٩ ـ ٨٤ ، تفسيرالآلوسي ، ٢٠٧/١١ .

(٢) سورة النمل ، الآية : ٤٦ .

(٣) سورة مريم ، الآية : ٩٦ .

النـص :

قال الله تعالى :

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾ (١)

بيـان غريب النـص :

رهطي : جماعتي وعشيرتي ، والرهْط - في اللغة - : جماعة دون العشرة من الرجال ، ورهط الرجل : عشيرته وقبيلته ، لا واحد له من لفظه (٢).

ظِهريا : شيئا لا يعبأ به ولا يلتفت اليه ، وقال في اللسان : (الظِّهري : الذي تنساه وتغفل عنه) (٣).

محيط : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٤).

معنى النـص ومناسبة اسمه تعالى " محيط " عَقِبَه :

في هذا النص الكريم أخبر الله - عز وجل - عن توبيخ شعيب - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - وإنكاره على قومه الذين قد لجّوا في عنادهم وتصوّروا نبيّهم بينهم ضعيفا (٥)، فلم يخشوْا منه بأسا ، بل هدّدوه بأنّهم على استعداد لقتله رجماً لو لا رهطُه (٦)، وهم أرادوا بهذا التخويف والإنذار أن يردّوه عن دعوته التي أمره الله - تعالى - بإبلاغها إيّاهم ، حيث إنه - عليه السلام - أجابهم بما يفيد أنه لم يكن معوّلا على عـزة رهطه : ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي : أعشيرتي وقومي - وهم خلق من خلق الله - تعالى - أهْيَبُ وأقوى عندكم من الله ، وأمنع وأشدّ رهبة منه - سبحانه - ، فتتركونني لأجل قومي ، ولا تتركونني إعظاما لله - تعالى - الذي أدعوكم إليه بأمره ، ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ أي : وجعلتموه خلف ظهوركم ، لا تأتمرون لأمره ، ولا تخافون عقابه ، ولا تعظّمونه حق عظمته ، ولا تبالون به كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به (٧).

---

(١) سورة هود ، الآية : ٩٢ .

(٢) ينظر : القاموس المحيط ، ص : ٨٦٢ ، لسان العرب ، ٧/٣٠٥ - ٣٠٦ ، مادة (رهط) .

(٣) لسان العرب ، مادة (ظهر) ، ٤/٥٢٢ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٧ .

(٥) حكى الله - تعالى - ذلك في قوله : ﴿قَالُوا يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ...﴾ سورة هود ، من الآية : ٩١ .

(٦) حكى الله - تعالى - ذلك في قوله : ﴿...وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ سورة هود ، من الآية : ٩١ .

(٧) ينظر : تفسير الطبري ، ١٥/٤٥٩ ، تفسير الزمخشري ، ٢/٢٨٩ ، تفسير المراغي ، ١٢/٧٦ .

ولمّا أنكر شعيب - عليه السلام - مقالتهم إذْ كان ينبغي لهم أن لا ينسوا الله - عز وجل - بل يستحضروه ويراقبوه في كل أمورهم ، حسُن تعليلُ هذا المفهوم بقوله (١) : ﴿ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ أي : إنّ ربي لا يخفى عليه شيء من أموركم ، وهو - تعالى - قد أحاط بكل شيء علما وقدرة ، ومن جملة ما أحاط به - سبحانه - أعمالكم وأقوالكم ، ورعايتُكم جانبَ الرهط ، دون رعاية جنابه - جل جلاله - فيَّ ، إذ تزعمون أنكم تتركون قتلي إكراما لرهطي ، واللهُ - تعالى - أولى أن يتَّبع أمرُه ، وهو يحفظ عليكم أعمالكم ، فسيجازيكم عليها أتمّ الجزاء عاجلا وآجلا .

ولمّا كانت هذه الأعمال التي عملوها في معاداة نبيّهم معاصٍ لا يحيط بكبرها إلاّ الله - تعالى - الذي قد أحاط بهم وبأعمالهم وبمكائدهم ، كان من المناسب أن يكون الختام بصفة الإحاطة لله - عز وجل - ، لأنهم - وإن كانوا يخفون كيفية المكر والخداع عن نبيّهم - بتلك الأعمال إلاّ أنها محاطة بها ، ظاهرة في علم الله - تعالى - .

و في ختم الآية باسمه - تعالى - **"محيط"** ما لا يخفى من تهديد ووعيد لهم . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ، ٣٦٤/١٢ .

النـص :

قال اللـه تعالى :

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ  خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ (١)

بيـان غريب النـص :

شقُوا : الذين قُضي لهم بالنار بسبب شقاوتهم. تقول اللغة: شقي -كفرح- يشقى شقاء وشقاوة، والشقاوةُ -بفتح الشين-: ضدّ السعادة (٢).

زفير : إخراج النفَس من الصدر من شدة الضيق والحزن. مأخوذ من الزِفر -بالكسر-: وهو الحمل على الظهر لشدته (٣).

وفي تفسير الطبري: الزفير: أول نهاق الحمار (٤).

شهيق : ردّ النفس إلى الصدر بصوت مسموع، وأصله من جبل شاهق، أي: متناهي الطول (٥).

وفي تفسير الطبرى: والشهيق: آخر نهاق الحمار (٤).

فعّال لما يريد: اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدم معناه (٦).

معنى النـص ومناسبة اسمه تعالى "فعّال لما يريد" عَقِبَه :

ذكر الله -عز وجل- في هذا النص الكريم حال الأشقياء يوم القيامة فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ﴾ وهم مَن ماتوا كفّارا ومذنبين من أهل التوحيد، ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ من شدّة ما هم فيه، ثم بيّن -تعالى- مُكث أهل النار في جهنم فقال: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: مدة دوامهما، والمقصودُ التأبيد ونفي الانقطاع (٧)، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ أن لا يخلّد فيها، وهم أهل الكبائر من الموحّدين.

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) ينظر: الصحاح للجوهري، ٢٣٩٤/٦، لسان العرب، ٤٣٨/١٤، مادة (شقي).

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (زفر)، ٣٢٥/٤، الكشاف للزمخشري، ٢٩٣/٢.

(٤) تفسير الطبري، ١٢/ ١١٦.

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (شهق)، ١٩٢/١٠، الكشاف للزمخشري، ٢٩٣/٢.

(٦) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٤.

(٧) للعرب في معنى التأبيد والمبالغة على الدوام ألفاظ كثيرة، منها: ما دامت السموات والأرض ولا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار ... فلمّا كانت هذه الألفاظ بحسب عرفهم وعادتهم تفيد الدوام، خاطبهم الله -عز وجل- بما يستعملونه. ينظر: تفسير الطبري، ١١٧/١٢. وإن كان لابد من التعليق فالمراد: سموات الآخرة وأرضها، قال -تعالى-: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ﴾ سورة إبراهيم، من الآية: ٤٨.

ولقد ثبت في القرآن الكريم صريحا أن الكفار لا يغفَر لهم، وأنهم مخلّدون في النار بدون استثناء فريقٍ ولا زمانٍ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١)، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ...﴾ (٢)، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ (٣)، فإنّ هذه الأدلة ـ وغيرها كثيرة ـ تدلّ على أنّ الكفار والمشركين خالدون في جهنم بسبب أعمالهم السيئة، وذلك لِوعد الله ـ تعالى ـ وهو لا يُخلِف الميعاد، فلذا لا يُخرجهم من النار بمقتضى عدله وحكمته.

وأمّا إخراج جميع أهل الكبائر من أهل التوحيد (٤)، فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة ومنها ما قاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ" (٥)، وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ نَاسًا مِنَ النَّارِ فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ" (٦).

ولمّا تقرر هذا وذاك تبيّن أنّ الاستثناء في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ مسوق لإثبات قدرة الله ـ تعالى ـ المطلقة، وأنّ قدرته ـ سبحانه ـ لا تنقطع عنهم بإدخالهم جهنم الخالدة، وإخراجهم منها، وأنّ قدرته وإحاطته ومشيئته باقية على ماكانت عليه من قبلُ، فله أن يفعل ماشاء.

ثم لمّا ذكر ـ تعالى ـ هذا الاستثناء أخبر عن قدرته الدالة على أنه كلّما أراد شيئا فعله بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ أي: يفعل ما يشاء في خلقه، لا يعجزه شيء يريده، ولا يمتنع منه شيء طلبه، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وشاء ـ سبحانه ـ تخليدَ بعض خلقه في جهنم كالكفار، وإخراج بعضهم كعصاة المؤمنين، من غير اعتراض عليه، لأنه ـ تعالى ـ لا معقّب لحكمه، ولا يسأل عمّا يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله. والجملةُ ـ على ما ذُكر ـ تكون تعليلا للاستثناء، وتأكيدا لثبوت قدرته ـ تعالى ـ.

ولمّا كانت أفعال الله ـ تعالى ـ تتعلق بمشيئته، ومشيئتُه ـ تعالى ـ لا تنحبس ولا تتقيّد بما حَكم، ناسب ـ في ختام الآية ـ الإخبار عنه ـ سبحانه ـ بأنه " **فعّال لما يريد** " إشارة إلى أنه ـ تعالى ـ مطلق الإرادة، يختار ما يشاء ويفعله، ولا يتعذّر عليه شيء ممّا ذُكر، وفي ذكره إشارة أيضا إلى أن الذي أُخبر واقع متحقّق (٧).

وصيغة " **فعّال** " في هذا الختام تتناسب مع ما ذُكر في الآية من كثرة الأفعال التي أرادها ـ سبحانه ـ لنفسه، وِفْق حكمته وعدله وقضائه، مِن أنه ـ تعالى ـ يُدخل الكفار في جهنم ومعهم العصاةَ من الموحّدين، ثم يُخرج العصاة المؤمنين منها ويدخلهم الجنة برحمته، ولا يمنعه من ذلك مانع. والله ـ تعالى ـ أعلم بالصواب.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٩.
(٢) سورة النساء، من الآية: ٤٨، ومن الآية: ١١٦ من نفس السورة.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٧.
(٤) ذلك رأي أهل السنة، وهو أن أهل الكبائر من الموحّدين يخرجون من النار بالشفاعة بعد ما احترقوا، بخلاف المعتزلة والخوارج، لأنهم يرون أن فاعل الكبيرة مخلد في النار فلا تنفعه الشفاعة. يراجع: فتح الباري لابن حجر، ٤٢٦/١١، فإنّه أفاض في هذه المسألة.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ٤١٨/١١، رقم ٦٥٦٦.
(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ١٧٨/١، رقم ١٩١.
(٧) ينظر: تفسير الطبري، ١١٩/١٢، تفسير أبي السعود، ٢٤٢/٤، تفسير الآلوسي، ١٤٤/١٢.

النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

لَيوفّينهم : من التوفية ،وتوفية الشيء : بذله وافيا (٢).

وفي القاموس المحيط : وفّى فلانا حقّه ، أي : أعطاه وافيا (٣).

خبير : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه (٤).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى " خبير " عَقِبَه :

في هذا النص الكريم يخبر الله -عز وجل- أنه سيجمع الخلائق مؤمنهم وكافرهم للجزاء والحساب على أعمالهم ، حيث يقول -سبحانه- : ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أي : و(٥) إنّ كلّ الطائعين والعاصين من الأمم كلها ، بما فيها أمتك يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لَيوفّينّهم ربُّك جزاء أعمالهم يوم القيامة ، ولا ينقصهم من أعمالهم شيئا ، فيكافئ الطائعين بالثواب ، والعاصين بالعقاب .

ولمّا ذكر الله -سبحانه وتعالى- أنه يوفّي جميع المكلّفين ما يستحقونه على أعمالهم من الثواب والعقاب ، وتوفيةُ الله -تعالى- إيّاهم جزاء أعمالهم كاملا يدل على أنه -تعالى- عالم بكل شيء ، وبأعمال الخلائق ، ظاهرها وباطنها ، جليّها وخفيّها ، ذَكَرَ عِلْمَه الدقيق بما يلطُف إدراكُه ويدقّ ، لأنّه قد يكون في المكلّف من خفايا الأمور مالايطلع عليه إلّا الله -تعالى- ، فقال -سبحانه- : ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ وذلك تذييل في آخر الكلام ، يقصد به التقرير لِما جاء في الآية من الجزاء العادل ، إذ العِلم بالعمل والخبرة التامة به لا بدّ منهما للتوفية العادلة .

ولمّا كانت الطاعات والمعاصي تتفاوت ، وبالتالي تتفاوت مقاديرها ثوابا وعقابا ولايعلم مقادير هذه الأعمال المتفاوتة في الثواب والعقاب إلّا العالم بالسر والعلانية ودقائق الأمور كلّها ، ناسب الختام باسمه -تعالى- " خبير " . والله -تعالى- أعلم بالصواب

---

(١) سورة هود ، الآية : ١١١ .

(٢) المفردات للراغب ، ص : ٥٢٨ .

(٣) القاموس المحيط ، مادة (وفي) ، ص : ١٧٣١ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٥) الواو اعتراضية ، والآية كلّها تذييل للقصص السابقة التي جاءت في هذه السورة الكريمة ، وهو مرتبط بما قبلها ارتباطا قويا ، فالسامع يعلم من هذا التذييل أنه لا بد من وراء هذه الأحداث من ثواب وعقاب . ينظر : قصص الأقوام المذكورة في السورة : قصة نوح -عليه السلام- الآيات : ٢٥ - ٣١ ، وقصة هود ، الآيات : ٥٠ - ٦٠ ، وقصة صالح ، الآيات : ٦١ - ٦٨ ، وقصة إبراهيم ، الآيات : ٦٩ - ٧٦ ، وقصة لوط ، الآيات : ٧٧- ٨٣ ، وقصة شعيب ، الآيات : ٨٤ - ٩٠ . وقصة موسى مع فرعون ، الآيات : ٩٦-٩٩ .

النـص :
قال اللـه تـعالى :

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[1]

بيـان غـريب النـص :

فاستقم : من الاستقامة ، قال الراغب : (الاستقامة يقال في الطريق الذي يكون على خطٍ مستوٍ ، وبه شبّه طريق المحِقّ ، نحو قوله - تعالى - : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[2] واستقامة الإنسان : لزومُه المنهجَ المستقيم ، نحو قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ... ﴾[3])[4].

والمراد بالأمر بالاستقامة في الآية : الدوام والثبات عليها[5].

ولاتطغوا : ولا تتجاوزوا حدود الله - تعالى - ، قال في المفردات : (الطغيان : تجاوز الحدّ في العصيان)[6].

بصير : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه[7].

معنى النـص ومناسبة اسمه تعالى "بصير" عَقِبَه :

إذا علمتَ - أيها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم - أنّ كلاّ[8] من المؤمنين والكافرين سيوفّيهم ربُّك جزاءَ أعمالهم ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ﴾ أمرٌ من الله - عز وجل - لرسوله - صلى الله عليه وسلم - وللمؤمنين بالدوام والثبات على الصراط المستقيم ، ونهيٌ من الله - تعالى - عن تجاوز الحدّ ، وذلك بالإفراط والتفريط في الاعتقاد والعمل[9].

ثم خُتمت الآية بما يفيد التعليل لما جاء فيها من الأمر بالاستقامة ، والنهي عن الطغيان وذلك في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ وهذا خبرٌ من الله - تعالى - للذين خاطبهم بهذه الآية ، من الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين معه ، فيه وعدٌ لمن استقام منهم بالتمسك بالإسلام على وجه قويم ، ووعيدٌ لمن طغى وانحرف وخرج عن الصراط المستقيم بالزيادة والنقصان والإفراط والغلوّ ، فاللهُ - تعالى - يرى الجميع ، فيجازيهم يوم القيامة بما يستحقون من ثواب وعقاب ، فمن أحسن فلنفسه ، ومن أساء فعليها .

واختير اسمه - تعالى - " بصير " من بقية الأسماء الحسنى ، لدلالة مادّته على العلم البيّن ودلالة صيغته على قوته[10] ، وهو اسم دالّ على المبصَرات مبالغةً في الإحاطة بما يصدُر عنهم من الاستقامة والطغيان . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) سورة هود ، الآية : ١١٢ .
(٢) سورة الفاتحة ، الآية : ٦ .
(٣) سورة فصلت ، من الآية : ٣٠ .
(٤) المفردات في غريب القرآن ، ص : ٤١٨ بتصرف يسير .
(٥) ينظر : تفسير ابن عطية ، ٤١٢/٧ ، تفسير ابن كثير ، ٤٧٨/٢ .
(٦) المفردات للراغب ، ص : ٣٠٤ .
(٧) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٠ .
(٨) ينظر : تفسير الآية السابقة .
(٩) قال ابن القيم في المدارج (١١٠/٢) : فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين ، وهي القيام بين يدي الله - تعالى - على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد . اهـ كلامه .
(١٠) تفسير ابن عاشور ، ١٧٧/١٢ .

ســــورة يـــوســـف

النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

يجتبيك : يختارك ويصطفيك ، من الاجتباء ، وهو الاختيار والاصطفاء (٢).

تأويل الأحاديث : تفسيرها ، وبيان ما تئول إليه ، إذ التأويل مأخوذ من الأوْل - بسكون الواو - بمعنى الرجوع ، وهو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه (٣).
والأحاديث : جمع تكسير ، مفردُه : حديث ، والحديث - في اللغة -: الجديد والخبرُ (٤). والمراد بالأحاديث هنا : ما يراه الناس في المنام (٥)، وسميت الرُّؤَى أحاديث باعتبار حكايتها والإخبار عنها .

عليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٦).

حكيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٧).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " عليم حكيم " عَقِبَه :

لمّا سمع يعقوب - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - من ابنه يوسف رؤياه (٨)، أدرك أنها إلهام من الله - تعالى - وبشرى بأنّ يوسف - عليه السلام - سيبلُغ مبلغا من العلم والحكمة ، ويصطفيه الله - تعالى - للنبوّة ، كما أدرك أنّ إخوته إنْ علموا رؤياه هذه يكيدون له ويدبّرون له المكايد حقدا وحسدا ، ولهذا أوصى ابنَه يوسفَ - عليه السلام - ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ٦ .

(٢) القاموس المحيط ، ص : ١٦٣٨ ، لسان العرب ، ١٣٠/١٤ ، مادة (جبى) .

(٣) المفردات للراغب ، ص : ٣٠ ، بتصرف يسير .

(٤) القاموس المحيط ، مادة (حدث) ، ص : ٢١٤ .

(٥) تفسير القرطبي ، ١٢٩/٩ .

(٦) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٧) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٨) ذلك في قوله - تعالى - : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ سورة يوسف ، الآية : ٤ .

عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[١] أي : لا تخبر إخوتك برؤياك التي تشير إلى رفعتك عليهم ، فيحرّضهم الشيطان عليك ، فيحتالوا للإضرار بك حسدا منهم لك .

ثمّ قصّ اللهُ - سبحانه وتعالى - ما توقّعه يعقوبُ - عليه السلام - لابنه يوسف - عليه السلام - من خير ونعمة فقال - تعالى - على لسان يعقوب - عليه السلام - :﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي : وكما اجتباك ربُّك واختارك لهذه الرؤيا العظيمة[١] الدالة على الشأن الرفيع والمكانة العالية ﴿ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ أي : يصطفيك ربُّك لأمور عِظام في مستقبل الأيام . ثمّ استأنف يعقوب - عليه السلام - فقال :﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ كلامٌ مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه[٢] ، أي : ويعلمك من بيان وتفسير ما يئول إليه أحاديث الناس فيما يرونه في منامهم ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ بالنبوّة والرسالة والملك والرياسة ﴿ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ أي : أولادِه ، وهم إخوة يوسف وذريتهم ، وذلك أنّ الله - سبحانه وتعالى - سيُخرج من ذريتهم الأنبياءَ ، كما أنّهم سوف ينالون من عزّ يوسف - عليه السلام - وجاهه بعد دخولهم مِصر ، حيث سجدوا له وخضعوا لسلطانه ، وكل ذلك سيَحدث ويتمّ به الله - عز وجل - نعمتَه عليك - يا يوسف - وعلى آل يعقوب ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ﴾ إسحاق جدّ يوسف الأول ، وإبراهيم جدّه الثاني[٣] ، حيث أنعم - تعالى - عليهما بإنعامات كبيرة ، وأعظمها النبوة والرسالة .

ولمّا كان يعقوب - عليه السلام - عَلِمَ من رؤيا يوسفَ - عليه السلام - هذه النتيجة ، أثبت العلم والحكمة لله - عزوجل - فقال :﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ هذه الجملة مستأنفة لتحقيق مضمون الجُمَل المذكورة ، أي : إنّ ربّك - يا يوسف - محيط العلم بكل شيء ، فيعلم مَن يستحقّ المذكورات من الاجتباء والتعليم وإتمام النعمة على الوجه المذكور ، قال - تعالى - :﴿ ... اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ... ﴾[٤] ، حكيم فيما يقدّره ويشاؤه ، فيكون دائما مصيبا مجانبا للخطأ ، ولا يضع النبوة والرسالة إلاّ في نفس زكية طاهرة ، ولا يعلّم أحدا أمورا غيبيّة بما في ذلك تعبير الرؤيا إلاّ مَن هو أهل لذلك ، ولا يتمّ نعمته إلاّ على مَن يستحقّها ، لأنّه - سبحانه - يفعل ما يفعل على مقتضى العلم والحكمة . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) سورة يوسف ، الآية :٥

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري ، ٣٠٣/٢ .

(٣) قوله - تعالى - :﴿ إبراهيم وإسحاق ﴾ عطف بيان من قوله - تعالى - :﴿ أبويك ﴾ . وعبّر عنهما بأنهما أبوان ليوسف مع أن إبراهيم جدّ أبيه ، وإسحاق جده للإشعار بكمال ارتباطه بالأنبياء . ينظر : تفسير أبي السعود ، ٢٥٢/٤ ، تفسير الآلوسي ، ١٨٨/١٢ .

(٤) سورة الأنعام ، من الآية :١٢٤ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

سيارة : قال في القاموس : (السيارة : القافلة) (٢)، سميت سيارة من السير الطويل ، كالكشّافة والجوّالة (٣).

واردهم : قال في المفردات : (الوارد : الذي يتقدم القوم فيستقي لهم) (٤).

والضمير في :﴿ واردهم ﴾ يعود على السيارة بحسب المعنى .

فأدلى : فأرسل ، قال في القاموس : (دلوْت وأدليت : أرسلتها في البئر) (٥).

بضاعة : متاعا للتجارة ،قال في المصباح المنير : (البِضاعة -بكسر الباء - : قطعة من المال تعدّ للتجارة) (٦).

عليم :اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٧).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى" عليم" عَقِبَه :

انتقلت السورة الكريمة تقصّ علينا مرحلة أخرى من مراحل حياة يوسف -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - ، حيث تتحدّث عن كيفيّة تسهيل الله -تعالى- السبيلَ في خَلاصه -عليه السلام - من المِحنة التي أوقعه إخوتُه فيها ، فقال -تعالى-: ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ﴾ وقد دلّت الآية على كلام محذوف دلّ عليه المقام ، والتقدير : وبعد أنْ ألقى إخوة يوسف -عليه السلام - به في غيابة الجبّ (٨) وتركوه وانصرفوا لِشأنهم ، جاءت إلى ذلك المكان قافلة من قوافل التجارة تريد مصرَ ، فأرسلوا واردهم الذي يبحث عن الماء ليستقي لهم ، فوجد جُبّاً ، فأرسل دلوه وأنزلها في الجبّ

---

(١) سورة يوسف ، الآية :١٩ .

(٢) القاموس المحيط ، مادة (سير) ، ص :٥٢٨ .

(٣) في ظلال القرآن ، ١٩٧٦/٤ .

(٤) المفردات للراغب ، ص :٥١٩ .

(٥) القاموس المحيط ، مادة (دلو) ، ص :١٦٥٦ .

(٦) المصباح المنير ، ٥١/١ .

(٧) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٨) الجبّ -بالضم - : البئر ، أو الكثيرة الماء البعيدة القعر . (القاموس المحيط ، ص :٨٣) .

ليملأها ماء ، فتعلق به يوسفُ - عليه السلام - فثقُلت الدلوُ على الوارد ، فأعانه على إخراجها مرافقوه الذين جاءوا معه ليستقوا لقومهم ، فلمّا خرج يوسفُ - عليه السلام - ورآه المدلي ﴿ قَالَ ﴾ مستبشرا فرحا ﴿ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ﴾ وهو نادَى البُشرى ،للتعبير عن ابتهاجه وسروره ، حتى كأنه شخصٌ عاقلٌ يستحقّ النداءَ ، وقال لها : يا بشارتي أقبلي، فهذا أوان إقبالك ، حيث فاز بنعمة خرجت له فجأةً من حيث لا يحتسب ﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ﴾ أي : وأخفاه واردُ الماء ومرافقوه عن باقي جماعتهم التي أرسلتهم لاستقاء الماء، والمرادُ أنّهم أخفوا أمر يوسف - عله السلام - عن بقية أفراد القافلة ، فلم يقولوا لهم إنّهم أخرجوه من الجبّ حتى لا يشاركوهم في ثمنه إذا عَلِموا خبره ، بل قالوا لهم ما يجعل الأمر فيه لهم ، كقولهم : إنّ أهل المكان الذي به الجبّ دفعوه إلينا لِنبيعه لهم في مصر ونردّ لهم الثمن . وقيل : المراد بالضمير في قوله - تعالى - : ﴿ وَأَسَرُّوهُ ﴾ إخوة يوسف - عليه السلام - (١).

ولمّا كانت هذه البلايا والمصائب التي فعلها إخوة يوسف والذين التقطوه به في سابق علم الله - تعالى - جاء الختام باسمه - تعالى - "عليم" في قوله - تعالى - ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ وهو تذييل يقصد به الوعيد لمن كان فِعلُه سببا لِما وقع فيه يوسفُ عليه السلام - من المِحن ، وما صار فيه من الإهانة بِجَرْيِ البيع والشراء فيه ، وهوكما قال - صلى الله عليه وسلم - : "ٱلْكَرِيمُ ابْنُ ٱلْكَرِيمِ ابْنِ ٱلْكَرِيمِ ابْنِ ٱلْكَرِيمِ ، يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ عليهم السلام" (٢).

ومعنى هذا التذييل : واللهُ - تعالى - عليم بكل شيء وبما يعمله اخوة يوسف - عليه السلام - ، والذين وجدوه ، لايَخْفَى عليه - سبحانه - شيء من ذلك ، وهو - تعالى - يعلم الأسرار التي يُخفيها إخوة يوسف - عليه السلام - من إهلاكهم إيّاه بإلقائه في الجبّ ، والتي يُخفيها الواردُ وأصحابُه مِن إخفاء حقيقة يوسفَ - عليه السلام - ، وإيهامهم أنه بضاعةدفعها إليهم أهلُ المكان الذي فيه الجب حتى لا يشاركَهم في الثمن أحد من القافلة . وكل هذا

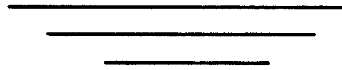
---

(١) الأول هو الصحيح ، قال به مجاهد والسدي وابن جرير الطبري ، لأن الآية تتحدث عن وارد الماء وأصحابه الذين وجدوا يوسف - عليه السلام - ، والقولُ الثاني بعيد لأنه ليس مقصودُ إخوة يوسف - عليه السلام - تحصيلَ الماء ، وإنّما مقصودهم إبعاد يوسف عليه السلام - في أيّ صورة كانت عن أبيه ، فالأولى أن يسنَد الإسرار والإخفاء إلى الوارد وأصحابه كما تقرّر في التفسير . ينظر : حاشية الشيخ زادة على البيضاوى ،٧٨/٢.

(٢) صحيح البخاري ، مع شرحه فتح الباري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله - تعالى - ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ عن ابن عمر - رضي الله عنهما - ،٤١٩/٦، رقم : ٣٣٩٠ .

الذي يعملونه يعلمه الله - تعالى - تمامَ العِلم ، ولكن الله - تعالى - لِسابق علمه تركهم، ففعلوا ما فعلوا بيوسف - عليه السلام - ، إذ أنّ هذه الأشياء التي حصلت كانت سبباً لِوصول يوسف - عليه السلام - إلى مصر وتنقّلِه في أطوار حتى صار أمين خزائنها ، فرحم الله - عز وجل - به العباد والبلاد خصوصا في السنوات التي كان فيها قحط.

وفي ذكر اسمه - تعالى - " **عليم** " تعريض لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإعلام له بأنه - تعالى - عالم بأذى قومه له ، فهو - تعالى - قادر على أن يجعل له - صلى الله عليه وسلم - الحكمَ والعاقبةَ على قومه ، كما جعل ذلك لأخيه يوسف - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسلم - . والله - تعالى - أعلم بالصواب .



النص :

قال الله تعالى :

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

فصرف : فردّ ودفع ، قال في القاموس : (صرفه يصرفه - من باب ضرب - : ردّه)(٢).

كيدهن : مكرهن واحتيالهن ، قال في المفردات : (الكيد ضرب من الاحتيال)(٣).

و في القاموس : (الكيد : المكر والخبث)(٤).

السميع : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه(٥).

العليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه(٦).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " السميع العليم " عَقِبَه :

إنّ هذا النص الكريم أوضح أن الله - تعالى - استجاب ليوسف - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة و أزكى التسليم - دعاءه(٧)، وطلبه منه في صرف كيد النساء عنه ، حيث إنه - عليه السلام - خاف الوقوع فيما أرادت منه امرأةُ العزيز ، وصاحباتُها من معصية الله - تعالى - ، فلجأ إلى الله - تعالى - وفزع إلى الدعاء رغبة إليه - تعالى - ليكشف عنه ما نزل به من ذلك الأمر مع الاعتراف إن لم يعصمه الله - سبحانه - من المعصية وقع فيها ، فاللهُ - عز وجل عصمه من إغوائهن ولم ينخدع لكيدهن ، وإلى هذا يشير قوله - تعالى - : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾ .

ثمّ خُتمت الآية بقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ وهو تذييل مناسب لما كان قبله من استجابة الله - تعالى - دعاءَ يوسف - عليه السلام - ، يفيد التعليل لقبول الله - تعالى - دعاءه - عليه السلام - ، أي : إنه - سبحانه وتعالى - هو السميع العليم ، فلا يخفى عليه شيء ، وهو - تعالى - يسمع دعاء يوسف - عليه السلام - و يعلم ما وراء الدعاء ، فلذا ختمت الآية باسميه - تعالى - " **السميع العليم** " ، فمن أحسن دعاءه ، وتضرُّعَه إلى الله - تعالى مثل يوسف - عليه السلام - ، ورجع إليه - تعالى - بقلب صادق فهو من المقبولين المستجابين .

---

(١) سورة يوف ، الآية : ٣٤ .

(٢) القاموس المحيط ، مادة (صرف) ، ص : ١٠٦٩ .

(٣) المفردات للراغب ، ص : ٤٤٣ .

(٤) القاموس المحيط ، مادة (كيد) ، ص : ٤٠٣ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٦) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(٧) لم يتقدم فيما سبق في قصة يوسف - عليه السلام - الدعاءُ صريحا من يوسف - عليه السلام - وإنما حكى القرآن الكريم عن موقفه أمام تهديد امرأة العزيز ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ الآية : ٣٣. إنّ في قول يوسف - عليه السلام - هذا ، معنى الدعاء والمسألة من الله - تعالى - ، حيث إنه عليه السلام - في قوله : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي ﴾ - طالبٌ من ربه - عز وجل - أن يصرف عنه كيد النساء . ينظر : تفسير الطبري ، ١٢/ ٢١١ - ٢١٢ ، تفسير الزمخشري ، ٢/ ٣١٩ .

النـص :

قال اللـه تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾ (١)

بيـان غـريب النـص :

بال النسوة : حالهن ، قال في القاموس : (البال : الحال والخاطر والقلب ..) (٢).

عليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

معنى النـص ومنـاسـبة اسمه تعالى " عليم " عَقِبَه :

تحدثّ هذا النص الكريم عمّا دار بين رسول الملِك عزيزِ مصر ويوسف - عليه السلام - بعد أن نقل الرسولُ - وهو ساقي الملك الذي كان صاحبا ليوسف عليه السلام في السجن من قبلُ - إلى الملِك تفسيرَ يوسفَ - عليه السلام - لرؤياه (٤)، حيث إن الملك فطن لما في تعبير يوسف - عليه السلام - لرؤياه مِن نُصحٍ بالِغٍ ، وحسن اطّلاع ، فأَمَرَ بإحضاره ليُكرمه ، وهو ما أخبر - تعالى - به في قوله : ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾ أي : بيوسف - عليه السلام - فذهب رسولُه لإحضاره ﴿فلمّا جاءه الرسول﴾ ليُخرجه حتى يحضُر عند الملك فامتنع عليه السلام - من الخروج حتى يظهر للملك والناس براءةُ ساحته ونزاهة عرضه ﴿قَالَ﴾ لرسول الملك ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أي : ما حال النسوة اللاتي قطّعن أيديهن ؟ فإذا سألهن الملك بانت له براءته ، وأنه حُبس بظلم من غير بينة ولااعتراف بذنب إذ أنه جاهل بأمر يوسف - عليه السلام - وأمرِ النسوة اللاّتي كُنّ سببا في إيقاعه - عليه السلام - في السجن . وفي هذا الموقف ما يدل على قوة صبر يوسف - عليه السلام - ورأيه التام واعتزازه بنفسه ودينه ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ أَتَانِي الدَّاعِي لَأَجَبْتُهُ" (٥).

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ٥٠ .

(٢) القاموس المحيط ، مادة (بول) ، ص : ١٢٥٣ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(٤) خلاصة رؤيا الملك أنه رأى سبع بقرات سِمان يأكلهن سبع بقرات مهازيل ضعاف في غاية الهزال ، كما رأى سبع سنبلات يابسات ، وهذه الرؤيا هي التي جاء يعرضها على يوسف رفيقه في السجن ، وإلى ذلك تشير الآية (٤٣) من سورة يوسف .

(٥) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ، كتاب التعبير ، باب رؤيا أهل السجون والفساد والشرك ١٢/٣٨١ ، رقم ٦٩٩٢ ، وفي كتاب التفسير ، ٨/٣٦٦ ، رقم ٤٦٩٤ .
صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة ، ١/١٣٣ ، رقم ١٥١ .

ثم أخبر يوسف -عليه السلام- عن ربّه -عز وجل- بأنه عليم بكيدهن مريداً -عليه السلام- أنّ كيد النسوة اللآتي فعلْنَ به ما فعلْن كيدٌ عظيم لا يعلمه إلاّ الله -تعالى- الذي لا يغيب عنه شيء، أو استشهد بعلم الله -تعالى- على أنهن كِدنه وأنه بريءٌ ممّا اتُّهِمَ به، أو فَوّض أمرهن إلى الله -تعالى- العليم بكل شيء وبكيدهن، فيجازيهن عليه، فلذا أضاف -عليه السلام- العلم إلى الله -تعالى- فقال: ﴿إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ وذلك تذييل وتعريض[1] بأن الكشف المطلوب سينجلي عن براءته -عليه السلام- وظهورِ كيد الكائدات له -عليه السلام-، ثقةً بالله -تعالى- أنه ناصره ومنقذه من هذه المِحنة التي دخل بسببها في السجن.

وفي ذكره -عليه السلام- اسمه -تعالى- "**عليم**" احترازٌ من خصومتهن له دِفاعا عن أنفسهن، إذا سَمِعن أنه -عليه السلام- ينسبُهن إلى الفساد، وفي ذلك دفعُ توهُّمٍ قد يحصُل من سؤال يوسف -عليه السلام- للملِك لتحقُّقِ براءته، إذ أنه -تعالى- يعلم ما خفي عن الملِك من أمرهن وما فعلن من مراودته، وفيه زيادة تشويق وبعث إلى تعرّف الأمر. والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٨٩/١٢.

النـص :

قال اللـه تعالى :

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (٥٣) (١)

بيان غريب النـص :

وما أبرئ : وما أُظهر البراءة ، يقال : برّأ نفسه تبرئة : أظهر براءتها ، وانقِطاعَ صلتِها بالسوء (٢).

لأمّارة : لَكثير الأمر ، والأمّارة صيغة مبالغة من أمر .

غفور : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

رحيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٤).

معنى النـص ومناسبة اسميه تعالى "غفوررحيم" عَقِبَه :

لو استعرضنا قصة امرأة العزيز التي وردت في سورة يوسف - عليه السلام - لَوجدنا امرأة العزيز فيها أنها مرتبطة بكثير من الآثام ، فهي راودت يوسفَ - عليه السلام - عن نفسه ، ولمّا امتنع عنها استدعتِ النسوةَ اللآتي عِبْنَها ، وأظهرت لهن سبب افتتانها به ثمّ إصرارها على أن تنال منه ما تريد ، فيوسفُ - عليه السلام - استمسك وآثر العصمة حتى دخل السجن بسبب اتهام امرأة العزيز .

وفي هذا النص الكريم أورد كتابُ الله - تعالى - ضِمن ما حكاه من كلام امرأة العزيز اعتذارها الصريح عمّا أصابها من نزغات الشيطان ، إذ قالت : ﴿ **وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ** ﴾ أي : ومع أني أعترِف بأنّ يوسف - عليه السلام - من الصادقين ، وأعترف أيضا بأني لم أخنه بالغيب ، إلاّ أني مع كل ذلك ما أظهر براءة نفسي ولا أزكيها عن السوء .

هذا ، ويرى بعض المفسرين كالإمام الطبري (٥)، والواحدي (٦)، والزمخشري (٧)، وأبي السعود (٨)، أنّ كلام امرأة العزيز قد انتهى عند قوله - تعالى - : ﴿ ... **وَإِنَّهُۥ لَمِنَ**

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ٥٣ .

(٢) لسان العرب ، مادة (برأ) ، ٣٢/١ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٥) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، ١/١٣

(٦) كتاب الوجيز في تفسير القرآن العزيز ، ٤٠٩/١ .

(٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ٣٢٧/٢ .

(٨) إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، ٢٨٥/٤ .

الصَّـٰدِقِينَ ﴾ [١]، وأنّ قوله ـ تعالى ـ ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ... ﴾ [٢] إلى قوله ـ تعالى ـ ﴿ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٣] من كلام يوسف ـ عليه السلام ـ حيث إنه ـ عليه السلام ـ قال ذلك لإظهار براءته قبل خروجه من السجن ، حتى لا يُحمَل خروجُه قبل ذلك على أنه من باب العفو عنه مكافأةً له على تأويل رؤياه .

و الذي نراه : أن الرأي الأول الذي سِرنا عليه هو الجدير بالقبول ، لأنه هو المناسب لسياق الآيات من غير تكلّف ، و لأنّه امتداد لاعتراف امرأة العزيز بعد أن رجعت إلى طريق الهداية ، حيث إن كلامها جاء في مقام البيان لِما يحدُث للنفس البشرية من ضعفٍ أمامَ مغريات المعاصي ، و أيضا لايوجد في السياق ما يدل على جعْلِ قوله ـ تعالى ـ ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ... ﴾ [٢] إلى قوله ـ تعالى ـ ﴿ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٣] من كلام يوسف ـ عليه السلام ـ لأن هذا القول يؤدي إلى تفكّك الكلام وعدم ارتباط بعضه ببعض ، فضلا أنّ وقائع التاريخ لا تؤيده لأنّ يوسف ـ عليه السلام ـ كان في السجن عندما سأل الملك النسوةَ و قال لهن : ﴿ .. مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ .. ﴾ [٤] بخلاف ما سِرنا عليه في التفسير ، فإنّه لايؤدي إلى تفكّك الكلام و انقطاع بعضه عن بعض. و بهذا الرأي قال ابن تيمية [٥] و ابن كثير [٦] و ابن القيم [٧] و أبو حيّان [٨] ـ رحمهم الله تعالى ـ .

و قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِالسُّوٓءِ ﴾ تعليل، قالته امرأة العزيز مبيِّنة اعتذارها عمّا صدر منها ، و المعنى : إن النفس البشرية لكثيرة الأمر بعمل السوء والميل إليه ﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾ أي : إلاّ نفسا رحمها ربي وعصمها من الزلل والوقوع في المهالك كنفس يوسف ـ عليه السلام ـ .

ثم أتمّت قولها تكفيرا عمّا بدر منها، وطمعا في مغفرة الله ـ تعالى ـ ورحمته فقالت : ﴿ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ و قولُها هذا ثناء على الله ـ تعالى ـ واختارتْه في آخر كلامها تأكيدا لاستغفار ربّها واسترحامها فيما ارتكبت في شأن يوسف ـ عليه السلام ـ ، والله ـ تعالى ـ ﴿ غفور ﴾ يغفر مايعتري النفوس بمقتضى طِباعها، ﴿ رحيم ﴾ يرحم عباده ، وبمقتضى رحمته يعصم بعض النفوس من الشر ويصرفها عن السوء ويحفظها عن ارتكاب المعاصي والآثام ، وهي بذلك تريد الاقتداءَ بيوسف عليه السلام ـ حتى تكون نفسُها طاهرةً بريئة من المعاصي . والله ـ تعالى ـ أعلم بالصواب .

---

(١) سورة يوسف ، من الآية : ٥١ .
(٢) سورة يوسف ، من الآية : ٥٢ .
(٣) سورة يوسف ، من الآية : ٥٣ .
(٤) سورة يوسف ، من الآية : ٥١ .
(٥) دقائق التفسير لابن تيمية ، ٤٣٣/٣ ، طبعة دار الأنصار بالقاهرة .
(٦) تفسير القرآن العظيم ، ٤٩٩/٢ .
(٧) تفسير ابن القيم ، ص : ٣١٦ ـ ٣١٧ .
(٨) البحر المحيط ، ٣١٧/٥ .

النص :

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾(١)

بيان غريب النص :

سوّلت : زيّنت ، قال في المفردات : (التسويل : تزيين النفس لما تحرص عليه ، وتصوير القبيح منه بصورة الحسن)(٢).

العليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه(٣).

الحكيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه(٤).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "العليم الحكيم" عَقِبَه :

ما زال السياق في الحديث عن قصة يوسف - عليه السلام - ،إنه لمّا يئس إخوة يوسف عليه السلام - من نجاح محاولتهم في استرداد أخيهم "بنيامين" الذي قد التزموا لأبيهم يعقوب - عليه السلام - بردّه وعاهدوه على ذلك ، اجتمعوا وتناجوا فيما بينهم ماذا يكون موقفهم تِجاهَ أبيهم ، وماذا يبرّرون به حجْزَ أخيهم "بنيامين" ، وبقاءَه في مصر دونهم ، وكان من شدة وقْع هذه الحادثة في أنفسهم أن انفصل عنهم أخ ثالث ،هو أكبرُهم جميعا ،إذ تذكّر المَوثِق الذي واثقوا عليه أباهم يعقوب - عليه السلام - ، ولم يعد يستطيع أن يواجه أباه خجلا منه وخوفا من مؤاخذته ، فقرّر البقاءَ في مصر إلى أن يسمح له أبوه ويأذن له بالعودة راضيا عنه ، أو يحكم الله - تعالى - له بالمجيء على وجه لا يؤدي إلى نقض الميثاق ، وذلك ما يشير إليه قوله - تعالى - هنا : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾(٥)، ثم قال لباقي إخوته : ﴿ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا .. ﴾(٦) أي : وما شهدنا على أخينا "بنيامين" بالسرقة إلا بما علمناه من وجود الصواع(٧) في رحله . ثم التمس لهم عذرا عند أبيهم : ﴿ .. وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ٨٣ .

(٢) المفردات للراغب ، ص : ٢٤٩ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٥) سورة يوسف ، الآية : ٨٠ .

(٦) سورة يوسف ، من الآية : ٨١ .

(٧) الصواع - بكسر الصاد وضمها - : الذي يكال به . (القاموس المحيط ، ص : ٩٥٥) .

حَـٰفِظِينَ ﴾ (١) إشارة إلى أنهم حين أعطوا الميثاق لأبيهم في شأن المحافظة على أخيهم "بنيامين" لم يكونوا يعرفون أنه سيسرق ، أو إشارة إلى أنهم لا يعرفون حقيقة الأمر الواقع في شأن السرقة المتّهَم بها أخوهم . ثم استمرّ كبيرهم في الكلام وطلب منهم أن يؤكدوا و يوثّقوا كلامهم بالبينة الحاضرة من الشهود ، و يقولوا لأبيهم : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ (٢) أي : اسأل أهل القرية ﴿ وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ (٢) أي : اسأل أصحاب العير الذين رافقناهم في السفر ﴿ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴾ (٢).

و عاد إخوة يوسف - عليه السلام - من مصر برحالهم (٣) ، و قد تركوا وراءهم "بنيامين" و أخاهم الكبير ، و لمّا أخبروه بالقصة على نحو ما وصّاهم به كبيرُهم ، ردّ عليهم أبوهم يعقوب - عليه السلام - بما أخبر به القرآن الكريم عنه في قوله - تعالى - : ﴿ قال ﴾ عليه السلام - ليس الأمر كما زعمتم (٤) ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ أي : زيّنت لكم أنفسكم أمرا ففعلتموه ، ثم قال - عليه السلام - على هذا الخبر المحزن ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ أي : فأمري أن أصبر صبرا جميلا ، لا يكون معه ضجر بقضاء الله - تعالى - ، ولا شكوى لأحد من البشر . ثم ترجّى - عليه السلام- من ربّه - عز وجل - أن يردّ عليه أولاده فقال : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ وهم يوسف - عليه السلام - و بنيامين ، وأخوهم الكبير الذي تخلّف في مصر ، وفي ذلك دليل على قوة أمله - عليه السلام - في حسن العاقبة له ولأبنائه الثلاثة .

فناسب رجاءَه هذا ، وطلبَه من الله - تعالى - إخباره - عليه السلام - عن ربّه - عزوجل - بصفتي العلم والحكمة ، حيث ختم كلامه - عليه السلام - بقوله : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ وهو تذ ييل يقصَد به تأكيد رجائه في الله - تعالى - ، أي : إنه - سبحانه وتعالى - هو - وحده - المحيط علمُه بكل شيء ، فيَعلم حالي وشدّةَ حزني على أولادي الغائبين ، وحاجتي إلى تفريجه عن قريب **الحكيم** في أفعاله وقضائه وقدره ، الذي يبتلي الإنسان بحكمة و يرفع البلاء عنه بحكمة ، وهو - تعالى - الحكيم (٥) أيضا في كل صنع يصنعه ، و في كل أمر يقضي به ، يُحكم الأمور في ترتيب الأسباب ، إذ أنه - تعالى - يجعل لكل شيء قَدرا ، و لكل أمرٍ منتهى ، بحيث لا يقدر أحد على نقض ما أبرمه و أحكمه على الوجه المطابق للإحسان والرحمة و المصلحة ، وهو - تعالى - قضى على نبيّه يعقوب - عليه السلام - هذه الأحداث محكَمَةً متقنَةً ، لأنّه - تعالى - سيجعل له فرجا ومخرجا ، حيث جرت سنته - تعالى - أن يجعل بعد الشدة فرجا ، و بعد العسر يسرا ، قال - تعالى - : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (٦).

وإخباره - عليه السلام - عن ربّه - عز وجل - باسميه - تعالى - ﴿ **العليم الحكيم** ﴾ لائق بما يرجوه من لقاء أولاده ، ولائق أيضا بما خلق الله - تعالى - من أسباب محكمة توصله إلى لقاء بنيه ، و ذَكَرَ "**العليم**" أولا ، لأنّ الحال داع إلى العلم بما غاب من الأسباب أكثر من معرفة حكمتها .

---

(١) سورة يوسف ، من الآية : ٨١ .
(٢) سورة يوسف ، الآية : ٨٢ .
(٣) في الكلام حذف للاختصار ، فلذا ذكرنا ما قلناه . ينظر : تفسير الطبري ، ٣٧/١٣ .
(٤) قدرنا هذا التقدير مع أنه غير موجود في السياق ، لأن "بل" للإضراب ، فيقتضي كلاما محذوفا قبلها حتى يصحّ الإضراب . ينظر : تفسير أبي حيان ، ٣٣٨/٥ .
(٥) اسمه - تعالى - "الحكيم" يحتمل معنى الحكمة والإحكام ، فلذا راعينا كلا المعنيين في المناسبة .
(٦) سورة الشرح ، الآيتان : ٥ - ٦ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٩٨) [١]

بيان غريب النص :

سوف : حرف تسويف مبني على الفتح ، يختص بالمضارع ، فيخصصه للاستقبال ، ويفيد التأجيل والتأخير .

والغالب على " سوف " استعمالها في الوعيد والتهديد ، وقد تستعمل في الوعد كما في هذه الآية وآية الضحى [٢] ، قال تعالى :- ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [٣]

الغفور : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه [٤] .

الرحيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه [٥] .

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "الغفور الرحيم" عقبه :

لمّا رجع أولاد يعقوب - عليه السلام - إلى أرض فلسطين التي كان أبوهم ساكنا فيها ، ووصلوا إلى أبيهم واعترفوا له بذنوبهم ، كما حكى القرآن الكريم :- ﴿ قَالُوا يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾ [٦] أي : سل الله - تعالى - وادعه أن يغفر لنا ما ارتكبنا في عقوقك [٧] وإيذاء أخينا يوسف - عليه السلام - ، لأننا مذنبون بما فعلنا بكما .

وأبوهم يعقوب - عليه السلام - وعدهم باستغفار ربه - عز وجل - لهم في المستقبل ، ولم يسارع إلى الاستغفار لهم عَقِب طلبهم منه الاستغفار ، حتى لا يظنّوا ويتوقّعوا أن الأشياء التي اقترفوها من هيّنات الأمور التي تغفر ببادرة من الاعتراف والإقرار بها ، أو أجّلَ طلب المغفرة إلى ساعة الإجابة كوقت السَّحَر ، أو يوم الجمعة ، أو ليسألَ يوسف - عليه السلام - فإنْ عفا عنهم استغفر لهم ، وإلى ذلك يشير قوله - تعالى - :- ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ﴾ .

ولمّا كان يعقوب - عليه السلام - لم يجبهم إلى طلبهم في الحال ، وذلك قد يؤدي

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ٩٨ .

(٢) ينظر : معاني الحروف للرماني ، ص : ١٠٩ ، البرهان في علوم القرآن للزركشي ، ٤/٢٨٢ - ٢٨٣ ، الكشف والبيان في علوم القرآن للدكتور سمير عبد العزيز شليوه ، ص : ١٢٨ .

(٣) سورة الضحى ، الآية : ٥

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٦) سورة يوسف ، الآية : ٩٧ .

(٧) عقّ الولد أباه عقوقا - من باب قعد - : إذا عصاه وترك الإحسان إليه . (المصباح المنير ٢/٤٢٢) .

بهم إلى القلق والهمّ والقنوط من رحمة الله - تعالى - العزيز الغفار ، ختم وعده - عليه السلام - بهذه الجملة المؤكدة بعدّة تأكيدات فقال: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ تسكينا لقلوبهم وتصحيحا لرجائهم وتقوية لأملهم ، حتى يكون الله - تعالى - عند ظنهم بتحقيق الإجابة(١) ، فلا يقنطوا من رحمته - تعالى - من أجل تأخير استغفار أبيهم لهم ، إذ أن الله - تعالى - أرحمُ بهم من أبيهم ومن سائر الراحمين ، وهو - تعالى - يغفر لهم ما اقترفوه من إيذاء أبيهم يعقوب ويوسف - عليهما السلام - ، ولولا رحمة الله - عز وجل - بهم لَهلكوا قبل طلب المغفرة ، فلذا جاء اسمه - تعالى - "**الرحيم**" بعد اسمه - تعالى - "**الغفور**" والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ، ١٣/٢١٥ - ٢١٦ . بتصرف .

النـص :

قال اللـه تعالى : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠)﴾ (١)

بيان غريب النـص:

العرش : المراد به في الآية : السرير الرفيع الذي كان يجلس عليه يوسف -عليه السلام- ، قال في المفردات : (سُمّي مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوّه) (٢).

أبت : الأب ،يقال في النداء : أبي و أبتِ .

والتاء في (أبت) تاء خاصة بكلمة الأب في النداء ، خاصة على نية الإضافة إلى المتكلّم (٣).

البدو :قال في القاموس : (البدْو والبادية والبَداة : خلاف الحضر) (٤).

نزغ :قال في القاموس : (نزغ بينهم - من باب منع - : أفسد وأغرى ووسوس) (٥).

لطيف :اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه (٦).

العليم :اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه (٧).

الحكيم :اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه (٨).

معنى النص ومناسبة أسماء الله تعالى الحسنى "اللطيف العليم الحكيم" عَقِبَه :

بعد أن حكى القرآن الكريم في الآية السابقة (٩) استقبال يوسف -عليه السلام أبويه بعد الغيبة الطويلة التي حدثت فيها تلك الأحداث التي مرّ بيانُها في السورة

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ١٠٠ .

(٢) المفردات للراغب ، ص:٣٤٩ ، ينظر : القاموس المحيط ، مادة (عرش)، ص:٤٩٠ .

(٣) تفسير ابن عاشور ، ٢٠٦/١٢ ، أثناء تفسير الآية الرابعة من سورة يوسف .

(٤) القاموس المحيط ، مادة (بدو) ، ص:١٦٢٩ .

(٥) القاموس المحيط ، مادة (نزغ) ، ص:١٠١٩ .

(٦) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٦ .

(٧) ينظر من هذا البحث ،ص : ٣٣ .

(٨) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٩) هي قوله -تعالى- :﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ سورة يوسف ، الآية : ٩٩.

الكريمة ، ذَكَرَ لنا في هذا النص الكريم تحقيقَ رؤيا يوسف - عليه السلام - وإكرامَه - عليه السلام - لأبوية ، و معاملتَه الحسنة لإخوته ، حيث قال - تعالى - : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ أي : أصعدهما على سريره الذي يجلس عليه ، تكريما لهما ، وإعلاء من شأنهما ﴿ وَخَرُّوا لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ أي : سجدوا له تحيّةً وتعظيما (١) ، و ليس المقصود به السجودَ الشرعي، لأنه لا يكو ن إلّا لِله - تعالى -، فتُحمَل صورةُ السجدة في هذا النص على ما كان معروفا يومئذ في تعظيم الملوك ﴿ وَقَالَ ﴾ يوسف - عليه السلام - عندما رأى ذلك ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ ﴾ أي : أنّ السجود الذي سجدتموه لي الآن ، هو تفسير رؤياي التي رأيتُها في صغري، يشير إلى رؤياه : ﴿ .. إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ وهم إخوتُه ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ وهما أبوه وأمه ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ (٢) ، ثم حكى كتاب الله - تعالى - ما نطق به يوسف - عليه السلام - مِن شكر الله - تعالى - على فضله و لطفه إذ قال : ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ أي : أمرا واقعا كما رأيته في المنام ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ ﴾ ربّي إحسانا عظيما ﴿ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾ معزّزا مكرّما بعد أن كنتُ فيه محبوسا ، و لم يقل - عليه السلام - "أخرجني من الجبّ " حِفظا للأدب مع إخوته ، ودفْعاً لِخجلهم ، ثم استمرّ - عليه السلام - في ذكر نعم الله - تعالى - التي فيها خفاء من كمال لطفه - تعالى - وقال : ﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ أي : من البادية التي كنتم تجدون فيها الصعوبات ، و خشونة العيش ، و لم يقل - عليه السلام - " رفع عنكم الجوع والحاجة " أدباً معهم ثم أتمّ - عليه السلام - حديثه لأبيه قائلا : ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾ أي: و قد أحسن بي ربي و أنعم عليّ بهذه النعم من بعد ما أفسد الشيطان بيني و بين إخوتي ، فأوقع العداوة و الحسد بيننا حتى قصدوا إهلاكي ، و في هذا الموقف أعطى يوسف - عليه السلام - الأدبَ حقَّه ، حيث نَسب الإساءة التي كانت من إخوته إلى الشيطان تلطيفا للجوّ ومبالغةً في إذهاب الهمّ من نفوسهم ، وهذا الكمال في الخُلُق لم يكن إلّا للرسل و الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - .

ثمّ أشار - عليه السلام - إلى لطف الله - تعالى - وتدبيره له حتى بلّغه هذه المنزلة فقال : ﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ و ذلك إخبار منه - عليه السلام - أن ربّه - عز وجل - يلطف لِما يريده فيأتي به بطُرُق خفيّة لا يعلمها الناس .

واسمه - تعالى - " **اللطيف** " يتضمّن عِلمه - تعالى - بالأشياء الدقيقة ، وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية ، و منه التلطّف كما قال أهل الكهف : ﴿ ... وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ (٣)

---

(١) قال الإمام ابن العربي - رحمه الله تعالى - في كتابه " أحكام القرآن " ٣/١١٠٦-١١٠٧ : (كان هذا سجودَ تحية ، لا سجود عبادة ، وقد نسخ الله - تعالى - في شرعنا ذلك ، وجعل الكلام - أي لفظ السلام عليكم - بدلا عن الانحناء والقيام ... أنّ اللسان يكفي في السلام ، أمّا حركة البدن أو شيء منه فلم يُشْرَع في السلام ، لا تحريك يدٍ ولا قَدمٍ ولا قِيام) . بتصرف يسير .

(٢) سورة يوسف ، الآية : ٤ .

(٣) سورة الكهف ، من الآية : ١٩ .

فكان ظاهر ما امتُحن به يوسف - عليه السلام - من مفارقة أبيه ، وإلقائه في الجب وبيعه رقيقا ثم مراودة التي هو في بيتها عن نفسه ، وكِذبها عليه ، و سِجنه مِحَناً و مصائبَ ، وباطنُها نِعَماً، جعلها الله - تعالى - سببا لسعادته في الدنيا والآخرة ، فمَن ذا الذي يخطُر بباله أن الإلقاء في الجبّ وما أعقبه ، ينتهي بالسيادة والملك ؟ ولذا كان ذِكر اسمه - تعالى - **"اللطيف"** في هذا المقام مناسبا لقصة يوسف - عليه السلام - من أولها إلى آخرها(١).

ثم ختم يوسف - عليه السلام - كلامه بذكر اسميه - تعالى - **"العليم الحكيم"** في قوله - تعالى - : ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ و ذلك تعليل لِلُطف الله - تعالى - بهم في التدبير ورِفْقِهِ بهم في التسخير و تسهيل الأمور للوصول إلى السعادة ، أي : إنه - سبحانه - **العليم** بكل شيء وبأحوال خلقه عِلما تاما ، ولا يخفى عليه - تعالى - مبادئ الأمور و عواقبها ، وقد علِم - عزّ وجل - قبل أن يخلق عبادَه أحوالَهم وما هم عاملون وما هم إليه صائرون ، والأسبابُ التي تحقّقت في هذه القصة لسعادة يوسف - عليه السلام - وأبويه وإخوته جميعا كانت نتيجةً لعلم الله - تعالى - بكل شيء ، وبمصالح عباده ، ثم ذكر اسمه - تعالى - **" الحكيم"** إشارة إلى أنّ حدوث كل شيء في هذا الكون يكون في إطار حكمته - تعالى - ، ومِن حكمته - سبحانه - قضاؤه تحقيق رؤيا يوسف - عليه السلام - في وقت متأخر ، ليظهر اللطف الإلٰهي في كماله وتمامه . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : نظم الدرر للبقاعي ، ٢١٩/١٣ ، شفاء العليل لابن القيم ، ص : ٦٤ ، بتصرف فيهما

ســـورة الـــرعـــد

النـص :

قال اللـه تعالى :

﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩﴾

بيـان غـريب الـنـص:

تغيض : تنقص ، وتقول اللغة : غاض الشيءُ، وغاضه غيرُه ، نحو نقص و نقصه غيرُه [٢].
وهو من الأفعال التي تستعمل لازما ومتعديا .

الأرحام : جمع "رحم" - بكسر الحاء - ، تقدم معناه [٣]، والمراد هنا :مكان الجنين في بطن أمه.

الكبير : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه [٤].

المتعالي : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه [٥].

معنى النـص ومناسبة قوله تعالى "عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال" عَقِبَه :

في هذا النص الكريم ذكر الله - عز وجل - مظهرا من مظاهر قدرته وسعة علمه فقال :- ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ أي: اللهُ - سبحانه وتعالى - هو المنفرد بعلم ما تحمل كل أنثى ، وما تضع من مواليدَ ، ذكرا أو أنثى ، تماما أو خِداجا ، حسنا أو قبيحا ، طويلا أو قصيرا ، شقيّا أو سعيدا ، و هذا يقتضي أنّ عِلمه - تعالى - عِلم قائم على حكمة وتقدير وتدبير ، وذلك كلُّه ممّا يدل على تمام علمه - تعالى - وكِبر قدرته وإحاطته بكل شيء .

ولمّا كان ما ورد في هذه الآية من الأمور الغيبية ، وكان علمُهُ - تعالى - بها مستلزما لِعلم الشهادة ، وكان للتصريح مزيّةٌ لا تخفى ، صرّح به على وجه كلّي ، يعمّ تلك الجزئيات وغيرَها فقال :- ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ، ولمّا كان العلم والحكمة لا يتمّان إلا بكمال القدرة والعظمة قال :- ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾[٦].

---

(١) سورة الرعد ، الآيتان : ٨ - ٩ .
(٢) القاموس المحيط ، مادة (غيض) ، ص :٨٣٨ ، المصباح المنير ، ٤٥٩/٢ .
(٣) ينظر من هذا البحث ، ص :٢٢١ ، أثناء تفسير الآية (٧٥) من سورة الأنفال .
(٤) ينظر من هذا البحث ، ص :٣٦ .
(٥) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٧ .
(٦) نظم الدرر للبقاعي ، ١٣/ ٢٨٨ - ٢٨٩ ، بتصرف .

وقوله - تعالى - " **عَـٰلم الغيب والشهـٰدة** " مناسب - كما تقدم - لانفراده - سبحانه - بعلم ما في الأرحام على وجه التحقيق ، ونفوذِ علمه - تعالى - إلى كل شيء خفيا كان أو ظاهرا.

ثم إنّه - تعالى - قرن " **عـٰلِم الغيب والشهـٰدة** " بقوله " **الكبير المتعال** " تعظيما لنفسه على الإطلاق ، لأنه - تعالى - لمّا وصف نفسه بما تقدم من أنه يعلم الحمل الذي تحمله كل أنثى ، ويعلم الغائب ، والحاضر الذي نشاهده ، وصف عَقِبَ ذلك نفسه بالكبر المطلق والتعالي المطلق إشارة إلى أنه - سبحانه - قادر على ما ذُكِر ولو لم تحتمله العقول ، لأنه - تعالى - في كبريائه وعلوّه محيطٌ بكل صغيرة وكبيرة في الكون ، يتساوَى لديه - سبحانه - عِلم الأمور البعيدة والقريبة ، والخفية منها والظاهرة ، إذ لا قربَ عند مَن لا يخفى عليه شيء قال - تعالى - : ﴿ **هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (١). والله - عز وجل - أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ٣ .

النص :

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

الواحد : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٢).

القهار : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "الواحد القهّار" عَقِبَه :

يذكر الله - سبحانه وتعالى - في هذا النص الكريم بعض الأدلة المقنعة الدالة على أنه - تعالى - هو المستحقّ للعبادة ، و يأمر رسولَه - صلى الله عليه وسلم - أن يسأل المشركين سؤالَ التقرير (٤) لِيُلزِمَهم الحجة ، ويبيّن لهم طريق الهداية بمحاورتهم سائلا ومجيبا ، لِيلْفِت أنظارهم إلى البحث والتأمل ، فيقول له :- ﴿ قُلْ ﴾ يا أيها الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - لهؤلاء المشركين ﴿ مَنْ رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ - أي : مَن خالقهما ومالكهما ومتولّي أمرهما على ما فيهما من البدائع والعجائب ؟ فأَمَرَ رسولَه - صلى الله عليه وسلم - أن يسبقهم إلى الجواب ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ - وفي ذلك إيذان بأنه جواب متعيّن ، إذ لا جواب سواه .

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ١٦ .

(٢) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٨ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٥ .

(٤) يكثُر في القرآن العظيم الاستدلالُ على الكفار باعترافهم بربوبيته - عز وجل - على وجوب توحيده في عبادته ، ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير - كما في الآية التي نحن بصدد تفسيرها - ، فإذا أقرّوا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه - تعالى - هو المستحق للعبادة وحده ، ووبّخهم منكِرا عليهم شِركهم به غيرَه - سبحانه - .
يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله تعالى - في أضواء البيان ٣/٤١٤ : (إن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهاماتُ تقريرٍ ، وإن زعم بعض العلماء أنها للإنكار ، لأن استقراء القرآن دلّ على أن الاستفهام المتعلّق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهامَ انكار ، لأنهم لا ينكرون الربوبية ، كما قال - تعالى - :- ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ ، سورة العنكبوت ، الآية : ٦١ ، و الآيات في هذا المعنى كثيرة .) بتصرف يسير في النقل .

وبعد أن أقرّوا بأن الرب الحق هو الله ـ سبحانه ـ أمر ـ تعالى ـ رسولَه ـ صلى الله عليه وسلم أن يبيّن لهم خطأهم الفاضح فيما سلكوه بجانبه ـ سبحانه ـ، فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي: قل لهم توبيخا وتقريعا: أَبَعْدَ أن اعترفتم وعلِمتم أن الله ـ تعالى ـ ربّ السماوات والأرض، الذي يذِلّ لعزته وقوته وقدرته كلُّ مَن فيهما، أَبَعْدَ أن علمتم هذا عَمِيَتْ قلوبُكم فاتخذتم من دونه ـ سبحانه ـ شركاء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فضلا عن أن يملكوا لكم نفعا أو يدفعوا عنكم ضرا. ومَن كان كذلك فكيف يستحق العبادة؟ ثم أمر ـ سبحانه ـ رسولَه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقرأ عليهم مبالغةً في البيان وإقامة للحجة والبرهان على وجوب التوحيد وبطلان الشرك، ما أنزله الله ـ تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ والجواب قطعا لا. إذاً فكيف يستوي المؤمن والكافر، وكيف يستوي الهُدى والضلال، فالمؤمن الموحِّد يعبد الله ـ تعالى على علمٍ أنه خالِقُه ورازقه، يعلم سِرّه ونجواه، يجيبه إذا دعاه، والكافرُ المشرك يعبد مخلوقا من مخلوقات الله ـ تعالى ـ، لا تملك النفع ولا الضر، لا تسمع نداء ولا تجيب دعاء. ثم انه ـ تعالى ـ أكّد ما أشارت إليه الآية فيما سبق من تخطئة المشركين فقال: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: بل أ[1] جعلوا لله ـ سبحانه ـ شركاء خلقوا مثل خلقه ـ تعالى ـ، فتشابه والتبس عليهم خلقُ الله ـ تعالى ـ وخلقُهم، فلا يميّزون بين خلق الله ـ تعالى ـ وخلق آلهتهم، فاستحقوا بذلك العبادة عندهم كما استحقّها ـ سبحانه ـ، ولكن الأمر ليس كذلك لأنهم جعلوا له شركاء لم يخلقوا ولا يستطيعون خلق ذبابة فضلا عن غيرها. إذاً كيف تصحّ عبادة تلك الآلهة التي لم تخلق شيئا؟ ثم أمر الله ـ عز وجل ـ نبيَّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يوضِّح لهم الحقَّ ويرشدهم إلى الصواب عند اعترافهم بأن آلهتهم لم تخلق شيئا، فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: قل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لهؤلاء المشركين: اللهُ خالق الأشياء كلها، معبوداتكم وغيرها، فلا شريك له في الخلق، ولا يشاركه في استحقاق العبادة أحد، فلهذا لزم أن تعبدوه وحده لا شريك له.

ولمّا جعل الله ـ تعالى ـ الخلق موجبَ العبادة ولازمَ استحقاقِها، ونَفاهُ عمّن سواه ولم يشرك أحدا فيه، ختم الآية بما يدل على ذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ وهو نتيجة واستخراج لِما سبق من الأدلة التي تدل على أنه ـ تعالى ـ هو الإله المعبود المحمود حقا، وإلهيّة غيره باطلة.

وإنّما خص هذا الموضِع بذكر صفتَي "الوحدانية والقهر" لأنّهما يتضمّنان جميع

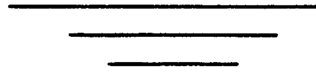
---

(١) أم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أم جعلوا﴾ منقطعة، وهي التي لا يفارقها الإضراب، وفي مثل هذه الحالات تقدّر "بل والهمزة" للإنكار، والمراد بالإضراب هنا إضراب انتقالي، يعني من حديث إلى حديث آخر دون إبطال أحدهما.

أوصاف الكمال ، وبدونهما لا يوجد خالق .

وفي ذكر اسمه - تعالى -" **الواحد**" دليل على نسبة الوحدانية إلى الله - تعالى ، وأنه لاإله غيره ، واسمُه - تعالى - " **القهار**" دلّ على حصر الوحدانية في الله - تعالى ، ونفيِها عن غيره - سبحانه وتعالى - ، لأنّ غيره - تعالى - مخلوق مقهور كالأصنام التي لاتضر ولا تنفع .

وفي ختم الآية باسميه - تعالى - ﴿ **الواحد القهار** ﴾ إشارة إلى استحقاق العبادة لله - سبحانه وتعالى - ، لأنّ مَن انفرد بالخلق إنشاء وتدبيرا وتربية جدير بالعبادة له ، والوقوفِ عند أمره ونهيه ، وفي ذلك دعوة لهؤلاء المشركين أن يؤمنوا بإله واحد وربّ واحد ، وهو **الواحد القهار** ، وأن لا يعبدوا غيرَه ولا يشركوا معه سواه ، فإن من يشركونهم في عبادته - سبحانه وتعالى - هم خلقٌ له - تعالى - ، واللهُ - تعالى - هو - وحده - إله واحد ، لا مثيل له ولانظير . والله - سبحانه - أعلم بالصواب .



ســـورة إبـــراهـــــــيم

النص :

قال الله تعالى :

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ  (١)

بيان غريب النص :

بلسان قومه : أي : بلغة قومه ، وكلمة اللسان يأتي في كلام العرب بمعنى الجارحة كما في قوله - تعالى - :﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ (٢) ، ويأتي بمعنى اللغة كما في قوله - تعالى - :﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ... ﴾ (٣) أي : واختلاف لغاتكم (٤) .

العزيز : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٥) .

الحكيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٦) .

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "العزيز الحكيم" عقبه :

بيّن الله - سبحانه وتعالى - في هذا النص الكريم حكمته في إرسال الرسل ، واختيار تلك الرسل من بين أقوامهم ، فقال :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ أي : وما أرسلنا أيّ رسول في الأمم الماضية إلاّ بلغة القوم الذين أرسل إليهم (٧) ، ثم إنّ الله - عز وجل - ذكر الحكمة في ذلك فقال :﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ أي : ليبيّن ذلك الرسول المرسل إليهم أحكام

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٤.

(٢) سورة القيامة ، الآية : ١٦ .

(٣) سورة الروم ، من الآية : ٢٢ .

(٤) ينظر : المفردات للراغب ، ص : ٤٥٠ ، إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني ، ص : ٤١٤ - ٤١٥ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٦) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٧) إن هذه الآية تدل على رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى قومه ، وهناك آيات أخرى في القرآن تدل على عموم رسالته - صلى الله عليه سلم - ، مثل قوله - تعالى - :﴿ قل يَـٰأيّها الناس إنّي رَسُولُ اللهِ إليكم جَمِيعاً ... ﴾ الأعراف ، من الآية : ١٥٨ . وقال - تعالى - :﴿ وَمَا أرسلناك إلا كافة للناس بَشيراً ونذيراً ولكنّ أكثرَ النّاسِ لا يَعلمون ﴾ سبأ ، الآية : ٢٨ . ونحوُ هذه الآيات كثيرة . وثبت ذلك في الصحيح أيضا : " ... وكانَ النّبيّ يُبعَث إلى قومه خاصّة ، وبُعثتُ إلى الناس عامّة " . صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ، كتاب التيمم ، ٤٣٦/١ ، رقم ٣٣٥ .
فلا تعارض بين هذه النصوص الشرعية ، وذلك لأمور ، منها : إن هذا القرآن إمّا أن ينزل بجميع اللغات أو بواحدة منها ، فلا حاجة إلى نزوله بجميع اللغات ، لأن الترجمة تنوب عن ذلك ، فتعيّنَ أن ينزل القرآن بلسان واحد ، وكان لسانُ قومه - صلى الله عليه وسلم - أولى بالتعيين ، لأنهم أقرب إليه ، وهم مخاطبون بالدعوة في أول الأمر . ومن ذلك يقال : إن القرآن لو كان نزوله بلغات كل قوم لكان مظنة للاختلاف ، وفتحاً لباب التنازع ، وذلك يُفضي إلى التحريف والتبديل . ينظر : تفسير الزمخشري ، ٣٦٦/٢ ، تفسير الشوكاني ، ٩٣/٣ .

شريعتهم، وما يحتاجون إليه بلسانهم، فيكون إدراكهم لها أسهل، وعن الغلط والخطأ أبعد، ويكون وقوفهم على المقصود والغرض أكمل. وفي ذلك دلالة على كمال رحمة الله- تعالى -، ولطفه بعباده، وأنّ جميع ما يحتاجه العباد في أصول الدين وفروعه واضح كل الوضوح، ومبيّن كلّ البيان. وإذا بيّن أولئك الرسلُ - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - جميع ما أُمروا به لأقوامهم، ونُهوا عنه، تنتهي مهمّتهم التي هي التبليغ فقط، كما قال- تعالى -: ﴿... فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾(١).

وأمّا وراء ذلك من الهداية والإضلال فإلى الله - تعالى -، لايشاركه في ذلك رسول ولاغيره، وإلى ذلك يشير قوله - تعالى - :﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: فبعد إرسال الله - تعالى - كلّ رسولٍ بلسان قومه، يضِلّ مَن اتّخذ سبيل الشيطان، ويهدي من اتّبع سبيل الرشاد، وجانَبَ أسلوب العناد، فانشرح صدره للإسلام، واستقام على المنهج السديد بتوفيق الله رب العالمين.

ولمّا أخبر - تعالى - أن الهداية والإضلال في قبضته، وتحت سلطانه ختم الآية بقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وهو تذييل يقصد به التأكيد لما تقدّم من نسبة الإضلال والهداية إلى الله - تعالى -، أي: والله - سبحانه وتعالى - القويّ الغالب الذي لايغلَب على مشيئته، فلا يمنعه أحد من إضلال مَن يشاء إضلالَه ممّن لم ينقدْ للهدى، وهدايةِ مَن يشاء هدايتَه ممّن اختصه برحمته وانقاد للهدى، فسبحان من فاوت بين عباده، وانفرد بالهداية والإضلال.

وفي ذكر اسمه - تعالى - "العزيز" في ختام هذه الآية تنبيه للرسل - عليهم السلام - على أن يتقيّدوا بالتبليغ والبيان فقط، دون أن يستولوا على الناس ولايغالبوهم، ولايقهروهم على الإيمان، لأن الهداية والإضلال ليسا بأيديهم، وإنما ذلك بيد الله - تعالى - وحسب مشيئته ثم إنّ الله - عز وجل - ذكر اسمه "الحكيم" إظهارا أنّ ما حكم به - سبحانه وتعالى - من حصر وظيفة الرسل - عليه السلام - على البيان والتبليغ، وقصر الهداية والإضلال على نفسه الكريمة، جارٍ على الحكمة والإتقان ووضْع الأشياء مواضعها، كما أنّ حكمته - تعالى - اقتضت إضلال مَن خرج عن الطريق المستقيم لعدم صلاحيته للهدى، وهداية من سلك الطريق المستقيم، قال - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢).

---

(١) سورة النحل، من الآية: ٣٥.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٥.

النص :

قال الله تعالى : وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ [(١)]

بيان غريب النص :

لَغني : اللام للتأكيد، والغني اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، وقد تقدم معناه [(٢)].

حميد : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، وقد تقدم معناه [(٣)].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "غني حميد" عقبه :

لقد تقرّر في قوله - تعالى - : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [(٤)] أنّ الشكر يستوجب تزايد الخيرات، وكفرانَ النعم يستوجب العذاب الشديد.

وفي هذا النص الكريم بيّن الله - عز وجل - على لسان موسى - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - أنّ منافعَ الشكر ومضار الكفران لا تعود إلا على من شكر أو كفر ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لبني إسرائيل ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ﴾ نِعم الله - تعالى - عليكم ولم تشكروها ﴿أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الخلق، فما ألحقتم الضرر إلّا بأنفسكم إذ حرمتموها من مزيد النعم وعرّضتموها لشديد العذاب.

ولمّا كان الله - تعالى - لايضره كفرهم بِنعمه - سبحانه -، كما لا ينتفع بشكرهم، جاء الختام بذكر الاسمين الجليلين لله - عز وجل - في قوله - سبحانه - : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ وذلك يفيد التعليل لِما تقرّر مِن أنّ الله - تعالى - لا ينتفع بالشكر أو يستضرّ بالكفران، أي : إن الله - تعالى - متعالٍ عن ذلك كله، لأن مَن كان كامل الغنى، والذي بيده خزائن السماوات والأرض، لا يحتاج إلى شكر الشاكرين، ولا يلحقه - تعالى - بسبب الشكر أو عدمه نفع أو ضرر.

وفي مجيء حرف التأكيد باللام في قوله ﴿لَغَنِىٌّ﴾ تحقيق للغنى الذاتي لله - تعالى -، وتعريض بتنزيل مَن لا يشكر منزلة المتشكّك في ذلك.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية : ٨.

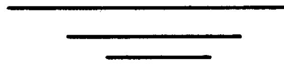
(٢) ينظر من هذا البحث، ص : ٣٤.

(٣) ينظر من هذا البحث، ص : ٢٩٧.

(٤) سورة إبراهيم، الآية : ٧.

ثم ذكر اسمه - تعالى - **" حميد"** أي : محمود في ذاته و أسمائه وصفاته وأفعاله تأكيدا للاسم السابق ، لأنه - تعالى - ليس له من الصفات إلّا كل صفة حمد وكمال ، و لا من الأسماء إلّا كل اسم حسن ، و لا من الأفعال إلّا كل فعل جميل ، فلا يحتاج إلى حمد الناس ولا شكرهم.

فغِناه - سبحانه - عن كل شيء من لوازم ذاته ، وكونه - تعالى - محمودا من لوازم ذاته أيضا ، وكلٌّ واحد من هذين الوصفين صفةُ كمال ، واجتماعُ أحدهما إلى الآخر زيادةُ كمالٍ إلى كمال . والله - تعالى - أعلم بالصواب .



النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

واجنبني : وأبعدني، تقول اللغة: جنبه الشرّ - من باب نصر - ، وجنبه إياه، كلاهما يتعدّى لمفعولين، أي: أبعده عنه، ونحّاه بعيدا (٢).

غفور : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، وقد تقدم معناه (٣).

رحيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، وقد تقدم معناه (٤).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " غفور رحيم " عقبه :

بيّن الله - تعالى - في هذا النص الكريم ما كان عليه سيدنا إبراهيم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - من علاقةٍ بالبلد الحرام والبيت الحرام، وتشدّدٍ في إنكار عبادة الأصنام، فقال - تعالى -: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ أي: طلب إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - من ربّه - عز وجل - أمرين، الأمر الأول: أن يجعل اللهُ - تعالى - مكة بلدا آمِنا يأمن الناس فيها على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم حتى يتمكّنوا من عبادة الله - عز وجل - وإقامةِ شعائره خيرَ قيام، وتنفيذِ أوامره ونواهيه على الوجه المطلوب . والأمر الثاني: أن يثبته الله - تعالى - وبنيه على ما هم عليه من التوحيد وملّة الإسلام، وأن يُبعده وإيّاهم من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر . ثم أعاد - عليه الصلاة والسلام - النداء معلّلا دعاءَه فقال: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ معناه: ضلّ بسببهن كثير من الناس (٥)، ثم قال - تعالى - حكاية لتتمة دعاء إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ﴿ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾ أي: فمن تبعني منهم فيما أدعو

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٣٥-٣٦.

(٢) ينظر: القاموس المحيط، مادة (جنب)، ص: ٨٨ ، المصباح المنير، ١/١١٠.

(٣) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٤ .

(٤) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٢ .

(٥) ينظر: تفسير ابن الجوزي، ٤/٣٦٥ .

إليه من التوحيد، وملّة الإسلام فإنه من أهل ديني .

ولمّا كانت ذرية إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - لن تكون جميعا على طريق سواء.. فهم بَين مَن يتبعه ومَن يعصيه ، فهو - عليه السلام - ألحق مَن تبعه بنفسه ، وردّ أمر مَن لم يتبعه إلى مشيئة الله - تعالى -، فقال : ﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، ولم يقل - عليه السلام - " فإنّك عزيز حكيم "، كما قال عيسى - عليه السلام - [1]، لأنّ موقف إبراهيم - عليه السلام - يختلف عن موقف عيسى - عليه السلام -، إذ أن موقف إبراهيم - عليه السلام - مع قومه موقفُ استعطاف وتعريضٌ بالدعاء .

وفي ذكره - عليه السلام - في ختام دعائه اسميه - تعالى - **"الغفور الرحيم"** تأدّبٌ في مقام الدعاء ، ونفعٌ للعصاة من الناس بقدر ما يستطيعه ، حيث يخلّي - عليه السلام - بينهم وبين ربهم الغفور الرحيم ، وفي ذكرهما دعوة لهم إلى الاستغفار واتباع طريقه - عليه السلام - .

فيقول الشهيد سيد قطب - رحمه الله تعالى -: (وفي هذا تبدو سمة إبراهيم العطوف الرحيم الأواه الحليم ، فهو لا يطلب الهلاك لمن يعصيه من نسله ، ويَحيد عن طريقه ، ولا يستعجل لهم العذاب ، بل لا يذكر العذاب ، إنّما يكِلهم إلى غفران الله ورحمته ويُلقي على الجوّ ظلال المغفرة والرحمة ...) [2].

---

(١) ينظر للمناسبة عقِب الآية (١١٨)، من سورة المائدة .
(٢) في ظلال القرآن ، ٤/٢١٠٩ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾(١)

بيان غريب النص :

عزيز : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدم معناه(٢).

ذوانتقام : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدم معناه(٣).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "عزيز ذوانتقام" عقبه :

كتب الله -سبحانه وتعالى- على نفسه الكريمة أن ينجز وعده في نصر رسله -عليهم الصلاة والسلام- ونجاتهم ونجاة أتباعهم وإهلاك أعدائهم وخذلانهم في الدنيا، وعقابهم في الآخرة(٤)، واقتضت حكمته -تعالى- إمهال الظالمين وتركهم حتى يتقلّبوا في البلاد(٥)، فجاء هذا النص الكريم في تسلية الرسول -صلى الله عليه السلام- والمؤمنين وهم يعانون من أذى المشركين وظلمهم وطغيانهم، فيقول -تعالى- لرسوله -صلى الله عليه وسلم- :﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ خطاب لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فمعناه : دم على ما أنت عليه من الثقة بصدق وعد الله -تعالى-، ولا تظن الله -تعالى- أنه مخلِفُ رسله ما وعدهم به من نصرتهم ونصرة أتباعهم وإهلاك أعدائهم والظهور عليهم، إذ أنه -تعالى- كما لم يخلف رسله الأولين لا يخلفك أنت، فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال -تعالى- :﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ... ﴾(٦).

ولمّا كان تأخير ما وعد الله -تعالى- رسولَه -صلى الله عليه وسلم- من إنزال العقاب

---

(١) سورة إبراهيم، الآية : ٤٧ .

(٢) ينظر من هذا البحث، ص : ٣٣ .

(٣) ينظر من هذا البحث، ص : ١٠٧ ، أثناء تفسير الآية (٩٥) من سورة المائدة .

(٤) ذلك في آيات كثيرة من القرآن الكريم، منها قوله -تعالى- :﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ سورة غافر: ٥١، وقوله -تعالى- :﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ سورة المجادلة : ٢١ .

(٥) ذلك في قوله -:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۞ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ سورة إبراهيم : الآيتان : ٤٢ - ٤٣ .

(٦) سورة الأنعام، من الآية : ٣٤ .

بأعدائه ، يشبه حال المخلف وعدَه ، نهاه عن أن يظن ذلك في حقه - سبحانه - ، وهو يقدر على ذلك . فلذلك كان ختام الآية بقوله - تعالى - :﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ وذلك تذييل يقصد به التعليل للنهي السابق ، وهو قوله - تعالى - :﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ ... ﴾ وفي التعرّض لوصف العزة والانتقام تأكيدُ عدمِ إخلاف الله - تعالى - وعدهَ رسلَه - عليهم الصلاة والسلام - بتعذيب الظالمين جزاء ما اقترفوا من إثم وطغيان ، وفي جملتهم قريش ، وذلك بأن عزة الله - تعالى - الدالة على القدرة التامة على تحقيق ما يريد ، تقتضي أن لا يُخلِف - تعالى - وعده ، والإخلاف في الوعد منتفٍ عن الله - تعالى - ، لأن إخلاف الوعد يكون إمّا لكون الواعد غيرَ قادر على إنجاز ما وعده ، أو لِعارض يقهره على تغيير ما أراده في أول الأمر ، فالله - عز وجل - عزيز على الإطلاق ، لا يتصف بعجز ولا يقهره شيء ، وهو الواحد القهار .

وفي وصفه - تعالى - نفسه بقوله ﴿ ذو انتقام ﴾ دليل على أنه - سبحانه - لا يعفو عمّن يخالف أمرَه ، ويظلِم أولياءَه ، ولكنه - تعالى - يملي له مع ظلمه ، ويمهله ليزداد إثماً حتى إذا أخذه لم ينجُ ، قال - تعالى - :﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٤٤ .

ســـورة الحـــجـــر

النـص :

قال اللـه تعالى :

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

المستقدمين : السين والتاء هنا لا تدلان على الاستقبال ، يقال : استقدم الرجل: تقدّم (٢).

المستأخرين : يقال : استأخر بمعنى تأخّر (٣).

حكيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٤).

عليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٥).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "حكيم عليم" عقِبَه :

بعد أن بين الله - سبحانه وتعالى - أنه يحيي الخلق - وحده - ويميتهم ويرثهم (٦)، عقّبه ببيان أنّ علمه - تعالى - محيط بكل شيء ، وأنه - تعالى - لا يخفى عليه شيء ، أزلا وأبدا ، من الأوائل والأواخر ، فقال - سبحانه - : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ أي: الذين ماتوا من لَدُن آدم - عليه السلام - ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ ممّن هم أحياء ومَن لم يوجدوا أو سيوجدون بعدكم ويموتون إلى يوم القيامة ، كلُّ هذا معلوم لله - تعالى - ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، قال - تعالى - : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (٧).

ثمّ أكّد - سبحانه - أنّ الحشر والحساب لا بدّ منهما ، فقال : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ أيها الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - ﴿هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي : هو وحده - سبحانه - يجمع المتقدمين والمتأخرين بقدرته للحساب والجزاء يوم القيامة ، لأن أمر العباد بالتكليف يستلزمه ليُعلَم الخبيث من الطيب والكافرُ من المؤمن .

ولمّا ذكر - سبحانه - قدرته على الإحياء والإماتة ، وعلمه بما مضى وما هو آت ، ثم ذكر الحشر ، ختم الآية بقوله : ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ وهو تعليل (٨) لجملة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ

---

(١) سورة الحجر ، الآيتان : ٢٤-٢٥ .

(٢) ينظر : تفسير ابن الجوزي ، ٣٩٥/٤ ، القاموس المحيط ، مادة (قدم) ، ص : ١٤٧٠ .

(٣) ينظر : تفسير ابن الجوزي ، ٣٩٥/٤ ، القاموس المحيط ، مادة (أخر) ، ص : ٤٣٦ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٦) ذلك في قوله - تعالى - : ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ ، سورة الحجر ، الآية : ٢٣ .

(٧) سورة الملك ، الآية : ١٤ .

(٨) تفسير ابن عاشور ، ٤٠/١٤ .

يَحْشُرُهُمْ﴾ لأنّ شأن "إنّ" إذا جاءت في غير معنى الرد على المنكر أنْ تفيد معنى التعليل والربط بما قبلها، فكأنّ المعنى: إن الله -تعالى- حكم بالموت على الناس، وقرّر البعث بعد موتهم، لأن حكمته -تعالى- اقتضت أن يكون للناس حياة أخرى يحاسَبون فيها على أعمالهم، وينزّلون فيها منازلَهم، حسب ما كان لهم من أعمال في دنياهم، وهو -سبحانه واسع العلم بما كان منهم، فيجازي كلّا بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

وفي ختم الآية باسميه تعالى ﴿حكيم عليم﴾ تعريف لنا بحكمة الحشر ووقوعه، إذ أن الحشر يتوقّف على الحكمة المقتضية لحساب الأعمال، ومجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، ويتوقّف أيضا على العلم بأحوال الخلق ما ظهر منها وما بطن حتى يتحقّق العدل في الجزاء والحساب. ولعل تقديم صفة الحكمة للإيذان باقتضائها للحشر والجزاء (١). والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) تفسير الآلوسي، ٣٣/١٤.

النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

فاصفح : فأعرض ، يقال : صفح عنه - من باب فتح - : أعرض عنه ، أو أعرض عن عقوبته (٢). وهو أبلغ من العفو (٣).

الخلاق : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٤).

العليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٥).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "الخلاق العليم" عَقِبَه :

في الآية الأولى نبّه الله - سبحانه وتعالى - على كمال قدرته التي تقتضي أن يُعبَد وحده لا شريك له ، ثم أخبر - تعالى - نبيّه - صلى الله عليه وسلم - عن وقوع القيامة فقال : ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ﴾ لا ريب فيها ، كقوله - تعالى - : ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ (٦)، وفي هذا الإخبار تسلية للنبيّ - صلى الله عليه وسلم - عمّا أصابه من المكذّبين من أذىً ، حيث إن جزاءهم لازم وآت . ثم قال - تعالى - : ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ وهذا تنبيه من الله - عز وجل - لرسوله - صلى الله عليه وسلم - إلى وجوب الصبر (٧) على معاملة المشركين المكذّبين وتحمّل أذاهم في سبيل الدعوة إلى الله - تعالى - . وفي أمره - صلى الله عليه وسلم - بالصفح الجميل الذي ليس معه أدنى مؤاخذة ولا عتاب إشارة كريمة إلى تركهم لله - تعالى - حتى يقضي في شأنهم في الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة الحجر ، الآيتان : ٨٥ - ٨٦ .

(٢) لسان العرب ، مادة (صفح) ، ٢/٥١٠ .

(٣) المفردات للراغب ، ص : ٢٨٢ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٦) سورة الحج ، الآية : ٧ .

(٧) ذهب بعض المفسرين كمجاهد وقتادة وغيرهما إلى أن هذا الصفح والإعراض منسوخ بآية القتال ، حيث إن هذه الآية مكية ، وآية القتال مدنية ، إذ شُرِعَ القتال بعد الهجرة . والأظهرُ عندي - والله أعلم - أن المعاملة الحسنة هي المراد من الآية . وبذلك لا حاجة إلى القول بالنسخ . إلى ذلك ذهب بعض المفسرين ، منهم : النيسابوري في الغرائب ١٤/٣٣ ، والآلوسي في روح المعاني ، ١٤/٧٧ .

ثم أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن نفسه الكريمة بأنه الخلاق العليم في قولـه ـ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ وهو تعليل لقوله ـ تعالى ـ ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ أي: أعرض عن قومك المعاندين المكذّبين إعراضا جميلا ، وعاملْهم بالعفو والصفح ، لأن ربك أيها الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي ربّاك برعايته وعنايته ، وتولّاك بفضله وكرمه هو **الخلّاق** لك ولهم ، ولكل شيء في هذا الوجود ، **العليم** بأحوالك وأحوالهم ، وبما جَرَى بينك وبينهم ، وبما يصلح لك ولهم ولكل الكائنات . وقد علم ـ سبحانه وتعالى ـ أن الصفح عنهم في هذا الوقت ، فيه مصلحة لك ولهم ، فحقيقٌ بك أيها الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن تطيعه ـ سبحانه ـ وتَكِلَ الأمور إليه .

ولقد تحقّق الخير من وراء هذا التوجيه الكريم من الله ـ تعالى ـ لنبيّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقد ترتّب على هذا الصفح : النصرُ للنبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وللمؤمنين ، والهدايةُ لبعض الكافرين ، وإسلامُهم ودخولُهم في دين الله ـ تعالى ـ أفواجا ، وإسلامُ مَن وُلِدوا مِن أصلابهم ، وصاروا قوة للدعوة الإسلامية بعد أن كانوا حربا عليها ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "... أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " (١). وإلى هذه المعاني دلّ خَتمُ الآية باسميه ـ تعالى ـ **" الخلاق العليم "** ، والله ـ تعالى ـ أعلم بالصواب .

---

(١) صحيح البخاري ، مع شرحه فتح الباري ، كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم "آمين " ٣١٣/٦ ، رقم ٣٢٣١ ، صحيح مسلم ، كتاب الجهاد ، باب ما لقي النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أذى المشركين والمنافقين ، ١٤٢١/٣ ، رقم ١٧٩٥ .

ســـــورة الـــنـــحـــل

النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ ﴾[١]

بيان غريب النص:

الأنعام : جمع النَّعم - بفتح العين - : واحد الأنعام، وهي المال الراعية، وأكثرُ ما يقع هذا الاسم على الإبل[٢].

والمراد بالأنعام في الآية : الإبل والبقر والغنم[٣].

دفء : - بكسر الدال - : اسم لما يستدفأ به ، كما أن المِلء اسم ما يُملأُ به[٤].

قال في اللسان : (والدفء : ما أدفأ من أصواف الغنم و أوبار الإبل)[٥].

جمال : تقول اللغة : إن الجَمال بهاء وحُسن في الخُلُق والخَلْق[٦].

والمراد هنا هو الثاني ، وهو الجمال الحسّيّ ، أي : تجمّلٌ وتزيّن في الأعين .

تريحون : تردّون الماشية في العشي من المرعى إلى مُراحها - بضم الميم - ، أي : إلى مأواها[٧].

تسرحون : تطلقون سراحها من الحظائر غدوة إلى المراعي الصالحة .

أثقالكم : أمتعتكم ، و في الصحاح : (الأثقال : جمع الثَّقَل - بفتح الثاء والقاف - :متاع المسافر وحشمه[٨].

بشقّ الأنفس : بجهد الأنفس و مشقتها[٩]، والشِّق - بكسر الشين - : نصف الشيء ، والناحية من الجبل ، والشقيق والمشقة[١٠].

---

(١) سورة النحل ، الآيات : ٥ - ٦ - ٧ .

(٢) الصحاح للجوهري ، مادة (نعم) ، ٢٠٤٣/٥ .

(٣) تفسير ابن عطية ، ٣٧٠/٨ ، تفسير ابن كثير ، ٥٨٢/٢ .

(٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ٢٤١ ، تفسير الكشاف للزمخشري ، ٤٠١/٢ .

(٥) لسان العرب ، مادة (دفأ) ، ٧٧/١ .

(٦) القاموس المحيط ، مادة (جمل) ، ص :١٢٦٦ .

(٧) القاموس المحيط ، مادة (روح) ، ص :٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٨) الصحاح للجوهري ، مادة (ثقل) ، ١٦٤٧/٤ .

(٩) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ، ٣٥٦/١ ، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص :٢٤١ .

(١٠) الصحاح للجوهري ، مادة (شقق) ، ١٥٠٢/٤ .

لَرؤوف : اللام للتأكيد ، والرؤوف اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه(١)

رحيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه(٢).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى" رؤوف رحيم" عَقِبَه :

بعد أن ذكرت الآيات السابقة ما يدل على وحدانيته - تعالى - وقدرته عن طريق خلقه للسموات والأرض والإنسان(٣)، انتقلت الآيات الكريمة إلى تعداد النعم التي أنعم الله - تعالى - بها على الإنسان متاعا وانتفاعا ، ورحمة منه وإحسانا ، وبيّنت جملة من أنواع الدواب التي سخّرها لخدمته ومنفعته ، وذلك ما يشير إليه قوله - سبحانه -:﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾ وهذا امتنان من الله - تعالى - على عباده بخلق الأنعام ، وبما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع ، حيث سخّرها لهم وذلّلها ، وجعلهم مالكين لها ، وهي مطاوعة لهم في كل أمر يريدونه منها ، وأنه - تعالى - جعل لهم فيها منافع أخرى كثيرة من حملهم وحمل أمتعتهم من مَحلٍّ إلى محلّ ، ومن أكلهم منها ، وجعل - تعالى - لهم فيها دفئا ، حيث يتخذون من أوصافها وأوبارها وأشعارها ملابسَ وأغطية تمنحهم الدفءَ في الشتاء ، وكما أن تلك الأنعام بجانب هذه المنافع العظيمة ، تُدخل البهجةَ والسرور على نفوسهم بجمالها حين يريحون ويسرحون، قُدّمت الإراحة على السرح مع تأخرها في الوجود ، لأن الجمال في الإراحة أظهر ، إذ تُقبِل الأنعام مَلْأَىَ البطون حافلةَ الضروع .

ثمّ جاء الختام بصفتي الرأفة والرحمة لله - عز وجل - مناسبا للامتنان في قوله - ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ وفي هذا الختم توجيه إلى ما في خلق الأنعام من نعمةٍ ، وما في هذه النعمة من رحمة . وهو تعليل لِما سبق ذِكرُه من نعم الله - تعالى - على عباده، مؤكّد بعدّة تأكيدات(٤)، وفي إضافة الرب إلى ضمير المخاطبين إظهار لمزيد عنايته - تعالى - بخلقه ، فمِن رأفته - تعالى - وسعة رحمته بكم - أيها الناس - أسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ظاهرة وباطنة .

---

(١) ينظر من هذا البحث ص: ٣٢ .

(٢) ينظر من هذا البحث ، ص: ٣٢ .

(٣) ذلك في قوله - تعالى - :﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ الآيتان :٣-٤ .

(٤) هي : "إنّ" و"اللام" ومجيء اسميه - تعالى - على وزن "فعول" و"فعيل" ، وهما من صيغ المبالغة .

والرأفة من معاني الرحمة،ولكنها أبلغ الرحمة و أشدّها [١]، وهي تختص بدفع المكروه وإزالة الضر [٢]، كقوله - تعالى - : ﴿... وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ...﴾ [٣] أي: لاترأفوا بهما فترفعوا الجلد عنهما ، وأما الرحمة فتشمل هذا وغيره من أنواع التفضل والإنعام . وناسب ذكرُ الرأفة أوّلا ، لأن قوله -تعالى- :﴿ وتحمل أثقالكم... ﴾ يشير إلى إذهاب المشقة ورفع الكلفة . ومن القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية أن درء المفسدة مقدَّم على جلب المصلحة .

ينبغي للعباد أن يشكروا الله -تعالى- الذي أنعم عليهم بهذه النعم ، ويخلصوا له العبادة وحده ، فلله - تعالى - الحمد ،كما ينبغي لجلال وجهه ، وعظيم سلطانه وسعة جوده وبره .

---

(١) ينظر : الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، ص: ١٦١ ، شأن الدعاء للخطابي ، ص: ٩١ ، زاد المسير لابن الجوزي ، ١٥٦/١ .

(٢) التفسير الكبير للرازي ، ١٠٨/٤ ، أثناء تفسير الآية (١٤٣) من سورة البقرة .

(٣) سورة النور ، من الآية : ٢ .

النـص :

قال الله تعالى :

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ ﴾[1]

بيان غريب النـص :

لاتحصوها : لاتعدّوها ولاتطيقوا حصرها[2].

لَغفور : اللام للتأكيد، والغفور اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدم معناه[3].

رحيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدم معناه[4].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "غفور رحيم" عقبَه :

بعد ما عدّد الله -سبحانه وتعالى- في الآيات السابقة[5] من النعم الكثيرة، أخبر أن الناس لو أرادوا أن يعدّوا نعم الله -تعالى- التي أنعم بها عليهم، ما استطاعوا عدّها فضلا عن شكرها، لأنها لكثرتها خرجت عن إحصائهم لها، فقال -تعالى-: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَا ﴾ إشارة إلى أن العبد مهما أتعب نفسه في طاعة الله -تعالى- وبالغ في شكران نعمه، فإنه يكون مقصّرا.

ولمّا أخبر -سبحانه وتعالى- عن عجز العباد عن تَعداد النعم فضلا عن القيام بشكرها، ذكر الغفران والرحمة لطفا بهم وإيذانا في التجاوز عنهم في قوله -تعالى- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ وهو استئناف قصِد به فتحُ باب الأمل أمامهم لكي يتداركوا ما فرط منهم من جحود وتقصير في حقّه -سبحانه-، وليبذلوا ما في وسعهم لشكر نعمه -تعالى-، ويحرصوا على طاعته قدْر طاقتهم، ولا ييأسوا من رحمته -تعالى- إذا ما قصروا في الطاعة وأداء الشكر.

ومن مغفرة الله -تعالى- العظيمة، ورحمته الواسعة يتجاوز عنهم تقصيرهم في أداء شكر نعمه -تعالى-، ويرحمهم حيث لا يقطع نعمه عليهم عنهم بتقصيرهم في شكرها ولا يعاجلهم بالعقوبة على كفرانها.

---

(١) سورة النحل، الآية :١٨.

(٢) المصباح المنير، ١/١٤٠، القاموس المحيط، مادة (حصى)، ص:١٦٤٥.

(٣) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٤.

(٤) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٢.

(٥) هي من قوله -تعالى-: ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمۡ ... ﴾ إلى قوله -تعالى-: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الآيات :٥-١٧، من سورة النحل.

والله - سبحانه وتعالى - قال في ختام هذه الآية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وقال في ختام آية سورة إبراهيم: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[١] حيث اختلفت الفاصلتان مع أن المتحدَّث عنه واحد، وهو قوله - تعالى -: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾.

وقد ذكر العلماء تعليلين لهذا الاختلاف:

الأول: كأنه - تعالى - يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها، فحصل لك عند أخذها وصفان: كونُك ظلوما، وكونُك كفّارا، ولي عند إعطائها وصفان: وهما أني غفور رحيم، أقابل ظلمك بغفراني، وكفرك برحمتي، فلا أقابل تقصيرك إلّا بالتوفير.

الثاني: أن سياق الآية[١] في سورة إبراهيم في وصف الإنسان وما جُبل عليه، فناسب ذكرُ ذلك عقيب أوصافه[٢]. وأمّا آية النحل فسيقت في وصف الله - تعالى - وإثبات ألوهيته، وتحقيق صفاته[٣]، فناسب ذكر وصفه سبحانه[٤].

اللهم إنّا نشكرك على كل نعمة أنعمتّ بها علينا شكرا لايحيط به حصر ولايحصره عدّ.

---

(١) سورة إبراهيم، من الآية: ٣٤.

(٢) تقدمت أوصاف الإنسان في الآيات السابقة، واقرأ الآيات: ٢٨ - ٣٠، من سورة إبراهيم، حيث جاء فيها إيماء إلى ما فعل من القبائح من كفران النعمة والشرك.

(٣) اقرأ الآيات: ٤ - ١٧، من سورة النحل.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي، ٨٦/١، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣٠٦/٣، الفاصلة القرآنية، للشيخ محمد الحسناوي، ص: ٢٨٩.

النـص :

قال اللـه تعالى :

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨﴾ (١)

بيـان غـريب النـص :

السلم : -بالتحريك- : الاستسلام (٢)، وهو الانقياد والخضوع (٣).

عليم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدم معناه (٤).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى "عليم" عَقِبَه :

في هذا النص الكريم يخبر الله -عز وجل- عن مشهد من مشاهد النهاية لحياة الظالمين المصرّين على الكفر، فيقول: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭ﴾ وصفٌ للكفّار كيف يكونون عند الاحتضار ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم الخبيثة، وذلك أنّ ملائكة العذاب حين تقبض أرواحهم، وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك والكفر، ينقادون ويخضعون ويتركون المشاقّة وينزلون عمّا كانوا عليه في حياتهم من التكبر والعلوّ، وينكرون ما كانوا يعبدون من دون الله -سبحانه وتعالى- ظنّا منهم أنّ هذا الإنكار يفيدهم ويخلّصهم من العذاب، فتُكذّبُ الملائكةُ دعواهم قائلين ﴿بلى﴾ قد عملتم السوء.

ولمّا تقدم الردّ عليهم بلفظة ﴿بلى﴾ التي تقطع أملهم وتخيّب رجاءهم، ناسب لهذا الردّ المتضمّن تكذيبهم قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ وهو وعيد وتهديد لهؤلاء الكفار، حيث إنه -تعالى- يعلم ما كانوا عليه في حياتهم من كفر وعصيان، وإذا كان الله -تعالى- عالما بما كانوا يعملون يعاقبهم بسبب أعمالهم السيئة. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٢٨.

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ص: ٢٤٣.

(٣) لسان العرب، مادة (سلم)، ٢٩٣/١٢.

(٤) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٣.

النص :

قال الله تعالى :

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

مكروا : احتالوا ، والمراد بهم : أهل مكة من المشركين (٢).

قال في المفردات : (المكر - بسكون الكاف - : صرف الغير عما يقصده بحيلة) (٣).

يخسف : قال في القاموس : (خسف الله بفلان الأرضَ : غيّبه فيها) (٤).

على تخوّف : على خوف من الهلاك ، أو على تنقّص .

قال في القاموس : (تخوّف عليه شيئا : خافه ، وتخوّف الشيء ، ومنه : تنقّصه) (٥).

لَرؤوف : اللام للتأكيد ، والرؤوف اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٦).

رحيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٧).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " رؤوف رحيم " عقِبَه :

في هذا النص الكريم أنذر الله - تعالى - المشركين وخوّفهم من أن يأتيهم العذاب بَغتة وهم لا يشعرون ، فقال : ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ هذا وعيد للمشركين من أهل مكة الذين مكروا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الذين آمنوا معه واتبعوه حيث دبّروا في خفاءٍ كلَّ أسباب الإيذاء لهم ، واحتالوا بأنواع الحيل في إبطال الإسلام ، وهو تهديد أيضا لكل ماكر ، والاستفهامُ للإنكار ، ومعناه : يجب أن لا يأمن هؤلاء الماكرون العقوباتِ التي تحل بهم وتسوءهم ، كما حلّت بالأقوام التي هلكت من قبلهم ، أفأمنوا ﴿ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ أي : يشق بهم الأرض ويغيّبهم فيها فيَهلكوا في جوفها

---

(١) سورة النحل ، الآيات : ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ .

(٢) ينظر : كتاب الوجيز في تفسير القرآن العزيز للواحدي ، ١/٤٥٥ ، تفسير الرازي ، ٣٨/٢٠

(٣) المفردات للراغب ، ص : ٤٧١ .

(٤) القاموس المحيط ، مادة (خسف) ، ص : ١٠٣٩ .

(٥) القاموس المحيط ، مادة (خوف) ، ص : ١٠٤٦ .

(٦) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٧) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي : من جهة لاتخطر ببالهم ، كما فُعل بقوم لوط - عليه السلام - وغيرهم من الأمم الهالكة ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ ﴾ أي : في تجارتهم وأسفارهم ذاهبين آيبين من بلد إلى بلد ﴿ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي : فلا يستطيعون الفِرار من عذاب الله - تعالى - ، لو أراد - سبحانه - أخْذَهم وإهلاكهم ، لأنهم في قبضته - تعالى - ونواصيهم بيده - سبحانه - ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ أي : على تنقّص في أموالهم وأنفسهم وموارد رزقهم حتى يَهلِكوا على فترات ، فهذا النوعُ من العذاب أشدُّ عليهم إيلاما ووحشة ، أو يأخذهم على خوف من الهلاك ، بأن يأخذ طائفةً ، ويَدَع أخرى، فتخافُ التي تليها أن ينزل بها من العذاب مثلُ ما نزل بصاحباتها . وقد أُخذ منهم مَن أُخذ في بدر وفي أُحُد ، فهم في كل لحظة يترقّبون وقوعَ الهلاك بهم . وفي ذلك كلّه تذكير لهؤلاء المشركين ، لعلّهم يرجعون بالتوبة من الشرك ، والجحود للنبوة والبعث والجزاء.

ولمّا أخبر - سبحانه - عن حلمه وإنظاره أهلَ الكفر والمعاصي ، مع قدرته - جل شأنه - على أن يأخذهم بالعذاب بالخسف ، أو بعذاب ينزل من السماء ، أو بآفات تحدث دفعة واحدة حالة كونهم غير عالمين بعلاماتها ، أو بآفات تحدث قليلا قليلا يُخاف فيها عادة ، كالأعاصير والزّلازل والصواعق إلى أن يأتي الهلاكُ على آخرهم ، ختم الآيةَ بما يفيد رحمتَه - تعالى - الواسعة بعباده ، ومنهم المشركون ، ورأفتَه الشاملة بهم، فقال - تعالى - ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ حيث أمهلكم - أيها المشركون - مع استحقاقكم العقوبة ، لما اقترفتم مِن شركٍ وبغيٍ وعدوان ، فكان ذكرُ الرأفة والرحمة في هذا الختام مناسبا لإمهال الله - تعالى - لهؤلاء ، إذ أنه - سبحانه - لا يستأصلهم ليتداركوا أمرهم فيُقلعوا عن السيئات التي توجبهم العذاب .

وفي ذلك تذكير لهم برأفته - تعالى - ورحمته ، إذ لولاهما لأنزل بهم نقمته، وأذاقهم عذابه بدون إنظار لتوبة أو إمهال لرجوع إلى الحق . والله - تعالى - أعلم بالصواب

النص :

قال الله تعالى :

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٦٠) (١)

بيان غريب النص:

مثل : قال في الصحاح : (المثل - بفتحتين - : ما يضرب به الأمثال ، ومثل الشيء أيضا صفته) (٢).

وهو في أمثال القرآن وأمثال السنة قد شاع بمعنى الشيء العجيب من الصفة والحال والقصة (٣).

العزيز : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٤).

الحكيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٥).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "العزيز الحكيم" عقبه :

لقد تقدم فيما سبق (٦) بيان أخطاء المشركين في اعتقادهم ، حيث تجرّؤوا على الله - سبحانه وتعالى - بنسبتهم إليه البنات ، وهو - تعالى - الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوا أحد ، وتجرّؤوا أيضا على الملائكة العبادِ المقرَّبين ، فوصفوهم بالأنوثة ، مع أنهم لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة ، فبيّن اللهُ - سبحانه - في هذا النص الكريم أنه منزّه عن ذلك ، فقال : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾ أي : لهؤلاء المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة والحساب الصفةُ القبيحة والعيبُ التام، من الحاجة إلى الولد ليقوم مقامهم ويرثهم عند موتهم ، ومن حبِّ البنين دون البنات للاستظهار بهم ، ووأدِ البنات خشيةَ العار أو الفقر ، وذلك يدعو إلى العجز والقصور والشح

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٦٠ .

(٢) الصحاح للجوهري ، مادة (مثل) ، ١٨٠٦/٥ .

(٣) ينظر : الأمثال في القرآن الكريم للدكتور الشريف منصور العبدلي ، ص : ١٧ ، يراجع نفس هذا الكتاب أيضا لاستعمالات المثل الأخرى عند علماء اللغة والتفسير ، من صفحة : ١٣ - ١٩ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٦) ذلك في قوله - تعالى - : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ النحل : ٥٧

البالغ [1]. ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ وهو الوصف الأعلى الذي له كمال مطلق من كل وجه إذ أن الله ـ سبحانه ـ له الصفة العظيمة الشأن من الاستغناء المطلق عن الولد ذكرا كان أو أنثى ، فهو ـ سبحانه ـ الغنيّ المطلق الغِنَى في أمره كله ، المنزّه عن كل نقص .

ولمّا تقدم تنزيه الله ـ تعالى ـ في قوله ـ سبحانه ـ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ جاء الختام بوصف العزة والحكمة في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ تذييلا يقصد به الثناء على الله ـ تعالى ـ ، والتأكيدُ لِما جاء في قوله ـ سبحانه ـ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ من انتفاء جميع الصفات السيئة عنه ـ سبحانه ـ ، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [2].

ولمّا كانت العزة والحكمة تقتضيان أنه لا سبيل لذلّة ولا لجهالة إليه ـ سبحانه ـ وأنه ـ تعالى ـ لا ينعت بشيء من نعوت الذم وأمثال السوء ، كان ختم الآية بهما ، لأنهما الصفتان العظيمتان اللتان تظهر آثارُهما في المتحدَّث عنه ، وهو تنزيه الله ـ تعالى ـ عما نُسِب إليه من افتراء هؤلاء المشركين الظالمين ، إذ أن عزة الله ـ تعالى ـ لا تعتريه ذلّة أصلا ، وحكمته لا تعرضه جهالة ، وذلك من المثل الأعلى .

واسمه ـ تعالى ـ " العزيز " في هذا الختام يدلّ على أن الله ـ تعالى ـ لا يوجد له نظير ، وأنه ممتنع في كبريائه وجميع صفاته ، وأنّ عزّته منافية للعجز . واسمه ـ تعالى ـ " الحكيم " يدلّ على أن حكمته ـ سبحانه ـ منافية للجهل والعيب ، وأن حكمته اقتضت تخصيص الخلق بالنقائص لأن لا يدّعوا الاشتراك مع الله ـ تعالى ـ في كمالاته . والله ـ عز وجل ـ أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير الزمخشري ٢/٤١٤ ، تفسير الآلوسي ، ١٤/١٧٠ .

(٢) سورة الشورى ، من الآية : ١١ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

يتوفّاكم : يميتكم ويقبض أرواحكم ، قال في القاموس : (الوفاة : الموت ، وتوفّاه الله : قبض روحه) (٢).

أرذل العمر : أخسّه وأحقره ، تقول اللغة : (٣) رذُل -بضم الذال- الشيءُ رذالة ورذولة : صار خسيسا رديئا ، فهو رذِل ، والأرذلُ اسم تفضيل من رذل .

والمراد هنا : وقت الهرم والشيخوخة الذي تنقص فيه القوى ، وتعجز فيه الحواسّ عن أداء وظائفها (٤).

عليم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه (٥).

قدير : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه (٦).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "عليم قدير" عقبه :

يبيّن الله -تعالى- في هذا النص الكريم بعض عجائب أحوال البشر الدالة على قدرته التامة وعلمه الواسع ، فيقول :﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ﴾ ولم تكونوا شيئا مذكورا ، حيث أوجدكم وأخرجكم من العدم إلى الوجود ﴿ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ أي : يميتكم ويقبض أرواحكم عند انقضاء آجالكم ، فلا يقدر الصغيرُ على أن يؤخّر عمره ولا الكبير على أن يقدّم ، فمنكم مَن يموت حال قوته ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ أي : أخسه وأردئه وهو الهرم الذي تفسُد فيه الحواس ، ويختلّ فيه النطق والفكر ﴿ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ أي : لأجل أن يزول ما كان يعلم من العلم أيام الشباب ، ويبقى لا يدري شيئا لشدة هرمه وفرْط كبره ، ولِلّه في ذلك حكمة .

ولمّا أخبر -سبحانه وتعالى- ما يدل على سعة علمه وعظيم قدرته التامة

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٧٠ .

(٢) القاموس المحيط ، مادة (وفى) ، ص : ١٧٣١ .

(٣) القاموس المحيط ، مادة (رذل) ، ص : ١٢٩٩ ، لسان العرب ، ١١/٢٨٠-٢٨١ .

(٤) ينظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ٢٤٦ . تفسير المشكل للقيسي ، ص : ٢٢٣ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٦) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

في إنشائنا من العدم وإماتتنا ، وتنقّلنا في حال الحياة ، من حالة الجهل إلى حالة العلم ، ومن حالة العلم إلى حالة الجهل ، ختم الآية باسميه "عليم قدير" في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ وهذا تقرير لعلمه - تعالى - وقدرته [١] ، إذ ما نتج وما حدث ما تقدّم من خلقنا ووفاتنا ، وردّ بعضنا إلى أرذل العمر إلّا بقدرةٍ قادرٍ ، وعلمِ عالمٍ ، وهو الله العليم القدير .

وفي ذكر اسميه - تعالى - ﴿ عليم قدير ﴾ في هذا الختام إشارة إلى أنّ التحول في أطوار حياة البشر هو مقتضى الحكمة ، والحكمةُ من شئون العلم ، وإبرازُ هذه الأحوال على أحكم وجهٍ من آثار القدرة ، وفي ذلك أبينُ دليلٍ على الصانع العليم القدير ، كما قال - تعالى - ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [٢] . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) تفسير أبي حيان ، ٥/٥١٤ ، بتصرف .

(٢) سورة الروم ، الآية : ٥٤ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

كلمح البصر : كنظرة سريعة ، تقول اللغة : لمحه يلمحه - من باب نفع - : نظر إليه بسرعة(٢).

قدير : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه(٣).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى " قدير " عقِبَه :

بعد أن بيّن الله - سبحانه وتعالى - عن طريق ضرب المثل(٤) استحالة أن يستحق العبادةَ غيرُ الواحد الأحد ، أخبر عن كمال قدرته على الأشياء ، فقال : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي : ولله - تعالى - وحده ملك ما غاب في السموات والأرض(٥) ، يتصرف فيه كيف شاء ، وذلك تمهيد لإثبات قدرة الله - تعالى - على إقامة الساعة ، ثم أخبر - تعالى - عن أن الساعة قائمة لامحالة ، فقال : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ ﴾ في قرب كونها وسرعة مجيئها من قدرة الله - تعالى - ﴿ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ ﴾ في السرعة ﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ من ذلك ، لأن الله - تعالى - لايعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، و متى أراد شيئا فإنما يقول له "كن فيكون" ، ونحوه قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾(٦) ، والمقصود بيان سرعة تأثير قدرة الله - عز وجل - متى توجّهت إلى شيء من الأشياء .

ولذا ختم الله - تعالى - الكلام عن الساعة بما يثبت قدرته المطلقة ، وأنه - تعالى - لايمتنع عليه شيء أراده ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وهذا تذييل يقصد به التعليل لقيام الساعة ، لأن الله - تعالى - لايعجز قدرتَه شيء ، سواء أكان هذا الشيء يتعلّق بأمر قيام الساعة في أسرعَ من لمح البصر أو بغير ذلك من أشياء .

وفي ذكر اسمه - تعالى - ﴿ قدير ﴾ في ذيل هذه الآية ردّ على منكري البعث حيث إنهم توهّموا أن إفناء هذا العالَم العظيم - وهي رميم - أمر مستحيل ، فأبطل الله - تعالى - ذلك بأنه قادر على كل ما يريده ، ومن ذلك أمر الساعة ، و بعثُ الأجساد بعد موتها . والله - تعالى - أعلم .

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٧٧ .
(٢) المصباح المنير ، ٥٥٧/٢ ، القاموس المحيط ، مادة (لمح) ، ص : ٣٠٧ .
(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٤ .
(٤) ذلك من قوله - تعالى - : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ... ﴾ إلى قوله - تعالى - : ﴿ ... هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ سورة النحل ، الآيتان : ٧٥ - ٧٦ .
(٥) ذهب بعض المفسرين كالزمخشري (٤٢١/٢) ، والفخر الرازي (٨٨/٢٠) ، وأبي حيان (٥١٨/٥) وابن كثير (٦٠٠/٢) إلى أن المراد بغيب السموات والأرض هو علم ما غاب فيهما ، ولكنّ السياق يفيد أن قوله - تعالى - ﴿ ولله غيب السموت والأرض .. ﴾ تمهيد لإثبات قدرة الله - تعالى - كما تقرّر ، وإلى ذلك أشار الطبري في تفسيره (١٥١/١٤) .
(٦) سورة القمر ، الآية : ٥٠ .

النص :

قال الله تعالى :

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَٰهَدُوا وَصَبَرُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾[١]

بيان غريب النص :

لَغفور : اللام للتأكيد ، والغفور اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه[٢].

رحيم : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه[٣].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى" غفور رحيم" عقِبَه :

بعدما ذكر الله -سبحانه وتعالى- حُكْمَ مَن أُكره على النطق بكلمة الكفر ، وحكم مَن استحبّ الكفر على الإيمان ، ذكر حال بعض المؤمنين الذين تخلّفوا عن الهجرة مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فلمّا أرادوا الهجرة منعتهم قريشٌ وعذّبتهم حتى قالوا كلمة الكفر واستبطنوا الإيمان خوفا من تلف النفس وشدة البلاء ، ثمّ تمكنّوا من الهجرة فهاجروا وجاهدوا وصبروا ، فأخبر الله -تعالى- عن هؤلاء بأن لهم مغفرته ورحمته فقال : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ ﴾ أيها الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- ﴿ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴾ أي : من بعد أن عذّبهم المشركون لِكي يرتدّوا عن دينهم ﴿ ثُمَّ جَٰهَدُوا ﴾ أي : جاهدوا المشركين بعد الهجرة ﴿ وَصَبَرُوا ﴾ على مشاقّ الجهاد ، وظلّوا على سلامة عقيدتهم التي يُخفونها و يضمِرون التمسك بها ﴿ إِنَّ رَبَّكَ ﴾ أيها الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- ﴿ مِنۢ بَعْدِهَا ﴾ الضمير يعود إلى ما سبق ذِكره من الهجرة والجهاد والصبر ﴿ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال الطبري -رحمه الله- تعالى- في معنى ذلك : (لَذو سترٍ على ما كان منهم مِن إعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بألسنتهم ، وهم لغيرها مُضمِرون ، وللإيمان معتقدون ، رحيم بهم ، لا يعاقبهم عليها مع إنابتهم إلى الله -تعالى- وتوبتهم)[٥].

وفي ذكر " **المغفرة والرحمة** " في هذا الختام وعد جميل لهؤلاء المستضعفين الذين فتنهم المشركون الطغاة عن دينهم بالأذى والتعذيب ، وتطمين لقلوبهم ، حيث إنه -تعالى- يبشرهم بأنه سيغفر لهم ويرحمهم يوم معادهم . والله -تعالى- أعلم بالصواب .

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١١٠ .

(٢) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٤.

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٤) اقرأ الآيات : ١٠٦ - ١٠٩ ، من سورة النحل .

(٥) تفسير الطبري ، ١٨٣/١٤ .

النـص :

قال الله تعالى :

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ (١)

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "غفور رحيم" عقِبَه :

لمّا وجّه الله - سبحانه وتعالى - دعوة كريمة إلى الناس كافة ليأكلوا مما رزقهم من الحلال الطيب ويشكروه على ذلك (٢)، ناسب تنبيههم إلى جملة من المحرمات والخبائث التي لا يسوغ للإنسان تناولها ، لما فيها من ضرر محقّق وأذى بالغ ، فقال - تعالى -: **﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾** (٣) والقرآن الكريم كرّر هذه المحرمات في أربع سور ، البقرة (٤)، والمائدة (٥)، والأنعام (٦)، والنحل (١)، قطعا للأعذار وإزالةً للشبهة (٧)، هذا ، واستُدل بالآية الكريمة على أن الكفار مخاطَبون بفروع الشريعة (٨) على اعتبار أن الآية خطاب لجميع المكلفين :مسلمين وكافرين .

ثمّ بين - تعالى - حالات الضرورة التي يباح للإنسان فيها أن يأكل من تلك المحرمات ، فقال تعالى - : **﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** وقد سبق نفس الموضوع مفسّراً في آية الأنعام (٦)، وكذلك تقدم ذكر مناسبة اسميه - تعالى - **﴿غفور رحيم﴾** في آية المائدة (٥) مستوفًى ، والحمد لله على ذلك .

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١١٥ .

(٢) ذلك في قوله - تعالى - : **﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾** سورة النحل ، الآية : ١١٤ .

(٣) تقدم معنى ألفاظ: "الميتة" و"الدم" و"لحم الخنزير" و" ما أهل لغير الله به" في تفسير الآية (٣) من سورة المائدة ، وفي تفسير الآية (١٤٥) من سورة الأنعام .

(٤) الآية : ١٧٣ .

(٥) الآية : ٣ .

(٦) الآية : ١٤٥ .

(٧) ينظر : التفسير الكبير للرازي ، ١٣١/٢٠ ، فتح القدير للشوكاني ، ٢٠٠/٣ .

(٨) هناك رسالة عنوانها " تكليف الكفار بأحكام الشريعة " ، سجّلها الأخ خالد بكر عابد من طلاب الدراسات العليا بجامعة أم القرى ، لنيل درجة الماجستير ، علما بأن الرسالة لم تناقش إلى الآن ، وأسأل الله - تعالى - لصاحب هذا الموضوع وللمسلمين التوفيق والسداد .

النـص :

قال الله تعالى :

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "غفور رحيم" عقبه :

ما دام الله -سبحانه وتعالى- يعلم ضعف الانسان، وما توحي إليه به نفسه الأمّارة بالسوء، وأنه عرضة للتورّط في المعصية والإثم، فقد فتح الله -تعالى- لعباده باب التوبة وبيّن أنّ المعاصي - وإن عظمت وطال أمدها - لاتمنع من قبول التوبة منهم، والفوز بمغفرة الله -تعالى- ورحمته إذا رجعوا إليه وأنابوا وأصلحوا، وذلك قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ أي: ثم إن ربك يارسول الله صلى الله عليه وسلم - للذين عملوا المعاصي التي تسوء صاحبها كالكفر، بجهالةٍ وسوء معرفةٍ بالله -تعالى-، أو غير متأملين ومتدبرين في العواقب، لغلبة الشهوة والغفلة عليهم، ثم أقلعوا عن سوء ما عملوه تائبين نادمين، وأصلحوا أعمالهم واستقاموا على التوبة ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يارسول الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿مِن بَعْدِهَا﴾ أي: من بعد التوبة عن عمل السوء مع الإقبال على الصلاح ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لعظيم المغفرة للتائبين المصلحين، واسع الرحمة بهم، يثيبهم على الطاعة فِعلا وتركا، فضلا منه -سبحانه- وإحسانا.

وتكريرُ قوله -تعالى-: ﴿إن ربك﴾ لتأكيد الوعد بالمغفرة والرحمة، وإظهارِ كمال العناية بإنجازه. والتعرّضُ لوصف الربوبية دليل على أنّ المغفرة والرحمة من مقتضيات الربوبية وآثارها (٢).

وفي ذكر **"المغفرة والرحمة"** في آخر الآية إشارة إلى أنهما تأتيان بعد التوبة من الذنب، لا قبلها، وفي ذكرهما أيضا بشارة عظيمة للعصاة على لسان كتاب ربهم، حيث إنهم حين يرجعون إلى الله -تعالى- يجدونه غفورا رحيما. والله -تعالى- أعلم بالصواب.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١٩.

(٢) ينظر: روح المعاني للآلوسي، ١٤/٢٤٩.

ســـــورة الإســـــراء

النص :

قال الله تعالى :

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ (١)

بيان غريب النص :

سبحان : هو اسم مصدر للتسبيح ، ولا يجوز استعماله شرعا إلّا في الله - تعالى - وقد تقدم معناه مستوفًى في آية المائدة (٢).

أسرى : من الإسراء ، وهو السير في الليل كالسُّرَى - بضم السين وفتح الراء - تقول: أسريتُ وسريتُ إذا سرتَ ليلا ، وسريت به وأسريت به (٣).

قال صاحب الفتوحات الإلهية (٤) : (يقال : أسرى وسرى بمعنى سار في الليل وهما لازمان ، لكن مصدر الأول : الإسراء ، ومصدر الثاني : السُّرى - كالهدى - بضم السين - ، فالهمزة ليست للتعدية إلى المفعول ، وإنما جاءت التعدية هنا من الباء ، ومعنى "أسرى به" : صيّره ساريا في الليل) (٥).

ليلا : ظرف زمان لفعل "أسرى" ، والنكرة هنا - كما في تفسير الزمخشري (٦) - تفيد تقليل مدة الإسراء ، وأنه أسرى به بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أن التنكير فيه قد دلّ على معنى البعضية ...

المسجد الحرام : هو مسجد مكة المشتمل على الكعبة المشرفة .

المسجد الأقصى : هو مسجد بيت المقدس .

باركنا حوله : قال في القاموس : (البركة - محركة - : النماء والزيادة والسعادة) (٧).

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ١ .

(٢) ينظر : تفسير الآية (١١٦) من سورة المائدة ، ص : ١٢٢ .

(٣) المصباح المنير ، ٢٤٥/١ ، بصائر ذوي التمييز ، ٢١٩/٣ .

(٤) هو سليمان بن عمر العجيلي الأزهري ، المعروف بالجمل : قاض ، من قرى الغربية بمصر ، وانتقل إلى القاهرة . توفي سنة ١٢٠٤هـ . (الأعلام ، ١٣١/٣) .

(٥) الفتوحات الإلهية ، المعروف بحاشية الجمل على الجلالين ، ٦٠٨/٢ .

(٦) الكشاف ، ٤٣٦/٢ .

(٧) القاموس المحيط ، مادة (برك) ، ص : ١٢٠٤ .

مباركة الله - تعالى - حول المسجد الأقصى حِسّيّة بجعل الأرض دائمة الثمار والخيرات [١].

السميع :اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه [٢].

البصير : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه [٣].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "السميع البصير" عَقِبَه :

إن مطلع سورة الإسراء يتحدث بإيجاز عن انتقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، حيث قال - تعالى - : ﴿ سُبْحَـٰنَ ﴾ أي : تنزيهـا شاملا لله - سبحانه - ، ولمّا كانت هذه السورة اشتملت على الإسراء الذي كذّب المشركون به النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - ، وتكذيبُه تكذيبٌ للّه سبحانه وتعالى - ، أتي بـ"سبحان" لتنزيه الله - تعالى - عمّا نسب إلى نبيّه - صلى الله عليه وسلم - من الكذب [٤]، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - ، وأُوثِرَ التعبيرُ بلفظ العبد للإشارة إلى تقرير هذه العبودية لله - عز وجل - ، حتى لا يلتبس مقام العبودية بمقام الألوهية ، كما التبسا في العقائد المسيحية ، حيث ألّهوا عيسى - عليه الصلاة والسلام - وأمّه معه مع أنهما عبدان بريئان من ذلك ، وللدلالة على أنّ مقام العبودية لله - تعالى - هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلّها ، وفي ذكر لفظ العبد أكبرُ دليلٍ على أن الإسراء بالرسول - صلى الله عليه وسلم - كان با لروح والجسد ، لأن العبد اسم يشمل الروح والجسد [٥]، وقد نقل الله - سبحانه - عبده محمدا - صلى الله عليه وسلم - ﴿ ليلا ﴾ أي : في وقت قصير من الليل ﴿ مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ أي : من المسجد نفسه [٦] بمكة المكرمة ﴿ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ بالزروع والأشجار والثمار والأنهار ، ثمّ ذكر - تعالى - الحكمة من الإسراء فقال : ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ﴾ أي : كي نُرِيَ عبدنا محمدا - صلى الله عليه وسلم - من أدلّتنا الدالة على عجائب قدرتنا ، والتي من بينها مشاهدتُه للأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، ورؤيتُه لِما نريده أن يراه ، وقد ذكرتِ الأحاديثُ النبوية تفاصيل ما رآى ، وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - : (ثبت الإسراء في جميع مصنفات الحديث ، وروى عن الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - في كل أقطار الإسلام ، فهو من المتواتر بهذا الوجه) [٧].

---

(١) ينظر : تفسير الطبري ، ١٥/١٧ ، تفسير ابن كثير ، ٣/٣ .
(٢) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .
(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٠ .
(٤) ينظر : الإتقان في علوم القرآن ، للسيطي ، ٣٣٧/٣ .
(٥) هناك أدلة أخرى لم أنكرها اجتنابا من التطويل ، وهي مسرودة في كتب السيرة والحديث .
(٦) ذلك إفادة ظاهر القرآن ، والجمع بين الروايات الكثيرة التي في بعضها ما يدل على أن الإسراء كان من بيت أم هانيء ، بنت أبي طالب .
(٧) تفسير القرطبي ، ٢٠٥/١٠ .

مناسبة السميع البصير للآية :

ولقد علمنا مما قرّرته هذه الآية أنّ حادثة الإسراء آية من آيات الله - سبحانه وتعالى - ، حيث إن الله اللطيف الخبير نقل عبده محمدا - صلى الله عليه وسلم - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في برهة من الليل إلى مسافة بعيدة وأرجعه في ليلته، وذلك أمر عجيب خارق للعادة ، خارج عن مألوف البشر .

يقول ابن إسحاق(١) - رحمه الله تعالى - : (كان في مَسراه - صلى الله عليه وسلم - وما ذُكر منه بلاءٌ وتمحيصٌ وأمرٌ من أمر الله - تعالى - في قدرته وسلطانه ، فيه عبرةٌ لأولي الألباب وهُدًى ورحمة ، وثباتٌ لمن آمن بالله وصدّق ، وكان من أمر الله - تعالى - على يقين ، فأسرى به كيف شاء ، وكما شاء لِيريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما يريد)(٢) .

ولمّا أخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قريشا بما حدث له في واقعة الإسراء صدرت أقوالٌ من المؤمنين والكافرين حولها تصديقا وتكذيبا . إذ أنّ الله - سبحانه - لم يجعل الأشياء التي أطلعَ رسولَه - صلى الله عليه وسلم - عليها ليلة الإسراء والمعراج إلاّ اختبارا لإيمان المؤمنين وامتحانا للمشركين ، حيث إنه - صلى الله عليه وسلم - حين ذكر لقومه واقعة الإسراء والمعراج سَخِر منه المشركون وارتدّ عن الإسلام قِلّة من ضعفاء الإيمان وثبت على تصديقه والإيمان به الصادقون المؤمنون ، وفي مقدّمتهم أبو بكر - رضي الله عنه - ومن يومها أُطلِق عليه لقبُ الصّدّيق ، قال الله - تعالى - في تلك الواقعة : ﴿ ... **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ** ... ﴾(٣) .

ولمّا كان موقف الناس جميعا أمام واقعة الإسراء على هذه الصورة ناسب ختم هذه الآية التي تحدّثت عن تلك الواقعة بقوله - تعالى - : ﴿ **إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ .

قال الطبري - رحمه الله تعالى - : (إن الذي أسرى بعبده هو السميع لِما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة في مسرى محمد - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى بيت المقدس ، ولِغير ذلك من قولهم وقولِ غيرهم ، البصيرُ بما يعملون من الأعمال ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، ولا يعزُب عنه عِلم شيء منه ، بل هو محيط بجميعه عِلما ، ومحصيه عددا ، وهو لهم بالمرصاد ، لِيجزي جميعَهم بما هم أهله)(٤) .

كما نرى أن الإمام الطبري قصر معنى اسميه - تعالى - ﴿ **السميع البصير** ﴾ على المشركين فقط ، ولكن الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - يحمِل معناهما على العموم - وهو يتناسب

---

(١) هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء ، المدني : من أقدم مؤرخي العرب ، توفّي سنة ١٥١ هـ . (الأعلام : ٢٨/٦) .

(٢) سيرة ابن هشام ، ٤٢١/٢ ، (طبعة دار الفكر بالقاهرة) .

(٣) سورة الإسراء ، من الآية : ٦٠ .

(٤) تفسير الطبري ، ١٧/١٥ - ١٨ .

مع حادثة الإسراء - فيقول: (السميعُ لأقوال عباده مؤمنهم وكافرهم ، مصدّقهم ومكذّ بهـــم، البصيرُ بهم فيعطي كلًّا منهم ما يستحقّه في الدنيا والآخرة) [١].

وعلى هذا يكون ختم الآية بالسميع البصير وعدا من الله - تعالى - للمؤمنين حيث يزدادون بتلك الواقعة هدى وبصيرة ، وثباتا وفرقانا ، ووعيدا للكفار على تكذيبهم لِمحمد صلى الله عليه وسلم - في أمر الاسراء . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) تفسير ابن كثير ، ٣/٣ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (١٧)(١)

بيان غريب النص:

كم : "كم" هنا خبرية للتكثير ، وهي في الآية مفعول به لجملة "أهلكنا" .

: قال الجوهري : (كم : اسم ناقص مبهم ، مبنيّ على السكون ، وله موضعان:الاستفهامُ والخبرُ ، تقول إذا استفهمت : كم رجلا عندك ؟ ، وتقول إذا أخبرت : كم درهمٍ أنفقت، تريد التكثير...)(٢).

القرون : جمع قرن ، وهو أهل زمان واحد .

قال الراغب : (القرن - بسكون الراء -: القوم المقترنون في زمن واحد)(٣).

خبيرا : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه(٤).

بصيرا : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه(٥).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى"خبير بصير" عَقِبَه :

بيّنت الآية السابقة(٦) أنّ اللهَ - سبحانه وتعالى - جرت سنته أن لا يهلك قرية إلّا بعد بعث الرسول إليها ، حتى يأمر ذلك الرسول رؤساءها بطاعة الله - تعالى - ليستقيم أمر العامة فيها ، فإذا لم تستجب دمّرها تدميرا .

وجاءت هذه الآية ببيان أن هذه القرية لم تكن جديدا في نزول العذاب بها ، بل هناك قرى كثيرة عتت عن أمر ربها فأخذها - سبحانه - أخذ عزيز مقتدر ، فقال - تعالى -: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ أي : وأهلكنا كثيرا من الأمم المكذّبة قبلكم - أيها المشركون - من بعد زمن نوح(٧) - عليه الصلاة والسلام - كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم

---

(١) سورة الإسراء ، الآية :١٧ .

(٢) الصحاح للجوهري ، مادة (كم) ، ٥/٢٠٢٥ .

(٣) المفردات للراغب ، ص:٤٠١ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص:٣٢ .

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص: ٣٠ .

(٦) هي قوله - تعالى - :﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ سورة الإسراء ، الآية :١٦ .

(٧) جاء النص القرآني " من بعد نوح " ، فلم يقل من بعد آدم ، فخصّ نوح - عليه السلام - بالذكر لأنه أول نبيّ بالغ قومُه في تكذيبه ، وقومُه أولُ مَن حلّت بهم العقوبة العظمى وهي الاستئصال بالطوفان . (ينظر : البحر المحيط لأبي حيان ، ٦/٢٠) .

ممّن آثر الكفر على الإيمان ، وكان إهلاك هؤلاء بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسلهم ، وفي ذلك تخويف لكفّار مكة [١].

ولمّا بيّن الله - سبحانه وتعالى - سنته الجارية مع مكذّبي رسله - عليهم الصلاة والسلام - حيث جاءتهم رسلهم بالبينات فلم يصدّقوهم بل كذّبوهم ، ختم الآية بما لا مزيد عليه في الوعيد والتهديد ، فقال : ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ يعلم دقائق ذنوب عباده ويحيط بتفاصيلها ، ولا يخفى عليه شيء منها ، ولا من أفعال مشركي قومك هؤلاء ، وهو بجميع ذلك خبير بصير ، فيعاقب الناس على ما يقدّمونه من خير أو شرّ .

وفي الإخبار عن إحاطة الله - تعالى - بذنوب عباده باسمي " الخبير البصير " بجانب أنه تهديد للمشركين وإنذار لهم ، تسليةٌ للنبيّ - صلى الله عليه وسلم - ، إذ أنّ فيه تطمينا للنبيّ - صلى الله عليه وسلم - بأن الله - تعالى - مطّلع على ذنوب القوم ، وأنه يجازيهم بذنوبهم بما يناسب فظاعتها ، إذ لا يفوته - سبحانه - شيء من نواياهم وأعمالهم . وكأن الآية ترشد الرسول - صلى الله عليه وسلم - فتقول : لاتنزعج - يا محمد صلى الله عليه وسلم - بما صنع قومك معك ، لأن ربك الذي يحسن إليك دائما يعلم نيات المشركين السيّئة ويبصر بأحوالهم ، فسوف يعاقبهم كما عاقب مَن قبلهم .

وفي هذا الختام دليل أيضا على قطع الأعذار ، وإلزام الحجة من كل وجه لإحاطة علمه - تعالى - بكل ما يعمله الإنسان ، وليس ذِكر الخبيرِ البصير لِتحصيل العلم بما صدر منهم من الذنوب ، فإنّ ذلك حاصل من قبلُ ، وفي ذلك بشارة عظيمة لأهل الطاعة وتخويف عظيم لأهل المعصية .

وقدّم ﴿ خبيرا ﴾ على ﴿ بصيرا ﴾ لتقدّم متعلّقه من الاعتقاد والنيات تقدُّما وجوديّا ، إذ أن النيات مبادئ الأعمال الظاهرة ، قال - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّمَا ٱلْأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ ... " [٢].

---

(١) ينظر : تفسير القرطبي ، ١٠/٢٣٥ .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ١/٩ ، صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب قوله - صلى الله عليه وسلم - " إنما الأعمال بالنيات .. " ، ٣/١٥١٥ .رقم : ١٩٠٧ ، وفي سنن أبي داود برقم ٢٢٠١ ، وفي سنن الترمذي ، برقم ١٦٤٧ .

النـص :

قال اللـه تعـالى :

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾ (١)

بيـان غـريب النـص :

الأوابين : الرجّاعين إلى الله - تعالى - بترك المعاصي وفعلِ الطاعات ، والأوّاب من آب يؤوب إذا رجع (٢).

غفورا : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

معنى النـص ومناسبة اسمـه تعـالى " غفور " عَقِبَه :

لمّا أوجب الله - سبحانه وتعالى - تعظيم الوالدين والإحسان إليهما (٤) لم يهمل الإشارة إلى ما يلحق بعضَ الأولاد من ضجر أو ملل أو فتور في القيام بحقوق الوالدين ، ممّا قد تثيره بعض تصرفاتهما في حالة الهرم والكِبر ، فنبّه الحقُّ - سبحانه وتعالى - إلى أنه مطّلع على سرائر النفوس لا يخفى عليه منها شيء ، وأنه إذا فرط من الأولاد شيء من التقصير في حق الوالدين ، أو زلّة مخِلّة ببرّ الوالدين ، في حالة غضب أو ضيق صدر ، وكانت نيتُهم نحو الوالدين لا تزال نيةً صالحة بريئة من السعي في الأذى والميل إلى العقوق فإنّ الله - تعالى - يغفر للأولاد ما فرط منهم إذا ما بادروا للتوبة من تقصيرهم ، وتداركوا القيام بحقوق الوالدين ، وأصلحوا بالإنابة والبرّ ما يبدو ظاهره العقوق ، وأنه يعفو عمّا سلف منهم ، ولا يؤاخذهم عليه ، وذلك ما يشير إليه قوله - تعالى - هنا مخاطبا الأبناء التائبين من تقصيرهم في الوالدين :﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ .

وقوله - تعالى - :﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ دليل جواب الشرط ، وهو علّته ، قائم مقام الجواب باعتبار لازمه ، وهو مغفرة قاصدي الصلاح الذين يتردّدون إلى الله - تعالى - بالتوبة والأوب ، وذلك إيجاز بديع ، لأن كل سامع يعلم أن وصف الله - تعالى - في هذا الختام بالمغفرة لهؤلاء الأولاد ، حيث مَن ثبت له فعل الشرط ، وهو الصلاح هنا ، يدخل في عموم الجواب . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية :٢٥ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص :٢٥٣ ، المفردات للراغب ، ص :٣٠ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص :٣٤ .

(٤) ذلك من قوله - تعالى - :﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ إلى قوله - تعالى - ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ سورة الإسراء ، الآيتان :٢٣ - ٢٤ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

يبسط : يوسّع (٢)، من البسط - بسكون السين - وهو - كما في لسان العرب - :نقيض القبض (٣).

يقدر : يضيّق (٢)، قال في المصباح المنير : (قَدَرَ الله الرزق يقدره - بكسر الراء وضمّها والكسر أفصح - : ضيّقه) (٤).

خبيرا : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٥).

بصيرا : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٦).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "خبير بصير" عقبه :

نؤمن جميعا بأن الله - سبحانه وتعالى - هو المعطي المانع ، الرزاق القابض الباسط المتصرّف في خلقه بما يشاء ، الذي ما للعباد من نعمة إلّا منه ، ولا يدفع الشرّ إلّا هو، قال - تعالى - : ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٧)، فلذا جميع الخلق مفتقرون إلى الله - تعالى - ، في جلب مصالحهم ، و دفع المضار عنهم ، لأنه - تعالى - هو الخبير البصير بالأصلح والأقوم في جميع الأحوال .

و في هذا النص الكريم بيّن الله - تعالى - جانبا ممّا اقتضته حكمته في تدبير أمور عباده فقال : ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ أيها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم - ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي : يوسّع على مَن يشاء من عباده امتحانا له أيشكر أم يكفر ؟ و يضيّق على مَن يشاء ابتلاء له أيصبر ويرضى أم يقنط ويسخط ؟ وفي توجيه الخطاب للرسول - صلى الله عليه وسلم - تسلية له ، بأن الذي يصيب بعضَ أصحابه من فقر أو حاجة ، وما يوسّعه - تعالى على بعضهم تابع لمشيئته - سبحانه وتعالى - ، وفي ذلك مظهر من مظاهر القدرة والعلم والحكمة الموجبة لربوبية الله - تعالى - المستلزمة لألوهيته على عباده .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٣٠.

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص: ٢٠٤، تفسير الماوردي ، ٤٣١/٢

(٣) لسان العرب ، مادة (بسط) ، ٢٥٨/٧.

(٤) المصباح المنير ، ٢٩٤/١.

(٥) ينظر من هذا البحث ، ص: ٣٢ .

(٦) ينظر من هذا البحث ، ص: ٣٠ .

(٧) سورة فاطر ، الآية : ٢ .

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ تعليل لبسطه ـ تعالى ـ الرزق لمن يشاء، وتضييقه على من يشاء، أي: إن الله ـ تعالى ـ المتصف بالإعطاء والمنع والضر والنفع والتصرف المطلق، وزّع الأرزاق بيّن الناس بقدر، فلم يعط الناس جميعا حاجتهم، فوسّع على بعض، وضيّق على بعض، لأنه ـ تعالى ـ خبير بخفايا أحوال عباده، وبطوايا نفوسهم، بصير بمصالحهم وبعواقب أمورهم، فهو الخبير البصير، فلذا يغاير ـ سبحانه ـ بين عباده في الفقر والغنى، إذ من عباده مَن لا يصلحه إلّا السعة، ومنهم مَن لا يصلحه إلّا الضيق كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ (١). والله ـ تعالى ـ أعلم بالصواب.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٧.

النص :

قال الله تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

لا تفقهون : قال في المصباح المنير : (الفقه : فهم الشيء) (٢).

حليما : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

غفورا : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٤).

معنى النص ومناسبة اسيه تعالى "حليم غفور" عقبه :

في هذا النص الكريم أخبر الله - عز وجل - عن غاية ملكه ونهاية عظمته ، وأنّ الخلائق جميعها علويّها وسفليّها ، عظيمها وحقيرها ، ما يدركه الإنسان وما هو فوق إدراكه ، كلُّ ذلك خاضع له - سبحانه وتعالى - معترف بعظمته وسلطانه ، فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ أي : تنزّه اللهَ - تعالى - وتعظّمه وتمجّده السمواتُ السبع والأرض ومَن فيهن من الإنس والجنّ والملائكة وغير ذلك. ثم أكّد - سبحانه - ما سبق بقوله : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ أي : وما من شيء من المخلوقات إلّا يسبح بحمد الله - تعالى - بلسان مقاله وحاله ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ لاختلاف الألسنة واللغات ، وهذا عام في الحيوان والنبات والجماد .

ولمّا أخبر الله - تعالى - عن عظمته وجلاله وسعة سلطانه ، حيث إنّ جميع السموات والأرض وما فيهن من الحيوانات والجمادات والنباتات ، تسبح بحمده وتنزّه عمّا لا يليق بجلاله ختَمَ الآية بقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ وهو تذييل قُصد به بيانُ فضل الله - تعالى - ورحمته بعباده مع تقصيرهم في تسبيحه - سبحانه - وذكره ، أي : إنه - تعالى - لا يعاجل المقصّر بالعقوبة ، بل يمهله لعلّه يرجع إلى رشده وينزجر عن تقصيره ومعصيته

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٤٤ .

(٢) المصباح المنير ، ٤٧٩/٢ .

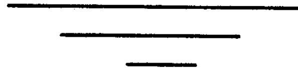
(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

وذلك لحلمه - سبحانه وتعالى -، فإذا تاب وأناب كان غفران الله - تعالى - له وعفوه عنه .. فإنه - سبحانه وتعالى - كان ولا يزال كثير الحلم، واسع المغفرة.

وذَكَرَ الحلمَ هنا والغفران لأجل ما يبدو من البشر، إذ أن فيهم مَن يقصّر في التسبيح بحمد الله - تعالى - والشكر له، وفيهم مَن يشرك بالله - تعالى -، ومَن ينسب له البنات، ومَن يغفل عن حمده وتسبيحه، والحالُ أنّ البشر أولى من كل شيء في هذا الكون بالتسبيح والتحميد والمعرفة والتوحيد.

ولولا حلمُ الله - تعالى - وغفرانُه لأخذ البشر أخْذ عزيز مقتدر، ولكنه يمهلهم ويذكّرهم ويزجرهم حِلما منه - سبحانه -، وفي ذلك حثّ للغافلين على التوبة والاستغفار لهم. والله - تعالى - أعلم بالصواب.



النص :

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

سلطان : تسلّطٌ وقدرة ، قال في اللسان : (السلطان : الملك والقدرة والقهر والحجة والبرهان) (٢).

وكيلا : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى " وكيل " عَقِبَه :

بينت الآيات السابقة (٤) أنّ الشيطان توعّد ذرّية آدم - عليه الصلاة والسلام - بأنه سيحتنكنّهم ويغويهم إلّا قليلا ، وأنّ الله - سبحانه - هدّده وأنذره بالفشل في وسوسته .

وجاءت هذه الآية لِتبيّن أنه - تعالى - يحفظ عبادَه المؤمنين الصالحين من نزغات الشيطان وفتنته وينجيهم من إغوائه وأباطيله ، فقال - تعالى - : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عليهم ﴾ أيها الشيطان ﴿ سُلْطَانٌ ﴾ أي : قوةٌ تتسلّط عليهم بها فتغويهم وتميلهم إلى ما تشاء من أنواع الضلالات والمعاصي ، إلّا مَن رضي بولايتك وطاعتك بدلا من طاعة الرحمن فتُضِلُّ مثل هؤلاء ، وتحملهم على ارتكاب المعاصي ، قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (٥).

ثم ختم - تعالى - الآية بما يدل على تطمين القلوب فقال : ﴿ وكفى بربك ﴾ أي : وكفاك ربُّك - أيها النبيّ صلى الله عليه وسلم - ، أو أيها الإنسان - ﴿ وَكِيلًا ﴾ أي : حافظا عاصما مؤيّدا ونصيرا ، قائما بأمور العباد (٦).

وفي ختم الآية باسمه - تعالى - ﴿ وَكِيلًا ﴾ دلالة على تأييد الله - تعالى - عبادَه المؤمنين ، وحِفظَه إيّاهم ، وحِراسته لهم من الشيطان الرجيم ، وفيه إشارة إلى أنه لا حول عن معصية الله - عز وجل - إلّا بعصمة الله - تعالى - ، ولا قوةَ على طاعة الله - تعلى - إلّا بتوفيق الله - سبحانه - . وفيه دعوة أيضا للناس على أن يتوكلّوا على الله - تعالى - في الاستعاذة من الشيطان ، لأن من يتوكّل على الله - تعالى - يتولّاه ويكفله ولا يبقى للشيطان عليه سبيل ، قال - تعالى - : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ (٧). ونسأل الله - تعالى - أن يحفظنا ويدفع عنا كيد الشيطان ويعصمنا من إضلاله وإغوائه ، إنه سميع قريب مجيب .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٦٥ .

(٢) لسان العرب ، مادة (سلط) ، ٣٢١/٧ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٨ .

(٤) اقرأ الآيات (٦٢ - ٦٤) من سورة الإسراء .

(٥) سورة الحجر ، الآية : ٤٢ .

(٦) تفسير القرطبي ، ٢٩/١٠ ، تفسير ابن كثير ، ٥٤/٣ .

(٧) سورة النحل ، الآيتان : ٩٩ - ١٠٠ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

يزجي : يسوق ويدفع ، قال في القاموس : (زجاه وأزجاه : ساقه ودفعه) (٢).

الفلك : السفن ، لفظ يستعمَلُ للمذكّر والمؤنث ، وللواحد والجمع (٣).

رحيما : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٤).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى "رحيم" عقِبَه :

بعد أن تحدّثت الآية السابقة (٥) عن فضل الله - تعالى - على عباده المخلصين بإنقاذهم من غواية الشيطان إذا لجأوا إليه - سبحانه - واعتصموا به ، جاءت هذه الآية لبيان مظهر من مظاهر رحمة الله - تعالى - بعباده ، وفضله عليهم ، فقال - تعالى - : ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ ﴾ أي : يسوق لمنافعكم السفن ويدفعها ويسيرها - بلطفه وقدرته - فوق الماء ، إمّا بالرياح ، وإمّا بالآلات ﴿ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓ ﴾ أي : لتطلبوا من رزقه الذي هو فضل من قِبله - سبحانه وتعالى - من أنواع التجارات والمكاسب .

ولمّا أخبر الله - تعالى - عن فضله على عباده ولطفه بهم وإحسانه إليهم بما سخّر لهم من المراكب والسفن لينتفعوا بها في الركوب والحمل للأمتعة والتجارة ، وَصَفَ نفسَه الكريمة بالرحمة في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا ﴾ وهو تعليل لِما سبق من إزجاء السفن ، وتسخيرها ، وتسهيلها لطلب الرزق . أي : إن ربكم القادر الحكيم سخّر لكم ما تحتاجون إليه من مصالح المعاش ، و سهّل عليكم ما فيه الفوائد المرجوّة في هذه الحياة ، لأنه - تعالى - كان و لايزال واسع الرحمة بكم ، و من رحمته - سبحانه - بعباده تسخيرُه البحر لهم ، وإزجاء السفن ، و سوقُها فيه ليتيسّرَ لهم سُبُلُ الرزق ، ولذا كان التعقيب بصفة **الرحمة** لله - تعالى - التي وسعت الخلق في أرزاقهم ، وأسباب معاشهم ، و عمّت المؤمن والكافر والصالح والطالح .

هذا ، وقد يقال إن ذكر **الرحمة** في هذا الختام مناسب أيضا لذكر جريان السفن في البحر حيث إنها مصنوعة من الخشب أو المعدن تتقاذفها الأمواج ، و **الرحمة** هي أظهر ما يستشعره القلب في هذا الأوان (٦). اللهم اجعلنا من الشاكرين .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٦٦.

(٢) القاموس المحيط ، مادة (زجى) ، ص : ١٦٦٦ .

(٣) لسان العرب ، مادة (فلك) ، ٤٧٩/١٠ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٥) هي قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ الإسراء : ٦٥ .

(٦) ينظر : في ظلال القرآن لسيّد قطب ، ٢٢٤٠/٤ .

النص :
قال الله تعالى :

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

خبير : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٢).

بصير : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "خبير بصير" عقبه :

إن هذا النص الكريم يقرّر نبوّة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، إذ يأمر الله - تعالى - نبيّه - صلى الله عليه وسلم - أن يُنهي مع المشركين الجدلَ ، وأنْ يكِل أمره وأمرهم إلى الله - الشهيد على ما كان منه ومنهم ، ويقول - تعالى - له - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ قل ﴾ يارسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأولئك المشركين المنكرين أن يكون الرسول بشرا (٤) ﴿ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي : حسبي الله - تعالى - ، هو الشاهد عليّ وعليكم ، شاهد على أني رسوله ، وعلى أني بلّغتُ ما أرسلتُ به إليكم ، وشاهدٌ عليكم أنكم كذّبتم و أنكرتم ، فلو كنتُ كاذبا عليه لانتقم مني أشدّ الانتقام ، كما قال - تعالى - : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ (٥)، وإنما أنا صادق عليه فيما أخبرتكم به ، ولهذا نصرني على أعدائي وبرهن على صدق ما جئت به ، فهو أكبر شهادة منه - سبحانه - على رسالتي ، فإذاً ادّعاؤكم - أيها المشركون - أنّ الرسولَ يجب أن يكون ملكاً منكم وتعنّت .

ثمّ ختم الله - تعالى - الآية بقوله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ وهو تعليل لكفاية شهادة الله - تعالى - مع الإيذان بتسلية الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وتهديدٌ للمشركين المكذّبين ، أي : إنه - سبحانه وتعالى - ذو خبرة تامة بنيّات عباده ، ذو بصر تام ، يبصر أحوالهم وأفعالهم ، لاتخفى عليه منهم خافية ، يعلم المحقّ منهم من المبطل والصادق من الكاذب ، وسيجزي كلاًّ بعدله ورحمته . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٩٦ .

(٢) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٠ .

(٤) حكى ذلك القرآنُ الكريم في قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ سورة الإسراء ، الآية : ٩٤ .

(٥) سورة الحاقة ، الآيات (٤٤ - ٤٥ - ٤٦) . الوتين : نياط القلب ، قال القرطبي في تفسيره (٧٢٦/١٨) : والوتين : عرق يتعلّق به القلب ، إذا انقطع مات صاحبه .

سورة الكهف

النص :

قال الله تعالى : ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾[1]

بيان غريب النص :

مثل : تقدم معناه[2]، والمراد به هنا : الصفة العجيبة.

هشيما : يابسا متفتّتا متكسّرا[3]، من الهشم - بسكون الشين -: وهو كسر الشيء الأجوف اليابس[4].

تذروه : تطيّره وتفرّقه ، يقال : ذرتِ الريحُ الترابَ وغيرَه : أطارته وسفته وأذهبته[5].

مقتدرا : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه[6].

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى " مقتدر " عَقِبَه :

في هذا النص الكريم يكشف الله - سبحانه وتعالى - عن الصورة الحقيقية لهذه الدنيا الفانية ، ويأمر رسولَه - صلى الله عليه وسلم - أن يضرب المثل[7] لها ، فيقول - تعالى - ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم ﴾ أي : واذكر وبيِّنْ لمشركي مكة الذين يتكبّرون ويفتخرون بمحسّنات الدنيا من المال والجاه والأبناء ﴿ مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ أي : صفتها الحقيقية العجيبة ﴿ كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ فزَهَا وازدهر واخضرّ ، فأُعجب أصحابه ، وأفرحهم وسرّهم ما يأملون منه . وفجأةً أتاه أمر الله - تعالى - برياح محرقة ﴿ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا ﴾ أي : يابسا متفتّتا متكسرا ﴿ تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ أي : تطيّره وتفرّقه وتذهب به وتجيء هنا وهناك ، ذات اليمين وذات الشمال .

والمشبّه في الآية : الحياة الدنيا في جمالها وزينتها، ثم فنائها وزوالها ، والمشبَّهُ به : الهيئة المنتزعة من الجملة ، وهي حال النبات يكون أخضر ، ثم يصير هشيما تطيّره الرياح حتى كأنه لم يكن .

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٤٥ .

(٢) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٥٤ ، أثناء تفسير الآية (٦٠) من سورة النحل .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ٢٦٨ ، العمدة في غريب القرآن للقيسي ، ص : ١٩٠ .

(٤) لسان العرب ، مادة (هشم) ، ٦١١/١٢ ، تفسير القرطبي ، ٤١٢/١٠ .

(٥) لسان العرب ، مادة (ذرا) ، ٢٨٢/١٤ .

(٦) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٤ .

(٧) المثل وسيلة من الوسائل التي استخدمها القرآن في بيان إظهار حقائقه ومعانيه الخفيّة التي قرّرها ليهتدي مَن هداه الله - تعالى - إلى فوزه وبغيته في الدنيا والآخرة ، وتقوم الحجة على من ضلّ عن الهدف الذي ترمي إليه من بيانها للحقائق المستترة والمعاني الخفيّة . (من كتاب " الأمثال في القرآن الكريم " للدكتور الشريف منصور العبدلي ، ص : ٥٧ .

فائدة هذا المثل: بيان أن نعيم الدنيا يزول بسرعة ، فكيف يغترّون ؟ وبناءً على ذلك فاغترار الناس في هذا العصر بما أنتجته العلوم الكونية من أمثال هذه الغواصات والطائرات ، ووسائل الترف سيؤول إلى ما آل إليه هذا النبات ، أو يموت الراغب فيها..[١].

وفي ضرب هذا المثل حثّ على العمل الصالح الذي ينفع في الدارين معا،بجانب الإرشاد إلى عدم الاغترار بما في الدنيا .

ولمّا ذكر الله -تعالى- قدرته الباهرة في صيرورة ما كان في غاية النضرة والبهجة إلى حالة التفتت ، إلى أن فرّقته الرياح ،ونشرتْه ،ولعبت به ذاهبةً جائيةً ، ناسب أن يكون الختام بوصف القدرة العظيمة لله -عز وجل-، المسيطرة المتناهية في الاقتدار على كلّ شيء[٢]، وذلك في قوله -تعالى-: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ .

وكأن جملة ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ تُجْمِلُ تلك الأفعال المفصّلة في الآية، وتُثْبِتُها في نفسها ، تعني: أنّ مَن يكون كامل القدرة هو الذي يفعل هذه الأفعال ، إذ أنّ في ضرب هذا المثل دليلا على وجود الصانع الخالق القادر ، وهو الله - سبحانه وتعالى- ، لأنه -تعالى- يوجِد الأشياء وينمّيها ثم يفنيها ، فحالةُ الدنيا وحالة النبات -بالنسبة لقدرته تعالى- سواء بسواء .

اللهم اجعلنا ممّن هديتَهم بما أعطيتَهم من العقول ، وأريتهم من أسرار كتابك وبديع آياتك ما لم يصل إليه غيرهم ، إنك على كل شيء قدير .

---

(١) الأمثال في القرآن الكريم للدكتور الشريف منصور العبدلي ، ص: ٢٥٨ .

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ، ٦/١٣٣، بتصرف .

ســـــورة مـــريـــم

النص :

قال الله تعالى :

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾(١)

بيان غريب النص :

سلام : قال في اللسان : (السلام والسلامة : البراءة ... ، ومنهم من يقول : سلام ، أي : أمري وأمرك : المباراة والمتاركة ، والسلام : التحية) (٢).

والمراد بسلام إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - : سلام توديع ومتاركة ومفارقة لا التحية (٣).

حفيًّا : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٤).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى "حفيّ" عقبه :

بعد أن أخبر الله - عز وجل - عن جواب (٥) أبي إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - عندما دعاه ابنُه إلى التوحيد ، ذَكَرَ موقف إبراهيمَ - عليه الصلاة والسلام - من أبيه الكافر ، حين سمع تهديدَه إيّاه بالضرب والشتم إن لم يرجع عن عيب الآلهة وشتمها ، حيث إنه - عليه الصلاة والسلام - لم يقابل تهديد أبيه بالغضب والضيق ، بل قابل ذلك بسعة الصدر ، وجميل المنطق ، وأجابه بما فيه تلطّف به ومقابلة للسيئة بالحسنة ﴿ قَالَ ﴾ عليه الصلاة والسلام - جوابا على تهديد أبيه ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ﴾ أي: أمان لك مني يا أبتِ ، فلا ينالك مني مكروه ولا أذى ما لم أومَر فيك بشيء ، فضلا عن ذلك فإني ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ﴾ أي: أطلب منه - سبحانه وتعالى - أن يهديك للإيمان والتوحيد ، فتتوب فيغفر لك. والاستغفارُ للكافر بهذا المعنى جائز قبل موته على الكفر ، وكان دعاء إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - لأبيه بالاستغفار قبل أن يعلم عاقبة أبيه ، ولمّا تبين له أن أباه عدوّ لله - تعالى - سيموت على الكفر ، ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير تبرّأ منه ، ولم يستغفر له بعد ذلك كما قال - تعالى - :﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ (٦).

---

(١) سورة مريم ، الآية :٤٧ .

(٢) لسان العرب ، مادة (سلم) ، ٢٨٩/١٢ .

(٣) ينظر : الكشاف للزمخشري ، ٥١٢/٢ ، التفسير الكبير للفخر الرازي ، ٢٢٨/٢١ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ١١١/١١ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٥) ذلك في قوله - تعالى - :﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ سورة مريم ، الآية : ٤٦ .

(٦) سورة التوبة ، الآية : ١١٤ .

وجملة ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ تعليل لما يتضمّنه الوعد بالاستغفار ، أي : إنه - سبحانه وتعالى - لِلُطفه بي ، وإكرامه لي ، وإنعامه عليّ ، عوّدني الإجابة ، فإذا أنا استغفرتُه لك يا أبتِ ، أغاثك بجوده وكرمه ، وغَفَرَ لك ذنوبك إن تبتَ إليه وأنبت ، فكأنه جعله بذلك على يقين إنْ هو تاب أنّ يحصلَ له الغفرانُ .

و في اختيار إبراهيم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - في هذا الموقف اسمه - تعالى - ﴿ حَفِيًّا ﴾ مع لفظة ﴿ كان ﴾ إشارة إلى أن إقدامه على استغفارأبيه المشرك أمرٌ خطير يحتاج إلى الرحمة واللطف والإكرام حتى يكرمه - تعالى - بهداية أبيه الذي استغفر له مدّة طويلة في قوله : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾(١) ، حيث إنه - عليه الصلاة والسلام - لم يقل " رحيما " أو " لطيفا " ، وإنما قال " حفيّا " طلباً من الله - تعالى - الرحمة والرأفة واللطف والإكرام في استجابة دعائه ، إذ أن هذه المعاني يشتمل عليها اسمُه - تعالى - **" الحفيّ "** . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٤١ .

ســـــورة طـــــــه

النص :

قال الله تعالى :

قَالَ

رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن
لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ
أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ (١)

بيان غريب النص :

اشرح : بسّط ووسّع ، قال في المفردات : (أصل الشرح : بسط اللحم ونحوه ، ومنه شرح الصدر ، أي : بسطه بنور إلٰهي و سكينةٍ من جهةالله و رَوْح منه) (٢).

وفي المصباح المنير : (شرح الله صدره للإسلام شرحا : وسّعه لقبول الحق) (٣).

عقدة : حبسة في اللسان ، وثقل في النطق ، قال في المفردات : (عُقِد لسانه : احتُبِس ، وبلسانه عقدةٌ ، أي : في كلامه حُبْسَةٌ) (٤).

وزيرا : معينا ومساعدا ، قال في المفردات : (المؤازرة : المعاونة) (٥).

بصيرا : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٦).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى "بصير" عقبه :

بعد أن أمر الله - عز وجل - نبيَّه موسى - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - بالذهاب إلى فرعون ليدعوه إلى عبادة الله - تعالى - وحده ، عَلِمَ موسى - عليه السلام - قدر التكليف وعِظمه ، فدعا ربه - عز وجل - أن يعينه ، إذ لا حول له ولا قوة إلّا به ﴿ **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى** ﴾ أي : وسِّعْ لي صدري لأتحمّل أعباء الرسالة ﴿ **وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى** ﴾ أي : وسهّل لي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون ومَن معه ، فإنّ هذه المهمّة صعبة شاقّة تتطلّب

---

(١) سورة طه ، الآيات : (٢٥ - ٣٥) .
(٢) المفردات للراغب ، ص : ٢٥٨ .
(٣) المصباح المنير ، ٣٠٨/١ .
(٤) المفردات للراغب ، ص : ٣٤١ .
(٥) المرجع السابق ، ص : ٥٢١ .
(٦) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٠ .

العزيمة القوية والصبر والاحتمال ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ أي : واجعل لساني حين تبليغ الرسالة إلى فرعون طليقا غيرّ معقّد ولاحبيس حتى ينطلق في تبليغه ما أمرتني به ، وتكونّ عباراتي واضحة لكي يفهم الناس كلامي[١]، وبعد أن دعا الله -عز وجل - في أمر يتعلّق بصدره ولسانه ، دعاه في أمر خارجي عنه ، فقال : ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ أتقوّى به في تبليغ الرسالة وتحمّل أعبائها ، وهذا الوزير هو ﴿ هَارُونَ أَخِي ﴾ لمكانته عندي ، كما أخبر الله -تعالى- عنه : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾[٢] ، وسأل الله -تعالى- أن يحكم بأخيه هارون قوّته ،فقال- عليه الصلاة والسلام- : ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾ أي : قوّ به ظهري ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ أي : وأسألك - يا إلٰهي - أن تجعل أخي هارون - عليه السلام - شريكا في تبليغ الرسالة إلى فرعون وقومه ، وإلى بني إسرائيل . وعلّل موسى -عليه السلام- طلبه هذا بقوله : ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ أي : لكي ننزّهك كثيرا -يارب- عما لا يليق بك كالشريك والنظير ، ونردّ ما يزعمه فرعونُ من ألوهيته ، وغيرِ ذلك ممّا تتنزّه عنه ساحةُ ألوهيتك، ولكي نذكرك كثيرا ودائما بالدعاء والحمد والثناء .

وبعد أن ابتهل موسى -عليه الصلاة والسلام- إلى ربه -عز وجل- بهذه الدعوات الخاشعات ، ليمتثل أمره -تعالى- ، ويتلقّاه بالانشراح والقبول ، ختم دعاءَه -عليه السلام بما يجري مجرى العلة لسؤال تلك الأشياء[٣] ، فقال : ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ أي : قد سألتُك -يارب- هذه الأشياء لأجل حاجتي إليها في أمر النبوة وتبليغ الرسالة ، لأنك كنت ومازلت بصيرا بنا ،لايخفى عليك شيء من أمرنا ، تعلم حالنا ، وتطّلع على ضعفنا وعجزنا وافتقارنا إليك في كل الأمور .

وفي اختيار موسى -عليه السلام- اسمه -تعالى- ﴿ بصيرا ﴾ في آخر دعائه دون اسمه الخبير أو العليم ، تفويض كامل إلى الله -تعالى- ،لأن البصير فيه معنى العلم والزيادة ،وفي ذلك طلب عناية كبيرة ،وكأنه يريد أن يقول : أنت أبصر بنا من أنفسنا وأرحم ، فأعطنا ما سألناك ، وأجب لنا فيما دعوناك .

وهكذا نرى أن اختيار الاسم الحسن من الأسماء الحسنى دليل لقبوله ،حيث إن الداعي عليه أن يدعو الله -تعالى- باسم يناسب حاجته ، وكما هنا أن نبيَّ الله -تعالى- موسى -عليه السلام دعا الله -عزوجل- باسمه البصير ، لأنه حين كُلّف بالذهاب إلى فرعون الطاغية اضطرب وفزع ورأى نفسه غير مطيقة . ولما اختاره الله -تعالى- لهذا الأمر، وهو -عليه السلام- يرى حاله هذه فوّض أمره إليه -تعالى- ، مريدا أنت -يارب- ترى حالي وحال أخي ، ولذا كانت النتيجة أن أجاب الله -تعالى- له دعاءه، وحقّق له مطالبه، كما قال- تعالى- : ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾[٤]
أي : أُعطيتَ جميع ما طلبتَ من شرح الصدر وتيسير الأمر وما إليهما. والله -تعالى- أعلم .

(١) العقدة التي كانت في لسان موسى- عليه السلام- لم نجد لها بيانا أوسببا في السنة النبوية الصحيحة، وهناك أقوال ذكرها المفسرون والمؤرخون ، ينظر :تفسير الطبري، ١٥٩/١٦ .
(٢) سورة القصص ، الآية : ٣٤ .
(٣) ينظر : التفسير الكبير للرازي، ٣١/٢٢ .
(٤) سورة طه ، الآية : ٣٦ .

ســــورة الأنـــبـــيـــاء

النص :

قال الله تعالى :

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾ (١)

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "السميع العليم" عقبه :

كان المشركون يتناجون فيما بينهم ويقولون عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما حكى القرآن الكريم : ﴿... وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (٢) أي : فكيف تؤمنون به وأنتم ترونه ؟ وعند ذلك وَكَلَ الرسولُ - صلى الله عليه وسلم - أمره وأمرهم إلى ربه - عز وجل - : ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ الكائن ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ سواء كان سرّا أو جهرا ، فلا يخفى عليه شيء ممّا يقال فيهما . ثم ختم - عليه الصلاة والسلام - هذه الآية بما يؤكّد هذا البيان ، فقال : ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي : السميع لكل ما يُسمَع ، والعليم بكل معلوم ، فيدخل في ذلك ما أسرّه هؤلاء المشركون دخولا أوّليّا (٣) . والجملةُ تذييل يقرّر مضمون ما قبله من علمه - تعالى - بالسر والجهر .

وفي ختم الآية باسميه - تعالى - ﴿السميع العليم﴾ وعيد وتهديد لهؤلاء المشركين ، حيث إن الله - تعالى - الذي قد أحاط بكل شيء سمعا وعلما ، ومنه ما تناجوا به ، سيجازيهم عليه . وفي ذلك تطمين لقلب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، لأنه ما من نجوى في مكان إلّا وهو - تعالى - مطّلع عليها ، وما من مؤامرة خفيّة يحدّثها أعداؤه المشركون إلّا وهو - تعالى - كاشفها ، ومُطلِع رسولَه - صلى الله عليه وسلم - على بعضها وهو السميع العليم . والله - تعالى - أعلم .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٤ .

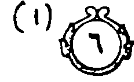
(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٣ .

(٣) ينظر : تفسير الآلوسي ، ٩/١٧ ، تفسير الشوكاني ، ٣٩٨/٣ .

ســـــــورة الـحـــــــج

النـص :

قـال اللـه تعـالى :

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾  (١)

معـنـى الـنـص ومـنـاسـبـة اسـمـه تـعـالى "قدير" عـقِبـه :

في الآية السابقة (٢) دعا اللهُ - عز وجل - الناسَ - إن كانوا شاكّين في إعادة الحياة - إلى أن يتدبّروا كيف نشأت الحياة الأولى ، وينظروا في أنفسهم ، وفي الأرض من حولهم حيث تنطق لهم الدلائل بأن نشأة الحياة الآخرة أمر ميسور في قدرة الله - تعالى - .

ثمّ قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ هذا كلام مستأنف لبيان السر في تطورات خلق الإنسان والنبات، والمعنى: ذلك الذي تقدّم بيانُه من إيجاد الإنسان والنبات وتدبير أمرهما في الإنشاء والإفناء شاهد بأن الله - تعالى - هو الإله الحق الذي يستحق أن يُفرَدَ بالعبادة لكونه خالقا مدبّرا فعّالا لما يريد ، وأنه - تعالى - من شأنه إحياء الموتى بدءا وإعادة ، وأنه - سبحانه - قادر تمام القدرة على كل شيء .

ولمّا كان ما تقدم من أطوار الإنسان وفنائه ، ومن إحياء الأرض بعد موتها وانبثاق (٣) النبت منها ، لا يقدر عليه إلاّ الإله المتّصف بالقدرة على كل شيء ، وهو الله - سبحانه وتعالى - ، كان الختام باسمه - تعالى - ﴿قدير﴾ لأنّ ما سبق يكشف عن عموم قدرة الله - عز وجل - ويبيّنها . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٦ .

(٢) هي قوله - تعالى - : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ...﴾ إلى قوله - تعالى - : ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ سورة الحج ، الآية : ٥ .

(٣) انبثق : انفجر . (القاموس المحيط ، مادة "بثق" ، ص : ١١١٨) .

النص :

قال الله تعالى :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

بيان غريب النص :

هادوا : أي اليهود ، وهم أتباع موسى -عليه الصلاة والسلام- والذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم .

وجاء في اللغة : هاد إلى الشيء يهود هودا : رجع إليه (٢) ، ولعلّ التعبير عنهم بالذين هادوا لرجوعهم إلى الله -تعالى- وتوبتهم من عبادة العجل بعد عودة موسى -عليه السلام- من مناجاة ربه .

الصابئين : قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين ، وإنما هم قوم لا دين مقرّرٌ لهم يتبعونه ويقفونه (٣).

والصابئون من " صبأ " ، وله عدة معان ، منها : خرج من دين إلى دين آخر ، وهو من باب "منع وكرُم" ، و يستعمل بمعنى : طلع (٤).

النصارى : أصحاب عيسى -عليه السلام- وأهل دينه ، سمّوا بذلك لتناصرهم فيما بينهم ، وقد يقال لهم أنصار الله ، كما في قوله -تعالى- : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ...﴾ (٥)

وقيل سمّوا بذلك انتسابا إلى قرية يقال لها " نصران " ، فيقال : نصراني ، وجمعه : نصارى (٦).

المجوس : هم عبدة النار القائلون بأن للعالَم أصلين : نورا وظلمة (٧).

قال في القاموس : (مجوس -كصبور- : رجل صغير الأذنين ، وضع دينا

---

(١) سورة الحج ، الآية :١٧ .

(٢) ينظر : المفردات للراغب ، ص:٥٤٨ ، لسان العرب ، مادة (هود) ، ٤٣٩/٣ .

(٣) تفسير ابن كثير ، ١٠٨/١ ، أثناء تفسير الآية (٦٢) من سورة البقرة ، وهو قول مجاهد .

(٤) القاموس المحيط ، مادة (صبأ) ، ص :٥٦ .

(٥) سورة الصفّ ، من الآية :١٤ .

(٦) ينظر : المفردات للراغب ، ص:٤٩٥ ، تفسير ابن كثير ، ١٠٨/١ .

(٧) تفسير القرطبي ، ٢٣/١٢ ، تفسير الشوكاني ، ٤٤٣/٣ .

ودعا إليه ، رجل مجوسي ، جمعه : مجوس ، كيهودي ويهود) [١].

الذين أشركوا : هم مشركو العرب الذين يعبدون الأصنام والأوثان ، ويعبدون مع الله - تعالى - غيره [٢].

يفصل : يقضي ، من الفصل ، قال في القاموس : (الفصل : القضاء بين الحق والباطل) [٣].

شهيد : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه [٤].

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى " شهيد " عَقِبَه :

لمّا ذكر الله - عز وجل - في الآية السابقة [٥] أنه يهدي مَن يريد،أتبعه ببيان مَن يهديه ومن لايهديه ، فقال - تعالى - :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ كائنا ما كانوا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي : إنّ هؤلاء جميعا سيقضي الله - تعالى - بينهم يوم القيامة بحكمه العادل ، فيُدخل المؤمنين الجنة ويدخل أهل تلك الملل الباطلة النار . ثم ختم - تعالى - الآية بما يعلّل قضاءه وحكمه بين تلك الفرق ، فقال - تعالى - : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي إنه - تعالى - عليم مطّلع على كل شيء ، ولايخفى عليه شيء من عقائد هؤلاء الأصناف الذين تقدّم ذِكرُهم وأعمالُهم .

ولمّا أخبر الله - عزوجل - بقضائه وحكمه يوم القيامة بين هذه الفِرق فيما اختلفوا فيه من تصحيح الديانة والعقيدة ، ذَكَرَ في ختام الآية اسمه الكريم ﴿ شهيد ﴾ وهو مناسب للقضاء بين هؤلاء ، حيث إن الشهيد بمعنى الشاهد ، وهو من الشهود بمعنى الحضور [٦]، وذلك العلم بالشيء عِلم مشاهدة ، ولذا جاءت صيغة ﴿ شهيد ﴾ لِتدلّ على عدل حكمه - تعالى - وقضائه بينهم وبين عباده جميعا .

على المسلم العاقل أن يذكر يوم الفصل والقضاء ، ويراقب الله - عزوجل - في كل شيء ، لأنه - تعالى - على كل شيء شهيد . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) القاموس المحيط ، مادة (مجس) ، ص : ٧٤٠ .
(٢) البحر المحيط لأبي حيان ، ٣٥٩/٦ .
(٣) القاموس المحيط ، مادة (فصل) ، ص: ١٣٤٥ .
(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .
(٥) هي قوله - تعالى - :﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴾ سورة الحج ، الآية :١٦ .
(٦) ينظر : القاموس المحيط، مادة (شهد) ، ص: ٣٧٢ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

أُذِنَ : رخّص ، من الإذن . والإذنُ في الشيء إعلام بإجازته والرخصة فيه (٢).

لَقدير : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى "قدير" عقبه :

كان المسلمون في أول الأمر مأمورين بكفّ الأيدي عن قتال الكفّار ، ولمّا أذاهم الأعداء اضطرّوا إلى ترك بلادهم وأوطانهم ، فهاجروا إلى المدينة . وحين أصبحوا أقوياء أذن الله -تعالى- لهم في القتال ، وهو قتال دفاع منهم ، لاقتال هجوم ، ولهذا قال -تعالى-: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾ أي : بسبب أن أولئك الأعداء منعوهم من دينهم وأخرجوهم من ديارهم وطاردوهم في كل مكان . وهذه أول آية في القرآن تحمل طابع الحرب بالإذن فيه للمؤمنين .

وقوله -تعالى- : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ وعدٌ من الله -سبحانه وتعالى- للمؤمنين بالتأييد والنصر ، وحضّ لهم على الإقدام على الجهاد في سبيله بدون تردّد أو وهن. أي : وإنّ الله -تعالى- لَقادر على أن ينصر عباده المؤمنين ، وعلى أن يمكّن لهم في الأرض.

وفي ذكر اسمه -تعالى- ﴿ قدير ﴾ مع ما سبقه من التأكيد باللام ، دعوة للمؤمنين بأن يتوكّلوا على الله -تعالى- ويثقوا بنصره ويطمئنوا إليه ، لأنّ ختْم الآية باسمه -تعالى- " قدير " ليس لإثبات القدرة لله -تعالى- فقط ، إذ أنّ قدرته -تعالى- ثابتة معلومة قبل نزول هذه الآية ، وإنما جاء ذِكرُ هذا الاسمِ الكريم هنا - والله أعلم - إشارةً الى قدرة الله -تعالى- على نصر عباده المؤمنين من غير قتال ، ولكنه -سبحانه- يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته ، كما قال -تعالى- ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (٤). (٥).

---

(١) سورة الحج ، الآية :٣٩.

(٢) المفردات للراغب ، ص:١٤ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص:٣٤ .

(٤) سورة محمد ، الآية:٤ .

(٥) ينظر: تفسير النيسابوري ، ١٧/١٠٠ ، تفسير ابن كثير ، ٣/٢٣٥ .

النـص :

قال اللـه تعـالى :

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ﴾ (١)

بـيـان غـريب الـنـص :

صوامع : جمع صومعة - على وزن فعْولة - ، وهي - كما قال الراغب - : كل بناء متصمّع الرأس ، أي : متلاصقه (٢).

والمراد بها هنا : معبد الرهبان (٣).

بِيع : جمع بيعة - بكسر الباء - ، وهي - كما في لسان العرب - : كنيسة النصارى (٤) ، وهي التي يبنونها للعامة ليجتمعوا فيها لأجل العبادة ، ولاتختص بالرهبان كالصومعة (٥).

صلوات : جمع صلاة ، وهي كنيسة اليهود (٦) في هذه الآية . قال الراغب : (سمّي موضع العبادة الصلاة ، ولذلك سمّيت الكنائس صلوات) (٧).

مساجد : جمع مسجد ، وهو معبد المسلمين .

لَقويّ : اللام للتأكيد ، والقوى اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٨).

عزيز : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٩).

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٤٠ .

(٢) المفردات للراغب ، ص : ٢٨٦ .

(٣) ينظر : تفسير الفخر الرازي ، ٢٣/٤٠ ، تفسير الآلوسي ، ١٧/١٦٣ .

(٤) لسان العرب ، مادة (بيع) ، ٨/٢٦ .

(٥) تفسير الآلوسي ، ١٧/١٦٣ .

(٦) لسان العرب ، مادة (صلو) ، ١٧/٤٦٦ ، تفسير الآلوسي ، ١٧/١٦٣ .

(٧) المفردات للراغب ، ص : ٢٨٥ .

(٨) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٦ .

(٩) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " قويّ عزيز" عَقِبَه :

لمّا بيّن الله - تعالى - في الآية السابقة [١] أن المؤمنين أُذنوا في القتال لأجل أنهم ظلموا فَسّر ذلك الظلم مبيّنا أوصافهم [٢]، بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ أي : بدون موجب لإخراجهم . وما كان سببُ اخراجهم ﴿ إِلَّآ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ أي : إلاّ قولُهم : ربّنا الله ، وتوحيدُهم إياه ، وعبادتهم له وحده - سبحانه وتعالى - ، ثم بيّن اللهُ - سبحانه - حِكمته في تشريع الجهاد ، فقال : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ أي : ولولا دفع الله - تعالى - لَهدم في شرع كل نبيّ المكانُ المعهود لهم في العبادة ، فهُدم في زمن موسى - عليه السلام - الكنائس ، وفي زمن عيسى - عليه السلام - الصوامع والبيع [٣] ، وفي زمن محمد - صلى الله عليه وسلم - المساجد [٤]. قال ابن كثير : (لولا أنه - تعالى - يدفع بقوم عن قوم، ويكفّ شرور أناس عن غيرهم بما يخلقه ويقدّره من الأسباب لَفسدت الأرض ، ولأهلك القويّ الضعيفَ) [٥].

ثمّ ساق الله - سبحانه وتعالى - بأسلوب مؤكّد سنةً مِن سننه التي لاتختلف ، فقال ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ وهذا وعدٌ من الله - تعالى - لِمن يقاتل في سبيله بالنصر والتأييد . وهناك آيات أخرى كثيرة تدل على أن العاقبة والنصرة للمؤمنين الذين ينصرون الله - تعالى - بالقيام بدينه ، والدعوة إليه ، وجهاد أعدائه لإعلاء كلمته - تعالى -، وذلك كما في قوله - تعالى - : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [٦] وفي قوله - تعالى - : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [٧] وفي قوله - تعالى - : ﴿ ... وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٨].

ثمّ علّل - تعالى - نصره لمن ينصره ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ أي : والله - سبحانه - لَينصرنّ مَن ينصره ، لأنه - تعالى - ذوقوة لاتُقهر، وعِزّة لاترام، فلذا قضى بنصرة رُسُله - عليهم الصلاة والسلام - وأوليائه على الأعداء ، وهذا وعد لا يتخلّف ، ولا يتغير، لأنه

---

(١) هي قوله - تعالى - : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ سورة الحج ، الآية : ٣٩ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير للرازي ، ٣٩/٢٣ .

(٣) دفع الله - تعالى - بالنسبة لليهود والنصارى ، كان في الوقت الذي كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ .

(٤) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ، ١٠١/١٧ .

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ٢٣٦/٣ .

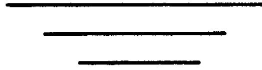
(٦) سورة محمد ، الآية : ٧ .

(٧) سورة المجادلة ، الآية : ٢١ .

(٨) سورة الروم ، من الآية : ٤٧ .

وعدٌ صَدَرَ مِن صادق الوعد الذي لايخلف وعده، القويّ العزيز الذي لاينازعه شـــــــيء، ولايعجزه شيء يريده، ومَن كان القويُّ العزيزُ ناصرَه فهو المنصور، وعدوُّه هو المقهور.

وفي ختم الآية بصفتي القوة التي لاتقبل الضعف والمانعة، والعزّة التـــــــي لايتعدّى إلى ساحتها شيء، تطمينٌ لقلوب المؤمنين وتثبيتُ أقدامِهم حين لقائهم في أعدادهم القليلة بجيوش الكافرين في أعدادهم الكثيرة. والله - تعالى - أعلم بالصواب.



النص :

قال الله تعالى :

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٢﴾ (١)

بيان غريب النص :

تمنى : للعلماء في معنى "تمنّى" وجهان من التفسير :

الأول : تمنّى بمعنى تلا وقرأ ، ويدلّ على استعمال التمني بمعنى التلاوة والقراءة (٢) قولُ حسان (٣) في مرثية عثمان بن عفان (٤) - رضي الله تعالى عنهما - :

تمنّى كِتابَ اللهِ أولَ ليلةٍ وآخِرها لاقَى حِمام المقادر .

وقال آخر :

تمنّى كتاب الله آخر ليلِهِ تمنّى داودَ الزبورَ على رِسْلِ (٥).

الثاني : تشهّي حصول الأمر المرغوب فيه ، وحديث النفس بما يكون وما لا يكون (٦).

كلا المعنيين صالح في تفسير الآية الكريمة كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

فينسخ : فيزيل ، من النسخ اللغوي ، وهو المراد هنا دون معناه الشرعي .

يقال : نسخت الشمس الظِلّ : أي : أزالتْه (٧).

يحكِم : يتقن ، قال في المصباح المنير : (أحكمت الشيء إحكاما : أتقنته) (٨).

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٥٢.

(٢) النهاية لابن الأثير ، ٣٦٧/٤ ، لسان العرب ، مادة (مني) ، ١٥/ ٢٩٤ .

(٣) هو حسّان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري ، أبو الوليد : الصحابي ، شاعر النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، توفي سنة ٥٤هـ . (الأعلام : ١٧٥/٢) .

(٤) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، من قريش : أمير المؤمنين، ذو النورين ، ثالث الخلفاء الراشدين - وأحد العشرة المبشرين - رضي الله عنه - توفي سنة ٣٥هـ . (الأعلام ٢١٠/٤).

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ، ٥٤/٢ ، لسان العرب ، مادة (مني) ، ٢٩٤/١٥ . ومعنى: على رسل : أي : على مهل .

(٦) النهاية لابن الأثير ، ٣٦٧/٤ .

(٧) لسان العرب ، مادة (نسخ) ، ٦١/٣ .

(٨) المصباح المنير ، ١٤٥/١ ، القاموس المحيط ، مادة (حكم) ، ص :١٤١٥ .

عليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه [١].

حكيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه [٢].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " عليم حكيم" عَقِبَه :

بعد أن أمر الله - عز وجل - في الآيات السابقة [٣] رسولَه - صلى الله عليه وسلم - أن يعلِن للناس جميعا أنه رسول الله حقًّا ، مبشِّرٌ للمؤمنين بالثواب ، منذرٌ للكافرين والظالمين من عقاب الله - تعالى - ، أخبر في هذا النص الكريم ما يسلّي رسوله - صلى الله عليه وسلم - فيما يلقاه من قومه من التكذيب والأذى ، حيث إنه - تعالى - بيّن أن كل الأنبياء والمرسلين قبلَه لم يَسلموا من ذلك ، فقال - تعالى - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ وإذا فسّرنا التمني بمعنى التلاوة والقراءة [٤] كان المعنى : وما أرسلنا قبلك - يارسول الله صلى الله عليه وسلم - رسولا ، ولانبيّا إلّا إذا قرأ شيئا من الآيات لقومه ألقى الشيطان في قراءته الشبهَ والشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها ، كإلقائه على أتباع ذلك النبي أو الرسول أنها سِحرٌ أو شعر أو أساطير الأولين ، وأنها مفتراة على الله ، ليست منزلة مِن عنده ، وفي هذا المعنى يقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [٥]. وإذا فسّرنا التمني بمعنى حبّ الشيء والرغبة [٦] فالأمنية من هذا المعنى : وما أرسل الله من رسول ولانبيّ إلّا وغايةُ مقصوده ، وجُلُّ أمانيه أن يؤمن قومه جميعا ، ويدركوا الخير الذي جاءهم به من عند الله - تعالى - فيتّبعوه .. وكان نبيُّنا - صلوات الله وسلامه عليه - من ذلك في المقام الأعلى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [٧]. وعلى هذا يكون معنى الآية : وما أرسلنا من رسول ولانبي ، إلّا اذا تمنى هذه الأمنية السامية ألقى الشيطان فيما تمنّاه الشبهَ في نفوس قومه ليصدّهم عن سبيله [٨].

---

(١) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٢) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣١ .

(٣) هي قوله - تعالى - : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ إلى قوله - تعالى - : ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ الآيات : (٤٩ - ٥١) من سورة الحج .

(٤) هذا قول أكثر المفسرين ، كالطبري (١٩٠/١٧)، والزمخشري (١٩/٣)، وابن قتيبة في غريب القرآن (ص : ٢٩٤) ، والشيخ المراغي في تفسيره (١٢٨/١٧) .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ١١٢ .

(٦) هذا القول قد تقرّر عند بعض المتأخرين ، كابن عاشور (٢٩٨/١٧ - ٣٠٠)، وسيد قطب (٢٤٣٣/٤) ، والدكتور محمد حجازي (٧٥/٢) . وعبدالكريم الخطيب في تفسيره (١٠٦٣/١٧).

(٧) سورة الكهف ، الآية : ٦ .

(٨) إن المعنيين اللذين قد تقررا في تفسير النص يتناسبان مع كلمات هذه الآية ، دون النظر إلى قصة "الغرانيق العلا " التي رويت في بعض كتب التفاسير والسير ، يقول ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسيره (٢٣٩/٣) : قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق ... ولكنها من طرق كلّها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح . اهـ

ثمّ بين الله - تعالى - مآل سعي الشيطان في آيات الله - تعالى - بقوله : ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أي : فيزيل الله - تعالى - ما يلقيه الشيطان من الشبه في نفوس المؤمنين الذين أوتوا العلم ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ أي : يجعلها متقنة ، لاتقبل الرد ، ولاتحتمل الشك في كونها من عنده - تعالى - ، وما ذُكِرَ هنا من أنه - تعالى - يسلّط الشيطان فيلقي في قراءة الرسول والنبي ، أو في رغبتهما ، فتنةً للناس ليظهر مؤمنهم من كافرهم (١) ، كما قال - تعالى - : ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢) .

ولمّا تقدم في النص نسخُ ما يلقيه الشيطان ، وإحكام الآيات وحفظُها من التأثر بإلقاء الشيطان جاء الختام بقوله - تعالى - : ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ كالتقرير والدليل على النسخ والإحكام المشار إليهما في الآية ، أي : والله - تعالى - عليم بكل شيء وبما يلقيه الشيطان ، فلا يخفى عليه ما يصدر عن ذلك اللعين وأوليائه من أباطيلَ ووساوسَ لصدِّ الناس عن دعوة الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، ثم ذكر - سبحانه - اسمه الكريم "حكيم" إشارةً إلى أنه - تعالى - يضع الأشياء في مواضعها ، ويُحكِمها ويتْقِنها حتى لايتطرّق إليها خلل ولافساد ، ومن حكمته - تعالى - مَكَّنَ الشيطانَ وأولياءَه من إلقاء الشبهات والأباطيل في النفوس حول الدعوة التي يقوم بها الرسولُ أو النبيُّ ، وجعل - سبحانه - ذلك الالقاءَ مجالا للاختبار والامتحان ، لِيُحاجَّ أولياءُ الشيطان به من المنافقين الذين في قلوبهم ريب وشك ، ومن المشركين الذين لاينفعهم زجر ولاتذكير لقسوة قلوبهم ، ولكي يعلم أهل العلم بالله - تعالى - وآياتِه الصوابَ على ضوء الصراع بين الحق الذي يدعو إليه الرسول أو النبيّ ، وبين الباطل الذي يلقي به الشيطان وأولياؤه في وجه هذا الحقّ ، فيزدادون إيمانا وخشوعا ، وتحقيقا لوعد الله - تعالى - ، وهو أن يهدي - سبحانه - أهل الايمان كما دلّت عليه الآيتان السابقتان (٢) .

وهناك مناسبة من الناحية البلاغية بين النسخ واسمه - تعالى - ﴿عليم﴾ ، وبين إحكام الآيات واسمه - تعالى - ﴿حكيم﴾ . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور الشيخ محمد أبو شهبة ، ص : ٣٢١ - ٣٢٢ ، أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ، ٧٣٢/٥ .

(٢) سورة الحج ، الآيتان : ٥٣ - ٥٤ . ومعنى "فتُخْبِتَ" : تخضع وتذلّ ، (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ٢٩٤) .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩) ﴾ (١)

بيان غريب النص :

مدخلا : موضعا حسنا ، وهو الجنة(٢) ، وذلك على أنه اسم مكان . أو إدخالا كريما ، وذلك على أنه مصدر ميمي .

لَعليم : اللام للتأكيد ، والعليم اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، وقد تقدم معناه(٣).

حليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه(٤).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " عليم حليم" عَقِبَه :

بعد أن ذكر الله - عز وجل - فيما سبق(٥) ما حَكم به لأهل الإيمان والعمل الصالح وما حُكم به لأهل الكفر والتكذيب ، أتبعه بذكر ما حكم به لأهل الهجرة والجهاد ، وأفردهم بالذكر تفخيما لشأنهم فقال - عز من قائل -: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي: والذين فارقوا أوطانهم وأموالهم وأهليهم وذويهم في سبيل إعلاء كلمة الله - تعالى - ونصرة دينه ﴿ ثُمَّ قُتِلُوا ﴾ أي: قتلهم الكفارُ في الجهاد ﴿ أَوْ مَاتُوا ﴾ ميتة طبيعية من غير قتال، هؤلاء وهؤلاء ﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ يرضيهم ويسرّهم ، وهو نعيم الجنة الذي لاينقطع أبدا ، سواء لاقوا اللهَ - تعالى - شهداء بالقتل ، أو لاقوه على فراشهم . وقوله - تعالى - : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ تذييل قُصد به بيان أن عطاءه - سبحانه - فوق

---

(١) سورة الحج ، الآيتان : ٥٨ - ٥٩ .

(٢) تفسير الطبري ، ١٩٥/١٧ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص: ٣٣ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص: ٣١ .

(٥) ذلك من قوله - تعالى - : ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ... ﴾ إلى قوله - تعالى - : ﴿ .. لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ الآيتان : ٥٦ - ٥٧ من سورة الحج .

كلِّ عطاء ، لأنه يرزق مَن يشاء بغير حساب ، ويعطي من يشاء دون أن ينازعه منازع ، أو يعارضه معارض . ثمّ وصف الله - تعالى - مسكنهم بعد أن وصف رزقهم ، فقال - سبحانه -: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ أي : أنه - سبحانه وتعالى - وعد هؤلاء المهاجرين بصِنفَيْهم وعدا مؤكَّدا لاخُلْفَ فيه ، أنْ يُدخلهم في الجنة منزلا كريما يدخلونه ، وهم يرضونه ويسعدون به ، حيث يجدون فيه ماتشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين .

وبعد أنْ ذكر الله - سبحانه وتعالى - مآل المهاجرين أخبر عن نفسه الكريمة بصفتي العلم والحلم في قوله : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ وذلك بشارة عظيمة لهؤلاء المهاجرين الذين جمعوا بين الهجرة والإيمان ، حيث إنه - تعالى - بمقتضى هاتين الصفتين يحقق ما وعده لهم .

وإن قيل ما معنى ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ وما تعلُّقه بما تقدّم ؟

والجواب[1] : يحتمل أنه - تعالى - عليم بما يستحقّه هؤلاء المهاجرون ، فيفعله بهم ويزيدهم ، ويحتمل أن يكون المراد أنه - تعالى - عليم بما يرضونه فيعطيهم ذلك في الجنة، وأما الحليم ، فالمراد: أنه لِحلمه لايعجل بالعقوبة فيمن يُقدِمُ على المعصية ، بل يمهل لِيقع منه التوبة ، فيستحق منه الجنة . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ، ٢٣/٥٩ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

عاقب : يقال: عاقبه عقابا، قال في المفردات: (العقوبة والمعاقبة والعقاب، يختص بالعذاب) (٢).

بُغي : ظُلم واعتُدي عليه (٣).

لَعفو : اللام للتأكيد، والعفو اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدم معناه (٤).

غفور : اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، وقد تقدم معناه (٥).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "عفو غفور" عقِبَه :

بيّن الله - سبحانه وتعالى - في الآيتين السابقتين (٦) ثواب مَن هاجر في سبيل الله تعالى - ، ثم قُتل أو مات، وجاءت هذه الآية لتقرير ذلك البيان الذي فيه وعدٌ لأولئك المهاجرين، ولإباحة ردّ الاعتداء على المعتدِي، فقال -تعالى- : ﴿ ذلك ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي: الأمر ذلك الذي تقدم بيانه من حسن جزاء المهاجرين الذين قتلوا في سبيل الله -تعالى- أو ماتوا، ثمّ استأنف -سبحانه- فبشّر عباده الذين يقع عليهم العدوان بالنصر على مَن ظلمهم، فقال - تعالى - ﴿ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ ﴾ بيانٌ من الله - عز وجل - لجانب من جوانب طبيعة البشر، وذلك أن الذي يقع عليه العدوان، قد لايحلُم ولايصبر فيردّ العدوانَ قِصاصا . والمعنى: مَن جازَى الظالمَ بمثل ما ظلمه، ثم عاد الظالمُ المبتدئُ بالظلم، فَبَغَى عليه وآذاه، فإنّ الله -تعالى- وَعَدَ بنصرته، وتكفّلَ - في تلك الحالة - بإظهاره على الظالم الباغي .

---

(١) سورة الحج، الآية: ٦٠ .

(٢) المفردات للراغب، ص: ٣٤٠ .

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (بغا)، ١٤/٧٨ - ٧٩ ، والقاموس المحيط، ص: ١٦٣١ .

(٤) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٣ .

(٥) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٤ .

(٦) هما الآيتان (٥٨ - ٥٩) اللتان تقدّم تفسيرهما في هذه السورة الكريمة .

وبعد أن أذن الله - تعالى - وأباح الاعتداء بالمثل للمظلوم، ختم الآية بالإخبار عن نفسه الكريمة بالعفو والمغفرة في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ وهو تعليلٌ للنصرة حيث كانت تلك النصرةُ لمن ارتكب خِلاف الأولى، وهو الانتقام بدلَ العفوِ، وبيانٌ بأن المظلوم عندما ترك العفو عن الظالم، ولم يأخذ بما هو المندوب إليه، والممدوحُ عند الله - تعالى - فلا يؤاخذه - سبحانه - على ذلك، ما دام لم يتجاوز في رد العدوانِ الحدودَ المشروعةَ، ومنها الاقتصار على القصاص بالمثل.

وفي ختم الآية بذكر العفو والمغفرة إشعار بأن العفو أولى وأفضل من العقوبة، فكأنه يرغّب المؤمن في العفو عن الظالم إذا ظلمه، قال - تعالى -: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[1]، وقال - سبحانه -: ﴿... فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ...﴾[2]، وقال - عز من قائل -: ﴿... وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[3].[4]

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

(٢) سورة الشورى، من الآية: ٤٠.

(٣) سورة الشورى، من الآية: ٤٣.

(٤) ينظر للمناسبة: الكشاف للزمخشري، ٢٠/٣، التفسير الكبير للرازي، ٦٠/٢٣، روح المعاني للآلوسي، ١٨٩/١٧.

النص :

قال الله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

يولج : يُدخل ، من الولوج ، وهو الدخول (٢).

سميع : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

بصير : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٤).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "سميع بصير" عقِبَه :

لمّا أخبر الله - عز وجل - في الآية السابقة (٥) أنه ينصر المظلوم ويؤيده و يُظْهِرُه على الظالم ، نبّه هنا في هذا النص الكريم أنه الخالق القادر المتصرّف في خلقه بما يشاء فقال : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ وفي هذا النص إعلان بانفراد الله - تعالى - بالتدبير ، وسعة التصرف بإيلاج الليل في النهار ، وإيلاج النهار في الليل ، لِبيان أن ذلك النصر الذي وعده - تعالى - للمظلوم على الظالم حقٌّ ثابت و سنّة من سُنَنِ الله - عز وجل - ، وأنه لايختلّ ، كما لايختلّ نظامه في الكون ، و كما لايختل نظامه في إيلاج الليل في النهار عند المغيب ، وإيلاج النهار في الليل عند الشروق بحيث يتمّ تعاقبُ أحدِهما الآخر دون خلل .

ولمّا ذكر - سبحانه - وصْفه بالتصرف في الليل والنهار وَفق مشيئته ، أخبر عن إحاطته بما يجري فيهما من قول أو فعل ، فقال : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ أي : و أن الله - سميع لأقوال عباده ، ولايشغله سمع عن سمع و إن اختلفتِ الأصواتُ بفنون اللغات ، بصير بما يفعلون ، ولا يستتر عنه - تعالى - شيء و ان توالت الظلمات . و اللهُ - عزوجل - المتصف بصفتي السمع والبصر ، يسمع ما يقول الظالم الباغي المعتدِي ، والمظلومُ المعتدَى عليه ، ويرى أفعالهما فلايهملهما ، و إنما ينصر المظلوم وينتقم من الظالم .

وفي الختم بهذين الاسمين الدالين على الإحاطة الكاملة بكل شيء تحذير من الإقدام على ما لايجوز في المسموع و المبصَر . و الله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٦١ .

(٢) المفردات للراغب ، ص : ٥٣٢ ، لسان العرب ، مادة (ولج) ، ٣٩٩/٢ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٠ .

(٥) هي الآية (٦٠) ، والتي تقدم تفسيرها آنفا .

النص :
قال الله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾[1]

بيان غريب النص :

العلي : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى[2].

الكبير : اسم من اسماء الله - تعالى - الحسنى، وقد تقدم معناه[3].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى " العليّ الكبير " عقبه :

لمّا تبيّن في الآيتين السابقتين[4] أنه - تعالى - المتصرف في الوجود، الحاكم الذي لامعقّب لحكمه، بيّن هنا في هذا النص الكريم أنه مستحق للعبادة والطاعة والخضوع التام، فقال تعالى -: ﴿ ذلك ﴾ اسم الاشارة يعود إلى ما وصف به نفسه قبل ذلك من صفات القدرة والإحاطة الكاملة بكل شيء، أي: ذلك الذي تراه - أيها المخاطَب - في هذا الكون من مخلوقات، ومن نصرٍ للمظلوم، ومن إدخال الليل في النهار وإدخال النهار في الليل ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ أي: سببُ حصول تلك الأشياء: أنّ الله - تعالى - هو الإله الحق الذي يجب أن تخضع له الوجوهُ، وأنّ ما عداه من آلهةٍ باطلةٌ، ما أنزل الله بها من سلطان.

ولمّا كان ما تقدم من الوصف بخلق الليل والنهار، والإحاطة بما يجري فيهما، يدل على أنه - تعالى - هو الحق، ودينه الحق، وعبادته حق، وأن كل ما يُدْعَى إلهاً غيره باطل، يُعلَمُ منه أنه - سبحانه - أعلى من كل شيء، وأعظم وأكبر، الذي كل شيء دونَه، ولذا كان ختام الآية بما يدل على ذلك: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[5].

وفي ختم الآية بهذين الاسمين الجليلين إشارة إلى علوّ الله - عز وجل - وعظمته، وهو - سبحانه - لعلوّه وعظمته يضرّ وينفع دون سائر مَن يُعبَد من الآلهة، وفي ذلك ترغيب في عبادته - تعالى - وزجر عن عبادة غيره. والله - تعالى - أعلم بالصواب.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٦٢.
(٢) ينظر لمعنى " المتعالى "، وهو في نفس المعنى، ص: ٣٧.
(٣) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٦.
(٤) هما الآيتان (٦٠ - ٦١) اللتان تقدم تفسيرهما من سورة الحج.
(٥) ينظر: تفسير الطبري، ١٧/١٩٦.

النص :

قال الله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ (١)

بيان غريب النص :

مخضرّة : ذات خضرة ، وهي اسم مفعول من اخضرت الأرض .

لطيف : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٢).

خبير : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "لطيف خبير" عقِبَه :

لقد تبينّا أن الآيات المتقدمة في هذه السورة الكريمة قد وصفت الله - سبحانه - بما هو أهل له من صفات الجلال و الكمال .

ثم ساق - سبحانه وتعالى - بعد ذلك ما يدل على لطفه بعباده ، ورحمته بهم، فقال ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ والاستفهامُ في قوله : ﴿ألم ...﴾ للتقرير ، والمعنى : لقد علمتَ ، أو رأيتَ ببصرك - أيها المخاطَب - أن الله - تعالى - قد أنزل من السماء ماء ، فتصير الأرض بسببه ذاتَ خضرة بالنبات والعشب والزروع بعد ما كانت مسودّة يابسة .

أليس المطر النازل من السحاب ، الذي يحي الله - تعالى - به الأرض - بعد موتها - التي تُظهر أنواعَ الأقوات و أصناف الأشجار والنباتات التي لايمكن أن يعيش العباد بدونها برهاناً على رحمة الله - تعالى - ولطفه بعباده ، وعِلمه الدقيق بمصالح الخلق و منافعهم ؟

بلى ، فإنّ في تسخير الله - تعالى - السحابَ بين السماء والأرض على خفّته، ولطافته ، حتى يحمل الماءَ الكثير ، وسَوْقِهِ - سبحانه - إلى حيث يشاء ، و يجعله حياة للبلاد والعباد ، و إنزاله - بخبرته الإلٰهية - على الخلق بقَدَرٍ وقتَ حاجتهم إليه ، وصَرْفِهِ عنهم ضررَه إشارةً إلى اللطف الإلهي ، الذي به يصل فضلُ الله - تعالى - إلى كل شيء بطرق لطيفة يخفى على العباد ، وفي ذلك إشارة أيضا إلى علم الله - تعالى - المحيط بسرائر الأمور و خفاياها، فلهذا كان ختام الآية بقوله - تعالى - :﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ .

والذي يتدبر في هذه الاية يدرك أنّ إنزال الماء من السماء و اخضرار الأرض بسببه من مظاهر اسم "**اللطيف**" ، ولمّا كان إنزال ذلك الماء بالقدر المطلوب في الوقت المناسب من مقتضى اسم "**الخبير**" الدال على العلم بدقائق الأمور التي منها مقادير مصالح العباد ، جاء ذِكره بعد ذكر اسمه - تعالى - "**اللطيف**" (٤)

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٦٣ .
(٢) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٦ .
(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .
(٤) ينظر : تفسير الرازي، ٦٢/٢٣ ، تفسير الآلوسي، ١٩٢/١٧ - ١٩٣ ، في ظلال القرآن ٢٤٤٠/٤ .

النـص :

قال الله تعالى :

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦٤﴾[1]

بيان غريب النـص :

الغني : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، وقد تقدم معناه[2].

الحميد : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، وقد تقدم معناه[3].

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "الغنيّ الحميد" عقِبَه :

بعد أن ذكر الله - سبحانه وتعالى - في النص السابق[4] ما يقرّر توحيده بذكر مظاهر القدرة والعلم والحكمة، نبّه على تصرّفه الكامل في ملكه، فقال: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: جميع الأشياء خلقُه وملكه، لايحتاج إلى مَن في السماء والأرض، أو ما فيهما، وإنما كلّ شيء فقير إليه، وهو - سبحانه - يرزق الأحياء بالماء والنبات وهو الغنيّ عنهم وعمّا يرزقون، لأن كل ما خلقه لحاجة المخلوق إليه، لا لحاجةٍ منه إلى ذلك، وفي هذا إحسان منه - سبحانه - وتفضّل على عباده.

ولمّا كان إنعامه - تعالى - خاليا عن منفعة عائدة إليه، كان مستحقا للحمد والشكر، بل هو حميد في ذاته وأسمائه وأفعاله، قبل أن يحمده الحامدون وبعد حمدهم له - سبحانه -، فلهذا قال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾.

واسمه - تعالى - "**الغني**" مناسب لإخبار الله - سبحانه - عن نفسه بأن له كل شيء، ومن يملك كل ما في السموات وما في الأرض، يكون غنيّا، والغنيّ المطلق لا يفعل ما يفعله إلّا للإحسان، ومن كان كذلك وجب أن يكون محمودا، ولذا جاء اسمه - تعالى - "**الحميد**" بعد اسمه - تعالى - "**الغنيّ**"[5].

وضمير "**هو**" ضمير فصل، مفادُه: اختصاص الغِنى والحمد بالله - تعالى -. والله تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الحج، الآية: ٦٤.

(٢) ينظر من هذا البحث، ص: ٣٤.

(٣) ينظر من هذا البحث، ص: ٢٩٧.

(٤) هو قوله - تعالى -: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ سورة الحج: ٦٣. وهي الآية التي تقدّم تفسيرها آنفا.

(٥) ينظر: التفسير الكبير للرازي، ٢٣/٦٢.

النص :

قال الله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾

بيان غريب النص :

يُمسك : يحفظ ، قال في المفردات : (إمساك الشيء : التعلّق به وحفظه)(٢).

لَرؤوف : اللام للتأكيد ، والرؤوف اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى ، وقد تقدم معناه(٣)

رحيم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه(٤).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "رؤوف رحيم" عقبه :

ذكر الله -سبحانه وتعالى- في هذا النص الكريم ألوانا أخرى من النعم الدالة على سعة رأفته -سبحانه وتعالى- و رحمته بعباده ، فقال : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من نعمه العديدة حيث يَسَّرَ لكم الانتفاع بما فيها من حيوان ونبات ومعادن ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ أي : وسخّر لكم السفن التي علّمكم -سبحانه- صُنعها ، واستخدامها ثم سخّر لِتلك السفن هذا البحر العظيم والرياح التي تَحملها من بلد إلى بلد ، ومن إقليم إلى إقليم بما فيها من الركاب والأموال والبضائع التي فيها منافع للناس . ولا ريب أنّ الانتفاع بما تقدّم لا يتأتّى إلاّ بعد الأمن من وقوع السماء على الأرض ، فمنّ الله - عز وجل - على خلقه بأن يحفظ السماء حتى لاتقع على الأرض، لِيحصّل للخلق القرار ، وتستمرّ النعم التي أنعم الله -تعالى- بها، و إلى ذلك يشير قوله -تعالى- : ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ .

ولمّا عدّد -تعالى- ما أنعم به على عباده من تسخير ما في الأرض لهم، وإجراء السفن في البحر لهم، وتسييرهم في ذلك الهول العظيم، وجعلِه السماءَ فوقهم وإمساكه إياهم من الوقوع ، وهم آمنون مطمئنون ، حَسُنَ الختمُ بالرأفة والرحمة في قوله - تعالى-

---

(١) سورة الحج ،الآية :٦٥ .

(٢) المفردات للراغب ، ص: ٤٦٨ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٤) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وهو تعليل لذلك التسخير والإمساك ، لأن المنعم بهذه النعم قد بلغ الغاية في الإحسان والإنعام ، فهو إذن رؤوف رحيم .

قال الآلوسي - رحمه الله تعالى - في ختم هذه الآية بالرأفة والرحمة : (الرأفة قيل ما تقتضي درء المضار ، والرحمة قيل ما تقتضي جلب المصالح ، ولكون درء المضرة أهم من جلب المصلحة ، قدّم رؤوف على رحيم ، وفي كلٍ ممّا امتن به - سبحانه - درء وجلب ، نعم قيل : إمساك السماء عن الوقوع أظهر في الدرء [١] ولتأخيره وجهٌ لايخفى ، وقال بعضهم : الرأفة أبلغ من الرحمة ، وتقديم " رؤوف " للفاصلة ، وذهب جمع إلى أن الرحمة أعم ، ولعلّه الظاهر) [٢].

أسأل الله رب العرش العظيم أن يديم علينا نعمه الظاهرة منها والباطنة ، ويجعلنا من الشاكرين المعترفين بعجزهم عن أداء الشكر لكثرة نعمه على عباده .

---

(١) لأنه لولا قدرة الله - تعالى - ورأفته بعباده لسقطت السماء على الأرض ، فتلف ما عليها ، وهلك مَن فيها .

(٢) تفسير الآلوسي ، ١٧/١٩٤ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٧٤)

بيان غريب النص :

لَقويّ : اللام للتأكيد ، والقويّ اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٢).

عزيز : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "قوى عزيز" عقبه :

لمّا ذكر الله - عز وجل - المثل (٤) الذي يُبطل عقيدة المشركين ، بيّن هنا أنهم بعبادتهم آلهةً من دون الله - تعالى - ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ أي : ما عظّموا الله - سبحانه وتعالى - حقَّ عظمتِهِ ، وما عرفوه حق معرفته ، ولاوصفوه حق صفته (٥) ، حيث تركوا عبادة الواحد القهار القويّ العزيز ، وأشركوا به تلك الآلهة الضعيفة العاجزة المقهورة المغلوبة ، والتي لاتقاوم الذباب لضعفها وعجزها .

ولمّا بيّن - تعالى - ما عليه معبودات المشركين من العجز وانتفاء القدرة كلّيا ، ثم بيّن جهالتهم ونقصان عقولهم بعبادتهم آلهة لاتعقل ولاتنفع ولاتضر ولاتقدر على شيء من خلق ذباب ولادفعه ، أخبر بصفتين دالتين على إلٰهيّته - سبحانه - منافيتين لِصفات آلهة هؤلاء المشركين من القوة القادرة ، والعزة الغالبة ، في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ وهو تعليل لما سبق (٦) ، وذلك أن ما أشركوه مع الله - تعالى - في العبادة ضعيف ذليل ، فما قدروه حق قدره ، لأنه - تعالى - قوي قادر على كل شيء ، عزيز غالب لايغالبه أحد ، فكيف يشاركه في العبادة الضعيف الذليل والعاجز المغلوب ، وفي ذلك ردٌّ على المشركين واستغرابٌ من حالهم ، وفيه تهديد لهم بأنه - تعالى - سينتقم منهم بسوط من عذابه لكمال قوته وعزته . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٧٤ .

(٢) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٦ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٣ .

(٤) ذلك في قوله - تعالى - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ... ﴾ سورة الحج ، الآية : ٧٣ .

(٥) ينظر : الصحاح للجوهري ، مادة (قدر) ، ٧٨٦/٢ ، ذكر مثله ابن منظور في لسان العرب ٧٨/٥ ، المفردات للراغب ، ص : ٣٩٦ ، بصائر ذوي التمييز ، ٢٤٦/٤ .

(٦) ينظر : تفسير الآلوسي ، ٢٠٧/١٧ ، تفسير ابن عاشور ، ٣٤٢/١٧ .

النص :

قال الله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ ﴾

بيان غريب النص :

سميع : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٢).

بصير : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى ، وقد تقدم معناه (٣).

معنى النص ومناسبة اسميه تعالى "سميع بصير" عقبه :

لمّا أخبر الله - عز وجل - أنه المعبود حقًا ، وأبطل في الآية السابقة (٤) ألوهية غيره ، والعبادة لمن سواه ، بيّن أن له مطلق التصرف في اختيار رسله ، فقال : ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا ﴾ أي : الله - تعالى - وحده هو الذي يختار من ملائكته رسلا ، كما اختار جبريل وإسرافيل وميكائيل - عليهم السلام - ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي : وهو الذي يختار من بين الناس رسلا ، كما اختار إبراهيم وموسى وعيسى وخاتمهم محمدا - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - لتبليغ وحي الله - تعالى - إليهم ، وفي ذلك رحمة من الله - تعالى - بعباده ، حيث إنه - سبحانه - يبعث إليهم الرسول من جنسهم ليفقهوا عنه ويفهموا منه لتمكنّهم من مخاطبته ومكالمته ، ولو بعث إلى البشر رسولا من الملائكة لما استطاعوا مواجهته ولا الأخذ عنه ، ولكن أبى المشركون إلّا جحودا ، وكذّبوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حسدا وعنادا ، كما حكى القرآن الكريم ذلك في قوله - تعالى - : ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ (٥) ، وفي قوله - سبحانه - : ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٧٥ .

(٢) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٢ .

(٣) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٠ .

(٤) هي الآية التي تقدم تفسيرها آنفا .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٨ .

(٦) سورة الإسراء ، الآية : ٩٤ .

ولمّا ردّ الله - عز وجل - عليهم بأن الاختيار إليه - سبحانه - ، يعلم مَن يختار لرسالته ، ختم الآية بالإخبار عن نفسه الكريمة بصفتي السمع والبصر في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ يسمع ما يقوله المشركون في محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وما جاء به من عند ربه ، ويرى ما يفعلون من إنكاره - صلى الله عليه وسلم - وعبادة غير الله - عز وجل - ، وفي ذلك تهديد لهم .

أو سميع لأقوال عباده ، وبصير بأحوالهم ، ولمّا كان - تعالى - كذلك يعلم مَن يختاره من خلقه لتبليغ الرسالة [1] ، كما قال - تعالى - : ﴿...ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ...﴾ [2] ، وفي ذلك ردّ على المشركين ، لأنّ عقولهم قاصرة عن الاطلاع على خفايا الأمور ، حيث يقترحون أن يكون الرسول من الملائكة .

أو سميع لأقوال الرسل فيما تقبله العقول ، بصير بأحوال الأمم في الردّ والقبول وفي ذلك وعد لأتباع الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ووعيد لمكذّبيهم [3] . والله - تعالى - أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير القرطبي ، ٩٨/١٢ ، تفسير ابن كثير ، ٢٤٦/٣ .

(٢) سورة الأنعام ، من الآية : ١٢٤ .

(٣) تفسير الآلوسي ، ٢٠٧/١٧

النص :

قال الله تعالى :

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ [(١)]

بيان غريب النص :

ملّة : قال في اللسان : (الملّة : الدين ، كملّة الإسلام والنصرانية واليهودية) [(٢)].

وعلى ذلك ، فالملّة تطلق على الدين مطلقا ، حقّا كان أو باطلا ، فمن الحق قوله تعالى ـ : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ... ﴾ [(٣)]، وهي الدين الحق.

ومن الباطل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ... ﴾ [(٤)]، وهي ملة باطلة.

والمراد بالملة هنا هو الدين الحق.

مولاكم : أي : حافظكم وناصركم ، ومتولي أموركم ، ومظفّركم على أعدائكم [(٥)]، والمولى اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى ، وقد تقدم معناه [(٦)].

النصير : اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى ، وقد تقدم معناه [(٧)].

معنى النص ومناسبة قوله تعالى "فنعم المولى ونعم النصير" عقبه :

بعد أن أمر الله ـ عز وجل ـ بطاعته على المؤمنين من صلاة وغيرها [(٨)]، أمرهم أيضا

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٧٨ .

(٢) لسان العرب ، مادة (ملل) ، ٦٣١/١١ .

(٣) سورة البقرة ، من الآية : ١٣٠ .

(٤) سورة الكهف ، من الآية : ٢٠ .

(٥) ينظر : تفسير الوجيز للواحدي ، ٦١/٢ ، تفسير ابن كثير ، ٢٤٧/٣ ، تفسير الآلوسي ٢١١/١٧ .

(٦) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٨ .

(٧) ينظر من هذا البحث ، ص : ٣٨ .

(٨) ذلك في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الآية : ٧٧ من سورة الحج .

بأمرٍ هام ، وهو الجهاد فقال : ﴿ وَجَٰهِدُوا فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ أي : وجاهدوا في سبيل الله - تعالى - جهادا كما ينبغي ، خالصا لوجه الله - تعالى - ، ومِن أجل أن تكون كلمة الله هي العليا ، ثم بيّن - تعالى - الحكمة في الأمر بالجهاد بقوله : ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ أي: اختاركم - يا أيها المسلمون - مِن بين الأمم لِدينه ونصرته (١). قال ابن كثير : (أي : يا هذه الأمة ! ، اللهُ اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم وفضّلكم وشرّفكم وخصّكم بأكرم رسولٍ وأكمل شرعٍ) (٢)، ثم ذكر - تعالى - نعمته على هذه الأمة فقال : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ أي : مِن ضيق ومشقّة ، بل وسّع عليكم ، وشَرَعَ اليُسْرَ في جميع ما كلّفكم به ، ومنه الرُّخَصُ المشروعة في باب الجهاد من إعفاء المرضى والضعفاء وغيرهم من الجهاد بأنفسهم، وفي غيره من أبواب الدين ممّا لم يضيّق الله - تعالى - على المكلّفين فيما أمرهم به، كالرخصة للمسافر والمريض في قصر الصلاة والصيام ،﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي :الزموا ملّةَ إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ، أو منصوب على المصدرية بفعلٍ دلّ عليه مضمون ما قبله، ثم حُذف المضاف وأقيم المضاف إليه مُقامه ، أي : وسّع دينكم توسعة ملة أبيكم (٣) ، ثم ذكر - تعالى - منّته على هذه الأمة بما نوّه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر وقديم الزمان في كتب الأنبياء ، يُتْلَى على الأحبار والرهبان (٢)، فقال : ﴿ هو ﴾ أي : الله عز وجل - ﴿ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ أي : في الكتب السابقة من قبل نزول القرآن ﴿ وَفِى هَٰذَا ﴾ أي : وفي القرآن سماكم أيضا ، ثم علّل - سبحانه وتعالى - ذلك بقوله : ﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ أي : ليكون محمد - صلى الله عليه وسلم - شهيدا عليكم - يوم القيامة - بالطاعة والقبول ﴿ وَتَكُونُوا ﴾ أنتم - أيها المسلمون - ﴿ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بأنّ الرسل - عليهم الصلاة والسلام - قد بلّغوا رسالات ربهم ، وذلك بأن الله - تعالى - جعلكم أمة وسطا عُدولا خيارا مشهودا بعدالتكم عند جميع الأمم ، ثم فرّع على جملة ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ وما بعدها (٤)، فقال : ﴿ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ بجميع حدودها وواجباتها ﴿ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ المفروضة عليكم في أموالكم . قال الآلوسي : (فتقرّبوا إلى الله - تعالى - لِمَا خصّكم بهذا الفضل والشرف بأنواع الطاعات) (٥).

---

(١) ينظر : تفسير الزمخشري ، ٢٤/٣ ، تفسير النيسابوري ، ١٢٤/١٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٢٤٦/٣ .

(٣) القول الأخير هو ما ذهب إليه الزمخشري في الكشاف (٢٤/٣) ، وهناك وجوه أخرى غير ماذكرت ،نقلها صاحب الفتوحات الإلهية عن السمين ، ١٨٢/٣ .

(٤) ينظر : تفسير ابن عاشور ، ٣٥٢/١٧ .

(٥) تفسير الآلوسي ، ٢١١/١٧ .

ثم أمر الله - سبحانه وتعالى - بالاعتصام به فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ أي: وثقوا بالله - تعالى - واطلبوا النصرةَ منه، قال ابن كثير: (اعتضدوا بالله واستعينوا به وتوكّلوا عليه وتأيّدوا به)[1]، ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: ناصركم وحافظكم ومتولي أموركم ومظفركم على أعدائكم.

ولمّا أمر الله - عز وجل - عباده بالاعتصام به، ثم أخبر أنه مولاهم وناصرهم، ناسب لهذا الوعد الكريم إنشاءُ الثناء على الله - تعالى - بأنه أحسنُ مولًى وأعزُّ نصيرٍ في قوله - تعالى -: ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ وهذا الإنشاء يتضمّن تحقيق حسن ولاية الله - تعالى -، وحسن نصره، وبذلك حسُن تفريعه على الأمر بالاعتصام به[2].

وفي ضمن قوله - سبحانه -: ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ حثٌّ للعباد أن يعتصموا بالله - تعالى - في كل الأمور، ويعملوا في رضاه في السر والعلن والخفاء والظهور، وأن يتخذوا الله - تعالى - وحده وليًّا وناصرا من دون كل أحد، وفيه إشارة إلى أنّ مَن كان الله - سبحانه - مولاه وناصره فقد أفلح، إذ لا نظير له في الولاية والنصرة. والله أسأل أن يتولانا وينصرنا على أعدائنا، انه سميع الدعاء.

---

(١) تفسير ابن كثير، ٢٤٧/٣.

(٢) تفسير ابن عاشور، ٣٥٣/١٧.

سورة المؤمنون

النص :

قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (١)

بيان غريب النص :

الطيبات : ما طاب من الأطعمة وحلّ، والطيب في اللغة : الحلال (٢)، قال في المفردات (الطعام الطيب في الشرع : ما كان متناولا من حيث ما يجوز، وبقدر ما يجوز، ومن المكان الذي يجوز) (٣).

عليم : اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى، وقد تقدم معناه (٤).

معنى النص ومناسبة اسمه تعالى "عليم" عقبه :

لمّا أخبر الله - عز وجل - في الآيات المتقدمة (٥) عن قصص بعض الأنبياء السابقين، بيّن ما أوصاهم به جميعا من الأكل والعمل، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ ﴾ هذا الخطاب موجّه إلى الرسل جميعا، مع أن الموجود منهم عند نزول هذه الآية واحد فقط، وهو الرسول - صلى الله عليه وسلم - للدلالة على أن كل رسول كذا نُودي وأُمر، وذلك الأمر هو ﴿ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ هي التي لم يأت تحريمها في الكتاب أو السنة ﴿ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ أي : عملا صالحا، الذي يتمّ به الصلاح وتتحقّق السعادة في الدارين، قال ابن كثير : (يأمر - تعالى - عباده المرسلين - عليهم الصلاة والسلام - بالأكل من الحلال والقيام بالصلاح من الأعمال، فدلّ هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح، فقام الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بهذا أتم القيام) (٦).

ولمّا أمر الله - عز وجل - بالأكل من الطيبات التي أحلّها، والقيام بالأعمال الصالحة أخبر عن اسمه الكريم " عليم" الدال على أنه - تعالى - لايخفى عليه شيء ممّا يعمله عباده، وكل عمل عملوه، وكل سعي اكتسبوه فإن الله - تعالى - يعلمه و سيجازيهم عليه يوم القيامة أتم الجزاء وذلك في قوله - تعالى - : ﴿ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ .

وفي ختم الآية باسمه - تعالى - ﴿ عليم ﴾ تحذير من مخالفة أمر الله - تعالى -، وإغراء على الامتثال بالأمر، حيث إنه - تعالى - بموجب علمه بما يقع من الناس من أعمال، و بما تتصف هذه الأعمال من خير أو شر، يثيب و يعاقب، وهو العليم الخبير . والله - تعالى - أعلم بالصواب

---

(١) سورة المؤمنون، الآية : ٥١.
(٢) القاموس المحيط، مادة (طيب)، ص : ١٤١، تفسير الماوردي، ٤٤٧/١.
(٣) المفردات للراغب، ص : ٣٠٨.
(٤) ينظر من هذا البحث، ص : ٣٣.
(٥) هي من قوله - تعالى - : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ... ﴾ إلى قوله - تعالى - : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾، المؤمنون : (٤٤ - ٥٠) .
(٦) تفسير ابن كثير، ٢٥٧/٣.

الخاتمة

الحمد لله على نعمائه ، والشكر له على آلائه ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وبعد :

فهذا ما وفّقني الله - تعالى - لكتابته في هذا الموضوع الجليل ، والبحث الدقيق ، الذي أعترف فيه بالعجز والتقصير .

ومن أهمّ النتائج التي توصّلت إليها من خلال هذا البحث :

١ - إن في ختم الآيات بالأسماء الحسنى إثباتَ صفات الله - تعالى - ، وفي كثرة هذه الأسماء دلالة على كثرة صفاته ، وأنها لكثرتها وعظمتها لم يكن له - سبحانه - فيها مثيل .

٢ - إن الله - سبحانه وتعالى - يدعو عباده إلى معرفته من طريق تدبّر آياته المتلوة ، لأن القرآن الكريم قد حوى من تفاصيل معرفة الله - تعالى - بأسمائه وصفاته شيئا كثيرا .

٣ - إن أسماء الله - تعالى - توقيفية ، لا اجتهاد فيها ، فهي تعرّف بما ورد في الكتاب والسنة .

٤ - إنّ أسماء الله - تعالى - كثيرة ، فلا تحصر بعدد معيّن ، وأمّا الحديث الوارد في " إن لله تسعين وتسعين اسما ، من أحصاها دخل الجنة " ، فلا يفيد أنها محصورة بذلك ، وإنّما المراد : أن هذه الأسماء موصوفة بأن من أحصاها دخل الجنة .

٥ - من فوائد ذكر الأسماء الحسنى في أواخر الآيات ، أن الله - سبحانه وتعالى - يدل بها عباده على ما يفعل ، ويأمر به ، ويحبه ، ويبغضه ، ويثيب عليه ، أو يعاقب ، ومن أجْل ذلك لابدّ من توعية الناس حتى يعرفوا معاني أسماء الله - تعالى - الحسنى ، لأن العبد إذا عرّف أن الله - عز وجل - هو "التواب" يبادر إلى التوبة إذا عصاه ، وإذا عرف أن الله - سبحانه - غنيّ قاهر رقيب سميع بصير يشعر بأنه عبد مقهور مراقَب مسموع مبصَر .

والعبد بمعرفة مقتضى هذه الأسماء الحسنى ، يتجه إلى الله في طلب رزقه ، ويخضع له وحده ، فلا يذلّ لأحد من خلقه ابتغاء رزقه ، وهو بمقتضى أسماء ربه يجتنب معصيته خوفا منه ، لأنه - سبحانه - يراه ، ويطّلع على حاله ، ولا يخفى عليه شأن من شؤونه ، وقُلْ مثل هذا في سائر أسماء الله - تعالى - الحسنى .

٦ - قد ثبت لي من خلال بحثي أن الآيات القرآنية بما فيها الآيات المختومة بالأسماء الحسنى وحدة مترابطة متناسقة متينة الترتيب .

٧ - كثيرا ما تأتي الأسماء الحسنى في أواخر الآيات بأسلوب التعميم ، بمعنى لايذكَر المتعلّق ، مثل ﴿ والله عليم حكيم ﴾ - ﴿ والله غفور رحيم ﴾ ، وبذلك يتبّين أن القرآن يُرسل النّظم ، ولايعيِّن المتعلّق لسرّ لطيف ، هومنشأ الإيجاز الذي هو منشأ الإعجاز .

٨ - إن الجملة الأخيرة في الآيات القرآنية تسمّى تذييلا ، وقد استخدم سيد قطب - رحمه الله - تعالى - لفظ التعقيب ، بدلا من التذييل ، وهي تسمّى أيضا الفاصلة ، فلا مشاحة في الاصطلاح .

٩ - للتذييل القرآني فوائد وأغراض ، منها :

أن يقع التذييل تأكيدا لعين المضمون .

أن يقع تقريرا كالتأكيد ، إلّا أنه أعمّ وأقوى ، فهذا التقرير يحمل معنى زائدا عما يحتاج إليه تأكيد الكلام السابق .

ومن أغراض التذييل الجانبية : الإجمال والإفهام والإقناع .

١٠ - في نهاية هذا البحث تبيّن لي أن التذييلات القرآنية المشتملة على الأسماء الحسنى ، تَرِد على الصور الآتية :

أولا : تذييل صادر من الله - تعالى - ، وهذا كثير ، مثل قوله - تعالى - ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

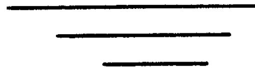
ثانيا : تذييل صادر من الملائكة ، كما حكى القرآن الكريم عنهم ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

ثالثا : تذييل صادر عن العباد ، مثل قول موسى - عليه السلام - ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾

١١ - : هناك نتيجة أخرى قاد إليها البحث ، وهي أن الأسماء الحسنى في النصوص القرآنية تحمل معاني ودلالات خاصة بها ، فالبليغ يدركه العجزُ حين يريد أن يأتي بالأسماء الحسنى ، في مكان غيرها .

وفي الختام أسأل الله ربَّ العرش العظيم أن يعيذني وجميع المسلمين من علم لاينفع ، وقلب لايخشع ، ومن نفس لاتشبع ، ومن دعوة لايستجاب لها ، كما أسأله - تعالى - أن ينفعني بما في هذا البحث ، وأن ينفع به من قرأه ، واطلع عليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام المترجم لهم في الرسالة

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ - ابن حزم وموقفه من الإلهيات ، للدكتور أحمد بن ناصر الحمد ، من منشورات مركزالبحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ط(١) ، ١٤٠٦ هـ .

٢ - الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط(١) ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ، مكتبة المشهد الحسيني ، القاهرة .

٣ - الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبد الرحمن الدوسري ، مكتبة الشيد - الرياض ط(٢) ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٤ - أحكام القرآن ، لأبي بكر أحمد بن علي الجصاص (ت ٣٧٠ هـ)، دار الكتاب العربي ، بيروت طبعة مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٣٥ هـ .

٥ - أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت ٥٤٣هـ)،تحقيق محمد البجاوى ، دار المعرفة ، بيروت .

٦ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، للإمام أبي السعود (ت ٩٥١ هـ)،نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٧ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لأبي عمر بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوى ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة .

٨ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق محمد إبراهيم البنا و رفقائه ، دار الشعب .

٩ - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، للدكتور محمد أبو شهبة ، مكتبة السنة بالقاهرة ، ط(٤) .

١٠ - الاسماء والصفات ، للحافظ أبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط(١) ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ .

١١ - أسماء الله الحسنى ، للشيخ الحسنين مخلوف ، دار المعارف ، بالقاهرة .

١٢ - أسماء الله الحسنى ، تصنيف رجائي محمد المصري المكي ، مكتبة التوعية الإسلامية، الجيزة ، ط(٢) ، ١٤٠٧ هـ .

١٣ - اشتقاق أسماء الله ، لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٤٠ هـ) ، تحقيق عبد الحسين المبارك مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط (٢) ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٤ - الإصابة في تمييز الصحابة لابن الحجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، مكتبة المثنى في بغداد تصوير عن الطبعة الأولى ، سنة ١٣٢٨ هـ ، بمطبعة السعادة .

١٥ - إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، للحسين بن محمد الدامغاني (ت ٤٧٨ هـ)، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط (٥) ، ١٩٨٥ م .

١٦ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، تأليق محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ) طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ، بالرياض ، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م .

١٧ - الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة ، للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، دار كتب العلمية ، بيروت ، ط (١) ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

١٨ - إعجاز القرآن ، لعبد الكريم الخطيب ، " الكتاب الثاني " ، دار المعرفة ، بيروت ، ط (٢) ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

١٩ - الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره ، للدكتور محمد يوسف القاسم ، ط (١) ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٢٠ - الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط (٦) ، ١٩٨٤ م .
٢١ - الألوهية في القرآن الكريم ، للدكتور سعاد يلدريم (باللغة التركية) ، ط(١)، ١٩٨٧ م .
٢٢ - الأمثال في القرآن الكريم ، تأليف الدكتور الشريف منصور بن عون العبدلي ، عالم المعرفة ، جدة ، ط (١) ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .
٢٣ - الأمد الأقصى في معرفة أسماء الله الحسنى ، للقاضي ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ) ، مخطوط منه نسخة مصورة بالمكروفيلم ، في مركز البحث ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، العقيدة رقم ١٦٣ و ١٦٤ .
٢٤ - إمعان النظر في نظام الآي والسور ، لمحمد عناية الله محمد هداية الله ، رسالة ماجستير، نوقشت عام ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، بالرياض .
٢٥ - أنوار التنزل وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، لناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ، مؤسسة شعبان ، بيروت .
٢٦ - أنوار الربيع في أنواع البديع للسيد علي صدر الدين المدني ، تحقيق شاكر هادي شكر مطبعة النعمان - النجف ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
٢٧ - إيثار الحق على الخلق ، لابن المرتضى اليمني ، (ت ٨٤٠ هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت ط (١) ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
٢٨ - البحر المحيط ، (تفسير أبي حيان) ، لمحمد بن يوسف (ت ٧٤٥ هـ) ، نشر دار الفكر بيروت ، ط (٢) ، سنة ١٤٠٣ هـ ، وبهامشه النهر المادمن البحر للمؤلف نفسه ، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتاج الدين الحنفي النحوي ، تلميذ أبي حيان .
٢٩ - بدائع الفوائد ، لمحمد بن أبي بكر ، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) دار الفكر .
٣٠ - البداية و النهاية للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤). مكتبة المعارف بيروت ، ط(٢)، ١٩٧٧ م .
٣١ - البرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمد بن حمزة الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) ،تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (١) ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
٣٢ - البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، (ت ٧٩٤ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بمصر ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .
٣٣ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، للفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) ، تحقيق الأستاذ محمد علي البخار ، المكتبة العلمية ، بيروت .
٣٤ - البيهقي و موقفه من الإلهيات للدكتور أحمد بن عطية الغامدي ، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط (٢) ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
٣٥ - تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين للشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) مكتبة المثنى القاهرة .
٣٦ - التصوير الفني في القرآن ، لسيد قطب (ت ١٣٨٧ هـ) ، دار المعرفة بمصر ، ط (٨) .
٣٧ - التعبير الفني في القرآن للدكتور بكري شيخ أمين ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت ط (٣) ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
٣٨ - التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، لابن حجر العسقلاني ، (ت ٨٥٢ هـ تعليق السيد عبد الهاشم اليماني ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ .
٣٩ - تفسير ابن عباس و مروياته في الفسير من كتب السنة ، للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ، من منشورات جامعة أم القرى ، بمكة المكرمة .
٤٠ - تفسير ابن القيم ، لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ .

٤١ - تفسير أسماء الله الحسنى لأبي اسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ)، تحقيق أحمد يوسف الدقاق دار المأمون، للتراث، دمشق، بيروت، ط(٤)، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٤٢ - تفسير التحرير والتنوير، لطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)، نشر الدار التونسية، تونس ١٩٨٤ م.

٤٣ - تفسير الجلالين للإمام السيوطي و جلال الدين المحلي، وهو بهامش الجمل، مطبعة عيسى البابي الحلبي، بمصر.

٤٤ - تفسير سورة النصر، لابن رجب الحنبلي، تحقيق الدكتور حسن ضياء الدين عتر، إدارة التراث الإسلامي، بدولة قطر، ١٤١٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٤٥ - تفسير المراغي، للشيخ أحمد مصطفى المراغي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، ط(٥) ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

٤٦ - تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٧٦ هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، ط (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٧ - تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، للحافظ عماد الدين ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط(١)، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٤٨ - التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر، بيروت.

٤٩ - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) تأليف محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤ هـ) نشر دار المعرفة، بيروت، ط(٢)، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٥٠ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) نشر إدارات البحوث العلمية بالرياض، ١٤٠٤ هـ.

٥١ - تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن للشيخ عبد الرحمن السعدي، (ت ١٣٧٦ هـ) مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٥٢ - تفسير مجاهد، تحقيق عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، مجمع البحوث الإسلامية إسلام آباد، باكستان، ط (١)، عام ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.

٥٣ - تفسير المعوذتين، لابن القيم (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق و تعليق مصطفى بن العدوي، مكتبة الصديق، الطائف، المملكة العربية السعودية، ط (١)، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٥٤ - تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم على الايجاز والاختصار للمكي بن أبي طالب القيسي، (ت ٤٣٧ هـ)، تحقيق هدى الطويل المرعشلي، دار النور الإسلامي، بيروت، ط(١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٥٥ - التفسير الواضح للدكتور محمد محمود الحجازي، دار الفكر، بيروت، ط (١)، ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م.

٥٦ - تناسق الدرر في تناسب السور لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، ط (١)، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٥٧ - تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة، بيروت، ط (٢)، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٥٨ - تهذيب التهذيب لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، نشر دار صادر، بيروت، مصور من طبعة دائرة المعارف المثمانية، بحيدر آباد - الهند، ١٣٢٥ هـ.

٥٩ - جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

٦٠ - الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) للإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تصحيح أحمد العليم البر دوني، ط(٣) عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٧م، نشر دار الكتاب العربي بمصر

٦١ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ط (٣) ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م مصطفى البابي الحلبي.

٦٢ - جواهر البيان في تناسب سور القرآن لأبي الفضل عبد الله الصديق الغماري، مكتبة القاهرة
٦٣ - جواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت
٦٤ - جوهر الكنز لابن الأثير الحلبي (ت ٧٢٧ هـ) تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف بالاسكندرية .
٦٥ - حاشية الجمل على الجلالين لسليمان بن عمر (ت ١٢٠٤ هـ)، مطبعة عيسى الحلبي بمصر
٦٦ - حاشية الشيخ زاده على البيضاوي ، طبعة المطبعة العثمانية ، بتركيا .
٦٧ - الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) ، دار ابن القيم ، ط (١) ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، المملكة العربية السعودية .
٦٨ - درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) ، تحقيق محمد رشاد سالم ، ط (١) ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
٦٩ - الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي (ت ٩١١ هـ) دار الفكر ، بيروت ، ط (١) ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
٧٠ - درة التنزيل و غرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، للخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) ، منشورات الآفاق الجديدة بيروت ، ط(٣) ١٩٧٩م .
٧١ - دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ، جمع وتقديم دكتور محمد السيد الجلند، دار الأنصار ، القاهرة ، ط (١) ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
٧٢ - دليل المسلم في الاعتقاد على ضوء الكتاب والسنة ، للشيخ عبد الله خياط ، ط (٤) ، مطابع الصفا بمكة .
٧٣ - التفسير الكبير لابن تيمية (٧٢٨ هـ) ، تحقيق عبد الرحمن عميرة ، دار الكتب العلمية ، ط (١) ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٧٤ - رحلة القلب السليم في آثار رحمة الله عز وجل ، تأليف محمد صفوك العلي ، نشر مكتبة دار العليان ، ببريدة ، المملكة العربية السعودية .
٧٥ - رفع الحرج في الشريعة الإسلامية للدكتور صالح بن عبد الله حميد ، من منشورات جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ط(١) ، ١٤٠٣ هـ .
٧٦ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الآلوسي) للعلامة شهاب الدين الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ)، دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
٧٧ - زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت ، دمشق ، ط (٣) ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
٧٨ - زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط(١٤) ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م .
٧٩ - الزكاة و أحكامها لوهبي سليمان غاوجي ، مؤسسة الرسالة ، ط (٢) ،١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .
٨٠ - سنن ابن ماجة لابن ماجة القزويني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبع عيسى البابي الحلبي و شركاه ، بمصر .
٨١ - سنن أبي داود ، إعداد و تعليق عزت عبد الدعاس ، دار الحديث ، حمص ، ط (١) ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩ م .
٨٢ - سنن الدارقطني للإمام الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) ، عني بتصحيحه و تنسيقه و ترقيمه و تحقيقه السيد عبد الله هاشم يماني المدني ، دار المحاسن ، القاهرة .
٨٣ - سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر و محمد فؤاد عبد الباقي ، و إبراهيم عطوه عوض ، دار إحياء التراث العربي بيروت .
٨٤ - السنن الكبرى للإمام البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، مصور عن الطبعة الأولى لدائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٠٣ هـ .
٨٥ - السيرة النبوية لابن هشام ، دار الفكر بيروت ، توزيع مكتبة الفيصلية بمكة المكرمة .

٨٦ - شأن الدعاء للخطابي (ت ٣٨٨ هـ) ، تحقيق أحمد يوسف الدقاق ، دار المأمون للتراث بيروت ، دمشق ، ط (١) ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٨٧ - شرح أسماء الله الحسنى ، وهو الكتاب المسمى " لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى و الصفات للفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط (١) ١٤٠٤هـ ١٩٨٤ م ، راجعه وقدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد .

٨٨ - شرح العقيدة الطحاوية للإمام القاضي أبي العز الحنفي (ت ٧٢٢ هـ) ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، و شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط (١)، ١٤٠٨هـ

٨٩ - شرح العقيدة الواسطية ، تأليف الشيخ محمد خليل هراس ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية بالرياض ، ١٤٠٣ هـ .

٩٠ - شرح العقيدة النونية لابن القيم الجوزية ، (ت ٧٥١ هـ) ، تحقيق د/ محمد خليل هراس دار الفاروق الحديثة ، القاهرة .

٩١ - شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي (ت ٦٧٦هـ) ، توزيع إدارات البحوث العلمية بالرياض .

٩٢ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية ط(١) ١٤٠٧ هـ - ١٩٧٨م .

٩٣ - الصحاح "تاج اللغة و صحاح العربية" لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط(٢) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٩٣ - صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) بهامش فتح الباري لابن حجر ، ينظر : فتح الباري .

٩٤ - صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٩٥ - صفوة البيان لمعاني القرآن للشيخ حسنين مخلوف ، دار الفكر ، بيروت .

٩٦ - عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي لابن العربي (ت ٥٤٣ هـ) دار الوحي المحمدي - القاهرة .

٩٧ - العمدة في غريب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) ، تحقيق د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط(١) ١٤٠١هـ .

٩٨ - غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق إبراهيم عطوه عوض ، شركة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط(١) ، ١٣١٨ هـ - ١٩٦٢م .

٩٩ - غريب الحديث للخطابي (ت ٣٨٨هـ) ، تحقيق عبد الكريم العزباوي من منشورات جامعة أم القرى ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

١٠٠- الفاصلة في القرآن لمحمد الحسناوي ، المكتب الإسلامي بيروت ، دمشق ط(٢) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٠١- الفاصلة القرآنية ، د/ عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ ، الرياض ، ١٣٠٢هـ - ١٩٨٢م .

١٠٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تصحيح تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة بيروت .

١٠٣- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي يحي زكريا الأنصاري ، تحقيق محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، ط(١) ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٠٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني ، (ت ١٢٥٠هـ دار الفكر ، بيروت .

١٠٥- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (حاشية الجمل) ، للشيخ سليمان ابن عمر العجيلي الشهير بالجمل ، (ت ١٢٠٤هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي ، بمصر .

١٠٦- في رحاب أسماء الله الحسنى و صفاته العليا ، للدكتور محمد عجاج الخطيب ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط(١) ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

١٠٧- الفروق اللغوية للإمام أبي هلال العسكري ، (ت بعد سنة ٣٩٥هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

١٠٨- في ظلال القرآن لسيد قطب ، دار الشروق ط(١٠) ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .
١٠٩- فوائد قرآنية للشيخ عبد الرحمن السعدي، (ت ١٣٧٦هـ) ، تحقيق زهير الشاويش المكتب الإسلامي، بيروت ، دمشق .
١١٠- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان لابن القيم (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية بيروت .
١١١- القاموس المحيط للفيروزآبادي ، (ت ٨١٧هـ)، تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، نشر مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع، ط(١) ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م .
١١٢- القواعد الحسان، تأليف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ت ١٣٧٦هـ) ، مكتبة المعارف، الرياض ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
١١٣- الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله تعالى الحسنى ، للإمام القرطبي، مخطوط مصور في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة تحت رقم ٣٠٤ ، العقيدة .
١١٤- كتاب الوجيز في تفسير القرآن العزيز ، للواحدي (ت ٤٦٨ هـ) ، مطبوع في هامش مراح لبيد - تفسير النووي ، دار الفكر ، بيروت .
١١٥- القواعد المثلى ، للشيخ محمد الصالح العثيمين ، دار الأرقم ، الكويت ، ط (٢) ، ١٤٠٦ هـ
١١٦- الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
١١٧- الكشف والبيان في علوم القرآن ، تأليف الدكتور سمير عبد العزيز شليوه ، مكتبة الأزهر للطباعة والنشر ، القاهرة .
١١٨- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ، تأليف عبد العزيز محمد السلمان ، مطابع مجد التجارية ، الرياض ، طبعة (١١) ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
١١٩- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين على بن محمد المعروف بالخازن (ت ٧٢٠ هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط(٢) ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
١٢٠- لسان العرب لابن منظور ، (ت ٧١١ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، المكتبة الفيصلية بمكة .
١٢١- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية ، تأليف العلامة محمد بن أحمد السفاريني (ت ١١٨٨ هـ) ، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط (٢) ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
١٢٢- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) ، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سزكين ، مؤسسة الرسالة .
١٢٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) ، ط (٢) ، مصور عن طبعة القدس في ١٩٦٧ م .
١٢٤- مجموعة المقالات من كليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩ هـ)، ترجمها عن التركية الملا محمد زاهد زكردي ، عالم الكتب ، ط (١)، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .
١٢٥- المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ، لمحمد بن أبي بكر الأصفهاني (ت ٥٨١ هـ) تحقيق عبد الكريم العزباوي ، من منشورات مركز البحث العلمي ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ط (١) ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
١٢٦- محاسن التأويل (تفسير الشيخ القاسمي) ، تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) ، وقف على طبعه و تصحيحه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه و علق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، ط(٢) ،١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م .
١٢٧- محاضرات في تفسير القرآن ، للدكتور نور الدين عتر ، دار المعرفة ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨ م .
١٢٨- محاضرات في النصرانية ، تأليف الشيخ محمد أبو زهرة ، طبع و نشر إدارات البحوث العلمية ، بالرياض ، ١٤٠٤ هـ .
١٢٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية) ، لابن عطية (ت ٥٤٢ هـ) تحقيق و تعليق محمد الشافعي و رفقائه ، دار العلوم ، الدوحة - قطر ، ط(١)، ١٣٩٨هـ .
١٣٠- المحلى لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) ، تحقيق أحمد شاكر ، مكتبة دار التراث ، بيروت .

١٣١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين ، لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (١) ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١٣٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) ، لأبي البركات النسفي (ت ٧١٠ هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، بمصر .

١٣٣- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ) ، و بهامشه :تلخيص المستدرك للذهبي ، مصور عن طبعة الهند ١٣٤٠ هـ .

١٣٤- المسند للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) ، الطبعة المصورة عن الطبعة الميمنية ،سنة ١٣٠٦ هـ ، تصوير المكتب الإسلامي ، ودار صادر .

١٣٥- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه للحافظ أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت ٨٤٠ هـ)، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط (١) ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٧ م .

١٣٦- المصباح المنير ، تأليف العلامة أحمد بن محمد الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) ، المكتبة العلمية بيروت .

١٣٧- معاني القرآن وإعرابه لأبي اسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ، منشورات المكتبة العصرية بيروت ، الصيدا ، توزيع الأهرام .

١٣٨- معاني القرآن لأبي زكريا الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، تحقيق محمد علي النجار و أحمد يوسف نجاتي ، نشر عالم لكتب ، بيروت ، ط (٣) ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١٣٩- معاني القرآن لسعيد بن مسعدة (الأخفش) ، عالم الكتب بيروت ، ط(١)١٤٠٥ هـ .

١٤٠- معاني الحروف للرماني (ت ٣٨٤ هـ) ، تحقيق د/ عبد الفتاح شلبي ، دار الشروق بجدة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

١٤١- معالم التنزل (تفسير البغوي) ، (ت ٥١٥ هـ) ، بهامش تفسير الخازن ، تقدم طبعه .

١٤٢- معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، بيروت .

١٤٣- معجم ما استعجم ، للبكري (ت ٤٨٧ هـ) ، تحقيق مصطفي السقا ، عالم الكتب ، بيروت توزيع دار الباز ، بمكة المكرمة .

١٤٤- معجم مقاييس اللغة ، لابن الفارس (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

١٤٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، مؤسسة جمال ، بيروت .

١٤٦- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مصر ، توزيع دار المطبوعات بجدة .

١٤٧- مع الله في أسمائه و صفاته ، لعلي أحمد عثمان ، الدار السعودية ، جدة ط(١)، ١٤٠٦ هـ .

١٤٨- معنى لاإله إلاّالله للزركشي ، (ت ٧٩٤) ، تحقيق علي محي الدين راغي ، ط(٣)، ١٤٠٦ هـ دار البشائر البصائر الإسلامية ، بيروت .

١٤٩- مفاتيح الغيوب (التفسير الكبير)، للإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط(٣) .

١٥٠- المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق وضبط محمد سيد الكيلاني ، نشر دار المعرفة بيروت ، توزيع دار الباز بمكة المكرمة .

١٥١- مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة و مطالع البقرة للراغب الأصفهاني ،(ت ٥٠٢ هـ) تحقيق د/ أحمد حسن فرحات ، دار الدعوة الكويت ، ط (١) ،١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

١٥٢- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، للغزالي (ت ٥٠٥ هـ) بعناية بسّام عبد الوهاب الجابي ، الجفان للطباعة والنشر ، القبرص ، ط (١) ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

١٥٣- مِلاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لأبي جعفر الغرناطي ، (ت ٧٠٨هـ) ، دار النهضة العربية بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١٥٤- الملل والنحل للشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت .
١٥٥- المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (ت ٤٠٣ هـ) ، تحقيق حلمي محمد فوده ، دار الفكر ط (١) ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
١٥٦- منهج و دراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ) الدار السلفية الكويت ط (٤) ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
١٥٧- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان لنور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) ، تحقيق عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية بيروت .
١٥٨- موسوعة "له الأسماء الحسنى" للدكتور أحمد الشرباصي ، دار الجيل ، بيروت ، ط (١) ١٤٠٢هـ
١٥٩- ميزان الاعتدال للذهبي (ت ٧٤٨هـ) دار المعرفة .
١٦٠- نزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار ، تأليف السيد محمد صديق خان ، دار المعرفة ، بيروت ط (٢) توزيع دار الباز بمكة المكرمة .
١٦١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) ، مطبعة دار المعارف العثمانية بحيدر آباد - الهند ، ط (١) ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
١٦٢- النكت (تفسير الماوردي) للماوردي (ت ٤٥٠ هـ) تحقيق خضر محمد ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ، ط (١) ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
١٦٣- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي . عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .
١٦٤- النهج الأسماء في شرح أسماء الله الحسنى للشيخ محمد بن حمد الحمود ، مكتبة المعلا الكويت ، ط (١) ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
١٦٥- الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) تحقيق بشير محمد عيون ، نشر دار البيان ، توزيع مكتبة المؤيد ، بالطائف .
١٦٦- الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية للدكتور رفعت فوزي المطّلب ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ، بيروت ، حلب ، (ط) ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة